جامِعُ الخيراتِ

مِنْ مجالِسِ

الشَّيخِ عبدِ اللهِ بنِ محمّدِ بنِ يوسفَ الهَرَرِيّ

الجزء الأول



الطبعة الثانية
١٤٣٩ هـ - ٢٠١٧ م



بيروت - لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن
خلدون، بناية الإخلاص
تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٥٢٨٣ - ١٤ بيروت - لبنان





ISBN 978-9953-20-829-9
9 789953 208299

email: dar.nashr@gmail.com
www.dmcpublisher.com

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ خَلَقَ الإنسانَ وعَلَّمَهُ البيانَ وأرسَلَ نبيَّهُ ﷺ بالهُدَى والفُرقانِ وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على النَّبِيِّ المعلِّم محمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ القُرَشِيِّ الهاشِمِيِّ القَائِلِ فِيْمَا رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وغَيْرُه مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لهُ بِهِ طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ اهـ ورَضِيَ اللهُ عَنِ الصَّحَابَةِ والآلِ ومَنْ تَبِعَهُم بإِحْسَانٍ مَنْ نَقَلُوا إِلَيْنَا الدِّيْنَ واجتَهَدُوا فِى نَشْرِهِ بالسِّنَانِ وبالبَيَانِ.

أمَّا بعدُ فإنَّ مِنَ الأمُورِ المهِمَّةِ نَشْرَ عِلمِ الحالِ بينَ العامَّةِ وتَعليمَهم ما فَرَضَ اللهُ على كُلِّ مُكَلَّفٍ تَعَلُّمَهُ مِنْ عِلْمِ الدِّينِ وقَدْ غَفَلَ عَنِ القِيَامِ بهَذِهِ الفَرِيْضَةِ المؤَكَّدَةِ أَكْثَرُ المنْتَسِبِيْنَ إلى العِلْمِ واقْتَصَرُوا على تَفقيهِ طائفةٍ خاصَّةٍ مِمَّنْ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِم وقَدْ لَفَتَتْ هذهِ الثَّغرَةُ نَظَرَ شَيْخِنَا الإمَامِ المحَدِّثِ الفَقِيْهِ الأُصُولِيِّ المتَكَلِّمِ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ يُوسُفَ القُرَشِيِّ العَبْدَرِيِّ الشَّيْبِيِّ المشْهُورِ بالهَرَرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى فأقْبَلَ بِكُلِّيَتِهِ يُحَاوِلُ سَدَّهَا واجتَهَدَ إلى مَوْتِهِ رَضِيَ اللهُ عنهُ فِى بَثِّ الفَرْضِ العَيْنِيِّ مِنْ عِلْمِ العَقَائِدِ وفُرُوعِ الفِقْهِ بينَ النَّاسِ صَغِيرِهِم وكَبِيْرِهِم وذَكَرِهِم وأُنْثَاهُم بِلُغَةٍ فَصِيْحَةٍ وَاضِحَةٍ سَهْلَةٍ

وبِأُسْلُوبٍ مُشَوِّقٍ لَا يَخْرُجُ معَ ذلكَ إلى تَشْتِيْتِ قَلْبِ المسْتَمِعِ عَنِ الموضُوعِ الأَسَاسِ ولَا إلى إِثْقَالِ ذِهْنِهِ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ مُختلِفَةٍ، فعَلَ ذلكَ رَحمهُ اللهُ مِنْ غَيْرِ تَطْوِيْلٍ مُمِلٍّ ولَا تقصِيْرٍ مُخِلٍّ ومَعَ تَضْمِينِ هذهِ الدُّرُوسِ مِنَ التَّحقِيقَاتِ التِى تُشَدُّ بُطُونُ الإبِلِ فِى تحصِيلِهَا فكانَتْ دُرُوسُهُ التِى يُلقِيْهَا فِى المساجِدِ المختَلِفَةِ نُزْهَةً للعَيْنِ ومُتْعَةً للأذُنِ ومَنْفَعَةً للقَلْبِ ونَفَعَ اللهُ بها خَلْقًا لا يُحْصَوْن. وهوَ قَد درجَ فِى ذلكَ على عَادَةِ السَّلَفِ والخَلَفِ فقَد كانَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عنهُمَا يُفَقِّهُ النَّاسَ فِى الضَّرُورِيَّاتِ فِى شَهرِ رَمَضَانَ كُلَّ سَنَةٍ عِندَما كانَ وَالِيًا عَلَى البَصْرَةِ. وكانَتِ العَادَةُ فِى مَدِيْنَةِ هَرَرَ بَلَدِ شَيْخِنَا رَحِمَهُ اللهُ وحاضِرَةِ العِلْم فِى ذلكَ الوَقْتِ فِى بِلادِ الصُّومَالِ والحَبَشَةِ أنْ يأتِىَ الفَلَّاحُ مِنْ عَمَلِهِ إلى بَيْتِهِ فيَتَنَظَّفَ ويَتطهَّرَ ثُمَّ يَقصِدَ المسجِدَ فيَستَمِعَ إلى دُرُوسِ العِلْم فيهِ كُلَّ يوم وكانَ فِى هَرَرَ فِى ذلكَ الوَقْتِ تِسْعَةٌ وتِسعُونَ مَسجِدًا يُدَرِّسُ فِى كُلٍّ مِنها عَالِمٌ بينَ المغرِبِ والعِشَاءِ فلَا يَمْضِى على هذا الفَلَّاحِ سِنُونَ حتَّى يَتَخَرَّجَ عالِـمًا مِنَ العُلَمَاءِ اهـ

انطِلاقًا مِمَّا تَقَدَّمَ أَحبَبْنَا أنْ نَجْمَعَ فِى هذا الكِتَابِ دُرُوسًا كانَ أعْطَاهَا شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللهُ فِى مَسَاجدَ مختلِفَةٍ وفِى أوقَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ لِتَكُونَ بِيَدِ المدَرِّسِ مَرْجِعًا يُسَهِّلُ لهُ تعلِيمَ العَامَّةِ ويُسَاعِدُهُ فِى التَّثَبُّتِ وزِيَادَةِ التَّأَكُّدِ ولِتَكونَ فِى الوقْتِ عَيْنِهِ دَلِيلًا للأجْيَالِ عَلَى مَنْهَجِ ذلكَ العَالِمِ المُرْشِدِ. وحَرَصْنَا أنْ نَذْكُرَ فِى بِدَايَةِ كُلِّ دَرْسٍ مَوْضُوعَهُ

وكذا مَكَانَ إلقَائِهِ وزَمَانَهُ إنْ عَرَفْنَا وأنْ نُثْبِتَهُ كَمَا نَقَلَهُ مَنْ سَمِعُوهُ مِنْ غَيْرِ اعتِمَادٍ عَلَى التَّسجِيلاتِ الصَّوتِيَّةِ فِى ذلكَ إذْ رُبَّمَا سَبَقَ اللِّسانُ بخَطَإٍ أو عِبَارَةٍ مُوْهِمَةٍ فتَمَّتْ مُرَاجَعَةُ الشَّيْخ بعدَ ذلكَ فيهَا مِنْ قِبَلِ السَّامِعِيْنَ فغَيَّرَهَا وفاتَ تَسجِيلُ ذلكَ بالصَّوْتِ.

هذا ولم نُثبِتِ الفُرُوقَ بينَ النُّسَخِ إذْ هِىَ غَيْرُ مُؤَثِّرَةٍ فِى المعْنَى والمنقُولُ صَحِيحُ المعنَى علَى كُلِّ حَالٍ. وقَدْ ألحَقْنَا بهذهِ الدُّرُوسِ قِلَّةً قَلِيْلَةً مِنْ دُرُوسِ الشَّيْخ الشَّهِيْدِ إنْ شَاءَ اللهُ تعالى نزارِ بنِ رشيدٍ الحلبِىّ أبرَزِ طُلَّابِ شَيْخِنَا الهَرَرِىّ رَحِمَهُمَا اللهُ تعالى مِمَّا تَلَقَّاهُ مِنْ شَيْخِهِ وسَلَكَ فيهَا مَسْلَكَهُ مِنْ حَيْثُ إيْصَالُ الفَائِدَةِ لِلْعَامَّةِ صَحِيْحَةً بأسلُوبٍ سَهْلٍ وَوَاضِحٍ واللهُ تعالى المُوَفِّقُ.

إدارةُ الدِّرَاسَاتِ والأبحَاثِ
فِى جمعيةِ المشاريعِ الخيريَّةِ الإسلاميةِ فِى لبنان

الدرس الأول



علمُ الدينِ الضروريُّ

درسٌ ألقاهُ المحدثُ الفقيهُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ العَبْدَرِيُّ رحمهُ اللهُ تعالى وهو فِى بيانِ تعلُّمِ علم الدينِ الضروريِّ. سمِعَهُ منه الشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ جميلُ بنُ محمد حليمٌ والشيخُ محمدُ بنُ مصطفى البَكرِيُّ والشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى. قال رحمه اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين له النعمةُ وله الفضلُ وله الثناءُ الحسنُ وصَلَّى اللهُ على سيدِنا محمدٍ وعلى ءاله وسلَّم. أما بعدُ فإنَّ اللهَ تباركَ وتعالى قال فِى كتابِه العزيزِ فِى سُورةِ التحريم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ هذه الآيةُ تأمرُ المؤمنينَ بأنْ يحفَظُوا أنفسَهم وأهلِيهِم مِنْ نارِ جهنم. فسَّرَ هذه الآيةَ علىُّ بنُ أبِى طالبٍ رضِىَ اللهُ عنه والتابعىُّ الجليلُ عطاءُ بنُ أبِى رباحٍ أما علىُّ بنُ أبِى طالبٍ رضِىَ اللهُ عنه فقد قال **عَلِّموا أنفسَكُم وأهلِيكم الخيرَ**[(١)] اهـ أى عِلْمَ الدينِ وأما عطاءٌ رَضِىَ

(١) رواه الحاكمُ فِى المستدرك عن علىّ بن أبِى طالب وصححه وأقره الذهبِىّ.

اللهُ عنه فقد قال **أنْ تتعلمَ كيف تُصلِّى وكيف تَصومُ وكيف تحُجُّ وكيف تَبيعُ وتَشترِى وكيف تَنْكِحُ وكيف تُطَلِّقُ** اهـ

المعنى المفهومُ مِنْ تَفسيرِ سيدِنا علىٍّ رَضِىَ الله عنهُ وتَفسيرِ عَطاءِ بنِ أبِى رباحٍ لهذه الآيةِ الكريمةِ أنَّ المؤمنَ إذا تَعَلَّمَ لنفسِهِ وعَلَّمَ أَهْلَهُ أمورَ الدينِ فقد حَفِظَ نفسَهُ وأَهْلَهُ مِنْ نارِ جهنمَ تلك النار التِى وَقُودُها الناسُ والحجارةُ، ففِى هذه الآيةِ تَهديدٌ وتَوَعُّدٌ لِمَنْ أهمَلَ ما يلزَمُهُ تَعلمُهُ مِنْ عِلمِ الدينِ الضرورِىِّ الذِى هو فرضٌ على كلِّ بالغٍ عاقلٍ.

ففرضٌ على الإنسانِ أنْ يَعرِفَ تَصحيحَ العقيدةِ وتَصحيحَ أعمالِ القلوبِ وتَصحيحَ أعمالِ الجوارحِ مِنَ الطاعاتِ والصلاةِ والصيامِ والزكاةِ والحَجِّ ومعرفَةُ ما يَحِلُّ وما يحرُمُ مِنَ البيعِ والشِّراءِ ومعرفةُ ما يَحِلُّ مِنَ النكاحِ وما يَحْرُمُ وما يَصِحُّ مِنَ الطلاقِ وما لا يَصِحُّ فمَنْ أَقْدَمَ على هذه الأشياءِ تاركًا تَعَلُّمَ العلمِ وراءَ ظهرِهِ معَ وجودِ مَنْ يُعلِّمُ فقد عَرَّضَ نفسَهُ لنارِ اللهِ النارِ العظيمةِ فإنْ كان الشخصُ لا يجِدُ فِى بلدِه مَنْ يَعْلَمُ هذه الضرورياتِ وعَلِمَ أنه يوجدُ بأرضٍ كذا مَنْ يعرِفُ أمورَ الدينِ فلا يجوزُ له أنْ يَبْقَى فِى مكانِه ويرضَى بجهلِه بأمورِ الدينِ بلْ يجبُ عليه أنْ يرحلَ[1]، هذه

---

(١) قال أحمدُ بن رسلان فِى الزبد

مَن لم يكن يعلمُ ذا فليسأَلِ   مَن لم يَجِد مُعَلِّمًا فليرحَلِ اهـ

علومُ الدنيا الناسُ يَرحلُونَ إليها ويَتكلَّفُونَ أموالًا عظيمةً فِى سبيلِ تَعلُّمِها وتَحْصِيلِها معَ أنَّ الغايةَ منها بُحبوحةُ العيشِ فِى الدنيا الزائِلَةِ، قد يَتْعَبُ الشخصُ سنينَ عديدةً فِى تحصيلِ هذه العلوم ثُم يأتِيْهِ أجلُهُ قَبْلَ أنْ يَمْكُثَ زمانًا كان يَأمُلُ هو أنْ يَعيشَ فيه ببُحْبُوحَةٍ، يُفاجِئُهُ الموتُ. كم أُناسٍ رجَعُوا مِنْ دِراساتِهم فِى الخارجِ فباغَتَهُمُ الموتُ.

وأما عِلْمُ الدينِ فنتيجتُهُ السعادةُ الأبديَّةُ للنجاةِ مِنْ تلك النارِ قال اللهُ تعالى فِى سورةِ ءالِ عِمران ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ﴾ مَنْ سَلِمَ مِنْ تلك النارِ فدَخَلَ الجنةَ بلا عذابٍ فهذا هو الفائزُ، هو الإنسانُ الرابِحُ.

أما علومُ الدنيا التى يَفْتَخِرُ الناسُ بها ويَكْدَحُونَ ويَتْعَبُونَ لِتَحْصِيلِها سنينَ عديدةً وقَصْدُهُم منها بُحْبُوحَةُ العِيشَةِ فِى الدنيا فإنَّ الدنيا التِى هم يَعيشُونَها زائلةٌ هذا يموتُ بأَجَلٍ والآخَرُ يموتُ بأَجَلٍ أقصرَ منه أو أطولَ منه وأما الآخِرَةُ فهِى دارُ القَرارِ هِى دارُ الحياةِ الدائمةِ، فَمَنْ تَزَوَّدَ مِنْ هذه الدنيا أَىْ تَعَلَّمَ عِلْمَ الدينِ القَدْرَ الذِى لا يَسْتَغْنِى عنه ثُمَّ عَمِلَ بذلك فإنَّه مِنَ الفائزِينَ الذينَ لا خوفٌ عليهم ولا هم يَحْزَنُوَن لا فِى قُبورِهم ولا فِى ءاخِرَتِهم أَمْنٌ بلا خَوْفٍ راحةٌ بلا تَعَبٍ حياةٌ بلا مَوْتٍ صِحَّةٌ بلا مَرَضٍ يَحْيَوْنَ حياةً دائمةً لا مَوْتَ بَعدَها ولا مَرَضَ فيها ولا بُؤْسَ ولا فاقَةَ ولا فَقْرَ فيها.

وأما الذِى يَتْعَبُ يُحاوِلُ أنْ يَتَعَبَّدَ للهِ تعالى فيَتْرُكُ تَعَلُّمَ عِلْم الدينِ وراءَ ظهرِهِ فهو كحاطِبِ لَيْلٍ كالذِى يَحْطِبُ الحَطَبَ أى يَجْمَعُهُ لِيَحْمِلَهُ إلى بيتِهِ فِى ليلٍ مُظلم يَجْمَعُ مِنْ غَيْرِ أنْ يَتَبَصَّرَ أنْ يَكُونَ فيما يَحْمِلُهُ مِنَ الحَطَبِ ما يَعْطِبُهُ مِنْ حَيَّةٍ أو عَقْرَبٍ أو غيرِ ذلك مِنْ هوامِّ الأرضِ المؤذيَةِ، مَثَلُهُ كَمَثَلِ حاطِبِ الليلِ. والرسولُ ﷺ وعلى ءالِهِ حَذَّرَنا مِنَ الاعتمادِ على صُوَرِ الأعمالِ بِدُونِ تَصْحِيحِها فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ **رُبَّ قائمٍ ليس له مِنْ قِيامِهِ إلَّا السَّهَرُ ورُبَّ صائمٍ ليس له مِنْ صِيامِهِ إلَّا الجوعُ والعَطَشُ**[1] اهـ الرسولُ ﷺ اقْتَصَرَ على ذِكْرِ هَذَيْنِ فِى هذا الحديثِ وقَصْدُهُ إيرادُ المِثالِ وإلَّا فكمْ مِنْ حاجٍّ ليس له مِنْ حَجِّهِ إلَّا التَّعَبُ وإنفاقُ المالِ وكم مِمّنْ يحاولُ أَداءَ الزكاةِ زكاتُهُ غيرُ مَقْبُولَةٍ لأنَّهُ لم يَتَعَلَّمْ أحكامَ الشرعِ التِى تَتَعَلَّقُ بالزكاةِ.

انتهى واللهُ تعالى أعلم.

---

(١) رواه البيهقىُّ فِى السنن الكبرى.

الدرس الثانى



اتفاقُ الصحابةِ فِى العقيدةِ

درسٌ ألقاهُ الفقيه المتكلّم الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدريُّ رحمهُ اللهُ تعالى فِى بيروتَ وهو فِى بيانِ اتّفاقِ الصحابةِ فِى العقيدةِ. سمِعَهُ منه الشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى والشيخُ عبدُ الرزاقِ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ جميلُ بنُ محمدٍ حليم والشيخُ محمدُ بنُ مُصطفَى البَكرِيُّ. قال رحِمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسِعَةً

الحمدُ للهِ وصلَّى اللهُ على سيدِنا محمدٍ وسلَّم. أما بعد فإنَّ اللهَ تبارك وتعالى نَصَبَ لنا أدِلَّةً عقليةً أنه لا يُشبِهُ مخلوقَهُ بوجهٍ مِنَ الوجوهِ، نَصَبَ لنا أدلةً عقليةً على استِحالةِ الجلوسِ على اللهِ تبارك وتعالى وأنزَلَ ءايةً مُحْكَمَةً فِى القرءانِ الكريمِ تَدُلُّ على ذلك أىْ تَدُلُّ على تنزيهِ اللهِ تبارك وتعالى عنِ الجلوسِ وغيرِ ذلك مِنْ صفاتِ البشرِ بلْ كلِّ صفةٍ مِنْ صِفاتِ المخلوقينَ وهو قولُهُ تبارك وتعالى فِى سُورةِ الشُّورى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ هذه الجملةُ معَ وَجازَةِ لفظِها فمعناها واسعٌ تُنَزِّهُ اللهَ تبارك وتعالى عنْ كلِّ صفةٍ مِنْ صفاتِ البشرِ. صفاتُ البشرِ نعرِفُها مِنْ أنفُسِنا، الجلوسُ مِنْ صفاتِنا والتنقُّلُ مِنْ أعلَى إلى أسفل أو مِنْ

أسفل إلى أعلَى هذا أيضًا مِنْ صِفاتِنا. كذلك اتخاذُ حيِّزٍ أيْ مكانٍ يُتحيَّزُ فيه هذا أيضًا مِنْ صِفاتِنَا، كذلك التغيُّرُ مِنْ صِفاتِنا، كذلك التأثُّرُ مِنْ صِفاتِنا، كذلك الانفِعالُ هذا مِنْ صفاتِنا، فاللهُ تبارك وتعالى مُنزَّهٌ عنْ هذه الصفاتِ كلِّها. فمَنِ ادَّعى أنه معَ السَّلفِ وقال ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[(١)] بمعنَى الجلوسِ فقدِ افترَى وكَذَبَ كذِبًا ظاهِرًا لأنه لم يقُلْ أحدٌ مِنَ السلفِ إنَّ استوى هنا بمعنَى جَلَسَ. لا يَثْبُتُ عنْ أَحَدٍ مِنْ أصحابِ رسولِ اللهِ الذِينَ عُرِفُوا بتفسيرِ القُرءانِ ذلك، لا يَثْبُتُ عنْ أَحَدٍ منهم. أمّا أنْ يكذِبَ بعضُ الكذَّابِينَ ممنْ جاءَ بعدَ الصحابَةِ ويَنسُبَ إلى بعضِ الصحابَةِ أنه فَسَّرَ هذِه الآيةَ ءايةَ الاستِواءِ على العرشِ بالاستقرارِ أوِ امتِلاءِ العرشِ بِهِ فهذا لم يَرِد ممن هو مِنَ الثِّقاتِ الثابِتِيْنَ إنَّما جاءَ مِنْ طريقٍ يُقالُ لها عند أهلِ الحديثِ سلسلةُ الكَذِبِ. هذه السلسلةُ سلسلةُ الكذِبِ افترَتْ على ابنِ عباسٍ رضِيَ اللهُ عنهما فقالتْ إنَّ ابنَ عباسٍ قال ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[(٢)] استَقَرَّ. هذا افتراءٌ على ابنِ عباسٍ. لا يثبُتُ عنْ أَحَدٍ مِنَ الصحابَةِ تفسيرُ استواءِ اللهِ على العرشِ بالجلوسِ أوِ الاستقرارِ إنّما بما أنّهم كانوا يفهَمُونَ اللغةَ العربيةَ كانوا يفهَمُونَ مِنْ قولِ اللهِ تبارك وتعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ معنًى يليقُ باللهِ تعالى كعُلُوِّ القَدْرِ. عُلُوُّ القدرِ هو

---

(١) و(٢) سورة طه/الآية ٥ .

صفةٌ مِنْ صفاتِ اللهِ، اللهُ تعالى وصفَ نفسَهُ بذلك فقال فِى سُورةِ البقرةِ ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ العلىُّ معناه عَلِىُّ القَدْرِ رفيعُ الدرجاتِ ليس معناه أنه مُستقرٌّ علَى العرشِ الذِى هو مِنَ العالَمِ العُلْوِىِّ ولا علَى الكرسىِّ الذِى هو جِرمٌ عظيمٌ تحتَ العرشِ. كلُّ هذا لا يليقُ باللهِ تعالى لأنَّ الاستقرارَ والجلوسَ صفةٌ مِنْ صفاتِ البشرِ فكلُّ صفةٍ مِنْ صفاتِ البشرِ لا تليقُ باللهِ تعالى، بلْ قال بعضُ السلفِ وهو الإمامُ أبو جعفرٍ الطحاوىُّ الذِى كان مِنْ أهلِ القرْنِ الثالثِ الهجرىِّ ثُمَّ أدرَكَ جُزءًا مِنَ القرْنِ الرابعِ فتُوُفِّىَ، هذا الإمامُ الذِى هو مِنَ السلفِ قال فِى عقيدتِهِ المشهورةِ التِى هِىَ مُتَداوَلَةٌ بيْنَ العُلماءِ مِنْ ذلك الزمنِ إلى عصرِنَا هذا قالَ رضِىَ اللهُ عنه ومَنْ وصفَ اللهَ بمعنًى مِنْ معانِى البشرِ فقد كفَرَ اهـ هذه الجملةُ احفَظُوهَا وحَفِّظُوها أهالِيَكُم ومَنْ وَصَفَ اللهَ بمعنًى مِنْ معانِى البشرِ فقد كَفَرَ اهـ معانِى البشرِ كثيرةٌ، كلُّنا يعرِفُ معانِىَ البشرِ أىْ صفاتِ البشَرِ، كلُّنا نعرِفُ. الجلوسُ مِنْ صِفاتِنا، الجلوسُ لا يصِحُّ فِى لغةِ العربِ إلَّا ممن له نِصفانِ نصفٌ أعلَى ونصفٌ أسفَل، الإنسانُ هكذا لذلِكَ يُوصَفُ بالجلوسِ والكلبُ كذلك يُوصَفُ بالجلوسِ وكثيرٌ مِنَ البهائِمِ تُوصَفُ بالجلوسِ لأنَّ لها نِصفًا أعلَى ونصفًا أسفَل.

ثُمَّ الجلوسُ فِى لُغةِ العربِ عِبارةٌ عنِ التقاء المقعدةِ بالأرضِ أوْ بالكُرْسِىِّ أو نحوِ ذلك، هذا معنَى الجلوسِ

فكيفَ يُوصَفُ خالقُ العالَمِ الذِى خَلَقَ الإنسانَ وصفاتِهِ وخلقَ سائرَ الأشياءِ وصفاتِها بالجلوسِ الذِى هو تَلاصُقُ جِسمينِ أحدُهُما له نصفانِ نصفٌ أعلَى ونصفٌ أسفَل. هؤلاءِ كيف يزعُمُونَ أنَّهم عَرَفُوا اللهَ تعالى. يُفسِّرونَ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[١] بالجلوسِ ثُمَّ يزعُمُونَ أنَّهُم عَرَفُوا اللهَ وأنَّهم ءامنُوا به. هيهاتَ هيهات هذا مِنَ الكذِبِ البعيدِ.

ثُمَّ هؤلاءِ أنفُسُهم يُحَرِّفُونَ ءاياتٍ قُرءانيةً وَرَدَتْ فِى بيانِ أحوالِ المشركينَ الذِين كانوا فِى الزمنِ الذِى كان القُرءانُ يَنْزِلُ فيه على رسولِ اللهِ ﷺ. المشركونَ مِنْ جُملةِ مَقالاتِهِم أنْ قالُوا ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[٢] هؤلاءِ المشركونَ الذِين كانُوا فِى زمنِ الرسولِ ﷺ الذِين كانوا مُعادينَ للرسولِ مكذبينَ له مُؤْذِيْنَ له مُستهزئينَ به كانوا يقولونَ هذه الأوثانُ التِى ينهَانَا محمدٌ عنْ عِبادتِها نحنُ لا نعبُدُهَا إلا لتُقَرِّبَنَا إلى اللهِ، اعتَرَفُوا بأنَّهم يعبُدُونَها، وما معنَى العِبادة، معنَى العِبادةِ نهايةُ التذلُّلِ، كانوا يُعظِّمُونَها كتعظيمِ اللهِ تبارك وتعالى، كانوا يتذلَّلُونَ لها نهايةَ التذلُّلِ، هذا كان عبادَتَهُم لها، لأوثانِهِم.

هؤلاءِ المحرِّفُونَ لدِينِ اللهِ يجعلُونَ أمةَ محمدٍ ﷺ الذِينَ هم مُؤمنونَ باللهِ ورسولِهِ ﷺ ويعتقدونَ أنه لا

---

(١) سورة طه/الآية ٥ .
(٢) سورة الزمر/الآية ٣ .

أحدَ يستَحِقُّ أن يُتذللَ له نهايةَ التذللِ إلَّا اللهُ تبارك وتعالى ولا يُعظِّمونَ أحدًا سوى اللهِ نهايةَ التعظيم، عنْ هؤلاءِ المؤمنينَ يقولُونَ أنتُم مثلُ أولئك، مثلُ أولئك عُبَّادِ الأوثانِ الذِينَ قالُوا فِى التَّشَبُّثِ علَى عبادةِ الأوثانِ التِى كانوا يعبُدُونَها ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ يقولُونَ أنتُم مثلُ أولئك، أحدُكُم عندما يذهبُ لزيارةِ قبرِ الرسولِ ﷺ أو قبرِ أيِّ نبيٍّ أو قبر أيِّ ولِيٍّ للتبركِ فقد أشرَكَ صارَ مثلَ أولئكَ معَ أنَّ التبركَ بالرسولِ وبآثارِهِ كان الصحابةُ يفعَلُونَه حتَّى إنَّ الرسولَ ﷺ فِى حَجَّةِ الوداعِ وعُمرَةِ الجِعْرَانةِ حَلَقَ رأسَهُ بالموسَى ثُمَّ قَسَمَ شَعَرَهُ بين الصحابةِ(١) وما قَسَمَ هذا الشعَرَ إلا ليتَبَرَّكُوا به فكانُوا يتبرَّكونَ به فِى حياتِهِ وبعد وفاتِهِ حتَّى إنَّهم كانوا يغمِسُونَه فِى الماءِ فيَسْقُون هذا الماءَ بعضَ المرضَى تبركًا بأثرِ رسولِ اللهِ ﷺ. وهذا الأثرُ فِى البخارِىّ وغيرِه. كان أحدُهم أخَذَ شعَرَةً والآخرُ أخَذَ شَعَرَتينِ وخالدُ بنُ الوليدِ رضِىَ اللهُ عنه كانت له قَلَنْسُوَةٌ وضعَ فِى طَيِّها شعَرًا مِنْ ناصيةِ رسولِ اللهِ ﷺ أىْ مُقَدَّم رأسِهِ لمَّا حَلَقَ ﷺ فِى عُمرةِ الجِعرَانة، الجِعرانَةُ بعد مكةَ إلى جهةِ الطائِفِ، ليس حَلَقَهُ فِى الحجّ، لا، هذا لمَّا حَلَقَ رأسَهُ فِى العُمرةِ مِنْ ذلك الشعَرِ أخَذَ خالدُ بنُ الوليدِ شعَرَ الناصيةِ أىْ مُقدَّمِ

---

(١) فِى حجة الوداع أخرجه البخارِى فِى صحيحه باب الماء الذِى يغسل به شعر الإنسان.

الرأسِ فوضَعَهُ فِى قَلَنْسُوَتِهِ فكان ذاتَ مرةٍ فِى غزوةٍ مِنَ الغَزَواتِ فَقَدَهَا، فكان يبحثُ عنها ويُفتشُ عنها تفتِيشًا شديدًا حتَّى وجدَها فقيلَ له لماذا أنت تطلُبُ هذه القَلَنْسُوَةَ كلَّ هذا الطلبِ فقال إنِّى وضعْتُ فيها مِنْ شَعَرِ ناصيَةِ رسولِ اللهِ ﷺ وما حَضَرْتُ وَقْعَةً إلَّا رُزِقْتُ النُّصْرَةَ كلما حَضَرْتُ معرَكَةً انتصَرْتُ على الكفارِ ببرَكةِ هذا الشعَرِ شعَرِ النبِيّ ﷺ[(١)].

الصحابةُ كان معروفًا عنهم أنهم يتبركون بآثارِ النبِيّ ﷺ. وكذلك بعد موتِهِ ﷺ وَقَعَ مجاعةٌ شديدةٌ فِى عهدِ عمرَ بنِ الخطابِ، تسعةَ أشهُرٍ انقَطَعَ المطرُ عنهم صارت مجاعةٌ، بعضُ أصحابِ الرسولِ ﷺ جاءَ إلى قبرِ الرسولِ ﷺ فقال يا رسولَ اللهِ استسقِ لِأُمَّتِكَ فإنهم قد هَلَكُوا اهـ هذه يقالُ لها استغاثةٌ وتوسلٌ، فَجِىءَ فِى المنامِ أُتِيَ هذا الرجلُ الصحابيُّ فِى المنامِ فقيلَ له أَقْرِئْ عُمَرَ السلامَ وأخبِرْهُ أنهم يُسقَونَ فذَهَبَ الرجُلُ إلى عُمَرَ فقَصَّ عليه رُؤياهُ وماذا فَعَلَ بأنه ذَهَبَ إلى قبرِ الرسولِ ﷺ وتوسَّلَ بِه[(٢)]، ثُم سقَاهُمُ اللهُ تبارك وتعالى حتَّى سُمِّيَ ذلك العامُ عامَ الفَتْقِ، مِنْ شِدَّةِ ما ظهَرَ مِنَ

---

(١) رواه البيهقِى فِى دلائل النبوة باب قدوم ضمام بن ثعلبة على رسول الله والحاكم فِى المستدرك باب ذكر مناقب خالد بن الوليد رضِى الله عنه وهذه القصة صحيحة كما ذكر ذلك الشيخ حبيب الرحمن الأعظمِى فِى تعليقه على المطالب العالية.

(٢) رواه البيهقِى فِى دلائل النبوة باب ما جاء فِى رؤية النبِى فِى المنام.

الأعشابِ سَمِنَتِ المواشِى حتَّى تَفَتَّقَتْ بالشحمِ لذلك سُمِّىَ عامَ الفتقِ.

ثُمَّ هذا الفعلُ أيِ التوسلُ بالنبِىِّ ﷺ بالاستغاثةِ به ما نَقَدَهُ مِنْ هذا الصحابِىِّ أىْ ما عابَهُ عُمَرُ بنُ الخطابِ عليه، ما قال له كيف تطلبُ مِنْ رسولِ اللهِ كيف تستغيثُ وتتوسلُ برسولِ اللهِ وقد مات، ما قال له عمرُ ولا غيرُ عمرَ. كلُّ مَنْ عَلِمَ بالقصةِ ما انتقَدَهُ عليها. هذا فِعْلُ السلَفِ. ويوجَدُ غيرُ هذا مِنَ الحادِثاتِ التِى هِىَ توسلٌ بالنبِىِّ ﷺ مما حَصَلَ للصحابَةِ. معَ كلِّ هذا هؤلاءِ الشَّاذُّونَ مِنْ فَسادِ قُلُوبِهِم يُكفِّرُونَ المسلمينَ المتبركينَ برَسولِ اللهِ ﷺ والأولياءِ. هذه الآياتُ التِى نَزَلَتْ فِى المشركينَ الذِينَ كانوا يعبُدُونَ الأوثانَ جَعَلُوهَا على المسلمينَ المتبرِّكِينَ بالتوسلِ بالأنبياءِ والأولياءِ.

انتهى واللهُ سبحانَهُ وتعالى أعلَم.

الدرس الثالث



الثباتُ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ معَ ذِكرِهَا

درسٌ ألقاه المحدثُ الأصولِيُّ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العَبْدَرِيُّ رحمه الله تعالى فى بيروت وهو فى بيان أنَّ ما قرَّرَهُ الإمامُ أبو الحسنِ الأشعريُّ هى العقيدةُ التى كان عليها صحابةُ رسولِ الله ﷺ. سمِعهُ منه الشيخُ عبدُ الرزاق بن محمد الشريف والشيخ سمير بن سامى القاضى والشيخ نبيل بن محمد الشريف والشيخ جميل ابن محمد حليم والشيخ محمد بن مصطفى البكرىّ.
قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله ربِّ العالمين له النعمةُ وله الفضلُ وله الثناءُ الحسنُ وصلواتُ اللهِ البَرِّ الرحيمِ والملائكةِ المقربينَ على سيدِنا محمَّدٍ أشرفِ المرسلينَ وعلى ءاله الطيبين الطاهرين.

أمَّا بعدُ فقَد رَوَيْنا بالإسنادِ المتّصلِ الصّحيحِ فى جامعِ الترمذىّ وصحيحِ ابنِ حبّانَ وغيرِهما مِن طريقِ سُلَيمانَ بنِ يسارٍ ومِن طريقِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ ومِن طريقِ عمرِو بنِ دينارٍ قالوا قامَ فينَا عمرُ بنُ الخطّابِ رضىَ اللهُ عنهُ بالجابِيَةِ فقالَ قامَ فينَا رسولُ اللهِ ﷺ فقالَ **أوصيكُم بأصحَابِى ثمَّ الذينَ يَلونَهم ثمَّ الذينَ**

يلونَهم ألَا لا يَخْلُوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا كانَ الشّيطانُ ثالثَهما وعليكُم بالجماعةِ وإيّاكُم والفُرقةَ فإنَّ الشّيطانَ معَ الواحدِ وهوَ مِنَ الاثنينِ أبعدُ فمَن أرادَ بُحبوحةَ الجنّةِ فلْيَلزمِ الجماعةَ ومَن سَرَّتْهُ حسنَتُهُ وساءتْهُ سيّئتُهُ فذَلِكُمُ المؤمنُ اهـ قالَ الترمذيُّ رحمهُ اللهُ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

هذا الحديثُ فيهِ بيانُ أمورٍ مهمّةٍ الأولُ أهميةُ اتّباعِ الصّحابةِ لأنّهم هُم الذينَ نَقلوا الدّينَ إلى مَن بَعدَهم ولولاهم مَا عرَفنا ما هوَ دينُ اللهِ وهُم الذينَ نَقلوا إلينا القرءانَ وهمُ الذينَ شهِدوا الوَحْيَ والتّنزيلَ.

الأمرُ الثّانى تحريمُ خَلْوةِ الرّجلِ بامرأةٍ أجنبيّةٍ أى تحريمُ أنْ يَنفردَ الرّجلُ الواحدُ بالمرأةِ الواحدةِ إذا لَم يَكن بينَهما مَحْرَمِيَّةٌ فى مكانٍ لَا يَراهما فيهِ غيرُهما. بَيَّنَ رسولُ اللهِ ﷺ سببَ تحريم ذلكَ بقَولهِ إلَّا كانَ الشّيطانُ ثالثَهما فإنَّ أكثرَ وسيلَةٍ للزنا هوَ الخَلْوَةُ. عندَما يختلى رجلٌ بامرأةٍ يقوَى عليهِ الشّيطانُ ليَجُرَّهُ إلى الزّنا أىْ يَسْهُلُ على الشّيطانِ جَرُّ النّاسِ إلى الزّنا فى الخَلْوَةِ مَا لَا يَسهلُ عليهِ فى غيرِ حالِ الخَلْوَةِ.

وقالَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ فى حَديثهِ هذا **وعليكُم بالجماعةِ وإيّاكُم والفُرقَة فإنَّ الشيطانَ معَ الواحدِ وهو مِنَ الاثنينِ أبعَد** اهـ هذا أمرٌ منهُ ﷺ لأمّتهِ بالتّمسّكِ بعقيدةِ أهلِ السّنةِ والجماعةِ التى علَّمها رسولُ اللهِ ﷺ صَحابتَهُ ثمَّ هم علَّموها مَنْ بَعْدَهُمْ ثمَّ أولئكَ أيضًا

علَّموها مَن بَعدَهم حتى وصلَت إلى هذا الزّمنِ الذى نحنُ فيهِ. ولَا يزالُ هذا الاعتقادُ الذى كانَ عليهِ الصّحابةُ بينَ جمهورِ الأمةِ المحمّديّةِ. جمهورُ الأمةِ المحمّديةِ منَ الصَّدْرِ الأوّلِ إلى هذا الوقتِ على هذا المعتقَدِ على تلكَ العقيدةِ. فالرّسولُ أوصَى أمّتَهُ بأنْ لَا يَشِذُّوا عن تلكَ العقيدةِ. ولله الحمدُ إلى يومِنا هذا جمهورُ الأمةِ المحمّديّةِ أىْ معظمُهُمْ أكثرُهُمْ على هذهِ العقيدةِ التى أوصَى رسولُ اللهِ ﷺ بالتزامِها وعدمِ الشُّذوذِ عَنها. الآنَ لَو تجوّلَ إنسانٌ فى بلادِ المسلمينَ فى الشّرقِ والغربِ والشَّمالِ والجنوبِ يجدُ علماءَهُم على عقيدةٍ واحدةٍ. هذهِ أندَنُوسية مائةٌ وسبعونَ مليونًا(١) علماؤُهم كُلُّهُمْ على عقيدةِ أهلِ السّنةِ العَقيدةِ الأشعريّةِ التى هىَ عقيدةُ الصّحابةِ. إنما سمّيَتِ الأشعريةَ لأنَّ الإمامَ أبا الحسنِ الأشعرىَّ قَرَّرَ هذهِ العقيدةَ بالأدلةِ القرءانيّةِ والحديثيّةِ وبالأدلةِ العقليّةِ لأنهُ كَثُرَ فى ذلكَ الزّمنِ أناسٌ شذّوا عن تلكَ العقيدةِ فانتدَبَ هذا الإمامُ العظيمُ رحمهُ اللهُ للمكافحةِ والدّفاعِ عَن عَقيدةِ أهلِ السّنةِ ببيانِ أدلّتِهم مِن حيثُ النّقلُ ومِن حَيثُ العقلُ فسُمّيَت هذهِ العقيدةُ التى هىَ عقيدةُ الصّحابةِ ومَن تَبِعَهم إلى عصرِ الإمامِ أبى الحسنِ الأشعرىّ العقيدةَ الأشعريّةَ فصارَ مَن بقىَ على عقيدةِ الصّحابةِ يُسمّى أشعريًّا ولم يَأتِ هوَ بأصلٍ فى العقيدةِ

(١) هذا على حسب ما كان العدد عند إعطاء الدرس.

يخالفُ ما كانَ عليهِ الصّحابةُ وإنما هوَ توسَّعَ ببيانِ الأدلةِ لإخمادِ ضلالاتِ أولئكَ المعتزلةِ والخوارجِ والمشبّهةِ والدّهريّةِ والطّبائعيين وغيرِهم منَ الكفرةِ. أدحضَ شُبَهَهُم التى هُم يَحتجُّونَ بها وبَيَّنَ أنَّها زائفةٌ ليسَت فى شىءٍ. اللهُ تعالى أعطاهُ قوّةً فى البيانِ وقوّةً فى العقلِ حتى كسرَ أولئكَ الشّاذِّينَ منَ المعتزلةِ والمشبّهةِ والخوارجِ وغيرِهم. واليومَ هىَ العقيدةُ التى عليها مئاتُ الملايينِ منَ المسلمينَ. عُلماءُ أندَنُوسية ومصرَ وبَرِّ الشّامِ كلِّهِ واليمنِ والعراقِ وتُركية وأفغانستان والهندِ والسّندِ وإفريقْيَة والحبشةِ والصّومالِ وجنوبِ إفريقية كلّهم على هذهِ العقيدةِ التى تسمّى اليومَ الأشعريةَ[١] وهىَ عقيدةُ الصّحابةِ والتّابعينَ وأتباعِ التّابعينَ إلى أنْ وصلَت إلى عصرِ سيّدنا أبى الحسنِ الأشعرىّ ثمَّ استمرَّت وثبتَت بينَ جمهورِ الأمّةِ المحمّديّةِ إلى يومِنا هذا.

وهذهِ العقيدةُ هى إثباتُ وجودِ اللهِ تعالى الذى لَم يَسْبِقْهُ عدمٌ وأنَّ كلَّ شىءٍ سوَى اللهِ كان معدومًا ثم صار موجودًا. مادةُ العالَمِ وأشخاصُهُ كلُّ ذلكَ حادثٌ ليسَ شىءٌ مِن ذلكَ قديمًا مع الله تعالى. فى الأزلِ لَم يكُن سوَى اللهِ تعالى لَا نورٌ ولَا ظلامٌ ولَا مكانٌ ولَا

(١) ومراد الشيخ رحمه الله ما يشمل الماتريدية أيضًا لأنه لا خلاف فى أمهات المسائل العَقَدِيّة بين الأشاعرة والماتريدية وليس أهل السنة فى أيامنا إلا هذين الفريقين.

زمانٌ لأنَّ الزّمانَ هوَ مقارنةُ شَىءٍ متجدّدٍ بمتجدّدٍ ءاخرَ واللهُ تباركَ وتعالى لَم يَسبقْهُ عدمٌ أما ما سواه كلٌّ كانَ مَعدومًا فالزّمانُ والمكانُ حادثانِ لَم يَكونا فى الأزلِ وكذلكَ النورُ والظلامُ والهواءُ. هذا مِن جملةِ عقيدةِ أهلِ السّنةِ والجماعةِ.

والأمرُ الثّانى أنَّ اللهَ تباركَ وتعالى لَا يُشبه شيئًا لأنهُ لَو كانَ يُشبه شيئًا من العالم لَم يكن خالقًا للعالم وأنَّ كلَّ شىءٍ يتحوّلُ مِن حالٍ إلى حالٍ حادثٌ وهذا دليلٌ أنَّ العالَمَ حادثٌ لَم يَكن ثُمَّ كانَ. إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ لَـمَّا زَيَّف عقيدةَ أهلِ بلده وكانَ هوَ ببابِلَ بأرضِ العراقِ وُلدَ هناكَ وكانَ أهلهُ وغيرُهم منَ البَشرِ فى ذلكَ الزّمنِ كلُّهم على الكفر إلا ابنَ أخيهِ لوطًا عليهِ السّلامُ وزوجتَه[1] سارة فكانا مُسْلِمَينِ ومَن سِواهُم منَ البَشرِ كانوا كفّارًا كانوا يَعبدونَ الكوكبَ والشّمسَ والقمرَ، احتجَّ إبراهيمُ واستدلَّ على بُطْلانِ عبادةِ هؤلاءِ الشّمسِ والقمرِ والكوكبِ بأنّهم يتحوّلونَ مِن حالٍ إلى حالٍ أىْ أنكُم يا قومُ تعبدونَ شَيئًا يتحوّلُ من حالٍ إلى حالٍ. الشّمسُ تتحوّلُ مِن حالٍ إلى حالٍ والقمرُ يتحوّلُ مِن حالٍ إلى حالٍ والكوكبُ كذلكَ. كيفَ يَصلحُ هؤلاءِ أنْ يَكونوا معبودِينَ إنما المعبودُ الحقُّ هوَ الذى يُحوّلُ هؤلاءِ مِن حالٍ إلى حالٍ لأنهُ لَا يجوز فى العقلِ أنْ يَكونوا هُم خَلَقُوا أنفسَهم ولَا أنْ يَكونوا هُم يُحوّلونَ

(١) أى زوجة إبراهيم عليه السلام.

أنفسَهم من حالٍ إلى حالٍ. فبيّنَ بهذا أنَّ الإلهَ لَا يتحول مِن حال إلى حال لأنهُ لَو كانَ كذلكَ لاحتاجَ إلى مَن يُحوّلهُ. لَو كانَ يُشبهُ العالمَ بوجهٍ مِن الوجوه لكانَ مثلَ المخلوقات ولَاحْتاجَ إلى خالقٍ أَوْجدَهُ. كذلكَ عقيدةُ أهلِ السّنةِ تَنزيهُ اللهِ تباركَ وتعالى عنِ المكانِ وعنِ الجهةِ وعَن كلّ صفاتِ العالمِ الحركةِ والسّكونِ إلى غيرِ ذلكَ.

هؤلاءِ أهلُ السّنةِ يرَونَ القرءانَ على وجهينِ. يَرونَ أنَّ قِسمًا منهُ يـُحْمَلُ على ظاهرهِ وأنَّ قسمًا منَ القرءانِ لَا يُحْمَلُ على ظاهرهِ بل يُحْمَلُ على معانٍ تليقُ باللهِ تعالى ليسَت من أوصافِ الخلق.

الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ رضىَ اللهُ عنهُ مَا حَمَلَ قولَهُ تعالى فى سورةِ الفجر ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ على أنَّ هذا مَجىءٌ حِسِّيٌّ لذاتِ الله تعالى بحركةٍ وانتقالٍ إنما فسّرَ قولَ اللهِ تعالى فى سورة الفجر ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ بقولهِ جاءَت قُدرتُه[١] ومرّةً قالَ جاءَ أمرُه[٢] ولو كانَ مَجِىءُ اللهِ تعالى بالحركةِ والانتقالِ لو كانَ يجوز على الله الحركة والسكون والانتقال من فوق إلى سُفل كما يجوز على الملائكة ما قالَ الإمامُ أحمدُ ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾

(١) رواه البيهقى فى مناقب أحمد وابن الجوزىّ فى مناقب أحمد.
(٢) رواه الحافظ ابن الجوزِىّ عنه فى كتابه كشف المُشكِل من حديث الصحيحين.

أى جاءَت قدرتهُ ما كانَ قالَ جاءَ أمرُهُ. ذلكَ اليومَ الملائكةُ يَنزِلونَ مِن فوقٍ إلى تحت بكثرةٍ. مجِىءُ الملائكةِ بالحركةِ لأنهُم خَلقٌ مِن خلقِ اللهِ كالبشرِ فيهِم صفاتُ الخلقِ الحركةُ والسكونُ والانتقالُ مِن عُلْوٍ إلى سُفْلٍ ثمَّ الصّعودُ من سُفْلٍ إلى فوقٍ هذا شىءٌ يجوزُ عليهِم. لكنْ لماذا لَم يَتركِ الإمامُ أحمدُ الآيةَ على ظاهِرها لماذا مَا قالَ المجِىءُ معروفٌ الله يجىء والملائكة يجيئون. لماذا لَم يحملِ الآيةَ على ظاهِرها بلْ هربَ[1] مِن هذا إلى تأويلِها بمجىءِ القدرةِ ومجىءِ أمرهِ. لماذا. لأنهُ يعتقدُ أنَّ عقيدةَ أهلِ السّنةِ عقيدةَ أهلِ الحقّ التى نقلَها الصّحابةُ عنِ الرّسولِ هىَ تنزيهُ اللهِ عنِ الحركةِ والسّكونِ.

فإنْ قالَ وهّابىٌّ كيفَ يكونُ الله مُنزهًا عنِ الحركةِ والسّكونِ، واللهُ حىٌّ والحىُّ لا بدَّ أن يتحركَ إذًا اللهُ لا بُدَّ أنْ يتحرك. قلنا هذا كلامٌ سخيفٌ بلْ هوَ كفرٌ فليسَ فى العقلِ ولا فى الشّرعِ ما يَقضِى بأنَّ الحىَّ لا بدَّ أن يكون متحركًا. هم يقولونَ الإمامُ أحمدُ إمامُنا وهُم كاذبونَ. هم يقولونَ اللهُ يَنْتَقِلُ يومَ القيامةِ مِن فوقٍ إلى تحتٍ وأحمدُ يقولُ تجِىءُ قدرتُهُ.

ثمَّ عَقْلُ البشرِ لَا يستطيعُ أنْ يتصوَّرَ موجودًا ليسَ متحركًا ولا ساكنًا لكنْ لا بدَّ أن يعتقدَ ذلكَ كما أنهُ مِنَ المخلوقاتِ شىءٌ موجودٌ لَا نستطيعُ أنْ نتصوَّرهُ ما

(١) أى تَرَكَ الحملَ على الظاهر.

هوَ. قبلَ أنْ يُخلقَ النّورُ والظلامُ عقلُ الإنسانِ مَهما حاولَ أنْ يتصوَّرَ وقتًا لَم يكنْ فيهِ نورٌ ولَا ظلامٌ يَعجِزُ لكنِ اعتقادُ هذا واجبٌ لأنَّ القرءانَ أثبتَ ذلكَ، اللهُ تعالى قالَ فى سورة الأنعام ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ أىْ خلقَ الظّلماتِ والنّورَ أىْ لَم يَكونا موجودَينِ ثمَّ اللهُ تعالى أوجدَهما بعدَ أنْ كانا معدومَينِ وكانَ قبلَهما الماءُ الذى هوَ أوّلُ المخلوقاتِ قبلَ أنْ تُخلقَ الظّلمةُ والنّورُ.

على هذا يجبُ أن يَثْبُتَ الإنسانُ أىْ على اعتقادِ أنَّ اللهَ تعالى موجودٌ ليسَ متحركًا ولا ثابتًا موجودٌ مِن غَيرِ أنْ يكونَ متحركًا أو ساكنًا أو متحيزًا فى مكان أو فى جميع الأمكنة أو فى جميع الجهات أو فى جهةٍ مِن الجهات فوق وتحت ويمين وشمال وأمام وخَلْف وإنْ كنّا لَا نستطيعُ أنْ نتصوَّرَ هذا الموجودَ بالتّمثيلِ فى القلبِ والتشكيلِ، لذلكَ قالَ إمَامَا أهلِ السّنةِ الإمامُ أحمدُ والإمامُ ذو النونِ المصرىُّ وكانا[1] فى المائةِ الثانيةِ منَ الهجرةِ قالا مَهما تصوَّرتَ ببالكَ فاللهُ بخلافِ ذلكَ[2] اهـ معناهُ إنْ تَصورتَ اللهَ ضَوْءًا فهوَ ليسَ ضوءًا وإنْ تصوَّرتهُ ظلامًا فهوَ ليسَ ظلامًا وإنْ تصوّرتهُ ساكنًا فهوَ ليسَ ساكنًا وإنْ تصوّرتهُ كميةً كبيرةً

---

(١) أى كان مولدهما.

(٢) رواه عن الإمام ذى النون المصرى ابن عساكر فى تاريخ دمشق، ورواه عن الإمام أحمد بن حنبل أبو الفضل التميمى فى كتابه اعتقاد الإمام المبجل أحمد بن حنبل.

ضخمةً أكبرَ منَ العرشِ فهوَ ليسَ كذلكَ وإنْ تصوّرتهُ كميةً صغيرةً فهوَ ليسَ كذلكَ. يَنبغِى أن يُفهمَ هذا حتى يعيشَ الإنسانُ على عقيدةِ أهلِ السنةِ التى تُوافِقُ العقلَ والقرءانَ الكريمَ.

القرءانُ الكريمُ دلَّ على أنَّ كلَّ ما كانَ من صفاتِ الخلقِ فهوَ لا يجوز على الله وهوَ قولهُ تعالى فى سورة الشورى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. لَو كانَ اللهُ فى جهة أو فى مكان من الأماكن لكان له أمثالٌ. نحنُ لنا أماكنُ وكذلكَ الكلبُ والجنُّ والخنزيرُ والملائكةُ لهم أماكنُ وكذلكَ الشمسُ والقمرُ والنجومُ والكواكبُ مكانُها هذا الفضاءُ فلو كانَ الله له مكان لكان له أمثالٌ كثيرٌ لا يُحصَون عددًا.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الرابع



الحثُّ على طلَبِ عِلْمِ أهلِ السنةِ

درسٌ ألقاهُ الفقيهُ المحدِّثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدرِيُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى وهو فِى بيانِ الحثِّ على طَلَبِ عِلْمِ أهلِ السنةِ لا سِيَّمَا علم العقيدةِ. سمِعَهُ منه الشيخُ عبدُ الرزاقِ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ جميلُ بنُ محمد حليم والشيخُ محمدُ بنُ مُصطفَى البكرِيُّ. قال رحِمَهُ اللهُ رَحمةً واسِعَةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ لهُ النعمةُ ولهُ الفضلُ ولهُ الثناءُ الحسنُ وصَلواتُ اللهِ البَرِّ الرَّحيمِ والملائكةِ المقربِيْنَ على نبِيِّنَا محمدٍ أشرفِ المرسلينَ وعلى ءالِهِ الطيبِيْنَ الطاهرِينَ.

أمَّا بعدُ فإنَّ اللهَ تباركَ وتعالى رَغَّبَ عِبَادَهُ بالعِلْم. أَنْـزَلَ اللهُ تعالى فِى القُرءانِ الكريم فِى سُورَةِ طهَ ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ وذلكَ لأنَّ العِلْمَ أفَضلُ الأعمالِ. العِلْمُ باللهِ والعِلْمُ برَسولِ اللهِ والعِلْمُ بأُمورِ دينهِ هذا أفضلُ العلم. العلمُ باللهِ وبرسولهِ هوَ أساسُ الدِّيْنِ، الإسلامُ لَا يحصُلُ إلَّا بذلكَ فمَنْ عَرَفَ اللهَ ورَسُولَه كما يجبُ فهوَ مُسلِمٌ مُؤمِنٌ، يُقالُ لهُ مُسلِمٌ ويُقالُ لهُ مُؤمِنٌ ثُمَّ إنْ ماتَ على ذلكَ فلا بُدَّ أن يَدْخُلَ الجنةَ.

فمعرِفَةُ اللهِ تعالى الاعتِقادُ بأَنَّ اللهَ موجودٌ مِنْ غيرِ تَشبيهٍ لهُ بِشَىءٍ مِنَ المخلُوقَاتِ، فربُّنا تباركَ وتعالى موجودٌ لَا يُشبِهُ الخَلْقَ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ. كلُّ شىءٍ نَرَاهُ حَجمٌ إمَّا حَجمٌ كبيرٌ وإمَّا حَجْمٌ صغيرٌ وإمَّا حجمٌ وَسَطٌ بينَ الصَّغِيرِ والكبِيرِ. الإنسانُ لهُ حَجْمٌ وَحَبَّةُ الخَرْدَلِ لَهَا حَجْمٌ والجِبَالُ لها حَجْمٌ والشَّمْسُ لها حجمٌ والقمرُ كذلكَ والنجومُ لها أحجامٌ خاصةٌ، كلُّ نجمٍ لهُ حجمٌ، والسّماواتُ لها حجمٌ والعرشُ لهُ حجمٌ وهوَ أكبَرُ حجمٍ لَم يخلُقِ اللهُ تعالى حَجمًا أكبرَ منهُ ولو شاءَ لَخَلَقَ حجمًا أكبرَ منهُ لكنْ مَا شاءَ أن يخلُقَ حَجمًا أكبرَ مِنَ العرشِ، واللهُ تعالى ليسَ كذلكَ ليسَ حجمًا صغيرًا ولَا حجمًا كبيرًا ولا حجمًا وسطًا بينَ الحجمِ الصّغيرِ والحجم الكبيرِ.

ثُمَّ إنَّ الحجمَ إمَّا حجمٌ كثيفٌ وإمَّا حَجمٌ لطيفٌ. الحجمُ الكثيفُ الشَّىءُ الذِى يُجَسُّ باليدِ والحجمُ اللطيفُ هوَ مَا لَا يجسُّ باليدِ كالضّوءِ والظّلامِ والرّيحِ. اللهُ تعالى لَا يُشبهُ الحجمَ الكثيفَ ولَا الحجمَ اللطيفَ. الحجمُ الكثيفُ والحجمُ اللطيفُ لَم يَكونا مَوجودَينِ قبلَ أن يخلُقَهُمَا اللهُ وأمَّا اللهُ تباركَ وتعالى فمَوجُودٌ لَا ابتِدَاءَ لوُجُودِهِ، فِى الأزلِ لَم يكُنْ شىءٌ إلَّا اللهُ، اللهُ تَعالى كانَ مَوجودًا قبلَ الزَّمانِ والمكانِ والجهاتِ السِّتِّ فَوقٍ وتحتٍ وأمامٍ وخَلْفٍ ويَمينٍ وشمالٍ وقبلَ النُّورِ والظّلامِ، كانَ مَوجُودًا بلَا مكانٍ.

قبلَ أنْ يخلُقَ اللهُ تعالى المكانَ مَا كانَ المكانُ مَوجودًا، كذلكَ الجهاتُ السّتُ مَا كانَت موجودةً قبلَ أنْ يخلُقَها اللهُ، لذلكَ اللهُ تَعالى موجودٌ بلَا مكانٍ ولَا جِهةٍ لأنَّ اللهَ لَا يتغيَّرُ. اللهُ ليسَ مُتحيِّزًا فِى العرشِ الذِى هو فِى الجِهَةِ العُليَا جِهةِ فوقٍ ولَا فِى الأرضِ السّابعةِ التِى هِىَ فِى جهةِ تحتٍ، ليسَ اللهُ مُتحيزًا فِى ذلك.

العرشُ كعبةُ الملائكةِ. تُوجدُ مَلائكةٌ لَا يعلَمُ عَدَدَهُم إلَّا اللهُ حولَ العرشِ يطوفونَ بهِ كما يَطُوفُ المؤمنونَ مِنَ البشرِ والجنّ بالكعبةِ التِى فِى مكةَ التِى هِىَ قِبلةُ المسلمِينَ، كذلكَ أولئكَ الملائكةُ الذِينَ هُم فوقُ عِندَ العرشِ العَرشُ قِبلتُهم.

اللهُ تعالى ليسَ ساكنًا العَرشَ ولَا الكعبةَ ومَنْ يقولُ إنَّ اللهَ مُتحيزٌ فِى جِهَةِ فوقٍ أىْ على العرشِ أىْ أنَّه ساكِنٌ فيه جالِسٌ عليه فهوَ جاهِلٌ كافِرٌ مَا عَرَفَ اللهَ، فلَا يجوزُ اعتقادُ وتَصَوُّرُ أنَّ اللهَ تعالى ساكنُ العرشِ كَمَا تقولُ الوهابيةُ.

ثُمَّ اللهُ تعالى لا يُشْبِهُ الخَلْقَ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ، الخَلْقُ إمَّا مُتَحَرِّكٌ وإمَّا ساكِنٌ وإمَّا مُتَحَرِّكٌ بعضَ الأوقَاتِ وساكِنٌ بعضَ الأوقاتِ فاللهُ تعالى ليسَ كذلكَ لا يُتصورُ أنَّه مُتَحَرِّكٌ ولا يُتَصَوَّرُ أنَّه ساكِنٌ. هذا الاعتقادُ هوَ الحقُّ ومَا خالَفَهُ فهوَ ضلالٌ. فِى القُرءانِ الكريم ءايَةٌ وهِىَ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَىۡءٌ﴾[1] معنَاهَا أنَّ اللهَ لَا يُشبِهُ شيئًا.

(١) سورة الشورى/الآية ١١ .

الذِى يتعلَّمُ عِلْمَ أهلِ السُّنةِ تَعَلَّمَ هذا العِلْمَ وتعلَّمَ الحلالَ والحرَامَ وعَمِلَ بذلكَ وكانَ عَلَى هذهِ الحَالِ فِى شَبَابِهِ اللهُ تبارَكَ وتعالى يُكْرِمُهُ فِى الآخِرَةِ يَحْمِيْهِ مِنْ حَرِّ الشَّمسِ، الشّمسُ يومَ القِيامَةِ شديدةٌ، اليومَ الشّمسُ بَعيدةٌ مِنْ رُؤوسِ الناسِ بُعْدًا كبيرًا ويومَ القِيامةِ تكونُ قريبةً مِنْ رؤوسِ النّاسِ بقَدرِ مِيْلٍ أىْ قَدْرِ مَسافةِ نِصفِ ساعةٍ تقريبًا. هذا الشابُّ المسلِمُ الذِى نَشَأَ فِى طَاعَةِ اللهِ يَحمِيهِ اللهُ مِنْ حرِّ الشّمسِ فِى ذلكَ اليوم، يكونُ تحتَ ظِلِّ العرشِ لَا يُصِيبُهُ تَعَبٌ ولَا مَشقةٌ، أمَّا الناسُ الآخَرُونَ يُقَاسُونَ حَرَّ الشّمسِ. الواحِدُ مِنَ الكُفَّارِ عَرَقُهُ يَتَصَبَّبُ مِنْ جِسمِهِ ويَسِيلُ حَوْلَ جِسمهِ، الكُفَّارُ يَصِلُ عَرَقُهُمْ إلى أفواهِهِم مِنَ القَدَمِ إلى الفَم، وعَرَقُ كُلِّ شخصٍ لَا يَتَجَاوَزُهُ إلى غيرِهِ. اللهُ تعالى يَحمِى الشّابَّ الذِى نَشَأَ على طاعتِهِ على عَقِيدَةِ أهلِ السُّنَّةِ مِنْ حَرِّ ذلكَ اليوم. الكافِرُ مِنْ شِدَّةِ تَأَذِّيْهِ مِنْ حَرِّ الشّمسِ لو كانَ يُوجَدُ مَوْتٌ فِى الآخِرَةِ لَمَاْتَ لكنْ لا يَمُوتُ. احمَدُوا اللهَ تعالى أنْ يَسَّرَ لكُم مَنْ يُعَلِّمُكُم عَقِيدةَ أهلِ السُّنَّةِ فِى هذا الوقتِ الذِى يُوجَدُ فيهِ فِى هذا البَلَدِ مَنْ يُعَلِّمُونَ عَكْسَهَا. فِى مَدارِسَ تَدَّعِى أنَّها مَدارِسُ إسلاميةٌ يُعَلِّمُونَ خِلافَ عَقِيدَةِ المسلِمِينَ. فِى بعضِها يُصَوِّرُونَ اللهَ لَهُم كأنَّه جِسمٌ يُغَنِّى على الشَّجَرِ ويَتَثَنَّى على الأغْصَانِ، هكذا يُعَلِّمُونَهُم. الذِى يَنْشَأُ عَلَى هذا ويَمُوتُ عَلَى هذا يُحْشَرُ يَومَ القِيامَةِ مَعَ الكُفَّارِ لا مَعَ المسلِمِينَ ويُدْخَلُ مُدْخَلَ الكُفَّارِ فِى نَارِ جَهَنَّمَ لأنَّهُ ما

عَرَفَ اللهَ. الذِينَ يَنْشَأُونَ فِى مِثلِ هذِهِ المدارسِ يَتَخَرَّجُونَ وهُم لا يَعْرِفُونَ اللهَ، إلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ، يَطْلُعُونَ جَاهِلِينَ باللهِ لَا يَعرِفُونَ خَالِقَهُم، يَتَصَوَّرُونَ خَالِقَهُم جِسمًا بِشَكْلِ إنسانٍ يَتَنَقَّلُ فِى الأشجَارِ. وفِى تَعَالِيْمِهِم كُفْرٌ زائِدٌ على هذا، يقُولُونَ اللهُ ذاك البُسْتَانِيُّ الجَالِسُ تحتَ الشجَرَةِ وذاكَ الشُّرْطِيُّ فِى شَوارِعِ بيروتَ، هؤلاءِ يُحشَرُونَ يومَ القِيَامَةِ معَ الكُفَّارِ ليسَ معَ المسلِمِينَ.

أنتُم اللهُ تعالى أنقَذَكُم، يَسَّرَ لكُم مَنْ يُعَلِّمُكُم أنَّ اللهَ لَا يُشْبِهُ شَيئًا فاحْمَدُوا اللهَ تعالى.

انتهى واللهُ تعالى أعلَم.

الدرس الخامس



أولياء الله تعالى

درسٌ ألقاهُ الفقيهُ العابدُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ العبدريُّ رحمه الله تعالى فى العِشرِينَ مِن صَفَر سنةَ ثمانٍ وتِسْعِينَ وثلاثِمائةٍ وألفٍ وهو فى بيانِ مَن هُوَ الولِيُّ. سمِعَهُ منهُ الشَّيخُ سميرُ بنُ سامى القاضى والشَّيخُ نبيلُ بنُ محمَّدٍ الشَّريفُ. قال رحِمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسِعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِينَ وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وعلى ءالِهِ وصَحبِهِ وسَلَّمَ. أمَّا بعدُ فقَد قالَ اللهُ تعالى فى سورةِ يُونُس ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾. وقَد روَى البُخاريُّ مِن حديثِ أبى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **قالَ اللهُ تعالى أَعدَدْتُ لِعِبَادِىَ الصّالِحِينَ مَا لا عَينٌ رَأَتْ ولَا أُذُنٌ سَمِعتْ ولا خَطَرَ على قلبِ بشرٍ**[1] اهـ

اللهُ أخبرَ فى كتابهِ المُبِينِ بأنَّ أولياءَهُ لَا خوفٌ عليهِم أىْ ليسَ عليهِمْ عِقابٌ فى المستَقْبَلِ لَا فى القَبْرِ ولَا فى الآخِرَةِ ولَا نَكَدٌ ولَا يَحزَنُونَ على ما مَضى بعدَ مُفارَقَتِهِم

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه باب ما جاء فى صفة الجنة وأنها مخلوقة.

لِلدُّنْيَا فهُم ءامِنُونَ لَهُمُ البُشْرَى فى الدُّنيا وفى الآخِرَةِ، فَسَّرَ العُلَمَاءُ بُشْرَاهُم فى الحياةِ الدُّنيا بِأَنَّهُ يَنزِلُ عليهِمْ ملائِكَةٌ قبْلَ مَوتِهِم يُبَشِّرُونَهُم برحمةِ اللهِ ورِضوانِهِ فيَسْتَبْشِرُونَ بفَضلِ اللهِ، وهؤلاءِ ملائكةُ الرَّحْمةِ يَأتُونَ إلى أولياءِ اللهِ عندَ مَوتِهم حتى يَذْهَبَ عنهُمْ خوفُ المَوتِ فإنَّ الوَلِيَّ مِنْ حيثُ طَبْعُهُ يَخافُ الموتَ ويَكرَهُهُ لأنَّ طبيعتَهُ مجبُولَةٌ على حُبِّ الدُّنْيا وخوفِ الموتِ إلى أنْ تَنْزِلَ عليهِ مَلائكةُ الرَّحمَةِ فتُبَشِّرَهُ وعِندَئِذٍ يَذهَبُ الخَوْفُ عنهُ، ومِنهُم مَن يَنزِلُ عليهِم خَمْسُمِائةٍ منْ ملائِكَةِ الرَّحمةِ مَنظَرُهُم حَسَنٌ كأنَّ وجوهَهُم الشَّمْسُ، وهؤلاءِ أيْ مَلائِكَةُ الرَّحمةِ يأتُونَ إلى الوليّ قبلَ مجِيءِ عزرائيلَ ثمَّ يأتِي عزرائِيلُ فيُبَشِّرُهُ. ومِنهُم مَن يرَى تلكَ المَلائِكَةَ ويَرَى كثيرًا منَ الأنبياءِ والأَولِيَاءِ، ومِنْهُم مَنْ يَرَى رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَاحِكًا إليهِ يُبَشِّرُهُ بالجَنَّةِ، ورُؤيَةُ الوليّ لِلرَّسُولِ ﷺ تِلكَ السَّاعَةَ تَحتَمِلُ وجهَيْنِ أنْ يَأتِيَهُ رسولُ اللهِ ﷺ[١] أو أنْ يُرِيَ اللهُ هذا الوليَّ بعَيْنِهِ رسولَ اللهِ ﷺ وهُوَ فى قَبْرِهِ الشَّرِيفِ فيَرَاهُ مَع بُعْدِ المسافةِ كأنَّهُ أمامَهُ لأنَّ اللهَ يَخرِقُ العاداتِ لِمَنْ شَاءَ.

ومنَ الأولياءِ مَن يَرَى ملائكةَ الرَّحمةِ وهُمْ فى حالِ الصِّحَّةِ فقَد جاءَ عَن كثيرٍ مِن أولياءِ اللهِ ما يَشهَدُ بذَلِكَ، كانَ بعضُ الأَولِيَاءِ المعرُوفِينَ بالكَرَامَاتِ يُحَدِّثُ

(١) بعد ذلك رجع الشيخ رحمه الله عن هذا القول وصار يجزم بأن الرسول ﷺ لا يغادر قبره الشريف.

عَن نفسهِ أنهُ يَأتِيهِ كلَّ عام اثنَانِ منَ الملائكةِ يَزُورَانِهِ، ثمَّ قالَ فى العام الذِى تُوُفِّى فيهِ إنهُ زَارَهُ أربعةٌ منَ الملائكةِ قالَ ولَعَلَّ ذلكَ لِقِصَرِ مُدَّةِ حَياتى بعدَ هذا فَتُوُفِّى فى ذلكَ العام. ويَشهَدُ لذلِكَ ما صَحَّ فى الحديثِ أنهُ ﷺ أَخبَرَ فاطمةَ بِنْتَهُ رضىَ اللهُ عنها قالَ لها فى مَرَضِ وَفَاتِهِ يُسَارُّهَا بذَلِكَ **إنَّ جبريلَ كانَ يُعارِضُنى**[1] **بالقرءانِ كلَّ عام مرَّةً واحِدَةً وإنَّهُ عارَضَنِى هذا العامَ مرَّتَيْنِ وأرَى أنَّ ذَلكَ لِحُضُورِ أَجَلِى**[2] اهـ وقَد كانَ تَمَامُ نُزُولِ القرءانِ فى ذلكَ العامِ الذِى دارَسَهُ القرءانَ مرَّتَيْنِ فيهِ.

هكذا شأنُ الأولياءِ الذين فازُوا بالزُّلْفَى[3] عندَ اللهِ بمُتَابعَتِهِمْ للرَّسُولِ ﷺ اتِّباعًا كامِلًا ولولا اتِّباعُهُم الكامِلُ للرّسولِ ﷺ مَا حصلَ لَهُم ذلكَ الفَضلُ. وأمَّا بُشرَاهُم بعدَ مَوتِهم فمِن ذلكَ أنَّ الملَكَينِ الكَرِيمَينِ مُنْكَرًا ونَكِيرًا يأتِيَانِ عِبَادَ اللهِ الصالِحِينَ أولياءَ اللهِ فيَسألانِ الوَلِىَّ فيُثَبِّتُهُ اللهُ تعالى للجوابِ بسُهُولَةٍ بلا فَزَعٍ معَ أنهُ ثَبَتَ فى الحديثِ أنَّ مُنكَرًا ونَكِيرًا أَسْوَدَانِ أَزْرقانِ لكِنْ هؤلاءِ الأولياءُ لا يُهَوِّلُهُمْ ولا يُرَوِّعُهُمْ هذا المَنْظَرُ ثُمَّ يُبشِّرَانِ وَلِىَّ اللهِ يَقُولَانِ نَمْ نَومَةَ العَرُوسِ الذِى لَا يُوقِظُهُ إلَّا أحبُّ الأَهْلِ إليهِ فيَنَامُ. ولَا تُفَارِقُ

(١) قال ابن الأثير أى كان يدارسه جميع ما نزل من القرءان من المعارضة المقابلة. كما فى لسان العرب.
(٢) انظر السنن الكبرى للنسائى.
(٣) فى مختار الصحاح الزلفى القربة والمنزلة.

رُوحُهُ الجَسَدَ حالًا بعدَ السُّؤَالِ بل تَثْبُتُ معَ الجَسَدِ وتُلازِمُهُ فلا يَرَى نَكَدًا ولَا وَحْشَةً ولَا ظُلْمَةً فقَد صَحَّ فى الحَدِيثِ عَن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّ اللهَ تبارَكَ وتعالى يُوَسِّعُ القَبرَ على المُؤمِنِ الكامِلِ سَبعِينَ ذِراعًا فى سَبعِينَ ذِراعًا وأنهُ يُمْلَأُ خَضِرًا ونُورًا فيُنَوَّرُ كنُورِ القَمَرِ لَيلَةَ البَدْرِ واللهُ قادِرٌ على كلِّ شَىءٍ فهذهِ ليلةُ القَدْرِ يَراها واحِدٌ مِن أهلِ بَيْتٍ ثُمَّ هذا الذِى يَراها قَد يُوقِظُ مَنْ معهُ ثُمَّ لَا يَرَوْنَ هذا النورَ أمَّا هوَ فيَرَاهُ ويُشَاهِدُهُ، يُشاهِدُ نُورًا عَظِيمًا، وهكذا فى القَبْرِ يُنَوِّرُ اللهُ لِأَولِيَائِهِ قبورَهُم ثمَّ لو فَتَحَ الإنسَانُ قُبُورَهُم قَد يَحْجُبُ اللهُ بَصَرَ هذا الذى فَتَحَ القَبْرَ فلَا يَرَى ذلكَ النُّورَ الذِى خَلَقَهُ اللهُ فى قَبْرِ الوَلِىّ ولَا يَرَى هذا الإنسانُ الخَضِرَ الذى يَمْلَأُ قبرَهُ. اللهُ تعالى يُضَيِّقُ الوَاسِعَ فى نَظَرِ مَن شاءَ مِن عبادِهِ ويُكَثِّرُ القَلِيلَ فى نَظَرِ مَن شاءَ مِن عبادِهِ ويُقَلِّلُ الكثيرَ فى نَظَرِ مَن شَاءَ مِن عبادِهِ كَما حَصَلَ ذلكَ لِأصحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فى بعضِ غَزَواتِهِم فقَد كانَ الكُفَّارُ ثَلَاثَةَ أَضعَافِ أصحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ المُجَاهِدِينَ فَكَثَّرَ اللهُ هذا العددَ القَلِيلَ فى أَنظَارِ الكُفَّارِ وقَلَّلَ عَدَدَ الكُفَّارِ الذى هوَ كثيرٌ فى أعيُنِ المؤمِنِينَ. واللهُ لا يُعجِزُهُ شىءٌ فيَجِبُ الإيمانُ بكُلِّ ما ثَبَتَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ وإنْ خالَفَ العادَةَ فالعَقْلُ السَّلِيمُ يَقبَلُهُ. ومعَ هذا فَإِنَّ عِبَادَ اللهِ الصَّالِحِينَ الأولياءَ قَد يُرِيهِمُ اللهُ حالَ قَبْرِ وَلِىّ اللهِ، يُرِيْهِم اتِّسَاعَهُ سَبعِينَ ذِرَاعًا فى سَبعِينَ وامتِلَاءَهُ بالنُّورِ وغَيْرَ ذلكَ بِالصِّفَةِ التى وَرَدَتْ

فى الحديثِ مِن دُونِ أنْ يَفتَحُوا القَبْرَ معَ وُجُودِ طَبَقَةِ التُّرَابِ بينَهُم وبَيْنَ القَبْرِ، واللهُ تعالى يَجعَلُ هذا الحاجِزَ الكَثِيفَ كالبِلَّوْرِ لمن شاءَ مِن عبادِهِ. ما شاءَ اللهُ كانَ وما لَم يَشأ لم يكُنْ فلَا أَحَدَ يمنَعُ نَفَاذَ مشيئةِ اللهِ تعالى.

وقَد وردَ فى جامِعِ التِّرمِذِىّ من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضىَ اللهُ عنهُما أنَّ رَجُلًا ضَرَبَ خَيْمَةً[1]على قبرٍ فصارَ يَسمَعُ منَ القَبْرِ قِراءةَ تبارَكَ الذى بيَدِهِ المُلْكُ حتَّى ختَمَها فذهبَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فأَخبَرَهُ بما حَصَلَ لهُ فقَالَ مُصدِّقًا لهُ **هىَ المانِعَةُ هىَ المُنْجِيَةُ**[2] اهـ

هذا مَا حصلَ لبعضِ الصَّحابةِ فى زَمَنِ الرَّسُولِ ﷺ وحَصَلَ بعدَ ذلكَ مِثلُ هذا فقَد تواتَرَ أَنَّ عَالِمًا مِن عُلَمَاءِ الصُّومَالِ كانَ مِن أولياءِ اللهِ الفقهاءِ العُلَمَاءِ الوَرِعينَ الزَّاهِدِينَ النَّاسِكِينَ واسمُهُ محمَّدُ إدريس لَمَّا تُوُفِّى كانَ لهُ طالِبٌ صالِحٌ منَ الأتقِيَاءِ يَقرَأ على الشّيخِ فى كِتَابٍ وتُوُفِّى الشّيخُ ولم يَخْتِمْ دِراسةَ ذلكَ الكتابِ فحَزِنَ حُزْنًا شَدِيدًا فرَأَى شيخَهُ فى المنامِ فقالَ لهُ ائتِ القبرَ ومعكَ الكتاب ثُمَّ استَيقَظَ وحَمَلَ معهُ الكِتَابَ الذى كانَ يَدْرُسُ فيهِ ولَم يَخْتِمْهُ بَعدُ فجلسَ أمامَ الشيخِ على القبرِ وبدَأ الشّيخُ يَشْرَحُ كعادَتِهِ منَ القبرِ حتى خَتَمَ

---

(١) أى نصب خيمة.

(٢) رواه الترمذى فى سننه باب فضل سورة الملك، والطبرانى فى المعجم الكبير.

الكتابَ، ثمَّ بَعْدَ ذلكَ حَمَلَ معهُ كِتابًا ءاخَرَ فذَهَبَ إلى القَبْرِ وجَلَسَ أمامَ الشيخِ وبَدَأَ يَقْرَأُ فلَم يَسمَعْ صوتَ شَيْخِهِ لأنَّ هذا منَ الأَسْرَارِ فاللهُ تعالى خَرَقَ لهُ العادةَ فاستَطَاعَ أن يَخْتِمَ ذلكَ الكِتابَ بمشيئةِ اللهِ وفَضْلهِ وإحسانِهِ لَكِنَّ الأَسرارَ لَا تَسْتَمِرُّ فى الغالبِ والتى هىَ مِن هذا القَبِيلِ لَا تَدُومُ بل تَنْقَطِعُ. فإذا كانَ هذا حالَ أولِيَاءِ اللهِ فيَنبغى مَعرفةُ شَرْطِ الوِلايَةِ حتى إذا أَرَادَ وَاحِدٌ أن يَسْلُكَ مَسْلَكَهُم ويَصِلَ إلى ما وَصَلُوا إليهِ عَرَفَ كيفَ يَقتَدِى بأفعالِهِم وأقوالِهِم واعتقادَاتِهِم المُوافِقةِ للقُرءانِ والحدِيثِ.

فالوَلِىُّ هوَ المُؤمِنُ الذى ءامَنَ باللهِ ورسولهِ وتَعَلَّمَ مِنْ عُلُومِ الدِّينِ ما هوَ فَرْضٌ ضَرُورِىٌّ ولَو بالتَّلَقِّى الشَّفَوِى بحُضُورِ مَجالِسِ أهلِ العِلمِ، حَصَّلَ القَدْرَ الذى لَا بُدَّ منهُ لِصِحَّةِ العَقِيدَةِ ولتَصحِيحِ الأَعمالِ مِن صلاةٍ وصِيامٍ وعَرَفَ مَعاصِىَ القَلْبِ كالرِّيَاءِ والعُجْبِ والحَسَدِ والكِبْرِ وعَرَفَ مَعاصىَ السَّمْعِ كالاستِمَاعِ إلى الغِيبَةِ والنَّمِيمَةِ عَمْدًا وعَرَفَ مَعاصِىَ اليَدِ كضَرْبِ المؤمِنِ ظُلمًا وعَرَفَ مَعَاصِىَ اللِّسانِ كالشَّتْمِ والغِيبَةِ والكُفْرِ اللَّفظِىّ وعَرَفَ معاصىَ الرِّجلِ كالمَشْىِ إلى المُحرَّماتِ وعَرَفَ مَعاصىَ الفَرْجِ كالزِّنَى وعَرَفَ مَعاصىَ البَطْنِ كأَكْلِ المُحرَّماتِ وغَيْرَ ذلكَ مِمَّا يَجِبُ عليهِ تَعَلُّمُهُ ثُمَّ طَبَّقَ ذلكَ على نَفسِهِ بأَنْ تَخلَّى عنِ المَعَاصى الظاهِرَةِ والباطِنَةِ وَتَحلَّى بأَدَاءِ الفَرَائضِ وأفضَلُها

الإيمانُ باللهِ ورَسُولِهِ ثُمَّ الصَّلاَةُ ثُمَّ أَكْثَرَ مِنَ النَّوافِلِ لَكِنْ ليسَ شَرْطًا لِلوِلايةِ أَنْ يَأتِيَ بجَمِيعِ أنواعِ النَّوَافِلِ بَلْ إذا أَكْثَرَ مِن نوعٍ أو نوعَينِ منَ النَّوَافِلِ يَكفِى ذلكَ لِثُبُوتِ الوِلايةِ. والنَّوافِلُ التى يَكُونُ مِن شَأنِ الولِيّ أنْ يَكُونَ مُكْثِرًا منها التَّهَجُّدُ باللَّيْلِ ومِنهَا كَثْرَةُ الذِّكْرِ اللِّسانِيّ والتَّهلِيلُ أفضَلُهُ ومنها التَّسبِيحُ وهُوَ بَعْدَ لا إله إلا الله بالفَضْلِ. كانَ أبو هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ أَحَدُ عُلَمَاءِ الصَّحابةِ المُكْثِرينَ مِن رِوايةِ أحادِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لهُ وِرْدٌ يَفعَلُهُ كُلَّ يومٍ أَنَّهُ كَانَ يُسَبِّحُ اثنَتَى عَشْرَةَ ألفَ تَسْبِيحَةٍ كُلَّ يومٍ[1].

هذا شَرْطُ الوِلايَةِ. ثُمَّ الوَلِيُّ لَا يَشتَغِلُ بما تَفْعَلُهُ السَّحَرَةُ وأَصْحَابُ العَزَائم مِن ضَرْبِ المَنْدَلِ وقِراءَةِ الكَفِّ وأَيُّ إنسانٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ هوَ فاسِقٌ لَيْسَ بوَلِيّ. وأولياءُ اللهِ تعالى نوَّرَ اللهُ بَصَائِرَهُم ومَكَّنَهُم تَمْكِينًا فى تَقوَاهُمْ فلَيْسَ مِنْ شَأنِهِم أيضًا الاشتِغَالُ بكِتابةِ الطَّلَاسِمِ وقَد تَكُونُ فى الوَاقِعِ أَسْمَاءً ورُمُوزًا لِعُظَمَاءِ الشَّيَاطِينِ الذِينَ يُقَدِّسُونَهُم فإذَا كُتِبَتْ هذهِ الطَّلاسِمُ وطُبِّقَتْ على التَّرتِيبِ الذِى يَشْتَرِطُونَهُ يَحصُلُ بقُدرَةِ اللهِ الأَثَرُ الذِى يُرَادُ مِن أَجْلِهِ كِتابةُ هذهِ الطَّلاسِمِ أَحيانًا. وليسَ مِنْ أولِيَاءِ اللهِ الذِينَ يَشْتَغِلُونَ بطَرِيقِ صُحْبَةِ الجِنّ على حَسَبِ الشُّرُوطِ الفاسِدَةِ التى يَشْتَرِطُهَا هؤلاءِ الجِنُّ عَلَيْهِم، على أَنَّهُ يَجُوزُ أنْ يَكُونَ عندَ بعضِ أولياءِ اللهِ

---

(١) ذكر ذلك ابن عساكر فى تاريخ دمشق.

أصحابٌ منَ الجنِّ مؤمِنُونَ يَطلُبُونَ صُحْبَةَ هُؤَلَاءِ البَشَرِ الصُّلَحَاءِ لِيَستَفِيدُوا مِنْ صُحْبَتِهِم فى الدِّينِ، ولَا يَتعارَضُ كونُهُ بَشَرًا وَلِيًّا معَ تَرَدُّدِ جِنِّىّ إليهِ يَستَفِيدُ منهُ فى الدِّينِ لَكِنَّ الذى يتعارَضُ معَ الشَّرْعِ فِعْلُ هؤلاءِ الذينَ يَقُولُونَ نَحْنُ مُؤاخُون للرُّوحَانِىّ ثُمَّ مِن شأنِ هذا الذى يُسَمُّونَهُ رُوحًا أو رُوحَانِيًا أَنْ يَدْخُلَ فى الرَّجُلِ أو فى الأُنثَى ثم يَتكلَّمُ على لِسَانِهِم فهُؤلاءِ لَيْسُوا مِنْ أولياءِ اللهِ تعالى والجِنِّىُّ الذى مَعَهُم فاسِقٌ معَ فاسِقٍ، ولَا يَستطِيعُ هؤُلاءِ أن يُحضِرُوا رُوحَ إنسانٍ بَشَرٍ ميِّتٍ ولو كانَ كافرًا. ووليُّ اللهِ لَا يَطلُبُ الجِنَّ ليَدخُلَ فيهِ ويَتكلَّمَ على لسانِهِ ولو بقِراءةِ القُرءانِ ولَو زَعَمَ هذا الجِنِّىُّ أنهُ رُوحُ الشَّيخِ الرِّفاعِىّ أو الجِيلانىّ فإنَّ هذا جِنِّىٌّ خَبِيثٌ، ومَن يَدخُلُ جِنِّىٌّ فيهِ بِرِضاهُ خَبِيثٌ بَعِيدٌ منَ الوِلايةِ بُعْدَ السَّماءِ منَ الأَرضِ لأنَّ هذا محرَّمٌ حرَّمَهُ اللهُ تعالى.

ويُوجَدُ جِنٌّ أولياءُ كما يُوجَدُ إنسٌ أولياء.

والمُبْتَلَى بالعارِضِ إنْ تحصَّنَ بياتِ اللهِ تباركَ وتعالى يَقِيهِ ذلكَ أَذَى الجِنِّ، فقَد كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَتعوَّذُ بأشياءَ مِن ذكرِ اللهِ ثمَّ لمَّا أُنزِلَتْ عليهِ المُعوِّذتانِ كانَ يَتَعَوَّذُ بهِما، لذلكَ سَنَّ رسولُ اللهِ ﷺ لِأُمَّتِهِ قراءةَ المُعوِّذتينِ معَ سورةِ الإخلاصِ معَ تصحيحِ الحُروفِ مَساءً ثلاثًا وصباحًا ثلاثًا، صباحًا أىْ مِن طُلُوعِ الفجرِ إلى ما بعدَ طلوعِ الشَّمسِ بنَحوِ ساعتَينِ ومساءً مِن

غُروبِ الشَّمسِ إلى نحوِ ثلاثِ ساعاتٍ فمَن حَافَظَ على هذا فقَد تحصَّنَ بحِصْنٍ عظيمٍ مِن ضرَرِ الإنسِ والجِنّ والسِّحرِ.

كذلكَ علَّم رسولُ اللهِ ﷺ ما يَدفَعُ بهِ ضررَ الوَسوسةِ بأنْ يَتْفِلَ ثلاثَ مراتٍ عَن يسارِهِ إذا أحسَّ بها ويستعيذَ باللهِ فيقولُ اللهم أعوذُ بكَ مِن شَرِّ الشّيطانِ وفِتنَتِهِ اهـ ولَا يَتمادَى فيها ويَصرِفُ فِكْرَهُ إلى غيرِ ذلكَ، وذلكَ أنَّ الشّيطانَ يُحِبُّ أن يُعَكِّرَ على المؤمنِ ويُضايِقَهُ فيَفتحُ عليهِ بابَ الوَسْوَسةِ حتى يَحْزَنَ ويَنْشَغِلَ عنِ الأُمُورِ المُهِمَّةِ.

وهناكَ أمرٌ أخفُّ مِن قراءةِ المعوِّذاتِ ثلاثَ مرّاتٍ صباحًا ومساءً وهوَ أنْ يقولَ حَسبِيَ اللهُ لا إله إلا هوَ عليهِ توكَّلْتُ وهوَ ربُّ العرشِ العظيمِ سبعَ مرّاتٍ بعدَ الفَجرِ وبعدَ الغُرُوبِ فمَن وَاظَبَ على ذلكَ حَفِظَهُ اللهُ مِن كثيرٍ منَ المَهالكِ كإصابةِ العينِ أو السِّحْرِ.

ورسولُ اللهِ ﷺ كانَ يَتعوَّذُ بالمعوِّذتَينِ[1] وهوَ أَطْهَرُ خلقِ اللهِ وأَنْوَرُهُمْ بَصِيرةً فكيفَ لَا يَحتاجُ غيرُهُ أن يَتَعوَّذَ. لَم يقُلْ أنا نبيُّ اللهِ يَنزِلُ عليَّ الوَحْيُ صَباحَ مَساءَ والملائكةُ أحبابِى وأنصارِى فلا أَستَفِيدُ مِنَ التَّعوُّذِ، فمَن تَعَوَّدَ على التحصُّنِ بهذا الحِصنِ فى حالِ صِحَّتهِ كانَ ذلكَ أَحفَظَ لهُ عندَ التَّعرُّضِ لِأَذَى الجِنّ أو الإِنسِ، ولولا أنَّ اللهَ لهُ عِنايةٌ بعَبْدِهِ المؤمنِ وأَمَتِهِ المؤمِنَةِ كانَ للشَّياطينِ شأنٌ أشدُّ مِمَّا هو عليه فلولا حفظُ اللهِ لَتَخَطَّفُونا منَ الأرضِ.

---

(١) انظر سنن أبى داود باب فى المعوذتين.

والمؤمِنُونَ أعداءُ الشَّياطينِ الذينَ لَم يَترُكُوا مُحاوَلَةَ إيذاءِ رسولِ اللهِ ﷺ فقَد كانَ إبليسُ على جَبلٍ مرَّةً قُبَالَةَ بابِ الكعبةِ وسيِّدُنا محمّدٌ ﷺ ساجِدٌ فى الكعبةِ فحَلَفَ إبليسُ لَيَطَأَنَّ محمَّدًا ﷺ فرَكَضَ جِبريلُ وضَرَبَهُ ضَرْبةً طَيَّرَتْهُ إلى العِراقِ، وجاءَ ذاتَ يوم جُنودٌ منَ الشَّياطينِ وكانَ فيهِم مَن يَحمِلُ شُعلةً مِن نارٍ لِيَرمِيَها فى وجهِ رسولِ اللهِ ﷺ فأَعطَى اللهُ تعالى رسولَهُ مَقدِرةً على أنْ أَمسَكَ أحدَهُم وخَنَقَهُ فهزَمَهم اللهُ تعالى، وكذلكَ جاءَ إبليسُ مرّةً إلى المشركِينَ بصُورةِ إنسانٍ مِن نَجْدٍ وكانوا يتآمَرُونَ على الرَّسُولِ ﷺ إمَّا لقَتلِهِ وإما لحَبْسِهِ وإمَّا لِنَفيهِ مِن مكةَ فدَخَلَ معهُم إبليسُ فى المُؤامَرةِ وفضَّلَ رَأْىَ القتلِ على غيرِهِ منَ الآراءِ لكنَّ اللهَ رَدَّ كيدَهُم ومَكْرَهم وأَخْبَرَ نَبِيَّهُ بالوَحْيِ فذهبَ رسولُ اللهِ ﷺ قبلَ الفجرِ مِن بَيتهِ وغادرَ ذلكَ المكانَ فلَم يجِدوا إلَّا عليَّ ابنَ أبى طالبٍ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ فنجَّاهُ اللهُ مِن مَكرِهم الذى كانَ إبليسُ معَهُم فيهِ.

واللهُ تعالى كلَّفَ بِنَا ملائكةً يتعاقَبُونَ ليلَ نهارَ يَحفَظُونَنَا مِمَّا لم يُقَدِّرِ اللهُ أن يُصِيبَنَا وما قدَّرَهُ اللهُ لا يَحفَظُونَنَا مِنهُ.

انتهى واللهُ سُبحانَهُ وتعالى أَعلَمُ.

الدرس السادس



تفسيرُ حديثِ بَدَأَ الدِّينُ غَرِيبًا

درسٌ ألقاهُ المحدِّثُ الفقيهُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ العَبدريُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى وهو فى بيانِ أنَّ هذا الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا وسيَعُودُ غَرِيبًا. سمِعَهُ منه الشَّيخُ محمَّدُ بنُ مصطفى البَكرِيُّ والشيخُ سميرُ بنُ سامى القاضى والشَّيخُ نبيلُ بنُ محمَّدٍ الشَّرِيفُ والشَّيخُ جميلُ بنُ محمَّد حليم والشَّيخُ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ محمَّدٍ الشَّرِيفُ. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِين له النِّعْمَةُ ولَهُ الفَضْلُ وله الثَّنَاءُ الحَسَنُ وصلواتُ اللهِ البَرِّ الرَّحِيم والملائكةِ المقرَّبِينَ على سيِّدِنا محمَّدٍ أشرَفِ المُرسَلِين وعلى جميعِ إخوانِهِ النَّبِيِّيْنَ والمُرسَلِينَ وسلامُ اللهِ عليهِم أجمَعِينَ.

أمَّا بعدُ فقَد رَوَينا فى صَحِيح مُسلم بإسنادٍ مُتَّصِلٍ أنَّ نبيَّ اللهِ ﷺ قالَ **إنَّ هذا الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا وسَيَعُودُ غَرِيبًا كما بَدَأَ فطُوبَى للغُرَباءِ**(١) اهـ وعندَ الترمذىّ وَمَنِ الغُرَبَاءُ قالَ **الذِينَ يُصْلِحُونَ ما أَفْسَدَ الناسُ مِن سُنَّتِى**(٢) اهـ

---

(١) رواه مسلم فى باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا وأنه يأرز بين المسجدين.

(٢) رواه الترمذى فى باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا.

مَعْنى **بَدَأَ الإسلامُ غريبًا** أنَّ المُسلِمينَ كانُوا مُضْطَهَدِينَ فى مَكَّةَ بأنواعٍ مِنَ الأَذَى حتى إِنَّهُم مَرَّةً أَكْرَهُوا ثلاثةً مِن مَشاهِيرِ الصَّحابةِ على الكُفْرِ فامتَنَعَ اثنَانِ وقالَ الثَّالِثُ ما أَرَادُوا منهُ لِيُنقِذَ نفسَهُ فأَنْزَلَ اللهُ تبارَكَ وتَعالى قولَهُ فِى سُورَةِ النَّحْلِ ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾﴾ قالَ الرَّسُولُ ﷺ لِهَذا الذى أَعطَى الكُفَّارَ ما أَرادُوا منهُ مِن كَلِمَةِ الكُفرِ كيفَ كانَ قلبُكَ حينَ قُلْتَ ما قُلْتَ كانَ مُطمَئِنًّا بالإِيمَانِ فقالَ نَعَم.

هذهِ الآيةُ فيهَا تفصِيلٌ فى المُكْرَهِينَ لِأَنَّ المُكرَهَ إنْ كانَ قلبُهُ عندَ النُّطقِ بالكُفرِ مُنشَرِحًا بالكُفْرِ الذِى يَتَلَفَّظُ بِهِ فهوَ كافرٌ عندَ اللهِ يَسْتَحِقُّ عذابَ اللهِ الخالِدَ الأَبَدِيَّ وأَمَّا إنْ كانَ عندَ نُطْقِهِ ليسَ شارحًا صدرَهُ بل يَكْرَهُ الكُفْرَ الذى يَنْطِقُ بِهِ فهوَ ناجٍ عندَ اللهِ تباركَ وتعالى لَا يُكْتَبُ عليهِ وذلكَ لِأَنَّ الذِى شَرَحَ صَدْرَهُ عندَ الإِكراهِ وقَبْلَ ذلكَ كانَ مُسلِمًا إِنَّمَا شَرَحَ صَدْرَهُ للكُفْرِ عندَ التَّلَفُّظِ بِهِ فهذا غيَّرَ اعتقادَهُ لأَنَّهُ قبلَ ذلكَ كانَ مُطْمَئِنًا بالإيمانِ وكارِهًا للكُفْرِ. وأَمَّا الذِى لَم يَزَلْ قلبُهُ مُطمَئِنًا بالإِيمَانِ لَم يَتَغَيَّرْ عندَ النُّطقِ بتلكَ الكَلِمَةِ فلَم يَشرَحْ صَدْرَهُ لِكَلِمَةِ الكُفرِ فهُوَ ناجٍ فهوَ الذى استَثْنَاهُ اللهُ تعالى بقَولِهِ ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ وأَمَّا الآخَرُ الذِى تَغَيَّرَ اعتِقَادُهُ فشَرَحَ صَدْرَهُ عندَ النُّطقِ بتلكَ الكَلِمَةِ فهوَ الذِى

عَنَاهُ اللهُ بقَولِهِ ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾. هذهِ الآيةُ البَليغَةُ بهَذا اللَّفْظِ المُوجَزِ أَعْطَتْ حُكْمَ الاثنَيْنِ فما أَعظَمَ بَلاغةَ القُرءانِ، وبَلَاغَتُهُ هِىَ ليسَتْ فى طاقَةِ البَشَرِ أن يَأتُوا بها.

هذا مَعنى الآيةِ ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾.

النِّيَّةُ تُعْتَبَرُ فى المُكرَهِ، المُكرَهُ هوَ الذِى لا يَكْفُرُ إذا نَطَقَ بالكُفرِ إلاَّ إذَا غَيَّرَ نِيَّتَهُ فشَرَحَ صَدْرَهُ بالكُفْرِ الذى يَتلَفَّظُ بهِ وأمَّا غيرُ المُكرَهِ فلَا يُشترَطُ فى ثُبُوتِ الكُفرِ عليهِ النِّيَّةُ وذلكَ بإجماعِ الأَئِمَّةِ لذلكَ قَسَّمُوا الكُفرَ ثلاثةَ أقسامٍ قِسمٌ هوَ كُفرٌ لَفظِىٌّ ولَو لَم يَقترِنْ بهِ اعتِقَادٌ ونِيَّةٌ وقِسْمٌ فِعلٌ إنِ اقتَرَنَ بهِ نِيَّةٌ أو لَم تَقتَرِنْ بهِ كإلقاءِ المُصحَفِ فى القَاذُورَاتِ فمَن فَعَلَ هذا كَفَرَ بفِعلِهِ ولَو لَم يَكُن معهُ اعتِقَادٌ، وقِسْمٌ اعتِقَادِىٌّ وهوَ كاعتِقَادِ الشَّبَهِ بالمَخلُوقِ فى اللهِ تعالى أو التردُّدِ أىِ الشَّكِّ فى وجودِهِ تباركَ وتعالى. والشَّكُّ فى كلامِ الفُقَهَاءِ ما ليسَ خَاطِرًا لِأَنَّ الخَاطِرَ بالإجمَاعِ غيرُ مُؤاخَذٍ بهِ بل الذِى يَخطُرُ لهُ الكُفْرُ ثُمَّ لا يَعْتَقِدُهُ بل لا يَزالُ عَقْدُ قَلبِهِ جازِمًا بدِينِ اللهِ تعالى فلَهُ ثوابٌ لا يَضُرُّهُ هذا الخاطِرُ.

فالحاصِلُ فى هذهِ المسئلَةِ أنَّ الكُفْرَ القَولىَّ قَد يَكُونُ مُستَقِلاًّ عنِ النِّيَّةِ والاعتِقَادِ وكذلكَ الكُفرُ الفِعلىُّ قَد

يَكُونُ مُستَقِلًّا يَثبُتُ بمُفرَدِهِ الكُفْرُ لو لَمْ يُضَفْ إليهِ نِيَّةٌ وكذلكَ الاعتِقَادِيُّ يَثبُتُ الكُفْرُ بهِ مِن دونِ أنْ يَقتَرِنَ بهِ قَولٌ ولَا فِعلٌ فمَنْ جَهِلَ هذا وأَنْكَرَ تَقْسِيمَ الكُفرِ إلى ثلاثةِ أقسَامٍ فهُوَ مِنْ أَجْهَلِ خَلْقِ اللهِ بدِينِ اللهِ وليسَ لهُ سَهْمٌ في الإسلامِ.

شَخصٌ في هذا البَلَدِ أَنْكَرَ تقسِيمَ الكُفرِ إلى ثلاثةِ أَقسامٍ فهذا في الحَقِيقَةِ كأَنَّهُ فَضَحَ نفْسَهُ بالجَهْلِ العَمِيقِ ونادَى على نفسِهِ بقولِ أيُّهَا النَّاسُ اعلَمُوا أَنِّي جاهِلٌ بدِينِ اللهِ، فلَا يَغُرَّنَّكُم كونُ الرَّجُلِ مِنْطِيقًا[1]، ليسَ الشَّأنُ بكَثْرَةِ الكلامِ إنّما الشَّأنُ في مُوافَقَةِ الحَقِّ كما قالَ رسولُ اللهِ ﷺ **ليسَ البَيانُ كَثْرَةَ الكلامِ لَكِنَّ البيانَ إصابةُ الحقِّ وليسَ العِيُّ قِلَّةَ الكلامِ إنما العِيُّ مَنْ سَفِهَ الحقَّ**[2] اهـ أيْ أَخْطَأَهُ وزَاغَ عنهُ فلا يَغُرَّنَّكُم كونُ الرَّجُلِ كَثِيرَ البيانِ لِأنَّ البَيَانَ قِسْمَانِ بَيَانٌ على وَجْهِ الصَّوَابِ المُوَافِقِ لِلدِّينِ وبَيَانٌ تُسْتَمَالُ بهِ قُلُوبُ النَّاسِ يُزَخرِفُ بهِ القَولُ يُوهَمُ بهِ الناسُ أنهُ حَقٌّ وهوَ ليسَ بحَقٍّ وهذا مَعنَى قَولِ النَّبِيّ ﷺ **إنَّ مِنَ البَيانِ لَسِحْرًا**[3] اهـ

نَعُودُ إلى شرحِ حديثِ **إنَّ الإسلامَ بَدأ غريبًا** مَعنى غَرَابَةِ الإِسلَامِ في أَوَّلِهِ في أَوَّلِ بِعثةِ النَّبيّ هوَ أَنَّ

---

(١) المِنْطِيقُ هو البليغ الكلام كما في تاج العروس.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه باب ذكر وصف البيان في الكلام الذى هو محمود.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه باب ذكر الزجر عن تشقيق الكلام في الألفاظ إذا قصد به غير الدين.

المسلمِينَ كَانُوا يُضْطَهَدُونَ مِن قِبَلِ أعدائهم الكُفَّارِ فى أوَّلِ بِعثةِ النَّبِىّ ثُمَّ لَمْ يَزَالُوا مُضْطَهَدِينَ حتى هاجَرَ رسولُ اللهِ بإذنٍ منَ اللهِ.

الرَّسُولُ ﷺ قَد أُوذِىَ كثيرًا ضُرِبَ بأَيدِى الكُفَّارِ حتى إنَّهُ بعضَ المَرَّاتِ غُشِىَ عليهِ ﷺ وأمَّا أَصحابُهُ فكانَ البَلاءُ فِيهِم شَدِيدًا جِدًّا، عمَّارُ بنُ ياسِرٍ أُمُّهُ قَتَلَها أبو جَهْلٍ لأنَّهَا أسلَمَتْ بِحَرْبَةٍ طَعَنَ بها قُبُلَها[1] كذلِكَ ياسِرٌ والدُ عَمّارٍ رضِىَ اللهُ عنهُم نَالَهُ أَذًى كَبِيرٌ مِنَ الكُفَّارِ وقَتَلُوهُ. فالحاصِلُ أنَّ الاضطِهَادَ كانَ يُصِيبُ المسلِمِينَ فى أوّلِ بِعْثَةِ النَّبِىّ ﷺ وكانَ قِسْمٌ منهُ بالفِعْلِ وقِسْمٌ منهُ بالقَولِ بالشَّتْمِ والإهَانَةِ ثُمَّ بعدَ الهِجرةِ قَوِىَ المُسلِمُونَ فلَم يُتَوَفَّ رَسُولُ الله ﷺ إلَّا وقَد فَتَحَ الجَزِيرَةَ العَرَبِيَّةَ معَ اتّساعِ مَسافَتِها فالرَّسُولُ أَخبَرَ بأنَّهُ سَيَعُودُ هذا الاضطِهَادُ بعدَ قُوَّةِ الإسلام وظُهُورِهِ فالآنَ فى وقتِنا هذا تَحَقَّقَتْ غُرْبَةُ الإسلامِ أَلَيسَ تَرَونَ أنَّ المُتَكَلِّمَ بالحَقّ المُوافِقِ لكتابِ اللهِ وسُنَّةِ نَبِيّهِ يُضْطَهَدُ ويُشْتَمُ ويُؤذَى ويُسَفَّهُ كالذِى يُكَفّرُ مَن سبَّ اللهَ تعالى فى حالِ غَضَبٍ أو حَالِ مَزْحٍ فإنَّ كثيرًا منَ النَّاسِ يُنكِرُونَ عليهِ الحَقَّ أنَّ سَبَّ اللهِ كُفْرٌ فى حالِ الجِدّ والمَزحِ والغَضَبِ. وكذلكَ إنكارُهم لِتَرْكِ مُصافَحَةِ الرَّجُلِ المَرأَةَ الأَجنَبِيَّةَ معَ أنَّ الرَّسُولَ وأصحابَهُ ومَنْ تَبِعَهُم بإحسانٍ لَم يُصافِحُوا النّساءَ الأَجنَبِيَّاتِ قطُّ ولَم يقُلْ أَحَدٌ بِحِلّهِ إنْ كانَ لِطَلَبِ التَّلَذُّذِ

(١) ذكره الفاكهى فى أخبار مكة.

وإنْ كانَ لِغيرِ ذلكَ. ولقَد أُوذِيَ أُناسٌ فى بيروت لأنَّهُم ما وافَقُوا على صِيام رمضانَ بقولِ المُنَجّم الفَلَكِيّ، والإجماعُ إجماعُ عُلَمَاءِ الإسلام قَدِ انعَقَدَ أنَّ صِيَامَ رَمَضانَ لَا يَثْبُتُ بقولِ الفَلَكِيّ لأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ وَضَعَ قَانُونًا سَمَاوِيًّا فقالَ **صُومُوا لِرُؤيَتِهِ وأَفطِرُوا لِرُؤيتهِ فَإِنْ غُمَّ عَليكُم فأَكمِلُوا عِدَّةَ شعبانَ ثلاثينَ**[1] اهـ جماعتُنا وقَفُوا عندَ هذا الحَدِيثِ ولم يوافِقُوا مَن أَثْبَتَ رمضانَ بقَولِ الفَلَكِى ثُمَّ أُوذُوا على ذلكَ أَذًى شَدِيدًا حتَّى مِن قِبَلِ بعضِ أصحابِ العَمَائِم معَ أنَّ الذى دَرَسُوهُ فى دِراسَاتِهم هوَ أنَّ الصّيامَ لَا يَثْبُتُ بقولِ الفَلَكِيّ.

وهُناكَ أَمثِلَةٌ كَثِيرَةٌ أُخرَى مِمَّا يُضطَهَدُ بهِ المسلِمُونَ المُتَمَسِّكُونَ بدِينِ اللهِ.

وأمَّا قولُهُ عليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ **فَطُوبى للغُرَباءِ** فهوَ عليهِ السّلامُ قَد فسَّرهُ بقَولهِ **الذينَ يُصلِحُونَ ما أَفْسَدَ النَّاسُ مِن سُنَّتِى بَعدِى** اهـ فنَحْنُ بحَمْدِ اللهِ نُحيِى سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ نأمُرُ أنفُسَنَا وغَيْرَنَا بالتَّمسُّكِ بمَا جاءَ بهِ النَّبىُّ، ما أَوجَبَهُ الرَّسُولُ أَوجَبْنَاهُ وما حَرَّمَهُ الرَّسُولُ على أُمَّتِهِ حَرَّمْنَاهُ وما رَغَّبَ فِيهِ النَّبىُّ أُمَّتَهُ مِن غَيرِ إِيجَابٍ عليهِم اعتَبَرْنَاهُ كذلكَ وللهِ الحَمْدُ على ذلكَ واللهُ تعالى يُثَبِّتُنا على هذا المَنْهَجِ ويَرْزُقُنَا الصَّبْرَ على مَن يُعادِينا بالبَاطِلِ.

انتهى واللهُ تعالى أَعلَمُ.

---

(١) رواه البخاريّ فى صحيحه.

الدرس السابع



اللهُ تعالى لا يُوصَفُ بالحدِّ

درسٌ ألقاهُ المحدثُ الأصوليُّ المتكلّمُ الشيخُ عبدُ اللهِ ابنُ محمدٍ العبدرِيُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى وهو فِى بيانِ أنَّ اللهَ تعالى لا يُوصَفُ بالحدِّ والكميةِ. سَمِعَهُ منه الشيخُ جميلُ بنُ محمد حليم والشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ محمدُ بنُ مُصطفَى البَكرِيُّ. قال رحمه اللهُ رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على سيدِنَا محمدٍ وعلَى ءالِهِ وأصحابِهِ الطيبينَ الطاهِرينَ أمَّا بعدُ فإنَّ بعضَ النَّاسِ يَعتَبرُونَ مِنَ الغَريبِ تكفيرَ مَنْ يعتَقِدُ أنَّ اللهَ له أعضَاءٌ أو حَدٌّ وهذا ليسَ شيئًا غريبًا على عُلَمَاءِ الإسلامِ بلِ السَّلَفُ والخَلَفُ على هذا أنَّ الذِى يُشبِّهُ اللهَ تعالَى بإثباتِ أعضاءٍ لهُ أو صِفةِ جُلوسٍ أو التحيُّزِ فِى جِهَةِ الفَوْقِ أو فِى غَيرِهَا مِنَ الجِهَاتِ لَا يَكونُ مُسلِمًا لأنَّ قولَهُ ضِدُّ قولِ اللهِ تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1].

اللهُ تَعالَى أخبرَنَا فِى هذهِ الآيةِ أنهُ منزَّهٌ عَن كلِّ صِفةٍ مِنْ صفاتِ الخلقِ التحيّزِ فِى المكانِ أو فِى جهةٍ مِنَ

(١) سورة الشورى/الآية (١١).

الجهاتِ أو فِى جميعِ الأماكنِ أو فِى جميعِ الجهاتِ أَوْ فِى مكانٍ واحدٍ أو فِى جميعِ الأمكنةِ. لو كان فِى جهةٍ خاصةٍ كالعرشِ أو جميعِ الجهاتِ أو فِى مكانٍ واحِدٍ أو فِى جميعِ الأماكنِ أو كانَ مُتحرِّكًا مرةً وسَاكنًا مرةً كالإنسانِ والبَهَائِمِ والملائِكَةِ والجِنِّ لكانَ له أمثَالٌ لا تُحصَى. إنْ قالَ قائلٌ هذا غيرُ معقُولٍ يُقالُ لهُ فِى المخلُوقِ شَىءٌ لَا يُمكِنُ تَصَوُّرُهُ معَ أنهُ شىءٌ وُجِدَ ويجِبُ الإيمانُ بهِ قالَ اللهُ تعالى ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾(١) مَعنَى قولِهِ تعالى ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ أنهُ لَم يَكن فِى الأزلِ نورٌ ولَا ظلماتٌ بلْ خَلَقَ اللهُ بعضَ خَلْقِهِ ثُمَّ خَلَقَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ. عَقْلُ الإنسانِ لَا يَستطيعُ أنْ يَتصوَّرَ كيفَ يكونُ وقتٌ ليسَ فيهِ نورٌ ولَا ظلامٌ إنَّما يَتصوَّرُ عَقْلُ الإنسانِ وُجودَ النُّورِ وحدَهُ أوِ انتفَاءَهُ معَ وُجودِ الظَّلامِ ويَتصوَّرُ وُجودَ الظَّلام وحدَهُ أوِ انتِفَاءَهُ معَ وجُودِ النُّورِ، وجودُهُ فِى وقتٍ وانتفاؤُهُ فِى وقتٍ هذا يَتصوَّرُهُ أمَّا أنْ يَتصوَّرَ انتِفَاءَ النُّورِ والظّلامِ فِى ءانٍ فلَا يَستطيعُ عَقْلُ الإنسانِ أنْ يَتصوَّرَهُ ومعَ ذلكَ يجبُ عَلينا الإيمانُ بهِ فنَقولُ لهؤلاءِ الذينَ يقولونَ كيفَ يصِحُّ وجودُ اللهِ بلا حَرَكَةٍ ولا سُكونٍ ولا جِهَةٍ نقُولُ لهم كما صحَّ وُجودُ وقتٍ ليسَ فيهِ نُورٌ ولا ظَلامٌ ونحنُ عاجِزُونَ عَنْ تَصوُّرِهِ يَصِحُّ وجودُ اللهِ بلَا مكانٍ ولَا جهةٍ ولَا حركةٍ ولَا سُكونٍ لأنَّ الدَّليلَ العقلِىَّ والدَّليلَ

---

(١) سورة الأنعام/الآية ١ .

النقلِيَّ يَدُلَّانِ على ذلكَ وإنْ كنَّا لَا نَستطيعُ تَصوُّرَهُ.

الوهَّابِيَّةُ يُهوِّلُونَ على بعضِ الناسِ فيقولونَ كيفَ يصِحُّ وجودُ اللهِ بلا مكانٍ ولا جهةٍ ولا يكونُ مُتحرِّكًا مرةً ولا سَاكنًا مرةً فإنْ لمْ يَكنِ الشّخصُ الذِى يخاطِبُونَهُ بهذا الكلامِ مُتَمَكِّنًا فِى العقيدَةِ يَنقَلِبُ إليهِم فيقولُ هذا لَا يَصِحُّ بلْ لهُ مكانٌ وهذا المكانُ هو العرشُ فيكونُ والعِياذُ باللهِ قَدْ كذَّبَ هذهِ الآيةَ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ وخَالَفَ السَّلَفَ والخَلَفَ. السَّلَفُ نَفَوْا عنِ اللهِ الحَدَّ، الشىءُ الذِى لا حَدَّ له معنَاهُ ليس مُتحيزًا فِى مَكانٍ. الشىءُ الذِى لَا كمّيةَ له لا يصِحُّ أنْ يتحيزَ فِى المكانِ. الكميّةُ القليلةُ والكميّةُ الكبيرةُ وما بينَهما مِنْ صِفاتِ الخَلْقِ. الذَّرَّةُ وحَبَّةُ الخردَلِ اللهُ تَعالى خَلَقَهُما على هذهِ الكميّةِ وكذلكَ العَرشُ اللهُ تَعالى خَلَقَهُ على تلكَ الكميّةِ، على ذلكَ الحدِّ الذِى هوَ عليهِ، والإنسانُ اللهُ خَلَقَهُ على هذا الحدِّ أربعةِ أذرُعٍ طُولًا وذراعٍ عَرضًا. العَرشُ اللهُ تعَالى أوجَدَهُ على ذلكَ الحدِّ ليسَ العَرشُ أوجَدَ نفسَهُ على ذلكَ الحدِّ فالذِى خَلَقَ هذهِ الأشيَاءَ على تلكَ الحُدُودِ لَا يَكونُ لهُ حَدٌّ ولَا كميَّةٌ لأنهُ لَو كانَ لهُ حدٌّ وكميةٌ لاحْتَاجَ لمنْ جَعَلَهُ على ذلكَ الحَدِّ وتِلْكَ الكميةِ.

نحنُ البَشَرُ جائِزٌ عَقلًا أنْ نكونَ على حدٍّ ءاخرَ كالذَّرَّةِ لكنْ نحنُ وُجِدْنَا على هذا الحدِّ ليسَ نحنُ أوجَدْنَا أنفُسَنَا على ذلكَ الحدِّ بلِ اللهُ جَعَلَنَا على هذا

الحدِّ ولَو كانَ اللهُ تعالى لهُ حَدٌّ لكانَ مُحتاجًا لِمَنْ جَعَلَهُ على هذا الحَدِّ.

ثُمَّ مِنْ شَأنِ العَالَم اخْتِلافُ الأحوالِ عليهِ، هذهِ الأرضُ حالُهَا فِى الصَّيفِ غيرُ حَالِهَا فِى الشِّتَاءِ، والإنسانُ وُجِدَ طِفلًا صَغِيرًا لَا يَمْشِى ولَا يتكلَّمُ ثُمَّ وَصَلَ إلى حَدِّ أنهُ صَارَ يَمْشِى ويتكلَّمُ ويُفكِّرُ فالعَقْلُ الصَّحيحُ يَقضِى بأنَّ كلَّ شىءٍ يَتحَوَّلُ مِنْ حَالٍ إلى حَالٍ لهُ مُحَوِّلٌ يُحَوِّلُهُ مِنْ حَالٍ إلى حَالٍ والذِى يُحَوِّلُهُ لَا يكونُ مُتَحَوِّلًا مِنْ حَالٍ إلى حَالٍ.

عُلماءُ أهلِ السُّنةِ يَقولونَ اللهُ تَعالى ليسَ بمَحدُودٍ قالَ سيِّدُنَا علِىٌّ ذلكَ[١] وقالَ حَفيدُهُ عَلِىٌّ زَينُ العابِدِينَ الذِى كانَ يُقالُ لهُ السَّجَّادُ لكَثْرَةِ صَلاتِهِ، رُوِىَ أنهُ كانَ يُصلِّى فِى اليومِ والليلةِ ألفَ ركعةٍ وكانَ بَهِىَّ المنظَرِ مَهيبًا مِنَ التقوَى ليسَ مِنْ أُبَّهَةِ المُلْكِ هوَ أيضًا قالَ عَنِ اللهِ ليسَ بمَحدُودٍ[٢].

ليسَ مَعنَى ذلكَ أنَّ اللهَ له مِسَاحَةٌ لا ينتَهِى إليها نَظَرُ الناسِ بلِ المعنَى أنهُ لَا يجوزُ عليهِ الكميّةُ مَهما صَغُرَتْ ومهمَا كَبُرَتْ لَا يجوزُ عليهِ. ليسَ المعنَى أنَّ له حدًّا لا ينتَهِى إليه فِكْرُ الإنسانِ بلِ المعنَى نفْىُ الكميّةِ عنهُ

(١) قال علِىُّ بن أبى طالب رَضِىَ الله عنه ومن زعم أنَّ إلهنا محدودٌ فقد جَهلَ الخالِقَ المعبُود اهـ رواه أبو نعيم فى الحلية.

(٢) قال زين العابدين علِىّ بن الحسين بن علِىّ بن أبى طالب سبحانك لست بمحدودٍ فتحدَّ اهـ نقله الحافظ الزبيدى بالإسناد المتصل منه إليه فى إتحاف السادة المتقين.

بالمرَّةِ. وقولُ اللهُ أكبرُ ليسَ مَعناهُ أنَّ حَجْمَهُ كبيرٌ أنَّه أوسَعُ مِنْ كُلِّ شَىءٍ إنَّما معناهُ هوَ أقدَرُ مِنْ كُلِّ قَادرٍ وأعلَمُ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ. هذا مَعنَى اللهُ أكبرُ ليسَ مَعناهُ أنَّهُ واسِعُ الحجمِ. الحجمُ لَا يَكونُ إلَّا للحَادِثِ أىْ إلَّا لِشَىءٍ لَم يَكُنْ مَوجُودًا ثُمَّ صَارَ مَوجُودًا، هذا يَجُوزُ عليهِ الحَدُّ أمَّا الموجودُ الذِى ليسَ لوُجُودِهِ ابتِدَاءٌ لَم يَسبِقْهُ عَدَمٌ لَا يجُوزُ أنْ يكونَ لهُ حدٌّ لأنهُ لَو كانَ لهُ حَدٌّ لكانَ حَادِثًا أحدَثَهُ غَيرُهُ أىْ خَلَقَهُ غَيرُه وهذا مُحالٌ باطِلٌ.

انتهَى واللهُ تعالَى أعلَمُ.

الدرس الثامن



تقديمُ تعلُّمِ العِلْمِ على العملِ

درسٌ ألقَاهُ المحدّثُ الأصولِيُّ الفقيهُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدريُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى وهو فِى بَيَانِ أَنَّ الاشتِغَالَ بِتَعَلُّمِ العِلْمِ الشَّرْعِيّ يُقَدَّمُ على كثيرٍ مِنَ الأمُورِ الأخرَى. وكانَ ممن سَمِعَهُ منه الشيخُ عبدُ الرزاقِ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ جميلُ ابنُ محمد حليم والشيخُ محمدُ بنُ مُصطفَى البَكْرِىُّ. قال رحِمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمدٍ وعلى ءالِهِ وصحابَتِهِ الطيبِيْنَ الطاهِرِيْنَ.

أما بعد فإنّ أكثرَ الناسِ مَغرُورُونَ. ما هوَ الضَّرُورِىُّ يترُكُونَهُ ويَعدِلُونَ إلى غَيْرِ الضَّرُورِىّ. كثيرٌ مِنَ النَّاسِ يُكثِرُونَ مِنَ الذَّهابِ إلى الحَجّ بعدَ حَجَّةِ الإسلامِ ويَزُورُونَ النَّبِىَّ ﷺ ولَا يَتَعَلَّمُونَ عِلْمَ الدِّينِ الضَّرُورِىَّ ويَظُنُّونَ أَنَّ أَعْمَالَهُم صَحيحةٌ مقبُولَةٌ وهُم غَافِلُونَ عَنْ أَنَّ شَرْطَ العَمَلِ مُوَافَقَةُ السُّنَّةِ أىْ شَرِيعَةِ الرَّسُولِ ﷺ الوُضُوءُ والصَّلاةُ والطَّهَارَةُ والحَجُّ والذِّكْرُ والدُّعَاءُ كُلُّ شَرْطُهُ أَنْ يُوافِقَ شَرِيعَةَ الرَّسُولِ ﷺ فإذا لَم يُوافِقْ ذلكَ لَم يقبَلْهُ اللهُ تعالى وإذا لَم يَتَعَلَّمِ الشَّخْصُ فلَا سَبِيلَ لَهُ

إلى مَعْرِفَةِ ذلكَ. إذا لَم يتعلَّم الشَّخصُ مِنْ أَبِيهِ أو مِنْ غَيرِهِ يَعِيْشُ مُنْغَمِرًا فِى الغَفْلَةِ فيَعرِفُ بعدَ الموتِ أنَّ أعمَالَهُ التِى كانَ يَظُنُّهَا زَادًا للآخِرَةِ هِىَ لا شَىء. قالَ الرّسولُ عليهِ السَّلامُ **كلُّ عَمَلٍ ليسَ عليهِ أمرُنَا** أىْ لَا يُوَافِقُ شَرِيْعَتَنَا **فهوَ رَدٌّ**(١) اهـ أىْ لَا يقبَلُهُ اللهُ. كيفَ يُعرَفُ أنَّ العَمَلَ يُوافِقُ الشَّرعَ أو لَا يُوافِقُ إلَّا بالتَّعَلُّم. لَو كانَ أبوهُ أعلَمَ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ ثُمَّ لَم يتعلَّمْ مِنْ أينَ يعرِفُ ولو كانَ أبُوهُ وَلِيًّا وَجَدُّهُ وليًّا مِنْ أينَ يَعرِفُ. ما أكثَرَ المغرُورِينَ فِى النَّاسِ.

هذا الحديثُ لِيَحْفَظْهُ كلُّ واحِدٍ. قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **كلُّ عَمَلٍ ليسَ عليهِ أمرُنَا فهُوَ رَدٌّ** اهـ إذا كانَ العَمَلُ صَرِيحًا فِى القُرءانِ وفِى الحَدِيثِ ليسَ فيهِ خَفَاءٌ فهذا أمرُهُ ظاهِرٌ وإنْ كانَ ليسَ مذكورًا بعَيْنِهِ فِى القُرءانِ والحديثِ بلِ استخرَجَهُ أئمَّةُ الاجتِهادِ الشَّافِعِىُّ ومَالكٌ وأبو حنيفةَ وأحمدُ بنُ حنبلٍ ومَن قبلَهُم مِنَ المجتهِدِينَ مِنَ التَّابعينَ كالحَسَنِ البِصْرِىّ وعَطاءِ بنِ أبِى رَباحٍ إنِ استخرَجَهُ هؤلاءِ المجتَهِدُونَ بفَهمِهم مِنَ القُرءانِ والحدِيثِ فهوَ مِثلُ الذِى ذُكِرَ فِى القُرءانِ صَريحًا أو فِى الحدِيثِ صَريحًا.

ليسَ شرطًا أنْ يكونَ كلُّ شىءٍ مِنَ العِبَادَاتِ والحَسَنَاتِ مَنْصُوصًا عليهِ فِى القُرءانِ والحَدِيثِ. عَمَلُ

(١) رواه البخارِى فِى صحيحه باب النجش ومن قال لا يجوز ذلك البيع (بلفظ من عمل عملًا).

المولِدِ ليسَ مَنْصُوصًا عليهِ والطَّرِيقةُ كذلكَ وأشياءُ عَدِيدةٌ تُوافِقُ القُرءانَ والحديثَ. لَيس كلُّ عَمَلِ خَيْرٍ بِعَيْنِهِ ذَكَرَهُ القُرءانُ والحَدِيثُ إِنَّمَا ذَكَرَ القُرءانُ والحَدِيثُ القَواعِدَ ثُمَّ العُلَماءُ المجتَهِدُونَ يستخرِجُونَ مِنْ هذهِ القَواعِدِ أحكامًا.

هناكَ جماعةٌ يُقالُ لهم الوهابيةُ مُذَبْذَبُونَ مَرَّةً يَأْخُذُونَ بِشَىءٍ لَم يذكُرْهُ القُرءانُ ولا الرَّسُولُ إنْ أعجَبَهُم وإنْ لم يُعْجِبْهُم يَقُولُونَ ما فَعَلَهُ الرَّسُولُ ولا أَمَرَ به بِعَيْنِهِ نحنُ لا نأخُذُ به. مُذَبْذَبُونَ. كثيرٌ منَ الأشياءِ الرَّسُولُ مَا ذكَرَهَا فِى الحدِيْثِ ولا ذَكَرَهَا القُرءانُ. هذهِ المحَارِيْبُ المجَوَّفَةُ فِى المَسَاجِدِ مَا كانَتْ أيَّامَ الرَّسُولِ بعدَ الرَّسُولِ بِنَحْوِ تِسعِينَ سَنةً عَمِلَهَا بعضُ العُلَمَاءِ.

والطَّرِيْقَةُ كذلكَ بعدَ خمسمائةِ سَنَةٍ عَمِلَهَا الشَّيْخُ أحمَدُ الرِّفَاعِىُّ والشيخُ عبدُ القَادِرِ ثُمَّ بعضُ مَنْ جَاءَ بعدهما. وعِلْمُ النَّحوِ مَا كانَ يُدَرَّسُ أيَّامَ الرَّسُولِ إنَّما بعدَه عليهِ السّلامُ بعضُ العُلَمَاءِ وَضَعَهُ حتَّى يُستَعَانَ بهِ على فَهْمِ القُرءانِ والحَدِيثِ وحتَّى لَا يُحرَّفَ لَفْظُ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ. لهذا عَلَّمَهُ العُلَمَاءُ بَعْدَ الرَّسُولِ. كلُّ هذا مَقْبُولٌ. الشَّرطُ أنْ يُوافِقَ القُرءانَ والحَدِيثَ. أمَّا ما لَا يُوافِقُ القُرءانَ والحَدِيثَ فهوَ مَرْدُودٌ حتَّى الدُّعاءُ إذا لَمْ يُوافِقِ الشَّرْعَ فهوَ مَرْدُودٌ بَلْ قَدْ يَكْفُرُ بعضُ النَّاسِ بِبَعْضِ أنوَاعِ الدُّعَاءِ. واحِدٌ فِى بِلادِنَا جَاهِلٌ يَتَشَبَّهُ بالصُّوفِيَّةِ قالَ اللهُ يجعَلُنِى فِدَاءً لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ

معنَاهُ يَحُطُّنِى فِى جَهَنَّم ولا يَحُطُّ أحَدًا غَيرِى حتَّى لا يُعَذَّبَ أحَدٌ مِنْ أُمَّةِ محمَّدٍ. هذا ضِدُّ القُرءانِ والحَدِيثِ. الرَّسُولُ ﷺ قالَ يخرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ محمَّدٍ[١] اهـ قالَ قَوْمٌ معنَاهُ عَدَدٌ كَثِيرٌ مِنْ أُمَّتِى يدخُلُونَ جَهَنَّمَ ثُمَّ أُخْرِجُهُم بعدَ هذا. كيفَ يقولُ هذا الجاهلُ اللهم اجْعَلْنِى فِدَاءً لأمَّةِ محمَّدٍ. كيفَ يقولُ.

انتهى واللهُ تعالى أعلَم.

---

(١) رواه البخارِىّ فِى صحيحه باب صفة الجنة والنار.

الدرس التاسع



حسنُ الخلقِ وتقسيمُ البدعةِ

درسٌ ألقاه المحدثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدرِيُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى فِى التاسِعِ مِنْ جُمَادَى الأُولَى سنةَ ثمانٍ وتِسعينَ وثلاثمائة وألف وهو فِى بيانِ فضلِ حُسنِ الخُلُقِ والصَّبْرِ على أَذَى الناسِ معَ الكلامِ عنِ البِدْعَةِ وتقسِيمِهَا إلى حسنةٍ ومذمُومةٍ. سمِعَهُ منه الشيخُ سميرُ ابنُ سامِى القاضِى والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ.
قال رحِمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ وصلَّى اللهُ وسلم على سيدنا محمدٍ وعلى ءالِهِ وصحبِهِ الأكرَمِين.

أمَّا بعدُ فإنَّ اللهَ تباركَ وتعالى أَنزلَ فِى كتابهِ المبينِ قولَهُ تباركَ وتعالى فِى سُورةِ الأعرافِ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾. قالَ تعالى ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ والعُرفُ هوَ المعروفُ وهوَ كُلُّ ما فرضَ اللهُ تعالى فِعْلَهُ أىْ كُلُّ الواجباتِ الدينيَّةِ. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أمرَ تباركَ وتعالى بالإعراضِ عنِ الجاهلينَ أىْ بالإعراضِ عَن لَغْوِهِمْ. وهكذا كانَ خُلُقُ رسولِ اللهِ ﷺ.

رَوَى البُخارِىُّ مِنْ حديثِ عائشةَ رضِىَ اللهُ عنها قالَت فِى وَصفِ رسولِ اللهِ ﷺ كانَ خُلُقُهُ

القرءانَ(١) اهـ يعنى أنَّ مَنْ أرادَ أنْ يعرفَ خُلُقَ رَسولِ اللهِ ﷺ فلْيَقرَإِ القُرءانَ وليَفهمْهُ، ومِنَ الأخلاقِ التِى جاءَ بها القرءانُ الأمرُ بالمعروفِ والنهىُ عنِ المنكرِ والصّبرُ على الأذَى أىْ تَحَمُّلُ أذَى الغَيرِ وكفُّ الأذَى عنِ الغَيرِ. أخرجَ أبو بكرٍ الخَلاّلُ فِى كتابهِ مكارمِ الأَخلاقِ أنَّ النبِىَّ ﷺ قالَ كنتُ بَينَ شَرِّ جارَيْنِ عُقْبَةَ بنِ أبِى مُعَيْطٍ وأبِى لَهَبٍ كانا يَرْمِيانِ بما يَخْرُجُ مِنَ الناسِ على بابِى اهـ أىْ أنهُ ﷺ كانَ يتحمَّلُ أذاهما معَ أنهُ كانَ أشجعَ خَلْقِ اللهِ على الإطلاقِ وكانَ أُوتِىَ مِنَ القوّةِ البدنيّةِ قوةَ أربعينَ رجلًا ومعَ كلِّ ذلكَ كانَ خُلُقُهُ العفوَ والصَّفحَ. وأمَّا ما يَرويهِ بعضُ النّاسِ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ اليهودُ يرمونَ الزُّبالةَ على بابِهِ ثم ذاتَ يومٍ لم يَرَ ذلكَ فتفقَّدَهم فهوَ كذِبٌ وافتِرَاءٌ ليسَ لهُ أصلٌ فِى كُتُبِ السُّنةِ المطهّرةِ.

ثمَّ إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كما كانَ العَفوُ والصّفحُ خُلُقَهُ والصّبرُ شيمتَهُ وتحمّلُ الأذَى مِنَ الغَيرِ دأبَهُ وحالَهُ كانَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ كثيرًا ما حضَّ أمَّتَهُ على العَفوِ والصَّفحِ وتحمُّلِ الأذَى.

قالَ ﷺ **ما شىءٌ أثقلَ فِى الميزانِ** أىْ فِى ميزانِ الآخِرةِ الذِى يُوزنُ بهِ أعمالُ العِبادِ **مِنْ حُسنِ الخُلُقِ**(٢) اهـ

---

(١) رواه البخاريُّ فى الأدب المفرد ورواه أحمد فِى مسنده باب حديث السيدة عائشة رضِىَ الله عنها.

(٢) رواه أبو داود فِى سننه باب فِى حسن الخلق.

وحسنُ الخلقِ عِبارةٌ عنْ تحمُّلِ أذى الغَيرِ وكفِّ الأذَى عنِ المسلمينَ وبَذلِ المعروفِ أيْ أنْ يُحْسِنَ المؤمنُ إلى الذِى يُحْسِنُ إليهِ والذِى لا يُحْسِنُ إليهِ.

رُوِّينا فِى صَحيح ابنِ حبانَ مِنْ حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ عنِ النبِيِّ ﷺ أنهُ قالَ **ليسَ الشديدُ مَنْ غلبَ النّاسَ ولكنَّ الشّديدَ مَنْ غلبَ نفسَهُ**(١) اهـ ولا أَدَبَ أَحسنُ مِنْ أدَبِ رسولِ اللهِ ﷺ جزاهُ اللهُ أحسنَ الجزاءِ عَن أمتِهِ فإنَّ تعويدَ النّفسِ على تحمّلِ أذى الغَيرِ يكونُ وسيلةً إلى الدّرجاتِ العُلَى وهوَ عظيمُ النّفعِ فِى معاملةِ النّاسِ بعضِهِمْ بعضًا فإنَّ مَن كفَّ نفسَهُ عندَ الغضبِ أنقذَ نفسَهُ مِن مهالكَ كثيرةٍ.

رَوَينا فِى جامعِ الترمذِيّ بإسنادٍ صحيحٍ عنِ النّبِيِّ ﷺ **مَن كظمَ غيظًا وهوَ قادرٌ أنْ يُنْفِذَهُ خَيَّرَهُ اللهُ تعالى مِنَ الحورِ العِينِ ما شاءَ**(٢) اهـ فكَم مِنْ أناسٍ ليسَ لهم كثيرُ صلاةٍ مِنَ النَّفلِ ولا كثيرُ صيامٍ منَ النفلِ تعادلُ درجتُهُمْ يومَ القيامةِ درجاتِ الصّوّامينَ القوّامِينَ الذينَ لا يَتَحَلَّوْنَ بحسنِ الخلقِ فَمَنْ تَمَكَّنَ فِى أداءِ الواجباتِ واجتنابِ المحرّماتِ كانَ مِنْ خيارِ عبادِ اللهِ ولو كانَ قليلَ الاجتهادِ فِى النوافلِ فالقليلُ مِنَ العملِ الموافقِ لسنةِ رسولِ اللهِ ﷺ خيرٌ مِنَ العملِ الكثيرِ المخالفِ لما جاءَ

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه باب ذكر الأخبار بأن الشديد الذِى غلب نفسه عند الشهوات والوساوس لا من غلب الناس بلسانه.
(٢) رواه الترمذِيّ فِى سننه باب فِى كظم الغيظ.

بهِ رسولُ اللهِ ﷺ. رُوّينَا مِن حديثِ الحسنِ البِصرِىّ مُرسلًا **قليلٌ مِنَ العملِ فِى سُنَّةٍ خَيرٌ مِنْ كثيرٍ فِى بِدْعَةٍ**[١] اهـ يعنِى أنَّ الإنسانَ إذا عملَ قليلًا منَ العملِ الصالحِ على وِفاقِ ما جاءَ عَن رسولِ اللهِ ﷺ فذلكَ خيرٌ مِنَ الذِى يجتهدُ فِى كثيرِ الأعمالِ مِنْ غيرِ مُراعاةِ مُوافقةِ ما جاءَ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ.

والمرادُ بالبدعةِ فِى هذا الموضعِ ونحوهِ هِىَ البدعةُ المخالفةُ للكتابِ والسُّنّةِ والإجماعِ وأثرِ الصّحابةِ. ومَنِ الذِى يُمَيّزُ بينَ بدعةِ الضّلالةِ وبينَ ما ليسَ بدعةَ الضّلالةِ، هُم علماءُ أهلِ السُّنّةِ المتمكّنونَ فِى العلمِ فَهُمْ بما ءاتاهُم اللهُ تعالى مِنَ المعرفةِ بدِينهِ ومِنَ الفهمِ بكتابهِ وسنّةِ نبيّهِ على ما فَهِمَهُ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ والتابعونَ لهم بإحسانٍ يميّزونَ بينَ بدعةِ الضّلالةِ وبينَ البدعةِ المستحبّةِ، أمَّا مَنْ قَصُرَ عَنْ ذلكَ فَحَظُّهُ أنْ يتبعَ أئمةَ الهدَى فما استحسنوهُ وَرَأَوْهُ مُوافِقًا لشرعِ رسولِ اللهِ ﷺ أَخَذَ بهِ وما لم يَسْتَحْسِنُوهُ نَبَذَهُ.

قالَ الإمامُ المطّلبِىُّ القُرشِىُّ محمّدُ بنُ إدريسَ الشّافعِىُّ رضِىَ اللهُ عنهُ البدعةُ على ضَربينِ بدعةُ ضلالةٍ وبدعةُ هدى، وبدعةُ الضّلالةِ ما كانَ على خلافِ الكتابِ والسُّنّةِ والإجماعِ والأثرِ وأما ما لم يخالفْ ذلكَ فليسَ بدعةَ ضلالةٍ[٢] اهـ

---

(١) رواه البيهقِى فِى شعب الإيمان فصل مجانبة الفسقة والمبتدعة ومن لا يعينك على طاعة الله عز وجل.

(٢) رواه البيهقِى فِى كتاب مناقب الشافعِى.

هوَ رسولُ اللهِ ﷺ شرعَ لأهلِ العلمِ مِنْ أمتهِ أنْ يَسُنُّوا ما رَأَوْهُ مُوافقًا لكتابِ اللهِ وسُنةِ نَبيِّهِ ﷺ، قالَ ﷺ **مَنْ سَنَّ فِى الإسلامِ سنّةً حسنةً كانَ لهُ أجرُها وأجرُ مَنْ عَمِلَ بها لا يَنقُصُ مِنْ أجُورِهم شىءٌ ومَنْ سَنَّ فِى الإسلامِ سنةً سيّئةً كانَ عليهِ وِزرُها ووِزرُ مَنْ عَمِلَ بها لا يَنقُصُ مِنْ أوزَارِهم شىءٌ** اهـ رواهُ مسلمٌ وغيرُهُ[1].

فكلُّ شىءٍ رأى العلماءُ مِن أهلِ الحقّ، مِن أهلِ السّنةِ والجماعةِ العارفينَ بالخاصّ والعامّ والمطلقِ والمقيّدِ والناسخِ والمنسوخِ ما رءاهُ أولئكَ موافقًا لشرعِ اللهِ فهوَ داخلٌ تحتَ قولهِ ﷺ **مَن سَنَّ فِى الإسلامِ سنّةً حسنةً فلهُ أجرُها** اهـ الحديثَ وأمَّا مَنْ كانَ قَصيرَ الباعِ فِى علمِ الدّينِ لا يَعرفُ العامَّ مِنَ الخاصّ فإنهُ إذا أطلقَ لسانَهُ فِى التّصرّفِ فإنهُ يكونُ خاطرَ بنَفسهِ. فمنَ البدعةِ الحسنةِ زيادةُ أذانِ صلاةِ الجمعةِ زادَ ذلكَ عثمانُ بنُ عفانَ[2] ولم يَكن ذلكَ فِى عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ وأبِى بكرٍ وعمرَ إنّما كانَ أذانٌ واحدٌ فرأى عثمانُ فِى عهدهِ زيادةَ أذانٍ فاستحسَنَهُ الصَّحابةُ ولم يَستنكِرْ ذلكَ أحدٌ منهم ثُمَّ استمرَّ ذلكَ مقبولًا بينَ الأمّةِ إلى عَصرِنا هذا.

انتهى وسبحان اللهِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ورواه ابن حبان فِى صحيحه وغيرهما.
(٢) رواه البخارِى فِى صحيحه باب الأذان يوم الجمعة.

الدرس العاشر



حقُّ الرجُلِ على المرأةِ وحَقُّ الوالِدَيْنِ

درسٌ ألقاه الفقيهُ الأصولِيُّ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدرِيُّ الهرَرِيُّ رحمه اللهُ تعالى فِى الخامس عشر مِنْ جُمادَى الآخِرَة سنةَ ثلاثٍ وأربعمائة وألف وهو فِى بيانِ حقِّ الرجُلِ على المرأةِ وحقِّ الوالدَيْنِ. سمِعَهُ منه الشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى. قال رحِمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ له النعمةُ وله الفضلُ وله الثناءُ الحسَنُ وصلَّى اللهُ على سيدنا محمدٍ وعلى ءالِهِ وسلم.

أما بعد فقد رَوَيْنَا بالإسنادِ المتَّصِلِ فِى كتابِ المستدرَكِ للحاكِم مِنْ حديثِ عائشةَ رضِىَ اللهُ عنها قالَتْ قال رسولُ اللهِ ﷺ **أعظمُ النّاسِ حقًّا على المرأةِ زوجُها وأعظمُ النّاسِ حقًّا على الرَّجُلِ أُمُّهُ**[(١)] اهـ حديثٌ صحيحٌ صححهُ الحاكِمُ وغيرُهُ وفيهِ بيانُ أعظميّةِ حقِّ الرَّجُلِ على امرأتِهِ على حقِّ غيرِهِ لذلكَ حَرَّمَ اللهُ عليها أنْ تخرُجَ مِنْ بَيتِهِ بلا إذنِهِ لغَيرِ ضَرورةٍ وحرَّمَ عليها أنْ تُدْخِلَ بيتَهُ مَنْ يَكرَهُهُ فليسَ لها أنْ تُدخِلَ مَنْ يَكرَهُهُ

(١) رواه الحاكم فِى المستدرك كتاب البر والصلة.

زَوجُها بَيتَهُ إنْ كانَ قريبًا لها أو بَعيدًا وَحَرَّمَ اللهُ عليها أيضًا أنْ تَمنَعَهُ حَقَّهُ مِنَ الاستِمتاعِ وما يدعُو إلى ذلكَ مِنَ التَّزَيُّنِ إلَّا فِى حالةٍ لها فيها عُذرٌ جِسمانِىٌّ أو شَرعِىٌّ، والعُذرُ الجسمانِىُّ كأنْ تكونَ مريضةً لا تُطيقُ أنْ تُعطِيَهُ ما يَطلُبُ منها والعُذرُ الشّرعِىُّ كأنْ تكونَ حَائضًا أو نُفساءَ أو تكونَ فِى حالٍ يَضِيقُ وقتُ الصّلاةِ عليها إنْ أجابَتْهُ إلى ما طَلَبَ مِنها. وفيهِ أيضًا بيانُ عُظْمِ حقِّ الأُمّ على الرَّجُلِ لأنَّها أعظَمُ النّاسِ حقًّا عليهِ فهِىَ أولَى بالبِرِّ مِنْ سائرِ الناسِ وفِى حُكمِ الرّجُلِ المرأَةُ غيرُ ذاتِ الزّوجِ فإنَّها أولَى النَّاسِ عليها بطاعَتِهَا فهِىَ أىِ المرأةُ غيرُ ذاتِ الزَّوجِ والرجُلُ فِى هذا سواءٌ فيُفهَمُ مِنْ ذلكَ أنهُ إذا لم يَستطِعِ الرَّجُلُ أنْ يُنفِقَ على أبيهِ وأُمِّهِ الفَقيرَينِ قَدَّمَ الأُمَّ أىْ أنفقَ على الأُمّ لِعَجْزِهِ عَنْ نَفقَةِ الأبِ معَ الأمّ أمَّا مَنْ كانَ مُستطيعًا للإنفاقِ عليهِمَا أَنْفَقَ عليهِمَا جميعًا فَرْضًا وَوُجُوبًا.

ولَا يَسقُطُ بِرُّ الأَبِ والأُمّ عَنِ الوَلَدِ لكونِهِمَا أساءَا إلى الولَدِ فِى الصِّغَرِ فمَنْ أضاعَهُ أبُوهُ أو أمُّهُ فِى حالِ صِغَرِهِ فقُطِعَ عنِ الإحسانِ والنَّفَقَةِ ثُمَّ كَبِرَ الولدُ فليسَ لهُ أنْ يُقابِلَ تلكَ الإساءَةَ بالإساءةِ ولَا يجوزُ لهُ أنْ يقولَ هُما لم يَرحَمَانِى وأنا صغيرٌ بلْ أضَاعَانِى وسلَّمَانِى للجُوعِ والعَطَشِ والعُرْىِ فأنا اليومَ أُعامِلُهُما بالمثلِ فإنْ فَعَلَ ذلكَ وَقَعَ فِى وِزرٍ كبيرٍ وهوَ وِزرُ العُقُوقِ الذِى قالَ فيهِ رسولُ اللهِ ﷺ **ثَلاثةٌ لَا يَدخُلُونَ الجنَّةَ العَاقُّ لِوَالِدَيهِ**

والدَّيُّوثُ[(١)] **ورَجُلَةُ النّساءِ**[(٢)(٣)] اهـ فهذا الوَلدُ الذِى أَضَاعَ والِدَيهِ فِى حالِ كِبَرِهِمَا واحتِيَاجِهما إليهِ لفَقرِهِمَا لأنَّهُما كانَا أضَاعَاهُ فِى صِغَرِهِ فلم يَعطِفَا عليهِ فعامَلَهُما بالمثلِ فأضَاعَهُمَا يكونُ فِى جُملةِ العاقِّينَ ويَستحقُّ هذا العَذَابَ الشَّديدَ وهوَ أنَّهُ لَا يدخُلُ الجنَّةَ معَ الأوَّلينَ بلْ يَدخُلُها بعدَ العَذَابِ معَ الآخِرِينَ هذا إنْ خُتِمَ لهُ بالإسلام وإلَّا فلَا يَدخُلُ الجنَّةَ ألبَتَّةَ ولا فَرْقَ فِى هذا بينَ الرَّجُلِ والأُنثَى وإنَّما الخيرُ الذِى يُكْسِبُ الإنسانَ البِرَّ الأعظَمَ للوالدَينِ هوَ أنْ يُخالِفَ نفسَهُ ويَبَرَّهُمَا معَ أنَّهما ضَيَّعاهُ فِى صِغَرِهِ وهذا أعظمُ ثوابًا مِنَ الوَلَدِ الذِى يَبَرُّ أَبَوَيْهِ فِى حَالِ كِبَرِهِما وفَقْرِهِمَا وهُمَا كانَا يُحسِنانِ إليهِ ويَعطِفَانِ عليهِ ويَرْعَيَانِهِ بالشَّفَقَةِ والرَّحْمَةِ والتَّرْفِيهِ أيِ التَّوسيعِ عليهِ بالنَّفَقَةِ والمَلْبَسِ وغَيْرِ ذلكَ فِى صِغَرِهِ. وكذلكَ سائرُ الرَّحِمِ فمَنْ وَصَلَ رَحِمَهُ التِى كانَتْ تَقْطَعُهُ فهوَ أعظَمُ أَجْرًا عندَ اللهِ مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ التِى تَصِلُهُ

---

(١) الديوث هو الرجل الذِى يعلم أن امرأته تزنِى ويسكت ولا يحول بينها وبين الزنا مع المقدرة على ذلك أو هو يجلب لها الزناة اهـ قاله الشيخ عبد الله رحمه الله. وفى كتاب تاج العروس الديوث هو القواد على أهله والذى لا يغار على أهله وفى المحكم هو الذى يَدخُلُ الرجالُ على حُرمته بحيث يراهم كأنه ليّن نفسه على ذلك. وقال ثعلب هو الذى تؤتى أهله وهو يعلم اهـ.

(٢) أى المرأة التِى تتقصد أن تتشبه بالرجال فهذه عذابها شديد اهـ قاله الشيخ عبد الله رحمه الله. وفى كتاب تاج العروس يقال للمرأة رجلة إذا كانت متشبهة بالرجل فى بعض أحوالها اهـ.

(٣) رواه البيهقِىّ فِى السنن الكبرى باب الرجل يتخذ الغلام والجارية المغنيين ويجمع عليهما ويغنيان.

وهذا الأمْرُ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ يُغْفِلُهُ ولَا يَفعَلُهُ بَلْ هذا أكثَرُ أحوالِ النّاسِ اليومَ يَقطعُونَ رَحِمَهُمُ الذِى كانَ لا يَصِلُهُم فيقُولُ أحدُهُم هُم لا يَعرِفُونَنِى فأنا أيضًا لا أعْرِفُهُم. هذا محرُومٌ، محرُومٌ مِنْ خَيرٍ كثيرٍ.

ثُمَّ الرَّحِمُ مَنْ كانَ ذَا قَرَابةٍ مِنَ الشَّخصِ، وأَوْلَى الرَّحِمِ هُمُ الأَبَوانِ ثُمَّ الجَدُّ والجَدَّةُ والبَنُونَ وبَنُو البَنينَ والبَنَاتُ وأولادُ البَنَاتِ ثُمَّ الأخوالُ والخالاتُ والأعمَامُ والعَمَّاتُ.

ثُمَّ مِنْ مَداخِلِ الشَّيْطانِ التِى يَدخُلُ مِنها إلى الإنسانِ لإهلاكِهِ أنهُ إذا حَصَلَ شِقَاقٌ بَيْنَ الأبَوَيْنِ وكانَ أحدُهما ظالِمًا يَحْمِلُهُ الشَّيْطَانُ على التَّحَزُّبِ لمن هوَ ظالمٌ منهُما فيقولُ لازِمٌ[١] عَلَيَّ أنْ أنتَصِرَ لأُمِّى علَى أبى فيَظلِمُ أباهُ أو يقولُ العكسَ لازِمٌ أنْ أنتصِرَ لأبِى وأتحزَّبَ لهُ وهوَ الظَّالِمُ وكِلا الأمرَيْنِ مِنْ مُوجِباتِ اللَّعنةِ، كِلا الأمرَيْنِ يُوجِبُ اللَّعنَةَ والنَّاجِى مَنْ سَلِمَ مِنْ ذلكَ كُلِّهِ.

ومِنَ الحِكاياتِ التِى تَدُلُّ على عِظَمِ بِرِّ الأُمِّ أنَّ رَجلًا مِنَ الصّالحينَ المشهورِينَ يُعرَفُ ببلالٍ الخَوَّاصِ قالَ كنتُ فِى تِيْهِ[٢] بنِى إسرائيلَ فوَجدتُ رجلًا يُماشِينى فأُلْهِمْتُ أنهُ الخضِرُ فسَألتهُ عَنْ مالكِ بنِ أنسٍ فقالَ هوَ إمامُ الأئمّةِ ثمَّ سألتُهُ عنِ الشَّافعِيّ فقالَ هوَ مِنَ الأوتادِ

---

(١) معنَى (لازِمٌ عَلَيَّ) هنا أيْ أَلْزَمُ ذلك أيْ أفعَلُهُ اهـ

(٢) الموضع الذِى تاه فيه بنو إسرائيل لما رفضوا القتال مع سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام اهـ

ثُمَّ سألتهُ عَنْ أحمدَ بنِ حنبلٍ فقالَ هوَ صِدّيقٌ قالَ فسألتهُ عَنْ بِشرٍ الحافِي قالَ ذاكَ لَم يُخلَقْ مِثلُهُ بعدَهُ قالَ فقُلتُ لهُ أسألُكَ بحَقِّ الحقِّ مَنْ أنتَ فقالَ أنا الخضِرُ قلتُ مَا هِيَ الوَسيلةُ التِي رأيتُكَ بها قالَ بِرُّكَ بأُمِّكَ(١) اهـ المعنَى أنَّ الفَضيلةَ التِي جَعلَتْكَ أهلاً لرُؤيَتِي هِيَ كَوْنُكَ بارًّا بأُمِّكَ.

انتهى واللهُ تعالى أعلم.

---

(١) انظر تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر.

الدرس الحادى عشر



التواضُعُ

درسٌ ألقاه المحدثُ الزاهِدُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدرِيُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى فِى بيروتَ وهو فِى بيانِ فضْلِ التواضُعِ وفوائِدِهِ. سمِعَهُ منه الشيخُ سميرُ بنُ سامِى القَاضِى والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ جميلُ ابنُ محمد حليم والشيخُ محمدُ بنُ مُصطفَى البَكرِيُّ والشيخُ عبدُ الرزَّاقِ بنُ محمدٍ الشريفُ. قال رحمه اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسلامُ الأتمَّانِ الأكمَلانِ على سيدنا محمدٍ وعلى ءالِهِ وصَحبِهِ الطيبِينَ الطاهِرينَ.

أما بعد فقد قالَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ **إنّكُمْ لَتَغْفُلونَ عَنْ أَفْضَلِ العِبادَةِ التوَاضُع**[1] اهـ حديثٌ حسنٌ.

ومَعنَى **عَنْ أفضَلِ العِبادَةِ** أىْ مِنْ أفضَلِ العِبادةِ وليسَ أفضلَها على الإطلاقِ. التّواضُعُ يُؤَدِّى إلى كسْبِ المعَالِى والدَّرجاتِ العالِيَةِ والتَّواضُعُ يكونُ للمُؤمنِ معَ الكبيرِ والصَّغيرِ معَ الشّريفِ والوَضِيعِ. الأنبياءُ لَولا تواضُعُهم ما أرشَدُوا النّاسَ. ثُمَّ التّواضُعُ لهُ جُزءٌ يَتبَعُهُ

(١) رواه الحافظ ابن حجر العسقلانِى فِى الأمالِى المطلقة.

وهوَ الحِلمُ، التّواضعُ والحِلمُ مَقرونانِ، قالَ بعضُ العلماءِ الحِلمُ زَينُ العلمِ اهـ

ومما يُروَى عَن سيّدِنا عيسَى عليهِ السّلامُ قولهُ فِى صفةِ أمّةِ محمّدٍ ﷺ **عُلماءُ حُكماءُ حُلماءُ كأنَّهم مِنَ الفِقهِ أنبياءُ**[١] اهـ مَعناهُ عُلماءُ أُمّةِ محمّدٍ هذهِ صِفَتُهم، ومِنْ كثرةِ ما يُرزَقُونَ مِنَ العِلمِ كأنَّهم أنبياءُ.

الحِلمُ جُزءٌ مِنَ التّواضعِ فليَكُنْ عمَلُ كُلٍّ منَّا معَ أخيهِ على هذا البابِ بابِ التواضُعِ والحِلمِ والإغضَاءِ أيِ المسامحةِ على الإساءةِ، أيْ يَنبغِى أنْ يكونَ المؤمنونَ مُتعامِلِينَ فيمَا بينَهُم على التَّغاضِى والعَفوِ والسَّماحِ.

ومِنْ ءادابِ الإسلامِ تَوقيرُ الكبيرِ ورَحمةُ الصّغيرِ. الكَبيرُ فِى السِّنِّ يَنبغِى أنْ يُقدَّمَ فِى المجلِسِ، وفِى الكلامِ يَنبغى أنْ يُنتَظرَ حتَّى يَبدأَ الكبيرُ فِى الكلامِ، إذا كانَ الكلامُ فيهِ مُشاوَرةٌ لَا يَنبغِى أنْ يَسبقَهُ الصّغارُ، ثُمَّ إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى روَى عنهُ رسولُ اللهِ أنهُ قالَ **حَقّتْ محبَّتِى للمُتحابّينَ فِيَّ وحقَّتْ محبَّتِى للمُتناصِحينَ فِيَّ وحقَّتْ محبَّتِى للمُتواصِلينَ فِيَّ وحقَّتْ محبَّتِى للمُتباذِلينَ فِيَّ**[٢] اهـ يَنبغِى أنْ نتحلَّى بهذهِ الأوصافِ حتَّى نَكونَ فِى الدّارِ الآخرةِ على سُرُرٍ متقابِلينَ.

ومما يَتبعُ التّواضُعَ التّطاوُعُ لأنَّ مَنِ التزَمَ التّواضُعَ

---

(١) رواه أبو نعيم فِى الحلية والحافظ ابن حجر باب مالك بن أنس بدون لفظ حلماء ونقله المناوِىّ فى فيض القدير وفيه لفظ حلماء.

(٢) رواه الشاشِى فِى مسنده باب عبد الرحمن بن أبِى علقمة عن عبد الله.

يَتطاوعُ معَ إخوانهِ فيَكثُرُ الخيرُ والنّفعُ، مُعاذُ بنُ جبلٍ رضِىَ اللهُ عنهُ وأبو موسَى الأشعرِىُّ رضِىَ اللهُ عنهُ الرّسولُ أرسلَهما إلى اليَمنِ لنَشرِ الإسلامِ[١] فكانَ كلُّ واحدٍ منهُما يَعملُ فِى جهةٍ، أحدُهما فِى الأراضِى المرتفِعةِ والآخَرُ فِى الأراضِى المنخفِضَةِ ثُمَّ بعدَ كلِّ وقتٍ يجتمعانِ فيستفيدُ كلُّ واحدٍ منهُما برأْيِ أخيهِ فعَظُمَ النّفعُ منهُما كثيرًا وهذهِ ثَمَرةُ التّطاوعِ والتّواضُعِ فيَنبغِى أنْ يكونَ سَيرُنا على هذا المِنوالِ.

ومعنَى التّواصلِ أنْ يَزورَ كلٌّ مِنَ المُتَحَابين فِى اللهِ أخاهُ أىْ لَا يَقطعُ عنهُ الزّيارةَ لأنهُ بالتّواصلِ تظهرُ الفائدةُ مِنَ الطّرفَيْنِ.

أمَّا التّباذلُ فمَعناهُ أنْ يُعطِىَ هذا الآخرَ شيئًا ما ولَو سِواكًا والآخرُ يُعطِى أخاهُ ما يَتيسّرُ لهُ وهذا مما يُقوّى التَّحابَّ. هذا الأدَبُ الإسلامِىُّ. فِى هذا الزَّمَنِ قلَّ تَوقيرُ الكبيرِ حتَّى إنَّ الابنَ قَد يتقدَّمُ أباهُ فِى صَدرِ المجلِسِ، هذا مِنْ قِلَّةِ الأَدَبِ فيَنبغِى تأدِيبُ الطُّلابِ فِى المدارِسِ وتَعلِيمُهم هذا الأدَبَ الحَسَنَ.

انتهى واللهُ تعالى أعلم.

---

(١) رواه البخارِى فِى صحيحه باب بعث أبِى موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع.

الدرس الثانى عشر



حكمُ مَسَبَّةِ المسلِم

درسٌ ألقَاهُ المحدِّثُ الفقيهُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ الشيبِىُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى سنةَ ثَمانٍ وتِسعِينَ أو تِسعٍ وتِسعِينَ وتسعمائة وألف وهو عنْ حُكم مَسَبَّةِ المسلِم ومَتَى يجوزُ الرَّدُّ بالمثلِ معَ بَيَانِ ما هو الأفضَلُ. سَمِعَهُ منه الشيخُ سميرُ بنُ سامِى القَاضِى والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ. قالَ رحِمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمّدٍ وعلى ءالِهِ وصحبِهِ الطيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وسلَّم.

أما بعد فعَن سُلَيْم بنِ جابِرٍ رَضِىَ اللهُ عنهُ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ **وإنْ أَحَدٌ عَيَّرَكَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِيكَ فلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فيهِ**(١) اهـ هذا الحديثُ أرادَ بِهِ رَسولُ اللهِ أنْ يُعلِّمَ أمَّتَهُ ما هوَ الأفضلُ وإلَّا فَقَدْ رَخَّصَ ﷺ فِى رَدِّ السَّبِّ بمِثلِهِ إنْ لم يَكُنْ ذلكَ كَذِبًا قالَ ﷺ **المُسْتَبَّانِ ما قالَا فعَلَى البَادِئِ منهُما حتَّى يَعتَدِىَ المظلُومُ**(٢) اهـ أىْ أنَّ الذِى يَرُدُّ بالمثلِ لَا إثمَ عليهِ، هُنا حدِيثانِ الحدِيثُ

(١) انظر معجم ابن الأعرابىّ. ورواه ابن حبان فِى صحيحه باب فصل من البر والإحسان وابن أبى شيبه وغيرهما بلفظ وإن امرؤ عيرك بشىء يعلمه فيك.
(٢) رواه البخارِىّ فِى الأدب المفرد باب المستبان ما قالا فعلى الأول.

الأَوَّلُ عَنْ سُلَيم بنِ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ **وإنْ أَحَدٌ عَيَّرَكَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِيكَ فلَا تُعَيّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ** اهـ مَعنَى هذا الحدِيثِ أَنَّ الأفضلَ أَنْ تَعفُوَ عَمَّنْ عَيَّرَكَ وشَتَمَكَ فلا تَرُدَّ عليهِ هذا الأفضَلُ لو شَتَمَكَ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ فيكَ أي افتَرَى عَلَيكَ فلَا تَرُدَّ عليهِ أيْ ذلكَ خَيْرٌ لكَ والحدِيثُ الثَّانِى **المسْتَبَّانِ ما قالا فعَلَى البَادِئِ منهُما حتَّى يَعتَدِىَ المظلُومُ** اهـ أىْ إنْ تَسَابَّ اثنَانِ فالذَّنْبُ عَلَى البَادِئِ، البَادِئُ هوَ الذِى عليهِ الوَبَالُ أمَّا الذِى رَدَّ بالمثلِ بلا كَذِبٍ فلَا إثمَ عليهِ لأنهُ أَخَذَ حَقَّهُ واستَوْفَى مِنَ السَّابِ الأَوَّلِ.

الحديثُ الأَوَّلُ يُحمَلُ عَلَى الاختِيَارِ أىْ عَلَى الحَالَةِ الفُضْلَى، والحَدِيْثُ الثَّانِى يُحْمَلُ عَلَى الجَوَازِ أىْ أَنَّهُ يَجُوزُ لِمَنْ سُبَّ أَنْ يَرُدَّ بالمثْلِ هذا إنْ لَم يَكُنْ كَذِبًا أَمَّا إذا إنسانٌ سَبَّ إنسانًا بِمَا ليسَ فيهِ فالمسبُوبُ ليسَ لهُ أنْ يَرُدَّ بالمثْلِ الذِى هوَ كَذِبٌ، إنْ كَذَبَ البَادِئُ فلِمَاذا يَكذِبُ الثَّانِى لماذا يَرُدُّ لهُ بالكَذِبِ، لَا يَرُدُّ، يَلْزَمُهُ أنْ لا يَرُدَّ بالمثْلِ لأَنَّهُ إنْ رَدَّ يكونُ كاذِبًا كَمَا أَنَّ الأَوَّلَ كذب، أَمَّا إنْ لَم يَكنْ كذِبًا فرَدَّ لهُ السّبَّةَ بالسّبَّةِ الوَاحِدَةِ مَا سَبَّهُ سبَّتَينِ بِسَبَّةٍ واحِدةٍ وإنَّما أَخَذَ حَقَّهُ استَوْفَى حَقَّهُ فليسَ عليهِ حَرَجٌ.

فعليكُم بالعَمَلِ بهذا الحدِيْثِ لأَنَّ أكثَرَ النَّاسِ إذا سُبَّ سبَّةً واحِدَةً يَزِيْدُ، فِى الغَالِبِ يَزِيدُونَ، فهذا الرَّادُّ لم يَسْلَمْ بِمَا أَنَّهُ زادَ، كِلاَهُمَا غَيرُ سالِمٍ. فمَنْ قِيلَ لهُ

يا ظَالِمُ فقالَ يا ظَالِمُ هذا أَخَذَ حَقَّهُ فليسَ عليهِ حَرَجٌ أمَّا إذا أضَافَ إلى ذلكَ سبَّةً أُخرَى فقالَ يا ظالِمُ يا لِصُّ فهذا وَقَعَ فِى ذَنْبٍ كَبيرٍ لأنهُ مَا اقتَصَرَ على قَدْرِ حَقِّهِ.

انتهى واللهُ سبحانَه وتعالى أعلَم.

الدرس الثالث عشر



الوضوء الموافقُ لطريقِ النبىّ والتحذيرُ مِن الوسوسة فيه وفى الصلاةِ

درسٌ ألقاه الفقيهُ الأصوليُّ الشيخُ عبدُ الله بنُ محمدٍ العبدرىُّ الهررىُّ رحمه الله تعالى وهو فى بيان ثوابِ الوضوءِ الموافِقِ لطريقِ النبىّ ﷺ مع الإخلاصِ لله تعالى والتحذيرِ من الوسوسة فى الطهارة والتحرُّم. سمعه منه الشيخ سمير بن سامى القاضى والشيخ نبيل ابن محمد الشريف. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمةُ وله الفضلُ وله الثناءُ الحسنُ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. صلواتُ اللهِ البَرِّ الرحيمِ والملائكةِ المقرَّبِينَ على أشرفِ المرسلينَ وخاتَمِ النبيين وشفيعِ المذنِبِينَ يومَ الدينِ وعلى جميع إخوانه الأنبياء والمرسلين.

أما بعدُ فإنَّ اللهَ تباركَ وتعالى تفضَّلَ على عبادِهِ المؤمنينَ بأنْ جعلَ حسناتِهم كفّاراتٍ لسيّئاتِهِم. قالَ اللهُ تعالى فى سورةِ هود ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ ولم يقل اللهُ تعالى إنَّ السيئاتِ يُذْهِبْنَ الحسناتِ وذلكَ لأنَّ رحمةَ اللهِ تعالى غَلَبَتْ غضبَهُ. رُوّينا فى الصّحيحِ

صحيحِ البخارِىّ وابنِ حِبّانَ **إنَّ اللهَ تعالى لما قضَى الخلقَ كتبَ فى كتابٍ فهوَ عندَهُ موضوعٌ فوقَ العرشِ إنَّ رحمتِى غلبَت غضبِى**[١] اهـ أى أنَّ مظاهرَ الرَّحمةِ غلبَت مظاهرَ الغضبِ، أما الرحمةُ بمعنى الصّفةِ مِن صفاتِ اللهِ والغضبُ بمعنى الصّفةِ مِن صفاتِ اللهِ فليسَ أحدُهما سابقًا والآخرُ مَسبوقًا بل كلتاهُما أزليَّتانِ، لكنَّ الرَّحمةَ إذا أُطلقتْ على مَظاهرِ الرَّحمةِ والغضبَ إذا أطلقَ على مظاهرِ الغضبِ فالرحمةُ هىَ السّابقةُ على الغضبِ وهىَ الغالبةُ على الغضبِ.

ومِن ءاثارِ ذلكَ كونُ الحسناتِ تُضاعَفُ للمؤمنِ، فكلُّ حسنةٍ يعمَلُها العبدُ مخلِصًا للهِ تعالى فى نِيَّتِهِ لا يُشْرِكُ فيها أحدًا غيرَ اللهِ أىْ لا يَطلبُ بهذِهِ الحسنةِ محمدةً منَ الناسِ ولا أنْ يَنظروا إليهِ بعَينِ الإجلالِ والإكرامِ وكانَت موافقةً لما جاءَ بِهِ الرّسولُ ﷺ تكتبُ الحسنةُ بعشرةِ أمثالها وقَد تُضاعَفُ إلى أكثرَ من ذلكَ. وأما السّيّئاتُ فالسيّئةُ الواحدةُ تُكتَبُ سيّئةً.

ثمَّ إنَّ الحسناتِ كثيرةٌ فالتسبيحةُ حسنةٌ أىْ قولُ سبحانَ اللهِ حسنةٌ، والتكبيرةُ أىْ قولُ اللهُ أكبرُ حسنةٌ، وكلُّ عملِ برّ حسنةٌ، حتى قولُ المسلمِ للمسلمِ السّلامُ عليكُم عندَ التَّلاقِى حسنةٌ. ثمَّ هذا مَن نوَى بِهِ وجهَ اللهِ

(١) صحيح البخارىّ باب وكان عرشه على الماء، ورواه ابن حبان فى صحيحه باب ذكر البيان بأن قوله ﷺ لما خلق الله الخلق أراد به لما قضى خلقهم.

تعالى تُكتَبُ لهُ الحسنةُ مِن هؤلاءِ بعشرةِ أمثالها وقَد تُضاعَفُ إلى أكثرَ مِن عشرٍ.

ومِن فَضْلِ اللهِ تباركَ وتعالى بمُضاعفةِ الحسناتِ أنْ جَعلَ اللهُ تبارك وتعالى الحسنةَ الواحدةَ تُذْهِبُ عددًا منَ السيّئاتِ. ومنَ الحسناتِ ما تَرْفَعُ عشرَ درجاتٍ لصاحِبها وتمحو عشرَ سيّئاتٍ لصاحِبها، وكلُّ هذا يا عبادَ اللهِ شَرطُهُ أن يُوافِقَ ما جاءَ بهِ رسولُ اللهِ ﷺ مِن شَرْعِهِ الشّريفِ فأما ما كانَ صُورتُهُ صورةً حسنةً ولم يوافقْ ما جاءَ بهِ رسولُ اللهِ ﷺ فإنَّ صاحبَهُ ليسَ لهُ هذا الثوابُ لذلكَ قالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ **مَن توضَّأَ كما أُمِرَ وصلَّى كما أُمِرَ غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ مِن ذَنبِهِ**[(١)] اهـ أيْ منَ الصّغائرِ أيْ مهما كانَ لهُ صغائرُ لو كانَت لهُ ءالافٌ مؤلَّفةٌ بل ملايين متعددة مَن فعلَ هذا انْمَحَى عنهُ كلُّ ذلكَ.

الوضوءُ يا عبادَ اللهِ شَرْطُ القَبولِ فيهِ الإخلاصُ ومُوافقَةُ هذا الوضوءِ الذى يتوضّأه المسلمُ وضوءَ رسولِ اللهِ ﷺ وذلكَ مشروحٌ فى كتبِ العلمِ.

ومنَ الأسبابِ التِى تُحَقّقُ هذا الثوابَ أنْ لا يُسْرِفَ فى الماءِ، فهؤلاءِ الذينَ يُسْرفونَ فى الماءِ عندَ الوضوءِ أىْ يُسرفونَ فى الماءِ المستعمَلِ فى غسلِ الأعضاءِ ليسَ لهم هذا الثوابُ الموعودُ بهِ فى الحديثِ الشريفِ.

---

(١) رواه النسائى فى سننه باب ثواب من توضأ كما أمر.

كذلكَ إذا زادَ فى غسلِ الأعضاءِ عَن ثلاثِ غسَلاتٍ للعضوِ فليسَ لهُ ذلكَ الثواب بَل يُفوّتُ ذلكَ عليهِ كلَّ ثوابِ الوضوءِ أو أغلَبَهُ فأنَّى تُمْحَى عنهُ صغائرهُ وإنَّما تُمحَى الصّغائرُ بالوضوءِ لمن أحسنَ الوضوءَ أىْ أتقنهُ أىْ توضّأ وضوءًا مُوافقًا لما جاءَ عَن رسولِ اللهِ ﷺ فمَن أرادَ أنْ يكونَ وضوؤُهُ فيهِ هذا الفضلُ العظيمُ فَلْيُطَبّقْ وضوءهُ على ما ذكرهُ الفقهاءُ فى كتبِهِم من حيثُ الأركانُ والشّروطُ وتَرْكُ ما يُذْهِبُ الثوابَ أو يُقَلِّلُهُ كالكلامِ الذِى لا خيرَ فيهِ فى خلالِ وضوئهِ.

ومنَ الشّروطِ فى حصولِ ذلكَ الثوابِ أنْ يكونَ هذا الماءُ الذى يتوضأ بهِ المسلمُ حَلالًا يجوزُ لهُ التّصرفُ فيهِ أما إذا لم يَكن كذلكَ فليسَ لهُ فيهِ ثوابٌ بالمرةِ.

وأما قولهُ ﷺ **وصَلَّى كما أُمِرَ** فالمعنى أنهُ يشترطُ لنَيْلِ هذا الفضلِ أنْ تكونَ الصلاةُ أيضًا كما أمرَ اللهُ أىْ بأنْ تكونَ الصّلاةُ صحيحةً مجزئةً مستوفيةً للشّروطِ والأركانِ وخاليةً عنِ المكروهاتِ فإذا كانت كذلكَ تَحَقَّقَ للمُصلّى هذا الفضلُ المرتَّبُ على الوضوءِ الموافقِ لشرعِ اللهِ ومعَ الصلاةِ الموافقةِ لشرعِ اللهِ.

وأما التقليلُ منَ الماءِ فهوَ مَرغوبٌ رغَّب الرّسولُ ﷺ فيهِ حيثُ إنهُ كانَ يتوضّأُ بالمدّ والمدُّ هوَ ملءُ الكفّينِ، كانَ يكفيهِ لوضوئهِ كُلِّهِ مِقدارُ مِلء الكفينِ منَ الماءِ، لكنهُ كانَ يزيدُ فى بعضِ الأحيانِ على ذلكَ القَدرِ إلى ستةِ أمثالهِ أى إلى ستةِ أمدادٍ فما كانَ منَ الماءِ مقدارَ

مدّ واحدٍ للوضوءِ وما زادَ على ذلكَ إلى ستةِ أمدادٍ فهوَ موافقٌ للسّنةِ أى لعملِ الرّسولِ ﷺ.

وأما ما زادَ على ذلكَ فَيُنْظَرُ إنْ كانَ فى الزيادةِ على هذا القدرِ زيادةٌ فاحشةٌ كانَ ذلكَ الوضوءُ غيرَ مقبولٍ عندَ اللهِ لأنهُ حصلَ الإسرافُ وأما ما لم تكنْ زيادتهُ فاحشةً فلا يصلُ إلى حدّ الكراهةِ فلا يُحرَمُ فاعلُهُ الثوابَ بالمرّةِ لكنْ لوِ اقتصرَ على القَدرِ المنقولِ عَن رسولِ اللهِ ﷺ أيِ المدّ الواحدِ الشّرعِىّ كانَ خيرًا أىْ أفضلَ فإنْ زادَ على ذلكَ إلى مُدَّيْنِ أو إلى ثلاثةِ أمدادٍ أو أربعةِ أمدادٍ أو خمسةٍ أو ستةٍ كانَ ذلكَ جائزًا لا بأسَ بهِ لا يُحرَمُ المتوضئُ بهِ منَ الثوابِ، لكنْ ذكرَ الفقهاءُ أنهُ يُسْتَحَبُّ أنْ يكونَ ماءُ الوضوءِ مُدًّا مِن أَجْلِ ما رُوِىَ عَن رسولِ اللهِ ﷺ فى الصّحيح أنهُ كانَ يتوضّأُ بمُدّ رواهُ أنسُ بنُ مالكٍ وروَى أيضًا أنَهُ توضّأَ بمكّوكٍ والمكُّوكُ هوَ على أحدِ التفاسيرِ ستةُ أمدادٍ وذلكَ حِكمةٌ مِن رسولِ اللهِ ﷺ حيثُ توضّأَ مرّةً بقَدرِ ستّةِ أمدادٍ لأنَّ الإنسانَ فى بعضِ حالاتهِ يكونُ مُسرعًا مُستعجِلًا وفى بعضِ حالاتهِ متأنّيًا، وفى حالةِ الإسراعِ الشّديدِ الشّخصُ منّا لا يُسبغُ وُضوءَهُ بالـمُدّ الواحدِ ولأنَّ أهلَ المِهَنِ والحِرَفِ يحتاجونَ فى الوضوءِ منَ الماءِ ما لا يحتاجهُ غيرُهم والرّسولُ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ بَعَثَهُ اللهُ مُعَلِّمًا للناسِ فى فعلِهِ وقولِهِ. هذا الحديثُ حديثٌ فِعْلِىٌّ. أنسُ بنُ مالكٍ رضِىَ اللهُ عنهُ قالَ كانَ رسولُ

اللهِ ﷺ يتوضّأُ بمُدّ ويغتسلُ بأربعةِ أمدادٍ[١] ثمَّ هوَ أيضًا روَى الروايةَ الثانيةَ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يتوضّأ بمَكّوكٍ ويغتسلُ بخمسةِ مكاكيكَ[٢]. كِلا الحديثينِ ثابتٌ صحيحٌ عَن رسولِ اللهِ ﷺ هذا الحديثُ حديثٌ فِعْلِيّ لأنهُ لم يُذكَر فيهِ قولٌ للرّسولِ إنما أنسٌ الذِى كانَ يُشاهِدُ وضوءَهُ وكثيرًا مِن أفعالهِ روَى ذلكَ عنهُ ﷺ ورضِىَ اللهُ عن أنسٍ.

ومما يَحْرِمُ الثوابَ المذكورَ فى هذا الحديثِ الصّحيحِ **مَن توضّأَ كما أُمر وصلَّى كما أُمرَ غُفرَ لهُ ما تقدَّمَ مِن ذَنبهِ** اهـ الوسوسةُ التى تُؤَدِّى بصاحِبها إلى الإسرافِ فى الماءِ. كثيرٌ منَ الناسِ يُسرفونَ فى الماءِ بسببِ الوسوسةِ. ذُكرَ لِى عَن رجلٍ أنهُ كانَ فى سفرٍ إلى تركيا فنَزلَ بأوتيل أى فندق فكانَ يتوضّأ ويُسرفُ حتى كادَ بعضَ المرّاتِ أن يَنْفَدَ الماءُ الذى فى الفندقِ مِن شدّةِ إسرافهِ، اللهُ تعالى يُعافينا من هذهِ الوسوسةِ، هذا حُرِمَ الثوابَ ووقعَ فى المعصيةِ لأنَّ صاحبَ الفندقِ لا يَرْضَى أن يَستنفِدَ الماءَ الذِى فى الأوتيل، وقعَ فى ذنبٍ كبيرٍ وحُرِمَ الثوابَ. وذكرَ بعضُ الفقهاءِ الشافعيينَ مِن أحوالِ الـمُوَسْوِسِينَ أنَّ أحدَهم دخلَ النِّيلَ لِيُسْقِطَ الجنابةَ عَن نفسهِ فظلَّ إلى غروبِ الشَّمسِ فى النيلِ وقالَ اليومَ ما صَحَّ لِى أعودُ غدًا قالَ ما صحَّ

(١) رواه مسلم باب القدر المستحب من الماء فى غسل الجنابة.

(٢) كما رواه النسائِىّ فى سننه.

غُسلِى اليومَ وهوَ فى النيلِ.

والوسوسةُ فى الصلاةِ أشدُّ فمنَ الناسِ مَن لا يكتفونَ بالتكبيرةِ الواحدةِ حتى يُكبّروا بضعَ تكبيراتٍ أو أكثرَ مِن عشرِ تكبيراتٍ إما شكًّا بصحةِ اللفظِ وإما شكًّا فى اقترانِ النيةِ بهذهِ التكبيرةِ، هذا الشخصُ عليهِ أنْ يرحَمَ نفسَهُ فإما يطردُ هذهِ الوسوسةَ بالمرَّةِ وإما أن يَعْدِلَ إلى مذهبِ الإمامِ مالكٍ. فى مذهبِ الإمامِ مالكٍ وأبى حنيفةَ وأحمدَ بنِ حنبلٍ لا يُشترطُ أنْ يَنوِىَ الرجلُ فعلَ الصَّلاةِ التى يُصلِّيها ضمنَ التكبيرِ بل إذا نوَى قبلَ التكبيرِ بمدّةٍ يسيرةٍ صحَّ تكبيرهُ صحّت نيتهُ فَلْيَعْدِلْ إلى هذا المذهبِ حتى يُريحَ نفسَهُ مِن هذا التّعبِ الذى لا خيرَ فيهِ إلى أن يُنْهِكَ قُوَى جسمهِ ويضيعَ وقتهُ وقَد يشوّشُ على مَن حولَهُ، عندَما يَشعرُ مَنْ حَوْلَهُ بحالهِ هذهِ يَستاءُ منهُ فيذهبُ عليهِ بعضُ صَفْوِهِ هذا الإنسانُ الذى هوَ حولَهُ يَفقدُ بعضَ صَفوِهِ. ومنهُم مَن تكونُ وَسْوَسَتُهُ فى حروفِ الفاتحةِ وهؤلاءِ أيضًا لو رَحموا أنفسَهم بالأخذِ بمذهبِ مالكٍ كانَ خيرًا لهم. فى مذهبِ مالكٍ المأمومُ إذا لم يقرأ الفاتحةَ ما عليهِ شىءٌ ليسَ واجبًا على المأمومِ أن يَقرأ الفاتحةَ بل قراءةُ الإمامِ تكفِى أو يقرأ بتحريكِ اللسانِ فقطْ مِن غيرِ أن يُسمِعَ نفسهُ، يحرّكُ لسانهُ مِن غيرِ أنْ يُسمِعَ نفسهُ الحرفَ، يحرّكُ لسانَهُ فى مواقعِ الحروفِ ويكتفِى بذلكَ مِن غيرِ أنْ يُسمِعَ نفسَهُ حرفًا مِنَ الحروفِ لا سِينًا ولا

صَادًا ولا غيرَ ذلكَ، يُريحُ نفسَهُ ويعتبرُ ذلكَ قراءةً صحيحةً عندَ الإمامِ مالكٍ رضىَ اللهُ عنهُ. وإنا للهِ وإنا إليهِ راجعونَ.

انتهى والله أعلم.

الدرس الرابع عشر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أهلُ السُّنَّةِ لا يَختَلِفُونَ فى أُصُولِ العقيدةِ والتحذيرُ مِنَ الفِرَقِ الثَّلاثِ التِى خالَفَتْهُم

درسٌ ألقاهُ الأصولِيُّ الفقيهُ الشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدريُّ رحمه اللهُ تعالى رحمةً واسعةً وهو فى بيانِ أنَّ أهلَ السُّنَّةِ لا يَختَلِفُونَ فى أُصُولِ العقيدةِ والتحذيرِ منَ الفِرَقِ الثَّلاثِ التى خالفَتْهُم. سمِعَهُ منه الشَّيخُ جميلُ بنُ محمَّدٍ حَلِيم والشيخُ سميرُ بنُ سامى القاضى والشيخُ نبيلُ بنُ محمَّدٍ الشَّريفُ والشَّيخُ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ محمَّدٍ الشَّريفُ والشَّيخُ محمَّدُ بنُ مُصطفى البَكريُّ. قال رحمه اللهُ تعالى رحمةً واسِعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِينَ والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وعلى ءالِهِ وصَحْبِهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهِرينَ

أما بعد فإنّ المذاهِبَ الأربعةَ لَا يَختَلِفُونَ فى أُصُولِ العقيدةِ إنما يَختَلِفُونَ فى بعضِ الأَحكامِ كبعضِ أحكامِ الصّلاةِ وبعضِ أحكامِ الحجِّ والنِّكاحِ والطَّلاقِ فى هذا يَختَلِفُونَ أَمَّا فى أُصُولِ العقيدةِ لَا يَختَلِفُونَ. واختِلافُهُم هذا ليسَ عَيْبًا فى الدِّينِ لأنَّ الصَّحابةَ أيضًا فى الأحكامِ اختَلَفُوا فى بعضِ مسائلِ الصَّلاةِ والصِّيامِ والحجِّ والطَّلاقِ والنِّكاحِ اختَلَفُوا مِن غيرِ أن يَختَلِفُوا

فى أُصولِ العقيدةِ وذلكَ لِأنَّ المُخالَفَةَ فى أُصُولِ العقيدةِ ضَلَالٌ وزَيْغٌ. فمِنْ أَوْجَبِ الواجِباتِ تَعلِيمُ عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ الصِّغارَ والكِبارَ اليَومَ لِأَنَّهُ انْدَسَّ بينَ المُسْلِمِينَ أُناسٌ عقيدَتُهم ضِدُّ عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ كالوهَّابِيَّةِ. الآنَ النَّاسُ انتَبَهُوا لِفَسادِ الشَّبابِ الذِينَ يَذهَبُونَ إلى السُّعُودِيَّةِ يَدْرُسُون فى مَدْرَسةِ الوهّابيّةِ ثُمَّ يَعُودُونَ إلى بلادِهِم فيُكفِّرُونَ ءاباءَهُم ويُكفِّرُونَ الأَولِياءَ أَصحابَ المَشَاهِدِ يَقُولُونَ هذهِ أَصنَامٌ وأنتُم تَعبُدُونَها لِأَنَّهُم يَجِدُونَ ءاباءَهُم وأُمَّهاتِهِم يَتبَرَّكُونَ بزيارةِ الأنبياءِ والأَولِياءِ وهُم يَعتقِدُونَ أَنَّ هذا شِرْكٌ فيُكفِّرُونَهُم ويُكفِّرُونَ الذِى يَقُولُ يا محمَّدُ يا عَلِيُّ يا عُمَرُ يا عُثمانُ يا عبدَ القادِرِ هُوَ عندَهُم مُشرِكٌ حَلالُ الدَّمِ[(١)] حتى إنّهم قَتَلوا فى أيَّامِ مؤسِّسِ الوهّابيّةِ محمّدِ بنِ عبدِ الوهّابِ رجُلًا مُؤَذِّنًا أَعمَى قالَ بعدَ الأذانِ الصّلاةُ والسّلامُ عليكَ يا رسولَ اللهِ كعادةِ المسلمينَ فى الشَّرقِ والغَرْبِ منذُ سبعِمائةِ سنةٍ قالوا لهُ هذا المؤذِّنُ صلَّى على النّبىّ بصوتِ الأذانِ بعدَ الأَذانِ فأمَرَ بقَتلِهِ فقُتِلَ معَ أنَّ الصّلاةَ على النّبىّ بعدَ الأَذَانِ أمْرٌ جائزٌ ليسَ فيهِ كراهةٌ[(٢)]. المسلِمُونَ مِن سبعِمائةِ سنةٍ وزيادةٍ يُصَلُّونَ

---

(١) محمدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ قال مَن دَخَلَ فى دعوتِنا فَلَهُ ما لنا وعليه ما علينا ومَن لَمْ يَدخُلْ فى دعوتِنا فهو كافِرٌ حلالُ الدَّم نَقَل ذلك عنه مفتى مكةَ أحمدُ بنُ زينى دحلان والعالِمُ العلَّامةُ الحَنبلىُّ محمَّدُ بنُ عبد اللّه بنِ حُمَيد مفتى الحنابلةِ بمكّةَ المُشرَّفَةِ فى القرنِ الثَّالثَ عشرَ الهجرى فى كتابه السُّحبِ الوابلة على ضرائح الحنابلة.

(٢) قال رسول الله ﷺ مَنْ ذُكِرْتُ عندَهُ فليُصَلِّ عَلَيَّ. رواه الحاكم فى=

على النّبىّ بعدَ الأَذانِ جَهْرًا أمَّا أيَّامَ الرّسُولِ ﷺ وما بعدَ ذلكَ إلى هذا التّاريخ فلَم يَكُونُوا يُصَلُّونَ على النّبىّ جَهرًا بعدَ الأذانِ لَكِنَّ الرَّسُولَ مَا قالَ لَا تُصَلُّوا علَىَّ بعدَ الأذانِ إلَّا سِرًّا. رَخَّصَ لأُمَّتِهِ بالحالَينِ. أمَّا عندَ الوهّابيّةِ إذا صلَّى على الرَّسُولِ جهرًا بعدَ الأَذانِ فهو ضالٌّ مبتدِعٌ يَستَحِقُّ القتلَ.

هؤلاءِ الوهّابيّةُ شَرُّهُم كبيرٌ فحَذِّرُوا منهُم. منذُ ثمانِينَ سنةً حَكَمُوا مَكّةَ والمدينةَ جاءُوا مِن مسافةِ ألفِ كيلومتر، أَصْلُهُم فى أرضٍ تَبْعُدُ مِن مكّةَ ألف كيلومتر ثُمَّ مُنذُ ثمانينَ سنةً جاءوا إلى مكّةَ والمدينةِ والطَّائفِ احتَلُّوا هذهِ البِلادَ، قبلَ ذلكَ الشَّريفُ كانَ يَحكُمُها تحتَ الخِلافةِ العُثمانِيَّةِ فاحذَرُوهُم وحَذِّرُوا مِنهُم الشَّبابَ.

الشَّبابُ الذينَ يَذهَبونَ مِن إفرِيقيَةَ أو السُّودانِ أوِ الحبشةِ أو الهِندِ والباكِستانِ والمَغرِبِ، الشَّبابُ الذِينَ يُرِيدُونَ أن يَعِيشُوا فى المدينةِ مَثَلًا ويَدخُلُونَ مدرسةَ الوهّابيّةِ ويَتَعَلَّمُونَ عندَهم هُمُ الذينَ يَرجِعونَ إلى بلادِهم فيَتكلَّمُونَ بهذا الكلامِ.

هوَ إذا قالَ الشَّخصُ اللهم اقضِ حاجَتِى اللهم فَرّجْ كُرْبَتى بدُونِ تَوَسُّلٍ بنبىّ أو ولِىّ جائزٌ ومقبُولٌ وإنْ قالَ اللهم اقضِ حاجتى بجاهِ نبيّكَ محمّدٍ أو بجاهِ أبى بكرٍ أو بجاهِ عُثمانَ جائزٌ. الأصلُ أنْ يُقالَ اللهم اقضِ

= المستدرك، وذكره السَّخاوى فى كتابه القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشّفيع.

حاجَتِى هذا هوَ أكثرُ أحوالِ المسلِمِينَ لَكِنْ هذا التوسُّلُ لهُ أصلٌ مِن حديثِ الرَّسُولِ ﷺ. جاءَ رَجُلٌ أعمى فقالَ يا رسولَ اللهِ ادعُ اللهَ لى أَنْ يَكشِفَ بَصَرِى إلى ءاخِرِ حديثِ الأَعمى[١]. هذا الأَعمَى تَوَسَّلَ بالرَّسُولِ فَفُتِحَ بصرُهُ فى الحالِ فرَجَعَ إلى الرّسولِ وكانَ بَعدُ فى مكانهِ الذى كانَ فيهِ جالسًا لـمَّا جاءَهُ. ثُمَّ ذاكَ الدّعاءُ الذِى دَعا الأعمَى بهِ المسلِمُونَ يَستَعمِلُونَهُ مِن ذلكَ الوقتِ حتى الآنَ رواهُ البَيهَقِىُّ والطَّبَرَانِىُّ والتِّرمذِىُّ وابنُ ماجَه وابـنُ الـسُّـنِّـى والـنّـووىُّ فـى الأذكـارِ وخَـلْـقٌ كـثـيـرٌ والمسلِمُونَ لم يَزَالُوا يَعمَلُونَ بهِ منذُ أيَّامِ الصّحابةِ إلى زَمانِنا هَذا.

المسلِمُونَ أحيانًا يَتَوسَّلُونَ بالرَّسُولِ وأحيانًا يَدْعُونَ مِن دونِ توسُّلٍ. هذا جائِزٌ وهذا جائِزٌ. الوهّابيّةُ يقولونَ فى حُضُورِهِ فى حياتِهِ يجوزُ أمَّا بعدَ وَفَاتِهِ هذا حَرَامٌ بل يَقُولُونَ هذا شِرْكٌ وكذلكَ فى حياتِهِ فى غيرِ حَضْرَتِهِ يقولونَ حرامٌ. يُخالِفُونَ أهلَ السُّنَّةِ. فى أيَّام عُمَرَ رضىَ اللهُ عنهُ انقَطَعَ المَطَرُ فجاءَ أهلُ المدينةِ فَذَهَبَ رَجُلٌ

(١) روى الطبرانى فى المعجم الكبير أن رسول الله ﷺ أتاه ضريرٌ وشكَى إليه ذهاب بصره فقال له النبىّ ﷺ فتَصَبَّرْ فقال يا رسول الله ليس لى قائدٌ وقد شقَّ عَلَيَّ فقال النبىُّ ﷺ ائتِ الميضأة فتوضأ ثم صلِّ ركعتين ثم قُل اللَّهُمّ إنِّى أسأَلُكَ وأتوجَّهُ إليكَ بنبينا محمَّدٍ نبىّ الرحمةِ يا محمَّدُ إنِّى أتوجَّهُ بكَ إلى ربِّك عز وجل فيقضِى لى حاجتِى قال ابنُ حُنَيفٍ فواللهِ ما تفرَّقنا وطال بنا الحديثُ حتى دخَل علينا الرجلُ كأنه لم يكنْ به ضُرٌّ قَطُّ.

إلى قبرِ الرَّسُولِ ﷺ وقالَ يا رسولَ اللهِ اسْتَسْقِ لأُمَّتِكَ فإنَّهُم قَد هلَكُوا فجاءَ الرَّسُولُ هذا الرَّجُلَ فى المَنام فقالَ لهُ أَقْرِئْ عُمَرَ السَّلامَ وقل لهُ إنَّهُم يُسْقَونَ فذَهَبَ الرَّجُلُ فأَخبَرَ عُمَرَ فبَكَى عُمَرُ ولَم يُنكِرْ عليهِ[١]، مَا قالَ كيفَ تَذهَبُ إلى قبرِ الرَّسُولِ أنتَ قُلْ لِنفسِكَ يا ربِّ اسقِنا الغَيْثَ الرَّسُولُ ماتَ لِمَ تطلُبُ منهُ الدُّعَاءَ، مَا قالَ لهُ إنّما عُمَرُ رضىَ اللهُ عنهُ بكَى ثمَّ اللهُ سَقَاهُمُ المَطَرَ فكانَ ذلكَ العَامُ عَامَ رَخَاءٍ وخِصْبٍ بعدَ نزولِ المطرِ. هذا حالُ المسلمِينَ منذُ أيَّامِ الصَّحَابَةِ، مَن شاءَ يَتَوَسَّلُ ومَن شاءَ لا يَتَوَسَّلُ. هذا جائزٌ وهذا جائزٌ. والرّسولُ ﷺ عَلَّمَنَا التّوسُّلَ بهِ. مَا قالَ لَا تَتَوَسَّلُوا بِى ولا بِغَيرِى فى غِيابِى أو بعدَ مَوتِى ومَع هذا الوهّابيّةُ يُحرِّمُونَ إلَّا فى حياةِ الرَّسُولِ وفى حُضورِهِ.

كثيرٌ مِنَ الذِينَ يقالُ لهم مَشايِخُ أضَاعُوا الحقَّ فى هذهِ البِلادِ وفى أكثرِ البِلَادِ، لا يُبيِّنُونَ لِلنَّاسِ مَنِ الفِرَقُ الكافِرَةُ. لَا يُبيِّنُونَ أَنَّهُم كُفَّارٌ. لو حذَّرُوا وبَيَّنُوا كانَ النّاسُ يَنْكِفُونَ عنْهُم.

الوهَّابيَّةُ وحزبُ سيِّد قُطُب وحزبُ التَّحرِيرِ ضُلَّالٌ، بحُكْم الشَّرْعِ هُمْ ضُلَّالٌ، الوهّابيّةُ يُشَبِّهُونَ اللهَ بخَلْقِهِ، يُجسِّمُونَ اللهَ أى يَجعَلُونَ اللهَ جِسْمًا، جَعَلُوا اللهَ جِسْمًا، والمُجَسِّمُ كافِرٌ لأَنَّهُ ما عَرَفَ اللهَ. اللهُ خالِقُ الجِسْمِ كيفَ يكُونُ جِسْمًا، هم جاهِلُونَ باللهِ، هم لا

---

(١) رواه البيهقى فى دلائل النبوة.

يعرِفُونَ اللهَ، ما عَرَفُوا اللهَ، هُمْ تَخَيَّلُوا شَيْئًا فوقَ العرشِ فعَبَدُوهُ، عَبَدُوا شيئًا ليسَ مَوجُودًا ولم يَعبُدُوا اللهَ تعالى.

وأما القُطْبِيَّةُ جماعةُ سيِّد قُطُب فيُكفِّرُونَ كلَّ مَن ليسَ منهُم، فَهُمْ لِذلِكَ كُفَّارٌ. وفى عقيدتِهم فَسَادٌ ءاخَرُ لأنَّ سيِّد قُطُب جَعَلَ اللهَ جِسمًا، قالَ اللهُ حقيقةً فى كُلِّ مكانٍ مَعَنَا اهـ جَعَلَ اللهَ جِسْمًا مُنْتَشِرًا مع العالَم مع الخَلْقِ معَ البَشَرِ، يَتنقَّلُ مَعَهُم ويَحُلُّ مَعَهُمْ حيثُ حَلُّوا.

وأَمَّا حِزْبُ التَّحرِيرِ فإنَّهُم يعتقِدُونَ أنَّ اللهَ خالِقُ أجسامِنَا ليسَ خالِقَ أعمالِنَا الاختِيَارِيَّةِ. فَهُمْ كذَّبُوا الآيةَ فى سورةِ الزُّمَر ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ والآيةَ الأُخرَى فى سورةِ الصَّافَّاتِ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ وكَذَّبُوا حديثَ البُخارِىّ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا قَفَلَ (أى رَجَعَ) مِنْ حَجّ وعُمرةٍ وغَزْوٍ يقُولُ **لا إله إلا اللهُ وحدَهُ صدَقَ وعدَهُ ونصَرَ عبدَهُ وهزَمَ الأحزابَ وحدَهُ**[1] الصَّحَابَةُ كانُوا قَاتَلُوا وهَزَمُوا الكُفَّارَ بحَسَبِ الظَّاهِرِ لَكِنْ بحَسَبِ الحَقِيقَةِ مَن الذِى هَزَمَهُم، اللهُ، ظاهِرًا هَزَمُوا وصورةً هَزَمُوا أمّا هذا الهَزْمُ مِنَ اللهِ قالَ **وهَزَمَ الأحزابَ وحدهُ** اهـ معناهُ أنَّ اللهَ هو الذى خَلَقَ هذا الهَزْمَ الذى هوَ صورةً فِعلُ الصَّحابةِ، فحِزْبُ التَّحريرِ كافِرُونَ بالآيةِ وهذا الحديثِ.

(١) رواه البخارى فى صحيحه باب ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو.

لكنَّ حِزبَ التَّحرِيرِ مَا ظَهَرَ مِنهُم استِحْلالُ قتلِ مَن ليسَ منهُم أمَّا الوهابيّةُ وحزبُ سيِّد قُطُب فيَستحِلُّون قَتْلَ مَن ليسَ منهُم.

ثُمَّ الوهّابيّةُ لأجلِ المالِ مالِ السُّعُودِيّةِ يَمْدَحُهُم بعضُ مَن يدَّعِى العِلْمَ وبعضُ النَّاسِ يقُولُونَ كيفَ نُكفِّرُهُم وهُمْ يقولونَ لا إله إلا اللهُ، الجوابُ أنَّ هؤلاءِ لو قالوا لا إله إلا اللهُ قِسْمٌ منهُم وهُمُ الوهّابيّةُ جَعَلُوا اللهَ جِسمًا والمجسِّمُ كافرٌ كما قالَ الشّافعىُّ رضِىَ اللهُ عنهُ[١] وأبو حنيفةَ[٢] ومالكٌ[٣] وأحمدُ بنُ حنبلٍ. قالَ أحمدُ بنُ حنبلٍ مَن قالَ اللهُ جِسْمٌ لا كالأجسام كَفَرَ[٤] اهـ لأنَّهُ لَا معنى لقولِ لا كالأجسام بعدَ قولِ إنهُ جِسمٌ، لَا يَنفعُهُ قولُهُ لا كالأجسامِ. ثُمَّ هُم يُكفِّرُونَ المُؤمِنِينَ، عندَهم قولُ يا محمَّدُ بعدَ مَوتِهِ كُفْرٌ، والأُمَّةُ مُتَّفِقُونَ على جوازِ ذلكَ فى حالِ حياتِهِ فى غيرِ وجهِهِ وبعدَ موتِهِ وأما فى حالِ حياتِهِ فى وجهِهِ فحَرَّمَهُ اللهُ بعدَ أنْ كانَ جائزًا.

ثمَّ بعدَ وفاتِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسّلامُ الصّحابةُ كانُوا

---

(١) نقله عنه السيوطىّ فى الأشباه والنظائر.

(٢) قال فى الفقه الأبسط فمن قال لا أعرف ربى أفى السماء أم فى الأرض فهو كافر كذلك من قال إنه على العرش ولا أدرى العرش فى السماء أو فى الأرض اهـ

(٣) قال ابن حجر فى المنهاج القويم واعلم أن القرافى وغيره حكَوا عن الشافعى ومالك وأحمد وأبى حنيفة رضى الله عنهم القولَ بكفر القائلين بالجهة والتجسيم وهم حقيقون بذلك اهـ

(٤) نقله صاحب الخصال عن أحمد بن حنبل.

يقولونَ يا محمّدُ والأُمَّةُ يقُولُونَ إلى يومِنا هذا. أيّامَ سيّدِنا أبى بكرٍ، أَرْسَلَ أبو بكرٍ جَيْشًا إلى اليَمامةِ لأنَّ قِسمًا منهُم كانُوا مسلِمِينَ ثُمَّ لَمَّا مَاتَ الرَّسُولُ كَفَرُوا وبعضُهُم كانَ كافِرًا مِن قَبْلِ وَفاتهِ ﷺ وكانَ أميرُ الجَيْشِ خالِدَ بنَ الوليدِ وكانَ شِعارُهُم يا محمَّدَاهُ، هذا يَروِيْهِ المُحَدِّثُونَ بالإسنادِ أمَّا الوهّابيّةُ تُكفِّرُ مَن يَقُولُ يا محمَّدُ فَهُم كَفَّرُوا الصّحابةَ ومَن بعدَهم فكيفَ لا يُحْكَمُ بكُفرِهِم.

التَّحذِيرُ مِن هؤلاءِ الفِرَقِ الثَّلَاثِ فَرضٌ وإهمَالُ أداءِ هذا الفَرضِ هَلَاكٌ فإنَّ تَرْكَ إنكارِ المُنْكَرِ مِنَ الكبائرِ. باركَ اللهُ بكُم وفيكُم وجَعَلَكُم منَ العامِلينَ.

انتهى واللهُ تعالى أَعلَمُ.

الدرس الخامس عشر



شرحُ حديثِ إنَّ اللهَ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ

درسٌ ألقاه المحدّثُ الفقيهُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدرِيُّ الهررِيُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى سنةَ ثمانٍ وتسعينَ وثلاثمائة وألف وهو فِى بيانِ شَرْحِ حَدِيْثِ إنَّ اللهَ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظ وأنَّ المالَ الصالِحَ للرجُلِ الصالِحِ ممدوحٌ. سَمِعَهُ منه الشيخُ سميرُ بنُ سامِى القَاضِى والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ. قال رحمه اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمدٍ وعلى ءالِهِ وأصحابِهِ الطيبِينَ الطاهِرِينَ.

أما بعدُ فقد رَوَينا بإسنادٍ مُتَّصِلٍ صَحيحٍ فِى صَحيحِ ابنِ حِبَّانَ رحِمَهُ اللهُ أنَّ نبِيَّ اللهِ ﷺ قالَ **إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ سَخَّابٍ بالأسواقِ جِيْفَةٍ باللَّيْلِ حِمَارٍ بالنَّهارِ عَارِفٍ بِأَمْرِ الدُّنيا جَاهِلٍ بأَمْرِ الآخِرَةِ**(١) اهـ سَمَّى رَسولُ اللهِ ﷺ فِى هذا الحدِيثِ أُنَاسًا وَصَفَهُم بهذِهِ الصِّفَاتِ، الصِّفَةُ الأُوْلَى أنْ يكونَ المرءُ جَعْظَرِيًّا وهُوَ

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه باب ذكر الزجر عن العلم بأمر الدنيا مع الانهماك فيها والجهل بأمر الآخرة ومجانبة أسبابها.

الرَّجُلُ الْمُسْتَكْبِرُ. وأمَّا الجَوَّاظُ فهُوَ الجَمُوعُ الْمَنُوعُ أيِ الذِى يحرِصُ على جَمْعِ المالِ بِنِيَّةٍ فَاسِدَةٍ وهِىَ أنْ يَكونَ جَمْعُهُ للمَالِ حُبًّا بالمالِ مِنْ حيثُ ذاتُهُ لِيَتَوَصَّلَ لإِشْبَاعِ شَهَواتِهِ المحَرَّمَةِ ولِيَفْخَرَ ويَتَكَبَّرَ على عِبَادِ اللهِ، ليسَ يَجْمَعُ المالَ مِنْ طَرِيقِ الحلالِ لِيَصْرِفَهُ فيمَا أَحَلَّ اللهُ لأنَّ الذِى يجمَعُ المالَ لِيَصْرِفَهُ بالحَلالِ لَا لِيَفْخَرَ بهِ على النَّاسِ ولا لِيَبْطَرَ بِهِ بَطَرًا ولا لِيَتَوَصَّلَ بهِ إلى الشَّهَوَاتِ المحَرَّمَةِ فإنَّ ذلكَ ليسَ بمَذمُوم لأنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لَم يَذُمَّ المالَ ذَمًّا مُطلَقًا ولَا مَدَحَهُ مَدْحًا مُطلقًا، المالُ منهُ ما يُذَمُّ ومنهُ ما يُمدَحُ فالمالُ المذمُومُ هوَ المالُ الذِى يجمَعُهُ المرءُ مِنْ حَرام فلَا يُبَالِى جامِعُهُ مِنْ حَلالٍ أَخَذَهُ أمْ مِنْ حَرام أو يجمَعُ المالَ لِيَقْضِىَ بهِ شَهواتِهِ المحرَّمَةَ أىْ لِيُشْبِعَ نفْسَهُ مِنْ شَهواتِهِ المحرَّمَةِ أو لِيَفْخَرَ بهِ على الناسِ أو لِيَتَكَبَّرَ فهذا هوَ المالُ المذمُومُ، وأمَّا المالُ الذِى يجمَعُهُ المرءُ المسلِمُ مِنْ حَلالٍ بِنِيَّةِ أنْ يَستُرَ بِهِ نَفسَهُ أو يَنْفَعَ بهِ نفسَهُ أو غيرَهُ أو يُنْفِقَهُ على أولادِهِ وعلى أَبَوَيْهِ وغيرِهِمَا مِنْ أقَارِبِهِ بِغَيْرِ نِيَّةِ التَّوَصُّلِ إلى الفَخْرِ والتَّكَبُّرِ على النَّاسِ فإنَّ ذلكَ المالَ ليسَ بمَذمُوم ودَلِيْلُنَا على ذلكَ ما رواهُ الإمامُ أحمدُ وابنُ حِبَّانَ بالإسنادِ الصَّحِيح أنَّهُ ﷺ قالَ لعَمْرِو ابنِ العَاصِ **نِعْمَ المالُ الصَّالِحُ للرَّجُلِ الصَّالِحِ**[١] اهـ

(١) رواه أحمد فِى مسنده باب حديث عمرو بن العاص عن النبىّ ﷺ وابن حبان فِى صحيحه باب ذكر الإباحة للرجل الذِى يجمع المال من حله إذا قام بحقوقه فيه.

والمالُ الصّالحُ هوَ المالُ الذِى يجمَعُهُ المرءُ ويَكتَسِبُهُ بطَرِيقٍ حَلالٍ، وأمَّا الرجُلُ الصالِحُ فهوَ الإنسانُ المؤمِنُ الذِى يقُومُ بحُقُوقِ اللهِ تعالى وحُقُوقِ العِبَادِ، يَعْرِفُ مَا افتَرَضَ اللهُ عليهِ ويُؤَدِّيه ويَعرِفُ ما حرَّمَ اللهُ عليهِ ويجتَنِبُهُ، يُصَلِّى كَمَا أَمَرَ اللهُ ويَصُومُ كَمَا أَمَرَ اللهُ ويُزَكِّى كَمَا أَمَرَ اللهُ ويَأْمُرُ بالمعرُوفِ ويَنْهَى عنِ المنكَرِ فإنَّ الأمرَ بالمعرُوفِ والنَّهْىَ عنِ المنكَرِ مِنْ جُملَةِ الفُرُوضِ التِى افتَرَضَهَا اللهُ على عِبَادِهِ وذلكَ شَأْنُ مَنْ مَدَحَهُمُ اللهُ تعالى بقَوْلِهِ فِى سُورةِ ءالِ عِمرانَ ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ أُمَّةُ محمَّدٍ ﷺ هُم أفضَلُ أُمَمِ الأنبِياءِ هُم أكثرُ أولياءَ وعُلَمَاءَ وفُقَهَاءَ حتَّى إنَّ المسيحَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ قالَ عَنْ أُمةِ سيّدِنا محمّدٍ ﷺ **عُلَماءُ حُلَماءُ بَرَرَةٌ أتقيَاءُ كأنَّهم مِنَ الفِقهِ أنبِيَاء** اهـ رواهُ أبو نُعَيم فِى الحِليةِ[1]، واللهُ تباركَ وتعالى وَصفَ هذهِ الأمةَ المحمّديّةَ بأنَّ مِنْ شأنِهم أنَّهم يأمُرُونَ بالمعرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكرِ، كانَ فيمَا مضَى مِنَ الزّمانِ أناسٌ مُحَقِّقُونَ لهذهِ الصّفةِ وأمَّا اليومَ فقَدْ قَلُّوا، ومعَ ذلكَ لا تخْلُو الأمَّةُ منهُم لأنَّ اللهَ تعالى وَصَفَ هذهِ الأمَّةَ بذلكَ، ورَوَيْنَا فِى صحيحِ ابنِ حِبَّانَ[2] أيضًا أنَّهُ ﷺ قالَ **ليسَ مِنَّا مَنْ لم يُوَقِّرْ كَبِيرَنا ويرْحَمْ صغِيرَنا ويَأمُرْ**

(١) رواه أبو نعيم فِى الحلية باب مالك بن أنس.

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه فى ذكر الزجر عن ترك توقير الكبير أو رحمة الصغار من المسلمين.

بالمعرُوفِ وينْهَ عَنِ الْمُنكرِ[١] اهـ فمَا لم تتحقَّقْ لهُ هذهِ الصِّفاتُ الأربَعَةُ لَا يَكونُ المسلِمُ كامِلًا فِى الدِّينِ.

فقولهُ ﷺ **إنَّ اللهَ يُبغضُ كُلَّ جَعظرِيٍّ** فيهِ ذمٌّ للمُتَكَبِّرِ فإذا جَمَعَ معَ صِفةِ الجَعْظَرِيِّ أنْ يكونَ جَوَّاظًا وهوَ مَنْ جمعَ المالَ لا يُبالِى إنْ جمَعَهُ مِنْ حَلالٍ أو حَرامٍ ويَبخَلُ عَنْ دَفعِ المالِ فِى ما أَمَرَ اللهُ تعالى بالإنفاقِ فيهِ فقَدِ ارتَفَعَ فِى الشَّرِّ والفَسَادِ. ثُمَّ إنْ زَادَ على ذلكَ أنْ يكونَ سَخَّابًا بالأسواقِ أىْ أنَّهُ مِنْ شِدَّةِ حِرصِهِ على المالِ يُكثِرُ الكلامَ فِى سَبيلِ جمعِ المالِ وأنْ يكونَ جِيفةً بالليلِ أىْ يستغرِقُ لَيْلَهُ بالنومِ ولَا يَهتمُّ بأنْ يكسِبَ فِى ليلِهِ مِنَ الصَّلَواتِ وحِمَارًا بالنهارِ أىْ أنَّ همَّهُ التَّفَنُّنُ بالأكْلِ والإكثَارِ مِنَ الملَذَّاتِ ويَنشَغِلُ بذلكَ عنِ القِيَامِ بِمَا افتَرَضَهُ اللهُ عليهِ. ثُمَّ إذا انضَافَ إلى ذلكَ الوصفُ الأخيرُ وهوَ أنْ يكونَ عارِفًا بأمرِ الدنيا جَاهِلًا بأمرِ الآخِرَةِ فقَدْ تزايَدَ شَرُّهُ. فمِنْ هنا يُعلَمُ أنَّ مَنْ ءاتَاهُ اللهُ المالَ وكانَ عَارِفًا بطُرُقِ جَمْعِ المالِ وهوَ جَاهِلٌ بأُمُورِ الدِّينِ أىْ بِمَا افتَرَضَ اللهُ علَيهِ مَعرِفَتَهُ مِنْ عِلْمِ الدِّينِ فهوَ مِنْ شَرِّ خَلْقِ اللهِ.

ثُمَّ لَا سبيلَ إلى أداءِ ما افتَرَضَ اللهُ واجتِنَابِ ما حَرَّمَ اللهُ إلَّا بمَعرِفَةِ العِلْمِ الضَّرُورِيِّ مِنْ عِلْمِ الدِّينِ الذِى قالَ فيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ **طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى**

(١) ورواه البيهقِىّ فِى شعب الإيمان باب الجود والسخاء.

كُلِّ مُسلِم[1] اهـ فمَنْ أَعْرَضَ عَنِ التَّعَلُّم يَهْلِكُ وهوَ لَا يَشعُرُ فإنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجِعُونَ. ثُمَّ الفُقَهَاءُ مِنْ أهلِ المذاهِبِ الأربَعَةِ لَمْ يُغْفِلُوا بَيَانَ هذهِ الأشياءِ فَلْيَتَّقِ اللهَ امرُؤٌ ءَامَنَ بالآخِرَةِ.

رُوِّينَا فِي صحيحِ البُخَارِيِّ مِنْ قَوْلِ عَلِيِّ بنِ أبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ ارتَحَلَتِ الدُّنيا وهِيَ مُدبِرَةٌ وارتَحَلَتِ الآخِرَةُ وهِيَ مُقبِلَةٌ فكُونُوا مِنْ أبنَاءِ الآخِرَةِ ولَا تكُونُوا مِنْ أبنَاءِ الدُّنيا اليَومَ العَمَلُ ولا حِسَابَ وغدًا الجَزَاءُ ولا عَمَل[2] اهـ

وسبحانَ اللهِ وتعالى عمَّا يصِفُونَ.

انتهى واللهُ تعالى أعلَم.

---

(١) رواه ابن ماجه فِي سننه باب فضل العلماء والحث على طلب العلم والبيهقِي فِي شعب الإيمان باب فِي طلب العلم.

(٢) رواه البخارِيّ فِي صحيحه باب فِي الأمل وطوله.

الدرس السادس عشر



فضلُ التقوى والعِلْم

درسٌ ألقاه الشيخُ نزارُ بن رشيد الحلَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى وهو فِى بيانِ فضْلِ التَّقوَى والعِلْم. سَمِعَهُ منه الشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ سميرُ بنُ سامِى القَاضِى. قالَ رَحِمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمدٍ وعلى ءالِهِ وأصحَابِهِ أجمعِينَ.

أما بعد فقد قالَ اللهُ تعالى فِى سُورةِ الحُجُرَاتِ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ هذهِ الآيةُ الكَريمةُ تُبَيِّنُ أنَّ الفَضْلَ عندَ اللهِ بالتَّقوَى والتَّقوَى هِىَ مُلازَمَةُ طاعةِ اللهِ تعالى بأداءِ الواجِباتِ واجتِنابِ المحرَّمَاتِ.

قالَ اللهُ تعالى فِى سُورةِ ءالِ عِمران ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ فمَنْ أدَّى الواجِباتِ واجتَنَبَ المحرَّماتِ فهوَ التَّقِىُّ. وهوَ مِنْ أكرَمِ عِبادِ اللهِ على اللهِ. وقَد كانَ سيِّدُنا محمَّدٌ ﷺ أكرَمَ الخَلقِ على اللهِ تعالى وأتقَاهُم وأخشَاهُم لهُ كما قالَ ﷺ **أنا أعلَمُكُم باللهِ وأخشَاكُم لهُ** اهـ رواهُ البُخَارِىُّ[١].

(١) رواه البخارِىّ فِى صحيحه باب ما يكره من التعمق والتنازع فِى العلم والغلو فِى الدين والبدع.

والتَّقوَى مَنْبَعُهَا القَلْبُ ثُمَّ يَفِيْضُ أَثَرُها على الجَوَارِحِ فإنَّ القَلْبَ مِنَ الجَسَدِ بمَثَابَةِ المَلِكِ مِنَ الرَّعِيَّةِ. القَلْبُ أَمِيرٌ على كُلِّ الجوارِحِ مِنَ اليَدَينِ والعَيْنَيْنِ واللِّسانِ والرِّجْلَينِ وغيرِها، كلُّها تحتَ إمْرَةِ القَلْبِ فإذا صَلَحَ القَلْبُ صَلَحَتِ الجَوَارِحُ وإذا استَقَامَ القَلْبُ استَقَامَتِ الجَوَارِحُ.

وقَد جاءَ فِى صَحيحِ ابنِ حِبَّانَ مِنْ حَديثِ جابِرِ بنِ عبدِ اللهِ الأنصارِيّ رَضِىَ اللهُ عنهُما أنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ **إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِى المتَّقُونَ مَنْ كانُوا وحَيثُ كانُوا**[١] اهـ فَبَيَّنَ الرَّسولُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أنَّ أقرَبَ النّاسِ إليهِ أىْ أَحَبَّهُم إليهِ هُمُ المتَّقُونَ أىِ المؤمِنُونَ الذِينَ يَتَّقُونَ اللهَ يُؤَدُّونَ الواجِباتِ ويجتَنِبُونَ المحرَّمَاتِ. **مَنْ كانُوا** أىْ مِنْ أىِّ ألوانِ البَشَرِ كانُوا **وحيثُ كانُوا** أىْ وفِى أىِّ مكانٍ كانُوا فلَو كانَ التَّقىُّ بَعيدًا عنِ الرَّسُولِ بالمَسافَةِ إلَّا أنهُ قَريبٌ منهُ القُربَ المعنَوِىَّ فهوَ أَوْلَى برَسولِ اللهِ مِنَ العَاصِى المجَاوِرِ لهُ ﷺ. وقَد قالَ رسولُ اللهِ ﷺ **اتَّقِ اللهَ حيثُما كُنتَ** اهـ رواهُ التِّرمِذِىُّ[٢]. فعَلَى الإنسانِ أيْنَما كانَ أنْ يَتَّقِى اللهَ بأنْ يؤدِّىَ ما افتَرَضَ اللهُ عليهِ ويجتَنِبَ ما حرَّمَ اللهُ عليهِ فإذا فَعَلَ ذلكَ فهوَ بخيرٍ، وعُلُوُّ المرتبةِ عندَ اللهِ تعالى لَيسَ بقُربِ الدِّيارِ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ ولا بِقُرْبِ

---

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه باب الخوف والتقوى.
(٢) رواه الترمذِىّ فِى سننه باب ما جاء فِى معاشرة الناس.

النَّسَبِ إنَّما بكَونِ الإنسانِ مُؤمنًا تقيًّا يُؤدِّى الواجباتِ ويجتنِبُ المحرَّماتِ وبهذا يَضْمَنُ لِنَفْسِهِ الوِقَايةَ مِنْ نَارِ جَهنَّمَ قالَ اللهُ تعالى فِى سُورةِ التَّحرِيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ ولَا سبيلَ للمُؤمِنِ لأداءِ الواجِباتِ واجتِنابِ المحرَّماتِ إلَّا بأداءِ فَرضٍ هوَ مِنْ جُملَةِ الواجِباتِ التِى أَمَرَ اللهُ تعالى بها ألا وهوَ تَعَلُّمُ العِلْمِ الشَّرْعِيّ أى القَدْرِ الواجِبِ الضَّرُورِيّ مِنْ عِلْم الدِّينِ الذى لَا يجوزُ لكُلّ مُكَلَّفٍ جَهْلُهُ ولَا يكونُ العبدُ مِنَ المتَّقِينَ ما لَم يَتَعَلَّمْهُ. إنَّ قولَ اللهِ تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ فيهِ الحَثُّ على وِقَايَةِ النَّفْسِ والأَهْلِ مِنَ النَّارِ والسَّبيلُ إلى ذلكَ أنْ نَتَعَلَّمَ ونُعَلِّمَ أَهْلِيْنَا الأُمُورَ الدِّينيةَ، فإذا تعلَّمَ المسلِمُ مِنْ عِلْم الدِّينِ القَدْرَ الضَّرُورِيَّ الذِى لا بدَّ منهُ لِكُلّ مُسلِم بالِغ عاقِلٍ ثُمَّ طَبَّقَ ذلكَ كانَ عامِلًا بهذهِ الآيَةِ ويكونُ قَدْ وَقَى نَفْسَهُ أىْ حَفِظَ نَفْسَهُ وأَهْلَهُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، أمَّا إذا أَهْمَلَ التَّعَلُّمَ فإنهُ لَا يَدرِى ما يُصلِحُهُ مما يُفسِدُهُ فيَقَعُ مِنْ حيثُ لا يدرِى فِى المهالِكِ ويَعمَلُ أعمالًا يَظُنُّ أنَّها مِنْ أعمَالِ أهلِ النَّجاةِ وهوَ عندَ اللهِ تعالى ليسَ لهُ مِنْ ذلكَ العَمَلِ حَسَنَةٌ بلْ هوَ ءاثِمٌ لدُخُولِهِ فِى الأمُورِ مِنْ غَيْرِ أنْ يَعلَمَ ما أحلَّ اللهُ منها مِمَّا حرَّمَ فمَنْ لَم يتعلَّمْ أركانَ وشُرُوطَ ومُبطِلاتِ الصَّلاةِ مَثَلًا قَدْ يحصُلُ منهُ ما يُفْسِدُ صَلاتَهُ مِنْ غَيرِ أنْ يَعلَمَ فيَظنُّ أنهُ صلَّى صلاةً صحيحةً وهِىَ عندَ اللهِ فاسِدةٌ لَا تَبْرَأُ ذِمَّتُهُ مِنها ويُسْأَلُ عنها يومَ

القِيامَةِ. وقَد قالَ رسولُ اللهِ ﷺ **صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِى أُصَلِّى** اهـ رواهُ البُخَارِىُّ[(١)] ولَا سبيلَ لمعرِفةِ كيفَ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُصلِّى إلَّا بالتَّعَلُّمِ.

نحنُ المسلِمِينَ ينبَغِى أنْ نتمسَّكَ بهذا الدِّينِ العَظيمِ الذِى ارتَضاهُ اللهُ لنا بِمَا يَعودُ علينا بالخيرِ والصَّلاحِ فِى الدُّنيا والآخِرَةِ وأنْ نَتَفَقَّهَ ونَتَزَوَّدَ مِنَ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ حتَّى نُفِيْدَ أنفُسَنَا ونُفِيْدَ مُجتمَعَنَا وأُمَّتَنَا ونَكونَ على حَذَرٍ وانتِبَاهٍ وإدرَاكٍ.

لَا دارَ للمَرءِ بعدَ الموتِ يَسكُنُهَا
إلَّا التِى كانَ قبلَ الموتِ يَبْنِيْهَا
فإنْ بنَاهَا بخَيرٍ طابَ مَسكَنُهُ
وإنْ بنَاهَا بِشَرٍّ خَابَ بَانِيْهَا[(٢)]

إنَّ تَعَلُّمَ عِلم الدِّينِ مِنْ عالِمٍ ثِقَةٍ وَرِعٍ ناصِحٍ لَا يُؤَدِّى إلى البَلَهِ والجُنُونِ إذْ لَو كَانَ الأمرُ كذلِكَ لكانَ الصّحابةُ أولَ مَنْ جُنَّ لأنَّهُم أفقَهُ أُمَّةِ النَّبِىِّ مُحمَّدٍ ﷺ بَلْ إنَّ تَعلُّمَ العِلْمِ الشَّرْعِىِّ يَصْقُلُ العُقُولَ ويُنَوِّرُ القُلُوبَ وما أجدرَ الآباءَ والأمَّهَاتِ أنْ يَحُثُّوا أولادَهُم على ذلكَ حتَّى يَشِبُّوا على طاعَةِ اللهِ بدَلَ أنْ يهتَمُّوا بدِرَاسَتِهِمُ الدُّنيويَّةِ فقَط وما أجدرَ الشَّبابَ أنْ يُقبِلُوا على عُلُومِ الدِّينِ والنَّهلِ منها لِيَعْظُمَ زادُهُم للآخِرَةِ ولِيَبْتَعِدُوا عَنْ وُحُولِ الخَطَايا. إنَّ عِزَّتَنَا وكَرَامَتَنَا

(١) رواه البخارِىّ فِى صحيحه باب رحمة الناس والبهائم.
(٢) يروى عن علِىّ رضِىَ الله عنه.

وتَقَدُّمَنَا ونَجاتَنَا هِيَ فِي تَمَسُّكِنَا بِدِيْنِنَا وتَعَالِيْم الرَّحمَةِ المنزلَةِ على رَسُولِ اللهِ ﷺ جَزَاهُ اللهُ عنَّا أحسَنَ الجزاءِ ورَضِيَ اللهُ عَنْ سَيّدِنا عُمَرَ حيثُ قالَ نحنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللهُ بالإسلامِ فمَهْمَا ابتَغَيْنَا العِزَّةَ بِغَيْرِهِ أَذَلَّنَا اللهُ.

انتهى واللهُ تعالى أعلم.

الدرس السابع عشر



رؤيةُ النبيِّ ﷺ فِى المنامِ وعندَ الموتِ

درسٌ ألقاه المحدثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ الشيبِىُّ العبدرِىُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى فِى السادِسِ والعِشرينَ مِنْ ربيعٍ الآخِرِ سنةَ ثمانٍ وتسعينَ وثلاثمائة وألف وهو فِى بيانِ رُؤيةِ النبِىِّ ﷺ فِى المنامِ وفِى اليقظَةِ بحسَبِ أحوالِ الناسِ. سمِعَه منه الشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى. قال رحمه اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ وصلَّى اللهُ على رسولِهِ وسلم. وبعدُ فإنَّ اللهَ أرسلَ محمّدًا ﷺ بمَكارمِ الأخلاقِ فكانَ ﷺ لا يَسبِقُ جهلُهُ حِلمَهُ، أىْ أنَّ اللهَ جعلَ خُلُقَهُ الحِلْمَ فكانَ يُخالِقُ الناسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ. قالَ أنسُ بنُ مالكٍ رضِىَ اللهُ عنهُ فِى وصفِ رسولِ اللهِ ﷺ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ أحسَنَ النّاسِ خَلْقًا وأحسَنَهُم خُلُقًا[١] اهـ وأمَّا أبو هريرةَ رضِىَ اللهُ عنهُ فقَد قالَ ما رأيتُ أحسنَ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ كأنَّ الشّمسَ تَجرِى فِى وَجهِهِ[٢] اهـ

---

(١) وهو جمع بين روايتين عن أنس رواهما البخارِىّ فِى صحيحه إحداهما فى باب الكنية للصبِىّ والثانية قول أنس كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وفى شعب البيهقى أجمل الناس.

(٢) رواه أحمد فِى مسنده باب مسند أَبِى هريرة رضِى الله عنه.

والذِى يرَى الرّسولَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ فِى المنام فأكملُ ما يكونُ أنْ يَراهُ فِى صِفتهِ الأصليَّةِ ومَنْ رءاهُ بتلكَ الصّفةِ الأصليّةِ كانَ لهُ الحظُّ الأَوفرُ إذْ إنَّ مَنْ يَراهُ على تلكَ الصّفةِ ضُمِنَ لهُ أنْ يموتَ على الإيمانِ وأنْ يَراهُ يقظةً، لا بدَّ مِنْ ذلكَ، فإمَّا أنْ يَراهُ فِى حالِ الصّحةِ وإمّا أنْ يراهُ عندَ الاحتِضارِ أىْ عندَ خُروجهِ مِنَ الدّنيا، يَراهُ بالعَينِ المفتوحةِ. وأمّا الذِى يراهُ بغيرِ صفتهِ الأصليّةِ فليسَ لهُ تلكَ المزيّةُ الكاملةُ. فصِفَتُهُ الأصليّةُ أنهُ ﷺ أبيَضُ مُشرَبٌ بالحُمرةِ واسعُ العَينينِ دقيقُ الحاجِبينِ يكادُ يكونُ أقرَنَ مِنْ غيرِ قَرَنٍ، والقَرَنُ هوَ اتّصالُ الحاجبِ بالحاجبِ، أكحَلُ العينَينِ قالَ أبو هُريرةَ رضِىَ اللهُ عنهُ كأنَّ الشّمسَ تَجرِى فِى وَجههِ(١) اهـ وكانَ واسعَ الجبِينِ شَديدَ سوادِ شعَرِ الرَّأسِ ولم يكنْ لهُ مِنَ الشّيبِ إلَّا نحوُ عشرينَ شعرةً، كانَ مُتماسِكَ البَدنِ لا نحيفًا ولا سَمينًا، كانَ شديدَ سوادِ الحدَقةِ شديدَ بياضِ العَينينِ إلَّا أنهُ كانَ فيهِ خُطوطُ حُمرَةٍ، وكانَ رَبْعَةً أىْ مُعتدِلًا إلى الطُّولِ، أَجْلَى الجبهةِ أىْ ظاهرَها لا يُغطّيها شعَرُ رأسهِ، واسعَ الجبينِ شَثْنَ الكفّينِ والقدمَينِ أىْ أنَّ كفَّيهِ لم تَكونَا نحيفتَينِ ولم تَكنْ قدماهُ نحيفتينِ بلْ غليظتَينِ(٢)، بَعِيدَ ما بينَ المنكبَينِ، كأنهُ أشمُّ(٣) الأنفِ، دقيقَ الأنفِ، مُشرِقَ

(١) رواه أحمد فِى مسنده باب مسند أبِى هريرة رضِى الله عنه.
(٢) أىْ أنّهما إلى الغِلَظِ وهو محمودٌ فِى الرجالِ غيرُ مرغُوبٍ فِى النساء اهـ
(٣) أشم أىْ مرتفع قصبة الأنف مع استواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلًا اهـ

اللَّونِ، أهدَبَ الأَشْفَارِ.

فمَن رءاهُ ﷺ فِى المنام بهذهِ الصّفةِ فهوَ مَضمونٌ لهُ أنْ ينالَ كلَّ فضيلةٍ تكونُ لمنْ رءاهُ ﷺ، وكذلكَ مَنْ رءاهُ يقظةً ووجدَ فيهِ هذهِ الصّفةَ وقالَ لهُ عَنْ نفسهِ أنا رسولُ اللهِ يقظةً فليُصدّقْ أنهُ هوَ، أمّا مجرّدُ أنْ يظهرَ لهُ شَبحٌ فيَظُنَّ بقلبِهِ أنَّ هذا رسولُ اللهِ فلا يأخُذْ بذلكَ.

فمَنْ رأى رسولَ اللهِ ﷺ على صِفتهِ التِى كانَ عَليها فِى المنام فلا خِلافَ فِى أنهُ يَصْدُقُ عليهِ الحديثُ الصّحيحُ الذِى قالهُ الرّسولُ ﷺ **مَنْ رَءانِى فِى المنامِ فسَيرانِى فِى اليقظةِ**(١) اهـ فإمّا أنْ يراهُ وهوَ فِى صحّتهِ العَاديةِ قبلَ الموتِ وإمَّا أنْ يراهُ عندَ الموتِ قبلَ الآخرةِ، أمَّا الذِى رءاهُ فِى غيرِ صُورتهِ التِى كانَ عليها فِى المنامِ فكثيرٌ مِنَ العُلماءِ قالُوا لا فَرْقَ بينَ أنْ يراهُ فِى المنامِ على صُورتهِ التِى كانَ عليها وغيرِ صِفتهِ تِلكَ وقالَ بعضٌ مِنَ العُلماءِ إنَّ ذلكَ لا يكونُ رُؤيةً لرَسولِ اللهِ ﷺ لأنهُ لم يَرَهُ على صُورتهِ الحقيقيّةِ التِى كانَ هوَ خُلِقَ عليها، فالأقرَبُ فِى تفسيرِ قولهِ ﷺ **فإنَّ الشّيطانَ لا يتزَيَّا بصُورتِى**(٢) اهـ أنَّ الشيطانَ لا يَستطيعُ أنْ يَظهرَ بصُورةِ رَسولِ اللهِ ﷺ الحقيقيةِ التِى كانَ عليها.

أما رؤيةُ رسولِ اللهِ ﷺ الآنَ فِى الدّنيا يقظةً ليسَ شيئًا مُستحيلًا، حصَلَ ذلكَ لبعضِ الأولياءِ، فنحنُ لا

---

(١) رواه البخارِى فِى صحيحه باب من رأى النبىّ ﷺ فِى المنام.
(٢) رواه البخارِىّ فِى صحيحه باب من رأى النبِىّ ﷺ فِى المنام.

نُنكرُ على إنسانٍ صالحٍ متمسّكٍ بالشّرعِ ليسَ مِنْ أهلِ البِدعةِ والدَّجَلِ إذا قالَ رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقظةً إذْ بعدَ أنَ صَحَّ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ أنهُ قالَ **الأنبياءُ أحياءٌ فِى قبورِهِم يُصلّونَ**[١] اهـ لا معنَى لإنكارِ مَنْ يُنكرُ رؤيةَ رسولِ اللهِ ﷺ يقظةً إذا كانَ مُدَّعِى هذهِ الرُّؤيةِ تقيًّا صالحًا لأنَّ الرّسولَ ﷺ بعدَما ماتَ موتًا حقيقيًّا أحياهُ اللهُ تعالى فهوَ وكلُّ الأنبياءِ الذِينَ ماتُوا أحياءٌ فِى قُبورِهِم يُصلُّونَ، لكنْ حياتُهم هذهِ ليسَت كحياتِهِمُ الدنيويّةِ إذْ حياتُهُمُ البَرْزَخِيَّةُ لا تَتَطَلَّبُ أكلًا ولا شُربًا إنَّما هِىَ كحياةِ الملائكةِ لا يَشتهُونَ أكلًا ولا شُربًا إنَّما يُصلُّونَ تلذُّذًا بعبادةِ اللهِ.

أمَّا مَنْ عُرِفَ بعَدَمِ الاستِقامةِ بطاعةِ اللهِ فلا نُصَدِّقُهُ إنْ قالَ إنهُ رأى رسولَ اللهِ ﷺ بعدَ وَفاتهِ يَقظةً. بعضُ الناسِ كذَبُوا على الرَّسولِ ﷺ فذَهبُوا إلى أشخاصٍ وقالُوا لهم الرّسولُ يأمُرُكَ أنْ تُزَوِّجَنِى بِنْتَكَ، كذَبُوا لتنفيذِ مَطامِعِهِمُ الدنيويّة. قالَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ **إنَّ كَذِبًا علَىَّ ليسَ ككذِبٍ على أحدٍ**[٢] اهـ

ورؤيةُ الرّسولِ ﷺ فِى المنامِ تجوزُ للمُسلمِ التّقِىّ والمسلمِ الفاسقِ وتجوزُ لمنَ هوَ كافرٌ فِى الوقتِ الحاضرِ لكنْ لا بُدَّ لهذا أنْ يُسلِمَ قبلَ أنْ يموتَ إنْ رءاهُ ﷺ فِى المنامِ وأنْ يَرَى النبِىَّ ﷺ قبلَ مُفارقةِ

(١) رواه البزار فِى مسنده باب مسند أبِى حمزة أنس بن مالك رضِى الله عنه.
(٢) رواه البخارِىّ فِى صحيحه باب ما يكره من النياحة على الميت.

رُوحِهِ جَسَدَهُ فِى حالِ النِّزاعِ، وهذا الذِى يَرَى الرّسولَ ﷺ تلكَ السّاعةَ يجِدُ مِنَ السُّرُورِ ما لا يُوصَفُ وإنْ كانَ مِنْ سَكْرَةِ الموتِ مَغلُوبًا لا يَستطيعُ أنْ يصِفَ للناسِ ما يجدُ، ومِنَ الناسِ مَنْ يُمكِّنُهُمُ اللهُ تعالى أنْ يَتكلَّمُوا تلكَ السّاعةَ.

لا مانِعَ أنْ يَرَى رسولَ اللهِ ﷺ فِى قبرِهِ الشّريفِ فيَزدادَ يقينًا وسُرورًا وطُمأنينةَ قلبٍ بعدَ أنْ يُبشّرَهُ الرّسولُ ﷺ بالجنةِ. هذا ليسَ بعَزيزٍ على اللهِ تعالى. وإنْ لم يَكنْ وليًّا رءاهُ على فِراشِ الموتِ وإنْ كانَ وليًّا فقَد يراهُ قبلَ ذلكَ لكنْ أولياءُ اللهِ تعالى يَكتُمونَ ما يحصُلُ لهم مِنَ الكراماتِ ولا يُظهِرُونَها إلَّا لمصلَحةٍ شرعيّةٍ أو لضرورةٍ فهذا عُمَرُ رضِىَ اللهُ عنهُ لَمَّا نادَى قائدَ الجيشِ الذِى بَعثَهُ إلى أرضِ العَجَمِ للجِهادِ فِى سبيلِ اللهِ وكانَ عُمَرُ على المنبرِ فِى المدينةِ يومَ الجمعةِ رأى حالَ جَيشِهِ الذِى فِى نَهاوَنْد بأرضِ العجَمِ بحالةٍ لوِ انحازَ العَدوُّ إلى الجبلِ وارتَكَزَ على الجبلِ يَضُرُّ المسلمينَ فناداهُ يا ساريةُ الجبلَ الجبلَ، الناسُ اندَهَشُوا فقالُوا ما لِعُمَرَ يتكلَّمُ بهذا الكلامِ وساريةُ بالعَجَمِ ثُمَّ راجَعُوهُ بعدَما نَزَلَ وانتَهى مِنَ الصَّلاةِ، سألُوهُ يا أميرَ المؤمنينَ سمِعناكَ تقولُ يا ساريةُ الجبلَ الجبلَ فقالَ ذلكَ شىءٌ وَقَعَ فِى قَلبِى ثُمَّ بعدَ ذلكَ رَجَعَ الجيشُ مِنْ هناكَ فأخبرَ قائدُ الجيشِ وغيرُهُ بأنَّهم سمِعُوا صوتَ عُمَرَ فِى يومِ كذا فانحَازُوا إلى الجبلِ فتَمَكَّنُوا وهزَمُوا

العدوَّ وكسرُوهُم(١) اهـ فعُمَرُ لَم يَبُحْ بذلكَ ولم يَقُلْ يا أيُّها الناسُ إنِّى رأيتُ حالَ الجيشِ وأنا على مِنبَرِ رسولِ اللهِ ﷺ، فهكذا أولياءُ اللهِ يُخْفُونَ كرَاماتِهم ولا يُظهِرُونها إلاَّ مِنْ أجلِ سببٍ شرعِيٍّ.

انتهى واللهُ سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) ذكرها السخاوِىّ فِى المقاصد الحسنة عن ابن مردويه وغيره.

الدرس الثامن عشر



حِفْظُ اللسانِ والتحذيرُ مِن الرِّدَّةِ

درسٌ ألقاه الشيخُ نزارُ بن رشيد الحلبيّ رحمه الله فى الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة عشر وأربعمائة وألف وهو فى بيان حفظ اللسان والتحذير من الردة. سمعه منه الشيخ سمير بن سامى القاضى والشيخ نبيل ابن محمد الشريف. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمد وعلى ءاله وأصحابه أجمعين.

أما بعد فقد قالَ اللهُ تعالى فى سورة النور ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وعَن أبى هريرةَ رضىَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ **مَن كانَ يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليقُل خيرًا أو ليصمُتْ** اهـ متّفقٌ عليهِ(١). مَعنى هذا الحديثِ أنهُ مَن كانَ يُؤمنُ الإيمانَ الكامِلَ المُنْجِىَ مِن عذابِ اللهِ المُوصِلَ إلى رضوانِ اللهِ فليَقُلْ خيرًا أو لِيَصمُتْ لأنَّ مَن ءامنَ باللهِ حقًّا خافَ وَعيدَهُ ورَجا ثوابَهُ واجتهَدَ فى فِعْلِ ما أمرَهُ بهِ وَتَرْكِ ما نهاهُ عنهُ، ومِن ذلكَ ضَبْطُ جَوارحِهِ التى

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر. ورواه مسلم فى باب الضيافة ونحوها.

هىَ رعاياهُ وهوَ مسؤولٌ عَنها كما قالَ اللهُ تعالى فى سورة الإسراء ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾.

وقَد قالَ رسولُ اللهِ ﷺ **وهَل يَكُبُّ النّاسَ فى النّارِ على وُجوهِهِم** أو قالَ[1] **على مَناخِرِهم إلا حَصائدُ ألسِنَتِهم** اهـ رواهُ التّرمذىُّ[2]. فمَن عَلِمَ ذلكَ واتّقى اللهَ ضَبطَ لِسانَهُ حتى لَا يَتكلَّمَ إلا بخيرٍ أو يَسكُتَ.

فهذا اللّسانُ هوَ مِن نِعَمِ اللهِ علينا ويَنبغى أنْ يُستعمَلَ فى ذكرِ اللهِ وطاعتهِ وفى الحثّ على الخيرِ والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ وفى كلّ ما يَعودُ على النّاسِ بالنّفعِ والخيرِ. وأما مَن يُطلِقُ العِنانَ للسانهِ ويَسترسلُ فى المعاصِى وإيذاءِ الآخَرينَ بهِ مِن غِيبَةٍ وشَتْمٍ وسَبٍّ ولَعْنٍ بغيرِ حقّ فإنّما يُوقِعُ نفسَهُ فى المهالِكِ.

ولا بدَّ مِن أنْ نَذكُرَ أنَّ أشدَّ معاصِى اللسانِ وأخطَرَها على الإطلاقِ الكفرُ كسَبّ اللهِ وسبّ الأنبياءِ والملائكةِ ودينِ الإسلامِ وسبّ القرءانِ وتحليلِ أمرٍ حرامٍ معلومٍ منَ الدّينِ بالضّرورةِ أنهُ حرامٌ كمَن يقولُ عَن شُربِ الخمرِ أو عَنِ الزّنا إنهُ حلالٌ. ومَعنى الأمرِ المعلومِ منَ الدّينِ بالضّرورةِ الأمرُ الظّاهرُ بينَ المسلمينَ بحيثُ يَعرفهُ الجاهلُ والعالمُ منَ المسلمينَ.

---

(١) أى شك الراوى.

(٢) رواه الترمذى فى سننه باب ما جاء فى حرمة الصلاة.

ولقَدِ اهتمَّ العلماءُ بالتّحذيرِ منَ الكفرِ القولىّ ومِن سائرِ أنواعِ الكفرِ ونَصُّوا على ذلكَ فى كتُبِهم[١]، ومِن هؤلاءِ الإمَامُ النّوويُّ رضىَ اللهُ عنهُ والشّيخُ عبدُ الباسطِ الفَاخورىّ رحمهُ اللهُ تعالى الذى كانَ مُفتِيًا لولايةِ بيروتَ فى أيامِ العُثمانيينَ منذُ نحوِ مائةِ سنةٍ.

وقَد ثبتَ عَن أحدِ الصّحابةِ وهوَ عبدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ أنهُ أخذَ بلسانهِ وخاطبهُ يا لسانُ قلْ خَيرًا تَغنَمْ واسكُتْ عَن شَرّ تَسلَمْ مِن قَبلِ أنْ تَندمَ إنى سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ **أكثرُ خطايا ابنِ ءادمَ مِن لسانهِ** اهـ رواهُ الطّبرانىُّ[٢]. ومِن هذهِ الخطايا الكفرُ والكبائرُ. وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ **إنَّ العبدَ ليَتكلّمُ بالكلمةِ ما يتبيَّنُ فيها يَهوِى بها فى النّارِ أبعدَ مما بينَ المشرقِ والمغربِ** اهـ رواهُ البخارىُّ ومسلمٌ[٣] فالإنسانُ قَد ينطِقُ بكلمةٍ يظنُّ أنهُ لا بأسَ بها ولَا تَضرّهُ شيئًا يَهْوِى بسَببِها إلى قَعرِ جهنَّمَ والعياذُ باللهِ تعالى وهىَ كلمةُ الرّدّةِ أىِ الكلمةُ التى يَخْرُجُ بها مِنَ الإسلامِ. قالَ اللهُ تعالى فى سورة البقرة ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾.

---

(١) كرسالة البدر الرشيد الحنفِىّ والقاضِى عياض فى الشفا وغيرهما.
(٢) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير.
(٣) رواه البخارى فى صحيحه باب حفظ اللسان، ورواه مسلم فى صحيحه باب التكلم بالكلمة يهوِى بها فى النار.

والرِّدّةُ ثلاثةُ أقسامٍ كفرٌ اعتقاديٌّ وكفرٌ فعليٌّ وكفرٌ قوليٌّ كما قسَّمها النوويُّ وغيرهُ مِن شافعيّةٍ وحنفيّةٍ ومالكيّةٍ وحنابلةٍ وغيرهِم وذلكَ مِصداقُ قولهِ ﷺ **إنَّ العبدَ ليَتكلَّمُ بالكلمةِ لا يَرى بها بأسًا يَهوِى بها فى النّارِ سَبعينَ خريفًا** اهـ رواهُ التّرمذيُّ[١]. أىْ يهوِى مَسافةَ سبعينَ عامًا فى النزولِ وذلكَ مُنتهَى جهنّمَ وهوَ خاصٌّ بالكفّارِ. ومَعنى لَا يَرى بها بأسًا أىْ لا يَرى بهَا ضَررًا فبَعضُ النّاسِ الذينَ لا يُبالونَ ولا يَهتمّونَ بضَبطِ ألسِنَتِهِمْ وحفظِها عنِ الكفرِ يُسارعونَ إلى التّسخُّطِ[٢] على اللهِ عندَ أىّ حادثٍ يقعُ لهم أو مصيبةٍ تحُلُّ بهِم وربّما سَبُّوا اللهَ تعالى أو الرّسولَ ﷺ أو دينَ الإسلامِ وهُم فى الحقيقةِ يُوقِعُونَ أنفُسَهم فى الكفرِ الذى هوَ أكبرُ ذنبٍ وهوَ الذّنبُ الذى لَا يَغفرهُ اللهُ لمن مات عَليهِ، قالَ تعالى فى سورة محمد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ فمَاذا يَجْنِى هؤلاءِ الهالكونَ المتهوّرونَ حينَ يَسبُّونَ اللهَ ويستهزِؤونَ بالأنبياءِ والملائكةِ والشّرعِ الحنيفِ، إنّما يكتسِبونَ الخطيئةَ وفيها المذلَّةُ والمَهانةُ والخُسرانُ.

قالَ الغزاليُّ رحمهُ اللهُ تعالى **اللسانُ جِرمهُ صغيرٌ وجُرمهُ كبيرٌ** اهـ وقيلَ مَثَلُ اللسانِ مَثَلُ السَّبُعِ إن لم

(١) رواه الترمذىّ فى سننه باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس.
(٢) أى الاعتراضُ وعدم الرضا.

تُوثِقْهُ عَدَا عليكَ اهـ[١] وقيلَ للإمامِ ذى النّونِ المصرىّ مَنْ أصوَنُ الناسِ لقلبهِ قالَ أملكُهُم للسانهِ اهـ وعلى العاقلِ أنْ يُفكّرَ فى قولِ اللهِ تعالى فى سورة ق ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ فإنَّ مَن فكّرَ فى ذلكَ عَلِمَ أنَّ كلَّ ما يَتكلّمُ بهِ منَ الجدّ والهَزْلِ والغضبِ يُسجّلُهُ الملَكانِ فهَل يَسُرُّ العاقلَ أنْ يرَى فى كتابهِ حينَ يُعرَضُ عليهِ يومَ القيامةِ هذهِ الكلماتِ الخبيثةَ، بَل يَسوؤهُ ذلكَ ويُحْزِنُهُ حينَ لَا يَنفعُ النّدمُ، فليَعتنِ بحفظِ لسانهِ مِنَ الكلامِ بما يَسوؤهُ إذا عُرِضَ عليهِ فى الآخرةِ.

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ **خصلتانِ ما إنْ تجمَّلَ الخلائقُ بمِثلِهِما حُسنُ الخلقِ وطُولُ الصَّمتِ** اهـ رواهُ ابنُ أبى الدّنيا فى كتابِ الصّمتِ.

وقَد قالَ الحافظُ ابنُ حِبّانَ رحمهُ اللهُ يا ابنَ ءادمَ أَنصِفْ لسانكَ مِن أذنيكَ واعلَم إنما جُعلَ لكَ لسانٌ وأذنانِ لتَسمعَ أكثرَ مما تقول اهـ

أخى المسلم، يَنبغى على كلّ عاقلٍ أن يَستعمِلَ نعمةَ اللسانِ التى أنعمَ اللهُ بها عليهِ فى قولِ الحقّ وذكرِ اللهِ وتلاوةِ القرءانِ وفى الطّاعاتِ والخيراتِ حتى يُنوَّرَ قلبهُ وتنجَلِى عنهُ الظّلماتُ التى تأتى مِن كلامِ الشّرّ وقولِ الباطلِ.

---

(١) ذكره النووىّ فى الأذكار باب حفظ اللسان.

وكما أنَّ السّكوتَ فى وقتهِ صفةٌ حميدةٌ كذلكَ فإنَّ الكلامَ فى مَوضعهِ خَصْلَةٌ محمودةٌ. فإنَّ مَن يَسمَعُ الكفرَ بأذنَيهِ ويَسكتُ عَن إحقاقِ الحقّ وإنكارِ المنكَرِ معَ قدرتهِ عليهِ إنّما يسعَى إلى حَتفِهِ وهلاكهِ، ومثلُ الكفرِ باقى المنكراتِ.

اللهمّ إنّا نسألُكَ أن تُبعِدَنا عنِ الكفرِ والفسوقِ والفجورِ والكلامِ الفاسدِ ونسألُكَ أن تُعينَنا على ذِكركَ وشُكركَ وحُسنِ عبادتِكَ.

انتهى والله سبحانه أعلم.

الدرس التاسع عشر



الهمُّ والعَزْمُ

درسٌ ألقَاهُ الفقيهُ المحدِّثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى فِى السابعِ والعِشرِينَ مِنْ صَفَر سنةَ سبعٍ وأربعِمائةٍ وألف وهو فِى بيانِ الفَرْقِ بين الهمّ والعزمِ. سمِعَهُ منه الشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى والشيخُ عبدُ الرزاقِ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ جميلُ بنُ محمد حليم والشيخُ محمدُ بنُ مُصطفَى البَكرِيُّ. قال رحِمَهُ اللهُ رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على سيدِنَا محمدٍ وعلى ءالِهِ وصحبِهِ الطيبِيْنَ الطاهِرِينَ.

أمَّا بعدُ فقَد قالَ اللهُ تعالى فِى سُورةِ الأنعَامِ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾.

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ فيمَا يَروِيهِ عنِ اللهِ تباركَ وتَعالى **إذا هَمَّ عَبدِى بحسنةٍ فلَم يعمَلْها فاكتُبوها لهُ حسنةً فإنْ عمِلَها فاكتُبوها لهُ عشرَ أمثالِهَا إلى سبعِمائةِ ضِعفٍ وإذا هَمَّ عبدِى بسيّئةٍ فلا تكتُبُوها عليه فإنْ عمِلَها فاكتبُوهَا سيئةً فإنْ تابَ منها فامحُوها عنهُ** اهـ رواهُ ابنُ حِبّانَ مِنْ

حَديثِ أبِى هُرَيرةَ رَضِىَ اللهُ عنهُ(١).

الهَمُّ هوَ ما دُونَ التَّصمِيم إذا قالَ العبدُ فِى نفسهِ أفعلُ هذا الشّىءَ أو لَا أفعلُ تردَّدَ معَ ترجيحِ جانِبِ الفِعلِ هذا هوَ الهَمُّ وأمَّا التصميمُ هوَ الجزْمُ. إذا الإنسانُ أرادَ أنْ يعملَ حسنةً ولَم يُصَمِّمْ لكنْ رَجَّحَ جانِبَ الفِعلِ هذا الأمرُ يُكتبُ لهُ حَسَنَةً واحِدَةً قبلَ أن يعمَلَها، فإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ لهُ عَشرَ حَسناتٍ إلى سبعِمِائةِ ضِعفٍ أىْ يَزيدُ اللهُ تباركَ وتعالى مَنْ شاءَ على العَشرةِ إلى سبعِمِائةٍ، أمَّا السَّيِّئةُ إذا لَم يُصمِّمْ لكنْ رَجَّحَ جانِبَ الفِعلِ، مالَ إلى الفِعلِ مِنْ غيرِ أنْ يُصمّمَ تَصميمًا فقَبْلَ أنْ يفعَلَها لا تُكتَبُ عليه فإنْ فعلَهَا تُكتبُ عليهِ سيّئةً واحِدةً. اللهُ تعالى قالَ للملائكةِ فإنْ تابَ منها أىْ إنْ عَمِلَها ثُمَّ تابَ منهَا فامحُوها عنهُ، هذا مِنْ فَضْلِ اللهِ أنَّ المسلِمَ إذا عَمِلَ مَعَاصِىَ ثُمَّ تَابَ مِنها لَا يَجِدُها فِى كِتَابهِ يومَ القِيامةِ لَا يَرَاها، لَا يَرَى تِلكَ التِى تَابَ مِنها فِى كِتَابِهِ الذِى يُعطَاهُ يَومَ القِيَامَةِ إنَّما يَرَى السّيئةَ التِى مَاتَ ولَم يَتُبْ مِنها، يجدُ فِى كِتابهِ السّيئاتِ التِى مَاتَ ولَم يَتُبْ مِنها، أمَّا التِى تَابَ مِنها مَهما كانتْ كبيرةً لَا يَرَاها لأنَّهُ لو رَءَاهَا لَسَاءَتْهُ.

ما تقدَّمَ مِنْ أنَّ الهمَّ بالسّيّئةِ لَا يُكتبُ وأنَّ الهمَّ بالحسنةِ يُكتَبُ حَسنةً واحِدَةً هذا فِى حَالِ الهمِّ إذا كانَ همًّا فقَط

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه باب ذكر تفضل الله جل وعلا بكتبه حسنة واحدة لمن هم بسيئة فلم يعملها.

ولَم يَكنْ تَصمِيمًا أمَّا إذا كانَ تَصمِيمًا فالحسنةُ يكونُ ثَوابُهَا أكبَرَ، إذا صَمَّمَ أنْ يَعْمَلَ عَمَلًا مِنَ الطاعَةِ ثُمَّ لَم يعمَلْهَا يَكونُ أقوَى ثَوابًا مِمَّا إذا هَمَّ فَقَط.

أمَّا بالنسبةِ للسيئاتِ للمَعَاصِى مَنْ صَمَّمَ ولم يفعلْ تُكتبُ عليهِ، أمَّا ما لَم يُصَمِّمْ لكنْ مَالَ إلى الفِعلِ هذهِ لَا تُكتبُ عليهِ مَا لم يَعْمَلْهَا، إذا رَجَّحَ أنَّهُ يفعَلُها ما لَم يَعملْهَا لَا تُكتبُ عليهِ فإنْ عمِلَهَا تُكتَبُ عليهِ السّيئةُ سيّئةً واحِدَةً أمَّا التّصمِيمُ فيُكتَبُ على الإنسانِ. فإذا وَصَلَ إلى الجَزْمِ تُكتبُ عليهِ لكنْ أقلُّ مِمَّا إذا نَفَّذَها، صَمَّمَ على المعصِيَةِ ثُمَّ لَم يفعَلْهَا كُتِبَتْ عليهِ لكنَّها ليسَتْ كما إذا نفَّذَها وعَمِلَها بلْ يُكتبُ عليهِ إثمٌ أقلُّ مِمَّا إذا عَمِلَها، تَكونُ مَعصِيَتُها أَقَلَّ مِمَّا إذا عَمِلَهَا لأنَّهُ وَرَدَ فِى الحَدِيْثِ أنَّ الرَّجُلَ الذِى يَتَمَنَّى أنهُ لَو أُعْطِىَ منَ المالِ كذا وكذا فإنَّهُ يعمَلُ بهذا المالِ مِثْلَ ما يعمَلُ فُلانٌ مِنَ الفُجَّارِ بمَالهِ مِنَ المعَاصِى فإنَّهُ يكونُ مِثلَ ذَاكَ عَاصِيًا.

وقالَ بعضُ العُلماءِ المعصيةُ لو صَمَّمَ لا تُكتَبُ عليه لَو عَزَمَ فعِندَهُم كَلِمَةُ **مَنْ هَمَّ** تَشْمَلُ العَزْمَ وما دُونَ العَزْم عندَهم ما لم يعمَلْ بِيَدِهِ بجَوَارِحِهِ لَا تُكتَبُ عليهِ وهؤلَاءِ يَتَمَسَّكُونَ بحَدِيثٍ صَحيح الإسنادِ رواهُ البخارِىُّ ومُسلِمٌ وغيرُهما **إنَّ اللهَ تَجَاوزَ لِى عَنْ أُمَّتِى مَا حَدَّثَتْ بِهِ أنفُسُهَا**[1] ما لم يَعمَلُوا أو يتكلَّمُوا[2] اهـ يعنِى أنَّ

---

(١) قال فى فتح البارى فى أكثر الروايات بالضم وللأصيلىّ بالفتح اهـ
(٢) رواه البخارِىّ فِى صحيحه باب الطلاق فِى الإغلاق والكره=

المسلِمَ مِنْ أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ إذا هَمَّ أو عَزَمَ عَلَى مَعصِيَةٍ لَا تُكتبُ عليهِ ما لَم يعمَلْ بمِثلهِ، احتجُّوا بهذا الحدِيثِ هؤلاءِ الذِينَ قالُوا إنَّ الهمَّ والعَزْمَ على المعصِيَةِ لا يُكتَبُ إلَّا إذا عَمِلَهَا.

وأمَّا على الحديثِ المشهُورِ الصَّحِيح **إذا تَوَاجَهَ المسلِمَانِ بسَيْفَيْهِمَا فالقَاتِلُ والمقتُولُ فِى النَّارِ**[1] اهـ كُلٌّ منهُمَا عَزَمَ وتحَرَّكَ حَمَلَ السَّيْفَ ومَشَى، **إذا تَواجَهَ المسلِمَانِ بسَيفَيْهِمَا فالقَاتِلُ والمقتُولُ فِى النَّارِ** كُلٌّ منهُما قَصَدَ أنْ يَضرِبَ الآخَرَ وحَمَلَ السَّيْفَ كِلاهُمَا والتَقَيَا وقَتَلَ أحدُهُمَا الآخَرَ فكِلاهُمَا يَسْتَحِقَّانِ النَّارَ القَاتِلُ يَستَحِقُّ النَّارَ والمقتُولُ يَستَحِقُّ النَّارَ لأنَّ كُلَّ واحِدٍ منهُما قصدَ أنْ يَضرِبَ أخاهُ ظُلمًا ولا يَخْلُدانِ فِى النارِ إنَّما مَعنَى قولِهِ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ **فِى النَّارِ** أنّهما يستحقانِ دخولَ النارِ. قيلَ هذا القاتلُ يا رسولَ اللهِ فما بالُ المقتولِ قالَ **إنهُ كانَ حريصًا على قتلِ صَاحبِهِ** اهـ كانَ مُصَمِّمًا على أنْ يقتلَ الآخرَ، على حسبِ نِيَّتِهِ كانَ قصدُهُ أنْ يَقْتُلَ الآخَرَ فكلاهُما يَستحِقُّ النارَ لكنْ عذابُ القاتلِ أشدُّ بكَثيرٍ، كِلا الرَّجُلينِ قصدَ قتلَ أخيهِ المسلِمِ ظُلمًا هذا ذهبَ وهوَ يحمِلُ السّيفَ وهذا ذهبَ وهوَ يحمِلُ السّيفَ وكلٌّ نِيَّتُهُ أنْ يَقْتُلَ صاحِبَهُ، أمَّا إذا

= والسكران والمجنون ومسلم فِى صحيحه باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر.

(١) رواه البخاريّ فِى صحيحه باب ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾.

كانَ أحدُهما فِى مكانٍ ولَم يذهَبْ إلى أخيهِ إنّما الآخَرُ جاءَ ليَقتُلَهُ فدافعَ هذا عَنْ نفسِهِ ما وَجَدَ مخلَصًا منهُ إلَّا بضَربهِ دِفاعًا عَنْ نفسِهِ فليسَ عليهِ ذنبٌ، لأنهُ مَا قصدَ أنْ يقتلَهُ ظلمًا، مَا طَلَبَهُ ليقتُلَهُ ظُلمًا، جاءَ الآخرُ ليقتلَهُ أو جاءَ ليأخُذَ مالَهُ فدافعَ، حيثُ إنهُ لَا يجِدُ منهُ مَخْلَصًا إلَّا بالضَّربِ للدّفاعِ عَنْ نفسِهِ. أمَّا إذا كانَ أحدُهما جاءَ ليَأخُذَ مالَ المسلِمِ وكانَ لَوِ انتبَهَ لهُ صاحِبُ المالِ يَهْرُبُ فهوَ لَا يُريدُ أنْ يُقاتلَ جاءَ ليأخذَ المالَ ثُمَّ لما شَعَرَ بهِ صاحبُ المالِ هَرَبَ فإذا صوَّبَ إليهِ رَصاصًا فقتلَهُ يكونُ هذا الذِى قتَلَهُ يَستحقُّ النارَ، لأنَّ هذا اللصَّ مَا قاتَلَهُ ليسَ مُتَسَلِّحًا إنما ظَنَّ المكانَ خَاليًا فدَخَلَ لِيَسْرِقَ وهوَ لَا يُريدُ أنْ يُقاتِلَ فهَرَبَ، لِمَ يقتُلُهُ، أليسَ يشهَدُ أن لا إله إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا رَسُولُ اللهِ، لِمَ يقتُلُهُ وقَد أعرَضَ عَنْ مالِهِ. أمَّا إذا قالَ لهُ حُطَّ المالَ فقالَ لا أَحُطُّهُ فأرادَ السَّارِقُ أنْ يأخُذَ المالَ منهُ بالقُوَّةِ وكانَ لَا يَستطيعُ الدَّفْعَ عَنْ مالِهِ إلَّا بالقَتْلِ عندئِذٍ يجوزُ قتلُهُ، وإذا كانَ السّارِقُ مُصِرًّا على أنْ يذهبَ بهذا المالِ مَهما اقتضَى الأمرُ فخَنَقَهُ صَاحِبُ المالِ فقتَلَهُ بالخَنْقِ لأنهُ مُصمّمٌ أنْ يذهبَ بهذا المالِ فليسَ عليهِ ذنبٌ طالَمَا لَا يَجِدُ طَرِيْقَةً أُخْرَى لِمَنْعِهِ مِنْ ذلكَ.

انتهى واللهُ تعالى أعلَم.

الدرس العشرون



العالمُ حَجْمٌ وعَرَضٌ

درسٌ ألقاه المحدِّثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدرِيُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى وهو فِى بيانِ أَنَّ العالَمَ حجمٌ وعَرَضٌ وأَنَّ اللهَ لا يُشبِهُ شيئًا مِنْ هذا العالَمِ. سمِعَهُ منه الشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى والشيخُ جميلُ بنُ محمد حليم والشيخُ محمدُ بنُ مُصطفَى البَكْرِيُّ والشيخُ عبدُ الرزاقِ بنُ محمدٍ الشريفُ. قال رحِمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمدٍ وعلى ءالِهِ وأصحابِهِ الطيبينَ الطاهرينَ.

أما بعد فإنَّ العالَمَ حَجْمٌ وعَرَضٌ. يقولونَ جوهرٌ ويقولونَ حجمٌ. العالمُ حجمٌ وصفةٌ للحجمِ، لا يخرجُ عن ذلكَ. المخلوقُ كلُّهُ لا يخرجُ عَن هذينِ النّوعينِ إمّا حجمٌ وإمّا صفةٌ للحجمِ. والحجمُ إنْ كانَ كثيفًا وإنْ كانَ لطيفًا فهوَ حجمٌ ويقالُ لهُ حدٌّ. كلُّ شىءٍ لهُ حجمٌ فهوَ محدودٌ. كلُّ شىءٍ لهُ حجمٌ كثيفٌ أو لطيفٌ يقالُ لهُ جوهرٌ لأنهُ أصلُ الجسمِ، وهوَ الجزءُ الصّغيرُ الذِى ينضمُّ إليهِ ما بعدَهُ. الحجمُ محدودٌ بالكميّةِ أىْ لهُ كميّةٌ إنْ كانَ لطيفًا وإنْ كانَ كثيفًا. الكثيفُ مثلُ الإنسانِ والحجرِ والشّجرِ، كلُّ شىءٍ يُضْبَطُ باليَدِ يقالُ لهُ كثيفٌ وما لا يُضبطُ باليدِ

يقالُ لهُ لطيفٌ. الضّوءُ النّورُ حجمٌ لطيفٌ لأنهُ لا يضبطُ باليدِ. ضوءُ الشّمسِ حجمٌ لطيفٌ أما الشّمسُ ذاتُها حجمٌ كثيفٌ. الحجمُ إنْ كانَ كثيفًا وإنْ كانَ لطيفًا يقالُ لهُ فِى اصطلاحِ علماءِ التوحيدِ كميَّةٌ، ليسَ الكميةُ عندَهم عددَ الأشياءِ، لا، كلُّ شىءٍ لهُ حجمٌ عندَهم كميّةٌ، حبةُ الخردلِ كميّةٌ والشمسُ كميةٌ والعرشُ لهُ كميةٌ، هذا فِى الكثائفِ، وفِى اللطائفِ الضّوءُ مهما كانَ واسعًا لهُ كميّةٌ ضوءُ الشّمسِ وضوءُ الكهرباءِ وضوءُ الشَّمَعَةِ كلُّ ذلكَ كميةٌ، حجمٌ لطيفٌ. فاللهُ تباركَ وتعالى لا يَكونُ حَجمًا لأنَّ الحجمَ لهُ كميّةٌ أى مقدارٌ. الحجمُ يحتاجُ إلى مَن أوجدَهُ على ذلكَ الحجم المخصوصِ. حبةُ الخردلِ تحتاجُ إلى مَن خلقَها على ذلكَ الحجم الصّغيرِ، وما كانَ أصغر منها كذلكَ يحتاجُ إلى مَن أوجدَهُ. يوجدُ شىءٌ يقالُ لهُ الهباءُ هذا أصغرُ مِن حبةِ الخردلِ، هذا أصغرُ ما تراهُ العيونُ بحسبِ العادةِ، ذلكَ الحجمُ الصّغيرُ يحتاجُ إلى مَن أوجدَهُ على ذلكَ الحجم. والشّمسُ تحتاجُ إلى مَن أوجدَها على ذلكَ الحجم والإنسانُ كذلكَ لأنهُ يجوزُ فِى العقلِ أن يكونَ حجمُ الشّمسِ أوسعَ مِن هذا أو أصغرَ وكانَ يجوزُ فِى حُكْمِ العقلِ أنْ تكونَ فِى جهةِ تحت لكنْ هِىَ فِى جهةِ فوق. بما أنهُ لا يَصِحُّ فِى العقلِ أنْ يكونَ الحجمُ هوَ خَلَقَ نفسَه على ذلكَ الحجم الخاصّ لا يجوزُ أن يكونَ اللهُ تبارك وتعالى حجمًا. لَو كانَ اللهُ حجمًا لاحتاجَ إلى ما يحتاجُ إليه سائرُ الأجسامِ.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الحادى والعشرون



الصفات الواجبة لله تعالى

درس ألقاه الفقيهُ المتكلّمُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ الهرريُّ رحمه الله تعالى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وألف وهو فى بيان الصفات الواجبة لله تعالى. أعطاه الشيخ عبد الله الهررى للشيخ سمير بن سامى القاضى فى ابتداء طلبه للعلم منه وأصلح له نسخته بيده. قالَ رحمهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين. وبعد فقد قال الله تعالى فى سورة الفتح ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾.

يجبُ الإيمانُ باللهِ معَ معرفةِ ما يجوزُ فى حقّ اللهِ ومَا يَستحيلُ فى حقّهِ وما يجبُ لهُ، فيَعتقدُ بوجودِ اللهِ وبصفاتهِ ويعتقدُ بها اعتِقادًا جازمًا، والإيمانُ بالرّسولِ معَ معرفةِ ما يَليقُ بهِ وما يجوزُ فى حقّهِ وحقِّ إخوانهِ الأنبياءِ وما يَستحيلُ فى حقِّهم وما يجبُ لهم معَ الإقرارِ باللسانِ بذلكَ وأقلّهُ النطقُ بالشّهادتينِ أو ما فى مَعناهما. ومَن لَم يُؤمنْ باللهِ ورسولهِ يُعَدُّ كافرًا ويَدخلُ جهنّمَ خالدًا فيها.

وقبلَ البَدءِ بهذهِ الدّراسةِ فليُعلَم أنَّ الأحكامَ العقليّةَ ثلاثةٌ أوّلًا الواجبُ العقلِيُّ وهوَ الذى لَا يُتصوّرُ فى العقلِ عَدمهُ أىْ عدمُ وجودهِ أو هوَ الذى لَا يَقْبَلُ العدمَ أصلًا لذاتهِ، فاللهُ هوَ واجبُ الوجودِ لأنهُ لَا يُتَصَوَّرُ فى العَقلِ عَدمُهُ أىْ لَا يَقْبَلُ الانتفاءَ أصلًا لذاتهِ.

ثانيًا المستحيلُ العقلِيُّ وهوَ الذى لَا يُتَصَوَّرُ فى العقلِ وجودُهُ أىْ لَا يَقبلُ الوجودَ أصلًا لذاتهِ. فالشّريكُ لله مستحيلُ الوجودِ لأنهُ لَا يَقبلُ الوجودَ أصلًا لذاتهِ أىْ لَا يَتَصَوَّرُ العقلُ وجودَهُ.

ثالثًا الجائزُ العقلِيُّ وهوَ الذى يُتَصَوَّرُ فى العقلِ وجودُهُ تارةً وعدمُهُ تارةً أخرى، فالعالَمُ بما فيهِ منَ الأشياءِ التِى نَراها والتِى لَا نَراها جائزُ الوجودِ أىْ ممكنُ الوجودِ لأنهُ يُتصوَّرُ فى العقلِ وجودُهُ بعدَ عدمٍ وعدمُهُ بعدَ وجودٍ وهذهِ حالةُ العالَمِ، فالإنسانُ مثلًا أوجدَهُ اللهُ بعدَ أنْ لَم يَكُن مَوجودًا ثمَّ يَفنى فهوَ لذلكَ مِنَ الـمُمْكِناتِ.

قالَ اللهُ تعالى فى سورة النحل ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أى للهِ الوَصفُ الذى لَا يُشبهُ وصفَ غيرهِ.

وصفاتُ اللهِ يجبُ الإيمانُ بأنّها ثابتةٌ لهُ ومَن نَفاها يُسمَّى مُعَطِّلًا، فالـمُلْحِدُ الذى لَا يَعتقدُ مثلًا وجودَ اللهِ يكونُ قَد نَفى صفةَ الوجودِ لذلكَ يُسمَّى معطلًا. وهذهِ الصّفاتُ التى يجبُ الإيمانُ بها هِى صفاتٌ ثابتةٌ للهِ تعالى، وهىَ ليسَت عينَ الذاتِ ولَا غيرَ الذاتِ فنقولُ هىَ صفاتٌ هوَ مُتّصفٌ بها تجبُ لهُ عقلًا وشرعًا، وفى

قولِ الإمامِ النّسفِىّ[(١)] وهىَ لَا هوَ ولَا غيرهُ اهـ

والصفاتُ التى يجبُ على كلّ مسلم بالغ عاقلٍ أن يَعْلَمَها وهىَ صفاتُ الذاتِ للهِ والتى لَا يوصف اللهُ بمُقابلها ثلاثَ عشْرةَ صفةً أجمعَتِ الأئمةُ على أنَّ جاهِلَها[(٢)] يكونُ فاسقًا وهىَ الوجودُ والقِدَمُ والبقاءُ والعِلمُ والمشيئةُ والقدرةُ والوحدانيةُ والمخالفةُ للحوادثِ والقيامُ بالنفسِ والسّمعُ والبَصرُ والكلامُ والحياةُ.

أوّلًا الوجودُ. قالَ اللهُ تعالى فى سورة إبراهيم ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ فيجبُ الاعتقادُ بوجودِ اللهِ وهىَ صفةٌ للهِ أزليةٌ أبديةٌ فاللهُ تعالى موجودٌ بلَا بدايةٍ مَوجودٌ بلَا نهايةٍ موجودٌ بلَا مكانٍ.

ثانيًا القِدَمُ. يجبُ الاعتقادُ بأنَّ اللهَ تعالى قديمٌ بمعنَى أنهُ هوَ الأوّلُ أىْ لَا بدايةَ لوجودهِ وأنَّ صفاتِهِ أزليّةٌ.

ثالثًا البقاءُ. يجبُ الاعتقادُ بأنَّ اللهَ تعالى هوَ الآخِرُ أىْ لَا نهايةَ لوجودهِ أىْ أبدِىٌّ وأنَّ صفاتهِ أبديةٌ ولَا أبدِىَّ بذاتهِ إلا اللهُ لأنهُ لَا يَقبلُ الفَناءَ أصلًا لذاتهِ. أما الجنةُ والنارُ وإنْ كانَتا أبديَّتَينِ فَبِمشيئةِ اللهِ بَقاؤُهما فهما أبديتانِ بغَيرِهما لأنهما منَ الممكناتِ فهما جزءٌ مِن

---

(١) أى يُعَبَّرُ عن المعنى نفسِهِ أيضًا بعبارةِ النسفِىّ المذكورة.

(٢) المقصود بجاهلها من لم يخطر ببالِهِ صفةٌ منها أو أكثرُ ولم يتعلمْها فإنه يكونُ فاسِقًا وأما من أنكر صفةً منها فهو كافر. نعم من لم يخطر بباله وجودُ الله تعالى فإنه كافرٌ كذلك.

هذا العالم، قالَ اللهُ تعالى فى سورةِ الحديدِ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ﴾.

رابعًا الوَحدانيةُ. يجبُ الاعتقادُ بأنَّ اللهَ واحدٌ لَا شريكَ لهُ قالَ اللهُ تعالى فى سورة محمد ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾. اللهُ واحدٌ فى ذاتهِ فلَا نظيرَ لهُ وواحدٌ فى صفاتهِ وواحدٌ فى فعلهِ فنَقولُ مثلًا اللهُ خالقٌ ولا خالقَ إلا الله. واللهُ تعالى واحدٌ لَا مِن طريقِ العددِ لأنَّ العددَ مخلوقٌ ولكنْ مِن طَريقِ أنْ لَا شريكَ له.

خامسًا المخالَفةُ للحوادثِ. فاللهُ تعالى لا يُشْبِهُ شيئًا من مخلوقاته لا فى ذاته ولا فى صفاته قالَ تعالى فى سورة الشورى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وقالَ الإمامُ أبو حنيفةَ أنَّى يُشبهُ الخالقُ مخلوقَهُ اهـ

سادسًا القيامُ بالنَّفْسِ. قالَ تعالى فى سورة الإخلاص ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ واللهُ تعالى هوَ المستغنِى عَن كلّ ما سِواهُ فلَا يحتاجُ إلى مُوجِدٍ لأنهُ موجودٌ بلا بدايةٍ ولَا يحتاجُ إلى مَن يُخَصِّصُهُ بالعلم بدلَ الجهلِ أو غيرِها مِن صفاتهِ لأنهُ مُتّصفٌ بها فيمَا لا بداية لوجوده.

سابعًا العلمُ. يجبُ الاعتقادُ بأنَّ اللهَ متصفٌ بصفةِ العلم وهىَ صفةُ ذاتٍ واجبةٌ للهِ تعالى أزليةٌ وأبديةٌ فلَم يَزلِ اللهُ عالـمًا بذاتهِ وصفاتهِ وما يُحدِثُهُ مِن مخلوقاتهِ لَا يَغيبُ عَن عِلْمِهِ شىءٌ لأنهُ يَعلَمُ بكلّ الأشياءِ فى الأزلِ.

ثامنًا المشيئةُ. يجبُ الاعتقادُ بأنَّ اللهَ متّصفٌ بالمشيئةِ أيِ الإرادةِ وهىَ صفةٌ أزليّةٌ أبديّةٌ يخصّصُ بها اللهُ تعالى الممكنَ ببعضٍ ما يجوزُ عليهِ كتخصيصِ الأخضرِ بلونِ الخُضْرةِ دونَ غيرِها منَ الألوانِ الجائزةِ عليهِ، لَا فَرْقَ فى ذلكَ بينَ الخيرِ والشَّرّ والكُفْرِ والإيمانِ والفوزِ والخُسْرانِ وغيرِها منَ المُتَضادّاتِ منَ الممكناتِ.

تاسعًا القدرةُ. يجبُ الاعتقادُ بأنَّ اللهَ متّصفٌ بالقدرةِ وهىَ صفةٌ أزليةٌ أبديةٌ للهِ تتعلّقُ بإيجادِ الممكنِ وإعدامهِ لقولهِ تعالى فى سورة البقرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ أىْ على كلّ شىءٍ منَ الممكناتِ فلَا تتعلّقُ قدرةُ اللهِ بالواجبِ الوجودِ إيجادًا ولَا إعدامًا لأنهُ لَا يقبلُ الفناءَ أصلًا لذاتهِ. كذلكَ لَا تتعلّقُ قدرةُ اللهِ بالمستحيلِ العقلِىّ لا إيجادًا ولا إعدامًا لأنهُ لَا يَقبلُ الوجودَ أصلًا لذاتهِ. وعدمُ تعلّقِ قدرةِ اللهِ بالمستحيلِ والواجبِ العقلِىّ ليسَ عَجْزًا بل هوَ كمالٌ للهِ تعالى وهوَ مِن مُقتَضَياتِ العقلِ أيضًا لأنَّ المستحيلَ العقلِىَّ لا يَنْقَلِبُ مُمْكِنًا أيضًا، وتتعلّقُ القدرةُ بالمستحيلِ العادِىّ.

عاشِرًا السّمعُ. يجبُ الاعتقادُ بأنَّ اللهَ متّصفٌ بالسّمعِ وهىَ صفةٌ للهِ أزليّةٌ أبديّةٌ يَسمعُ اللهُ تعالى بها كلَّ المسموعاتِ لا فَرْقَ بين ما كان قريبًا أو بعيدًا مِنّا. وهوَ يَسمعُ بلَا أُذُنٍ ولا واسطةٍ ولا جارِحَةٍ ولا يَطْرَأُ على سَمْعِهِ ضَعْفٌ ولا تَغَيُّرٌ لأنَّ هذا لا يليقُ بالله قالَ اللهُ تَعالى فى سورة الشورى ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

الحادِى عشرَ البصرُ. يجبُ الاعتقادُ بأنَّ اللهَ متّصفٌ بالبصرِ وهىَ صفةٌ أزليةٌ أبديةٌ للهِ تعالى يَرى بها الـمَرْئِيّاتِ كلَّها بلَا جارحةٍ ولا واسطةٍ، يَرى الأشياءَ البعيدةَ مِنّا والقريبةَ، ولَا يَطْرأُ على صفةِ البصرِ لله تَغَيُّرٌ ولا تَبَدُّل لأنَّ أزلِىَّ الذاتِ لا يَتَطَوَّرُ وصفاتُهُ الأزليّةُ لا تتطور.

الثانى عشرَ الكلامُ. يجبُ الاعتقادُ بأنَّ للهِ صفةَ الكلامِ وهىَ صفةٌ أزليةٌ أبديةٌ للهِ تعالى واللهُ ءامرٌ ناهٍ مُخْبِرٌ بها ليسَت حَرفًا ولا صوتًا ولا لغة، أما القرءانُ بمعنَى اللفظِ المنَزّلِ على سيّدنا محمّدٍ وغيرُهُ منَ الكتبِ المنَزلةِ فعبارةٌ عَن كلامِ اللهِ الذاتِىّ الأزلىّ فكما إذا كتَبنا الله أىْ لفظَ الجلالَةِ فهذهِ الكلمةُ هىَ عبارةٌ عَن ذاتِ اللهِ وليسَتْ عَيْنَ الذات، وكذلكَ القرءانُ هوَ عبارةٌ عَن كلامِ اللهِ، وسُمّىَ كلامَ اللهِ لأنهُ ليسَ مِن تأليفِ محمّدٍ ولَا جبريلَ. ويُطلقُ القرءانُ بمَعنى الكلامِ الذاتِىّ أيضًا قالَ اللهُ تعالى فى سورة النساء ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾.

الثالثَ عشرَ الحياةُ. قالَ اللهُ تعالى فى سورة البقرة ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ فالحياةُ صفةٌ للهِ أزليّةٌ أبديةٌ، وحياةُ اللهِ ليسَت كحَياتِنا لأنَّ حياتَنا بحاجةٍ لاجتماعِ الرّوحِ والجسدِ أما حياةُ اللهِ فهىَ صفتُهُ.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الثانى والعشرون



الصوفية الحقة على عقيدة التنزيه

درسٌ ألقاه الصوفِيُّ المتكلمُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ العبدرِيُّ رحمه الله تعالى وهو فى بيان الردِّ على ملاحِدَةِ المتصوّفة وعلى الوهابية. سمعه منه الشيخ سمير بن سامى القاضى والشيخ نبيل بن محمد الشريف والشيخ جميل بن محمد حليم والشيخ محمد ابن مصطفى البكرىُّ والشيخ عبد الرزاق بن محمد الشريف. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمةُ وله الفضلُ وله الثناءُ الحسنُ وصلواتُ اللهِ البَرِّ الرحيمِ والملائكةِ المقربينَ على أشرفِ المرسلين سيدنا محمد وعلى ءاله الطيبينَ الطاهرينَ وسلامه عليهم أمّا بعدُ فإنَّ الشّاذليّةَ الأصليّةَ صحيحةٌ ثمَّ بعدَ مائِتَىْ سَنةٍ منَ الشّيخِ أبى الحسنِ الشّاذلىّ دخلَ فيها تحريفٌ كثيرٌ، كثيرٌ منهُم انحرَفوا ثمَّ بعدَ سِتّمائةِ سنةٍ زادَ الانحرافُ. يوجدُ شاذليةٌ دَرْقاوِيَّةٌ وشاذليةٌ يَشْرُطِيَّةٌ، هاتانِ فيهما انحرافٌ، بعضُ مَن يَنتسبُ إليهِما عمِلُوا كتبًا فيها خِلافُ التّوحيدِ.

التّوحيدُ الذى يُعرِّفُهُ الصوفِيَّةُ وغيرُهم هوَ إفرادُ القديم منَ الـمُحْدَثِ. سيّدُ الطّائفةِ الصّوفيّةِ أبو القاسمِ الجنيدُ

ابنُ محمّدٍ البَغدادِىّ رضِىَ اللهُ عنهُ الذى تُوُفِّى سنةَ مِائتينِ واثنتَينِ وتسعينَ تَقريبًا هوَ شيخُ الصّوفيّةِ سيّدُ الصّوفيّةِ. الصّوفيّةُ المتحقِّقونَ يَقتدونَ بهِ فى أيامهِ وبعدَ أنْ تُوفِّى إلى أيامِنا هذهِ. الصّوفيّةُ الصّحيحةُ، مَن كانوا على مَنهجهِ هؤلاءِ يُوافِقونَ القُرءانَ والحديثَ. هوَ قالَ التّوحيدُ إفرادُ القَديم منَ المحدَثِ[١] اهـ احفَظوا هذهِ الجملةَ معناهُ تَركُ تَشبيهِ اللهِ بالعالمِ، اللهُ قديمٌ لَا ابتداءَ لهُ أما العالمُ فَمُحْدَثٌ لَم يَكن ثُمَّ كانَ، العالَمُ كلُّهُ لَم يَكن ثُمَّ كانَ، النّورُ والظّلامُ مَا كانا مَوجودَينِ ثُمَّ خلقَهما اللهُ وكذلكَ العَرشُ والسّماواتُ، مَا كانَ شىءٌ فى الأزلِ إلّا اللهُ الذى لَا ابتداءَ لوجودهِ. ويُسَمَّى اللهُ القديمَ أىْ لَا ابتداءَ لوجودهِ ومَا سوَى اللهِ يقالُ لهُ مُحدَثٌ أى وُجِدَ بعدَ أنْ كانَ مَعدومًا. التّوحيدُ هوَ أنْ لا يُشَبَّهَ القديمُ أى اللهُ بالمحدَثِ وذلكَ أنَّ اللهَ ليسَ جسمًا لطيفًا ولا جسمًا كثيفًا، لَا بدَّ للجسمِ مِن مكانٍ وَجِهَةٍ أما اللهُ تباركَ وتعالى الذى ليسَ جِسمًا كثيفًا ولا جسمًا لَطيفًا فهوَ مَوجودٌ بلَا مكانٍ، لَا يكونُ متحيّزًا فى جهةٍ ولا مكانٍ، أما الحجمُ فلا بدَّ أنْ يكونَ لهُ جهةٌ ومكانٌ.

حتى النّورُ لهُ جهةٌ ومكانٌ، والظّلامُ كذلكَ. بعضُ النّورِ فى الجنّةِ وبعضُ النّورِ فى العرشِ وبعضُ النّورِ فى السّماوات ونورُ الشّمسِ والقَمرِ فى الأرضِ، كلٌّ لهُ

(١) رواه الإمام أبو بكر الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد.

حجمٌ. نورُ الشّمسِ أوسعُ حَجمًا مِن نورِ القمرِ ثُمَّ نورُ القَمرِ ثُمَّ نورُ الكهرباءِ بعدَ أنْ أوجدَ اللهُ الكهرباءَ نورُه[١] أوسعُ من نورِ الشَّمَعَةِ، ثمَّ نورُ الشَّمَعَةِ مِساحتهُ قصيرةٌ، كلٌّ لهُ جهةٌ ومكانٌ، أما اللهُ فليسَ حَجمًا كثيفًا ولا حجمًا لطيفًا وليسَ متحيزًا فى مكانٍ وجهةٍ.

الذى يَتصور اللهَ حجمًا لا بدَّ أن يكونَ أثبتَ له تحيُّزًا فى مكان وجهة أما مَن أخرجَ مِن قَلْبِهِ أنَّ الله له حجمٌ لطيفٌ أو كثيفٌ فهذا يَسْهُلُ عليهِ اعتقادُ أنَّ اللهَ موجودٌ بلَا جهةٍ ولا مكانٍ، أما الذى يَعتقدُ أنَّ اللهَ حَجمٌ فلَا يَتمكَّنُ مِن اعتقادِ أنَّ اللهَ موجودٌ بلا جهةٍ ولا مكانٍ.

فالتّوحيدُ كما قالَ الإمامُ الجنيدُ أنْ يَعتقدَ الإنسانُ أنَّ اللهَ ليسَ حَجمًا صَغيرًا ولَا حَجمًا كبيرًا وليسَ مُتحيزًا فى مكانٍ، هوَ خلافُ العالَمِ، العالمُ لَا بدَّ أنْ يكونَ لهُ حجمٌ وجِهةٌ، العرشُ فى جهةِ فَوق والأرضُ فى جهةِ تحت.

هؤلاءِ همُ الصّوفيةُ الحقيقيّةُ وهؤلاءِ همُ المسلمونَ المؤمنونَ العارفونَ بخالقِهم. أما مَن ليسَ كذلكَ فليسَ عَارِفًا بخالقهِ ولَا يَصِحُّ أنْ يكونَ مُؤمنًا مُسلمًا حتى يُخرجَ هذا مِن قَلْبِهِ ويعتقدَ أن اللهَ موجودٌ ليسَ حَجمًا وليسَ لهُ جهةٌ ومكانٌ، ليسَ شيئًا صغيرَ المِساحةِ ولا كبيرَ المِساحةِ، ليسَ شيئًا يدخلهُ المقدار. المخلوقُ

---

(١) أى نور الكهرباء.

يَدخلهُ الحدُّ، حتى النّورُ يَدخلهُ الكميّةُ والمقدارُ. الإنسانُ طولُهُ أربعةُ أذرُعٍ طولًا والعَرشُ لهُ كميّةٌ اللهُ يَعلَمُها كَم هىَ والسّماواتُ السَّبعُ لها كميّةٌ يَعلَمُها اللهُ كَم هىَ، وأمّا ابنُ تيميةَ فيَقولُ اللهُ له حدٌّ يعلمُهُ هو لا نعلمه نحن. يقالُ لِأَتْباعِهِ العَرْشُ لهُ حَجمٌ لهُ حَدٌّ اللهُ يَعلمُهُ لَا نَعْلَمُهُ نحنُ، أنتُم جعلتُم العرشَ واللهَ متساوِيَينِ، أنتم جعلتم للهِ مِثْلًا، جَعلتم اللهَ كالعَرْشِ واللهُ يقولُ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾، أنتُم خالفتُمُ القرءانَ.

لَا يكونُ المرءُ صُوفِيًّا إلا أنْ يَعتقدَ هذهِ العقيدةَ. أما الذينَ يقولونَ اللهُ فى كلِّ مكانٍ فهؤلاءِ ما شَمُّوا رائحةَ التصوُّف. كثيرٌ منَ الذينَ يَدَّعُونَ الطَّرِيقَةَ تَجِدُهم يقولونَ اللهُ موجودٌ فى كلِّ مكانٍ، هذا كأنَّهُ عندَهم عِلْمُ التوحيد.

أحدُ الذينَ يَنتسِبونَ إلى النَّقْشَبَنْدِيَّةِ وادَّعى أنهُ قطبٌ وكانَ دخلَ الخلوةَ تحتَ الأرضِ عندَ الشّيخِ الذى هوَ يَنتسبُ إليهِ، هذا مرّةً ذهبَ إلى المدينةِ وكانَ مَعهُ بعضُ جماعَتنا قالَ لما نظرَ إلى الثُّرَيّا التى فى المسجدِ قالَ هذهِ ليست مِن خَلْقِ الله هذه مِن خَلْقِ الإنسانِ. ماذا نَفعَهُ التزامُهُ أورادَ النقشبنديّةِ ودُخولُهُ الخَلوةَ تحتَ الأرضِ، كلُّ ذلكَ مَاذا نفعَهُ وهوَ لَا يَعرفُ أصلًا مِن أصولِ العقيدةِ أنَّ اللهَ هوَ خالِقُ كلِّ شىءٍ الحجمِ اللطيفِ والحجمِ الكثيفِ وحركاتِ العبادِ وسكناتِهم

ونواياهُم وتقلُّباتِ قلوبهِم واللمحةِ والطَّرْفَةِ والحركاتِ والسَّكَناتِ كلُّ ذلكَ اللهُ خالقهُ ليسَ لهُ خالقٌ غَيرُهُ، الإنسانُ يَفْعَلُ فقَط، يَمشِى ويتحرَّكُ ويَطرُفُ عَيْنَهُ ويُفَكّرُ، كلُّ هذا الإنسانُ لا يخلقُهُ بلِ اللهُ يخلقُهُ فيه كما جاءَ فى القرءانِ فى سورة الرعد ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ الشىءُ يَشمَلُ الشّىءَ الذى لهُ حجمٌ الشجَرَ والرّيحَ والإنسانَ ويشمَلُ حَركاتِ الإنسانِ وتَكَلُّمَهُ وطرفةَ عَينهِ. القرءانُ يقولُ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ أىْ هوَ خالقُ الأجسامِ اللطيفةِ والكثيفةِ وخالقُ حركاتِ العبادِ وسَيْرِهم. فى القرءانِ الكريم فى سورة يونس ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ﴾ معناهُ هوَ الذى يُمَكِّنُكُم منَ المشْىِ فى البَرّ والبَحرِ. الإنسانُ أولَ ما يُولَدُ لَا يستطيعُ أنْ يَمشِى ولَا يَكونُ عندَهُ مَعلوماتٌ ولَا يَتكلّمُ، اللهُ يُمكّنُهُ منَ المَشىِ بعدَ ذلكَ ويخلقُ فيهِ المعلوماتِ ويُمكّنهُ منَ الكلامِ. كذلكَ الملائكةُ لَا يخلقونَ شيئًا إنما خالقُ الأشياءِ كلِّها هوَ اللهُ. هذا مَا نَفَعَه انتسابُهُ للطريقةِ النقشبنديّةِ ودُخولُهُ الخلوةَ. ماذا نفَعَهُ وهوَ جاهلٌ بعقيدةِ التوحيدِ. أكثرُ المنتسبينَ للتّصوّفِ اليومَ هَكذا لَا يَعرفونَ مذهبَ أهلِ السّنةِ، يَدخلونَ إلى المشايخِ يأخذونَ منهُم الطريقةَ وهُم جُهّالٌ قبلَ أنْ يَتعلَّموا تنزيهَ اللهِ، يَدخلونَ فيزدادونَ غُرورًا ويقولونَ نحنُ وَصلنا إلى الغايةِ. ما أكثرَ الهالكينَ مِنَ المنتسبينَ للطّرقِ.

أما الوهابيّةُ فيقولونَ أنتم تقولون اللهُ تعالى ليس جسمًا ليس قاعدًا على العرش إذًا على قَوْلِكم اللهُ غيرُ موجودٍ. يقالُ لهم ليسَ مِن شرطِ الوجودِ أنْ يكونَ لهُ جهةٌ وكيفيةٌ ومَكانٌ وليسَ مِن شَرطِ الوجودِ أن يُستطاعَ تَصَوُّرُهُ فى النَّفْسِ. بَعضُ مخلوقاتِ اللهِ لَا يمكن تَصَوُّرُهُ وهوَ موجودٌ هوَ حاصلٌ. بعدَ أنْ خلقَ اللهُ الماءَ والعرشَ واللوحَ والقلمَ الأعلى اللهُ خلقَ النورَ والظّلامَ. الإنسانُ لَا يستطيعُ أنْ يَتصوَّرَ وقتًا ليسَ فيهِ نورٌ ولَا ظلامٌ. الإنسانُ يَستطيعُ أنْ يتصوَّرَ وقتًا فيهِ نورٌ وليسَ فيهِ ظلامٌ ويَستطيعُ أنْ يَتصوَّرَ وقتًا فيهِ ظلامٌ وليسَ فيهِ نورٌ أما وَقتٌ ليسَ فيهِ نورٌ ولَا ظلامٌ فلا يستطيع الإنسانُ أن يتصوَّرَ ذلك ومعَ هذا يجبُ أنْ نؤمنَ أنهُ كانَ وَقتٌ ليسَ فيهِ نورٌ ولَا ظلامٌ. قالَ اللهُ تعالى فى سورة الأنعام ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ اللهُ تَعالى خلقَ السمٰواتِ والأرضَ بعدَ أنْ كانا مَعدومَينِ وكذلكَ خلقَ اللهُ النورَ والظّلامَ بعدَ أنْ كانا مَعدومَينِ وخَلْقُ السّمواتِ والأرضِ والنّورِ والظّلام كلُّ ذلكَ كانَ بعدَ خلقِ الماءِ والعَرشِ لأجلِ هذا فَرضٌ عَلينا أنْ نؤمنَ أنهُ كانَ وقتٌ لَم يَكن فيهِ نورٌ ولَا ظلامٌ معَ أننا لا نستطيع تصوُّرَ ذلكَ.

على زعم الوهابيّةِ الشيءُ الذى لا يُتَصَوَّرُ ليس موجودًا لذلكَ يقولونَ اللهُ قاعدٌ على العرش وهو له

حجمٌ ومكانٌ وجهةٌ هو فى جهةٍ فوق مستقرٌّ على العرش. عَلى زَعمِهم قَولُهُم اللهُ قاعدٌ على العرش تعظيمٌ وهوَ فى الحقيقةِ ليسَ تَعظيمًا للهِ بلْ شَتْمٌ للهِ لأنهُ تَشبيهٌ للهِ بخَلقهِ. الإنسانُ يقعدُ والملائكةُ يقعُدونَ والجنُّ يَقعدونَ والكلبُ والفِئرانُ، الجلوسُ صفةُ هؤلاءِ. كيفَ يوصف الله الذى خلق المكان وما يَحُلّ فى المكان بصفة الجلوس.

مُصيبتُهُمْ أنّهم فسَّروا بعضَ الآياتِ عَلى غَيرِ وَجهِها. ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[1] فسَّروا هذهِ الآيةَ بالجلوسِ، قالوا استوى معناه جلَسَ، وليسَ مَعنى استوَى جلسَ، مَعنَى استوَى قهرَ، اللهُ قهرَ العَرشَ. العَرشُ وجودهُ باللهِ تعالى، اللهُ أوجدَهُ وهوَ الذى يحفظُهُ فى مَركزهِ ولَولا ذلكَ لَهَوَى ما ثَبتَ ثانيةً واحدةً، وهذهِ النّجومُ كذلكَ والشّمسُ والقَمرُ والجنةُ لَولا أنَّ اللهَ أبقَاها فى مَكانها مِن غَيرِ مُلامسةٍ لَمَا ثَبَتَتْ، وكذلكَ هذهِ الأرضُ التى تحمِلُنا لولا أنَّ اللهَ أبقَاها فى مَكانها لَهَوَتْ بنا.

اللهُ خلقَ الماءَ ثَمَّ خلقَ العَرشَ على وجهِ الماءِ. العَرشُ للمَلائكةِ ليسَ إلا مِثلَ الكعبةِ للبَشَرِ. اللهُ أمرَنا بأنْ نَستقبلَ الكَعبةَ فى صَلاتِنا ونَطوفَ بها فى الحجّ والعُمرةِ كذلكَ أولئكَ الملائكةُ الذينَ حولَ العَرشِ ومِنْ كثرَتِهم أحاطوا بالعَرشِ يَطوفونَ بهِ كمَا نحنُ نَطوفُ

---

(١) سورة طه.

بالكَعبةِ ويُصَلُّونَ إليهِ عندَ صَلاتِهم.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ معناهُ قَهَرَ أما تَفسيرهُ بِجَلَسَ فهذا شَتْمٌ لله.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الثالث والعشرون



المشايخُ غيرُ معصُومِينَ

درسٌ ألقاهُ المحدثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدرِيُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى وهو فِى بيانِ وجوبِ التحذيرِ مِنَ المنكرِ وأنَّ المشايخَ غيرُ معصُومِينَ مِنَ الخطإِ. سمِعَهُ منه الشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ جميلُ بنُ محمد حليم والشيخُ عبدُ الرزاقِ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ محمدُ بنُ مُصطَفَى البكرِيُّ. قال رحِمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ وصلَّى اللهُ على سيّدِنا محمدٍ وسلَّم، أمَّا بعدُ فهناكَ كُتُبٌ اشتهرَتْ وفيها ما يُحذَرُ مثلُ كتابِ تفسيرِ الجلالَينِ، هذا الكتابُ أىْ تفسيرُ الجلالَينِ أعجَبُ كيفَ بقِىَ بينَ الناسِ يُقرَأُ وفيهِ كُفرِياتٌ، هذهِ غفلةٌ. هذهِ المدَّةُ مَا كانَ فيها سَلاطِيْنُ عِندَهم مُراقبةٌ كافيةٌ، لو كانَ فيها سَلاطِينُ يُراقبونَ مُراقبةً كافيةً مَا بقِىَ بينَ الناسِ مُستَعْمَلًا.

الفَخرُ الرّازِىُّ قبلَ هذا بثلاثِمائةِ سنةٍ ذكرَ كُفرِيةً ورَدَتْ فِى الجلالَينِ بَيَّنَ أنها كُفرٌ. كانَ قَد حذَّرَ منها قبلَ ثلاثِمائةِ سنةٍ معَ ذلكَ هذا الكتابُ بَقِىَ بينَ النَّاسِ مُستعملًا. ما هذهِ الغَفلةُ. هذهِ الكفريةُ هِىَ أنهُ مذكورٌ فِى هذا الكتابِ أنَّ الرّسولَ ﷺ كانَ يقرَأُ فِى سُورةِ

النجمِ فلمَّا بلغَ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ الشَّيْطَانُ أَلقَى على لِسَانِهِ فقَرَأَ ما ليسَ فِى القُرءانِ وهو يظُنُّ أنَّه مِنَ القُرءانِ مِمَّا هو مَدْحٌ لهذه الأوثانِ الثلاثَةِ فجاءَ جبريلُ فقالَ لهُ هذا ليسَ مِنَ القُرءانِ فحَزِنَ الرسولُ فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ التِى هِىَ مِنْ سُورةِ الحَجِّ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ اهـ هذا الكلامُ وارِدٌ فِى القِسمِ المنسُوبِ للجَلالِ المحَلِىّ. هذا الكتابُ لاثنينِ الجلالِ السيوطِىّ والجلالِ المحلِىّ، هذا الكلامُ فِى النّصفِ الثانِى المنسوبِ للجلالِ المحلِىّ.

والصّحيحُ أنَّ الرّسولَ ﷺ كانَ يَقرأُ فِى سُورةِ النجمِ فلمَّا بلغَ إلى هذا الموضعِ الشّيطانُ نَطَقَ بهذا الكلامِ الذى هوَ مدحٌ لهذهِ الأوثانِ وكانَ قُرْبَهُ مشركونَ ففرِحوا قالوا ما مَدَحَ ءالهتنا قبل الآن فلما بلغَ الرسولُ موضعَ السّجدةِ فى سورةِ النجمِ سَجَدَ الرسول وسجد معه المشركون. أما القصةُ التى أُدخِلتْ فى تفسيرِ المحلىّ فيقولُ الفخرُ الرازىُّ إنَّ مَنِ اعتقدَها كافرٌ. هذا ضررٌ كبيرٌ، كيفَ استمرَّ هذا الكتابُ بينَ الناسِ، لعلَّهُ طُبعَ عشرينَ أو ثلاثينَ طبعةً. هذهِ كفريةٌ منَ الكفريات. بعضُ الناسِ إذا وجدوا كلامًا لمؤلفٍ مشهورٍ بينَ الناسِ يقولونَ هذا صَوابٌ ولو كانَ يخالف الدينَ ويخالف أصلَ العقيدةِ، يقولونَ هذا المؤلف لا يخطئ،

هذهِ مصيبةٌ كبيرةٌ. الرسولُ عليهِ السّلامُ **قالَ مَا مِنكُم مِن أحدٍ إلّا يُؤخذُ مِن قولهِ ويُترَك غيرَ رسولِ اللهِ** اهـ وفى روايةٍ **غيرَ النبىّ**[١] اهـ معناهُ كلُّ فردٍ مِن أفرادِ الأمةِ بَعضُ كلامهِ فيهِ خَطأ، هذا يشملُ الصّحابةَ ومَن جاءَ بعدَهم. بعضُ النّاسِ على خلافِ هذا الحديثِ، يظنّونَ أنَّ مَشايخَهم مَشايخَ الطريقةِ يستحيلُ عليهم الخطأ يظنّونَ أنَّ كلامَهم كأنه وحىٌ مُنَزَّلٌ.

إذا تأكدَ المريدُ أنَّ الشيخَ أخطَأ ينبّههُ فإنْ رجعَ الشيخُ فذاكَ الأمرُ وإلا فيَترُكُ المريدُ قولَهُ وَيَتْبَعُ الشّرعَ. الشيخُ عبدُ القادرِ والشيخُ الرفاعىُّ رضىَ اللهُ عنهُما بَيَّنَا هذهِ الحقيقةَ قالا هَكذا لكنِ المنتسبونَ إلى بعضِ الطّرقِ كالقادريةِ والشاذليةِ والنقشبنديةِ كثيرٌ منهُم ما يُنْسَبُ إلى واحدٍ مِن مشايخهِم يعتقدونَ أنهُ الحقّ ولو كان خطأً.

لو كانَ الولىُّ يَجِلُّ عنِ الخطأ ما أخطأ أبو بكر ولا عمر لأنهما أفضلُ أولياءِ الأمّةِ إلى يومِ القيامةِ، حتى المهدِىُّ ليسَ فى درجتِهما.

إذا كانَ سيّدُنا عُمرُ اعتَرَف بأنهُ أخطَأ، مرةً راجعتهُ امرأةٌ فقيهةٌ فرجعَ عَن خطئهِ وأعلنَ على المنبرِ أنهُ أخطأ، قالَ أصابَتِ امرأةٌ وأخطأ عُمرُ فكيفَ هؤلاءِ الأولياءُ الذينَ جاؤوا بعدَهُ كأبى الحسنِ الشّاذِلِىّ وشاه نَقْشَبَنْد، ماذا يكونُ أمثالُ هؤلاءِ بالنسبةِ إلى عمرَ. كثيرٌ

(١) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير.

منَ الناسِ غَلَوْا فى حُبِّ مَشايخِهم فكفَروا.

شيخُنا الشيخُ أحمدُ عبد الرحمن[١] رضىَ اللهُ عنهُ كانَ مِن أعبدِ الناسِ ومِن أعلمِ أهلِ تلكَ الناحيةِ، نادرٌ مثلهُ فى ذاكَ الزّمنِ، قالَ لى من شِدّةِ احتياطهِ إذا رأيتَ مِنّى مكروهًا فَنَبِّهْنِى، ما قالَ حرامًا، قالَ مكروهًا.

كيفَ اعتقدَ هؤلاءِ أنَّ الشّيطانَ استطاعَ أنْ يُنْطِقَ الرّسولَ بكلامٍ هو كفرٌ مدحٌ للأصنام ويَظُنُّ الرسولُ أن هذا الكلامَ منَ القرءان، هذا الزعمُ كفرٌ والعياذُ باللهِ.

فيما مضَى قبلَ ألفٍ ومِائةِ سنةٍ كانَ رجلٌ يقالُ لهُ الحَلَّاجُ، كانَ مَشهورًا بينَ بعضِ الناسِ أنهُ صُوفىٌّ وهو لم يكن صوفِيًّا بل متشبّهًا، ظَهَرَتْ منه كلماتٌ شاذّةٌ فتبِعه بعضُ المغرورين وظَنُّوهُ على حقّ مِن شدّةِ جهلِهم اعتبروهُ وليًّا واتَّبعوهُ على الكفرِ. سَمَّى نفسَه الرحمن الرحيم وقال أنا الحقُّ أى أنا الله والعياذُ باللهِ. ثمَّ هذا الرجلُ لمَّا ظهرَ أمرهُ ووصلَ إلى القاضِى الشّرعِىّ أبِى عمرَ المالِكِىّ الذى كانَ قاضِىَ بغدادَ وإلى الخليفةِ فى ذلكَ الزمنِ وكانَ اسمهُ المقتدرَ باللهِ العباسىّ رحمهما اللهُ طُبّقَ عليهِ حكمُ المرتدِ فأُخِذَ فقُطِّعت يداهُ ورجلاهُ ثمَّ قُطِعَ رأسُهُ ثم أُحرِقَت جثّتُهُ بالنّارِ وأُذْرِىَ رمادُهُ فى النهرِ. جماعتُهُ بَدلَ أن يرجِعوا ويتُوبوا تعصَّبوا لهُ وقالوا الحلاّجُ ظهر لنا فى اليوم الثانى فقال أنتم تزعمون كما يزعُمُ هؤلاء البقر أننى قُتِلتُ وصُلِبتُ

(١) المعروف بحاج أحمد كبير من مشايخ شيخنا رحمهما الله.

إنما قُتِل شبهِى، افترَوْا، كَذَبُوا، وقالوا أيضًا إنَّ دمَهُ جَرَى على الأرض وكتب لا إله إلا الله الحلاجُ ولِيُّ الله، وهذا مَا حصلَ، لا هو ظَهَرَ لهم ولا دمُهُ جَرَى على الأرض وكتبَ، كلُّهُ كذبٌ، وإنما أرادوا تأييدَ دعوتِهم بدلَ أنْ يتوبوا ويتركوا ذلكَ الرّجلَ الحلاجَ.
العُلماءُ الأولياءُ الصّادقونَ شأنُهُمْ أنهُم لا يَدَّعُونَ أنهُم مَعصومونَ بل يخافونَ أنْ يَطرَأَ عليهِم ما يضرُّهم. هذا شَيخُنا أحمدُ عبد الرحمن كانَ من أعلمِ الناسِ وأعبدِ الناسِ كانَ يختِم كلَّ يوم ختمةً وكانَ يصومُ ثلاثةَ أشهرٍ غيرَ رمضانَ كانَ كأنهُ مَلَكٌ فى صورةِ بشرٍ من قوَّتهِ على الطاعةِ وزُهدهِ. فى أول شبيبتهِ خرجَ إلى زَبيدٍ لِيَطْلُبَ العلمَ فأصابتهُ حُمَّى فكانَ صاحبُ البيتِ يَخرُجُ منَ البيتِ فيَتركهُ وحدهُ معَ امرأتهِ. ثُمَّ هذهِ المرأةُ تحرّكت نحوَهُ وهوَ كانَ مريضًا، الحمّى هَدَّتْهُ ومعَ هذا الطبيعةُ تحركَت فيهِ فجاءَ جَدُّهُ وكانَ ماتَ قبلَ ذلك بزمانٍ دخلَ بينهُ وبين تلكَ المرأةِ. هذا الشيخُ مَا كانَ يَعتبِرُ نفسهُ مَعصومًا بل قالَ لى إنْ رأيتَ منّى مكروهًا فنبّهْنِى.
هكذا المشايخُ الصادقونَ ليسَ مثلَ رَجَب دِيب الذى كانَ يقولُ نحن أنبياءُ مُصَغَّرُون وقالَ لجماعتهِ إذا جاءكم مُنْكَرٌ ونَكِيرٌ فى القبر قولوا نحن مِن مُرِيدِى الشيخ رجب. أبو بكرٍ مَا قالَ هذا ولا عمرُ ولا عثمانُ ولا علىٌّ ولا أحدٌ من الأولياء الذين جاؤوا بعدهم قال هذا. هذا رجب كافرٌ عدوُّ اللهِ جاهلٌ، هذهِ المقالةُ قالها فى دمشقَ وهناكَ أيضًا له أتباعٌ.

اللهُ تعالى يجعلُ بعضَ الناسِ فَتَّانِينَ ويجعلُ لهم مَن يتبعُهم على الضّلالِ. فِرعونُ كتبَ اللهُ لهُ أنْ يكونَ لهُ أتباعٌ، وهذا رجب ديب الدّجّالُ فى زمانهِ اللهُ تعالى قَيَّضَ لهُ أناسًا يسمعونَ كلامَهُ ويَتبعونَهُ فى كُفْرِهِ. بعضُهم قالَ يجوز أن نقول أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن رجب ديب رسولُ الله. فيجبُ التحذيرُ منهُ ومِن أمثالهِ، إذا عَلِمَ أحدُكُم مَنْ يذهبُ إلى جماعتهِ ويَستمِعُ فى مجالسِهم كلامَهم فلَم يحذِّرهُ لَا بنفسهِ ولَا بواسطةِ غيرهِ أثِمَ إثمًا كبيرًا.

وكذلكَ حزبُ الإخوانِ والوهابيةُ وحزبُ التّحريرِ يجبُ التحذيرُ مِن كلّ هؤلاءِ، كلُّ هؤلاءِ مِنْ فِتنِ هذا العصرِ، اللهُ تعالى أرادَ بهِم الضّلالَ وأرادَ لمن اتّبعَهم الضّلالَ، واللهُ فعالٌ لما يُريدُ هوَ الحاكمُ الذى ليسَ لهُ حاكمٌ، هوَ الآمِرُ الذى ليسَ لهُ ءامِرٌ، لَا يقالُ لِمَ فعلَ كذا لمَ فعلَ كذا. هذهِ البهائمُ لها روحٌ البقرُ والغنمُ والدّجاجُ وغيرُ ذلكَ اللهُ أباحَ لنا أنْ نَقْتُلَها لأجلِ لَذَّتِنا وحرَّم علينا أنْ نَقتلَ البَشرَ ونأكلَ لحمَهُ، نحنُ والبهائمُ كِلانا نتألَّمُ بالجَرحِ والذَّبْح أَحَلَّ هذا وحَرَّمَ هذا فلا يُقال لِمَ فعل هذا. كذلكَ البشرُ والجنُّ شاءَ فى الأزلِ أنْ يكونَ بَعضُهم مؤمنينَ صالحينَ وشاءَ أن يكونَ بعضُهم مؤمنينَ غيرَ صالحينَ وشاءَ أن يكونَ بَعضُهم كافرينَ، لا يُعترض على الله. اللهُ تعالى لا يَنْتَفِعُ بشىءٍ مِن عبادَاتنا وعبادةِ الملائكةِ إنما نحنُ نَنتفعُ

بعباداتِنا، كذلكَ هؤلاءِ الكفارُ لا يَضُرُّونَهُ. لذلكَ نقولُ لا يُسأل عما يفعل ونحنُ المسؤولونَ.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الرابع والعشرون



الكلام فى المعتزلة والمشبهة

درسٌ ألقاه المحدِّثُ المتكلّمُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ العبدريُّ رحمه الله تعالى وهو فى بيان القول الصواب فى حكم المعتزلة وفى الرد على المشبِّهة. سمعه منه الشيخ جميل بن محمد حليم والشيخ سمير بن سامى القاضى والشيخ نبيل بن محمد الشريف والشيخ عبد الرزَّاق بن محمد الشريف والشيخ محمد بن مصطفى البكرىّ. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى ءاله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

أما بعد فقد اختلفَ الناسُ فى المعتزلةِ فكفّرتهُم طائفةٌ منَ العلماءِ على الإطلاقِ وقالَت طائفةٌ بتركِ تكفيرِهم والصّوابُ تَكفيرُ مَن ثبتَتْ عَليهِ قَضيّةٌ تَقتضِى تكفيرَهُ. فمَن ثَبتَ عَليهِ أنهُ يقولُ إنَّ العبدَ يخلُقُ أفعالَه الاختياريةَ أى يُبرِزُها مِن العَدَم إلى الوجود استقلالًا أو مشاركةً مع اللهِ فهوَ كافرٌ لأنهُ أشركَ باللهِ، جعلَ صفةً خاصّةً باللهِ لغيره. وكذلكَ مَن قالَ منهُم بأنَّ القرءانَ مخلوقٌ وقال اللهُ متكلمٌ بخلقِ الكلام فى غيره ليس متكلمًا بكلام هو صفةٌ قائمةٌ بذاتِهِ فهوَ أيضًا كافرٌ. فإنْ قالَ قائلٌ كيفَ يُكفَّرُ هذا وثلاثةٌ منَ الخلفاءِ العبّاسيينَ

وافَقوا المعتزلةَ فى القولِ بأنَّ القرءانَ مخلوقٌ ولَم يُكفِّرْهُم أحدٌ مِنَ العلماءِ بَل خاطبَ الإمامُ أحمدُ المعتصِمَ منهُم بقولِ يا أميرَ المؤمنينَ فالجوابُ أنَّ هؤلاءِ الثلاثةَ مَا كانوا يَعتقدونَ أن اللهَ ليس له كلامٌ بمعنى صفةٍ قائمةٍ بذاتِه إنما أطلَقوا هذا اللفظَ القرءانُ مخلوقٌ، بهَذا وافقُوهم ولَم يُوافِقُوهم فى المَقالتينِ الأُخرَيَينِ القولِ بأنَّ العبدَ يخلق أفعالَ نفسِهِ والقولِ بأن اللهَ متكلمٌ بكلامٍ يخلقُهُ فى غيره ليس متكلمًا بكلامٍ هو صفةٌ لذاته فبطَلَ احتجاجُ بعضِ الناسِ بقولِ أحمدَ للمعتصمِ يا أميرَ المؤمنينَ كمحمَّدِ سعيدٍ البُوطِىّ فإنهُ احتجَّ بذلكَ على نَفْيِ تكفيرِ المعتزلةِ على الإطلاق.

وكيفَ لا يُكفَّرون على قولهم إنَّ العبد يخلُقُ أفعالَ نفسِهِ الاختياريةَ وقَد قَالوا إنَّ اللهَ تعالى كان قادرًا على أن يخلُقَ أفعال العبد حركاتِهِ وسكناتِهِ قبل أن يُعطِىَ العبدَ القدرةَ عليها وبعد أن أعطَى العبدَ القدرةَ عليها صار عاجزًا، وهذا ثابتٌ عنهُم صرَّحَ بذلكَ الإمامُ عبدُ القاهرِ بنُ طاهرٍ التّميميُّ البغداديُّ والإمامُ أبو منصورٍ الماتريديُّ والإمامُ أبو سعيدٍ المتولّى الشّافعيُّ والإمامُ أبو الحسنِ شِيثُ بنُ إبراهيمَ وإمامُ الحرمَينِ وغَيرُهم.

أما أبو مَنصورٍ البَغداديُّ فقَد قالَ ذلكَ فى كتابهِ الفَرقِ بَينَ الفِرَقِ، وأما أبو منصورٍ الماتريديُّ فقَد قالَ ذلكَ فى كتابهِ المسمَّى كتابَ التوحيد، وأما أبو سعيدٍ المتوَلِّى فقَد ذكرَ ذلكَ فى كتابهِ الغُنْيَةِ، وأما شِيثُ بنُ إبراهيمَ فقَد ذكرَ ذلكَ فى كتابهِ حَزِّ الغَلاصِمِ وإفحامِ

المخاصِمِ، وأما إمامُ الحرمَينِ فقَد ذكرَ ذلكَ فى كتابهِ الإرشادِ.

وأما قولُ الشّافعىّ رَضىَ اللهُ عنهُ أقبَلُ شهادةَ أهلِ الأهواءِ إلا الخطّابيّة فهوَ محمولٌ على مَن لَم تَثبُت فيهِ قضيةٌ تَقتضِى كُفْرَهُ بدليلِ أنهُ كَفَّرَ حَفصًا الفَردَ المعتزلىَّ فقالَ لقَد كفرتَ باللهِ العَظيم[١] اهـ فقالَ حفصٌ الفَردُ بعدَ خُروجهِ منَ المجلسِ الذى ناظرَ فيهِ الشّافعىَّ فقطعهُ الشافعىُّ وغلبَهُ أرادَ الشافعىُّ ضرْبَ عُنقِى[٢] اهـ فقولُ بعضِ الشّافعيةِ قولُ الشّافعىّ لحفصٍ لقَد كفرتَ باللهِ العَظيم مرادهُ بهِ كُفرانُ النّعمةِ لَا كفران الجحودِ فهوَ مردودٌ كَما قالَ الحافظُ سراجُ الدّينِ البُلقينِىُّ فى حَواشيهِ على رَوضةِ الطّالبينَ رَدَّ فيها قولَ روضةِ الطالبينَ[٣] مِن أنَّ المعتزلةَ تَصح الصلاة خلفهم. قالَ البلقينِىُّ هذا خلافُ ما عليهِ أكابرُ أصحابِ الشّافعىّ وهذا ما فَهِمَهُ تلميذُ الشّافعىّ الرّبيعُ المُرادىُّ لأنَّ عبدَ الرّحمنِ بنَ أبى حاتمٍ روَى عنِ الرّبيعِ أنَّ الشَّافعىَّ كفَّرهُ. وبَيانُ ذلكَ أنَّ المعتزلةَ لَيسوا كلُّهم على عقيدةٍ

(١) رواه البيهقى فى مناقب الشافعى.

(٢) رواه البلقينى فى حواشِى الروضة.

(٣) ما فى الروضة من القول بصحة الصلاة خلف المعتزلة فهو لأنه لا يُحكم على كل فردٍ انتسب إليهم بالكفر فإنَّ مِن الناس من انتسب إليهم من غير أن يعتقد مقالاتهم الكفرية وإنما اعتقد مقالاتٍ من مقالاتهم أقل ضررًا ولم يُرد صاحبُ الروضة أنه تصح الصلاة خلف من بلغ حد الكفر منهم. لكن عبارة الروضة توهِمُ الإطلاق ولهذا ردّها البلقينىّ.

واحدةٍ بل بَعضُهم يُوافقُ بَعضَهم على بعضِ مقالاتِهم ويخالفُهم فى مقالاتٍ لهم أخرى كبِشْرٍ الذى هوَ أحدُ رؤسائِهم فلَا يصحُ القولُ بتكفيرِ كلِّ المنتسبين إلى الاعتزال. وقَد قالَ ثُمَامَةُ بنُ أَشْرَسٍ أحدُ رؤساءِ المعتزلَةِ إنَّ المأمونَ لَم يُوافِقْ على القولِ بخلق الأفعال اهـ ومجرّدُ اللفظِ بأنَّ القُرءانَ مخلوقٌ لَا يُثبِتُ كفرَه إلا إذا كانَ يَعتقدُ أن الله ليس له كلامٌ إلا هذا اللفظ الذى يخلقُهُ. كيفَ واعتقادُ أهلِ السّنةِ المنَزِّهينَ للهِ عَن صفاتِ الحدوثِ أنَّ القرءانَ وغيرَهُ منَ الكتبِ السّماويةِ المنزّلةِ عبارةٌ عَن كلامهِ الذى هوَ صفةٌ قائمةٌ بذاتهِ الذى ليسَ هوَ حَرفًا ولَا صَوتًا الذى هوَ أزلِيٌّ أبدِيٌّ كسائرِ صفاتهِ. لكنْ إطلاقُ القولِ بأنَّ القرءانَ مخلوقٌ حرامٌ، لكنْ فى مَقامِ تَعليمِ علمِ الاعتقادِ يقالُ عندَ أهلِ السّنةِ إنَّ القرءانَ بمعنَى الكلامِ الذّاتىّ النّفسىّ القائمِ بذاتِ اللهِ قديمٌ أزلىٌّ ليسَ مخلوقًا أما اللفظُ المنَزَّلُ فهوَ مخلوقٌ للهِ لأنهُ لَو كانَ اللهُ تَباركَ وتعالى يجوز عليه التلفظُ بحروف القرءان كما يَتلفظُ به المؤمنون لَجاز على الله كلُّ الصفاتِ الحادثةِ التى يَتَّصِفُ بها الخلقُ من حركةٍ وسكونٍ وانتقالٍ وصعودٍ ونُزولٍ وسهوٍ وضَعْفٍ ومرضٍ إلى غيرِ ذلك ولَا يقولُ بذلكَ مَن يعرفُ الخالقَ منَ المخلوقِ.

ولَا حُجّةَ لإطلاقِ بعضِ الشّافعيّةِ المتأخّرينَ القولَ إنَّ الطوائفَ المبتدِعةَ فى العقيدةِ لَا يكفَّرون لأنَّ هذا مخالفٌ لقولِ السَّلفِ فقَد نقلَ الإمامُ أبو جعفرٍ

الطّحاويُّ عنِ السَّلفِ فى كتابهِ الذى سمّاهُ ذِكرُ بَيانِ عقيدةِ أهلِ السّنةِ والجماعةِ قولَهم ومَن وَصفَ اللهَ بمعنى مِن مَعانى البَشرِ فقَد كفرَ اهـ والنّطقُ بحروفٍ مُتعاقبةٍ يَسبِقُ بَعضُها بَعضًا ويتأخّرُ بعضُها عَن بعضٍ مِن صفاتِ البَشرِ. إذا قَرأ أحدُنا بسم اللهِ الرّحمنِ الرَّحيم سَبقتِ الباءُ السّينَ ثمَّ السّينُ سَبَقتِ الميمَ وهَكذا ما بعدَهُ كلُّ حَرفٍ سَابقٌ مَا بَعدهُ والذى بَعدهُ مُتأخّرٌ عما قبلَهُ وهذا نطقٌ واللهُ لَا يوصَفُ بالنطقِ وما خالفَ هذا الذى نقلهُ الحافظُ أبو جعفرٍ الطّحاويُّ فهوَ مردودٌ، وكذلكَ الجسميّةُ ولوازِمُها فَمُعْتَقِدُها فى حقّ اللهِ تعالى كافرٌ. ومُعْتَقَدُ السَّلفِ كمَا نقلَ أبو جعفرٍ الطّحاويُّ أنَّ اللهَ يَتعالى عنِ الحدودِ والغاياتِ والأركانِ والأعضاءِ والأدواتِ ولَا تُحيطُ بهِ الجهاتُ الستُ كسائرِ المبتدعات. فليُحذَر ما فى كتابِ الاقتصادِ فى الاعتِقادِ منَ القولِ بأنَّ كلَّ الفِرَقِ المبتدعةِ فى العقيدة من المنتسبين إلى الإسلام لا يكفرون فإنَّ ذلكَ مصادِمٌ للنصّ القرءانىّ فى سورة الشورى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ فمَنِ اعتقدَ اللهَ جسمًا لطيفًا أو كثيفًا فقد جَعَل له أمثالًا كثيرةً كالنورِ والظلامِ من الأجسام اللطيفة والنجم والشمسِ والقمرِ والإنسانَ من الأجسام الكثيفةِ وقَد ذَكرَ اللهُ فى القرءانِ أنَّ الأجسامَ اللطيفةَ والأجسامَ الكثيفةَ مخلوقاتٌ حادثةٌ. قال الله تعالى فى سورة الأنعام ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾. أخبرَ فى هذهِ الآيةِ بأنَّ الأجسامَ

اللطيفةَ والكثيفةَ حادثاتٌ لَم تَكُن موجودةً ثمَّ صارَت موجودةً بإيجادهِ وخَلقهِ. وكذلكَ يستحيلُ على اللهِ لوازمُ الجسميّةِ منَ التّحيّزِ فى المكانِ والصِغَرِ والكِبَرِ والتّحوّلِ مِن صفةٍ إلى صفةٍ وكلُّ ذلكَ مَنفىٌّ عنِ اللهِ بهذهِ الآيةِ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَىۡءٌۖ﴾ فأما مَن يَنفِى عنِ اللهِ بعضَ صفاتِ الخلْقِ ويُثبتُ لهُ بعضَها فهوَ مخالفٌ للعقلِ والنَّقْلِ فلَو كانَ يجوزُ على الله الجسميةُ والمقدارُ واللونُ والحرارةُ والبرودةُ والانفعالُ لكانَ ذلكَ نَقضًا للدّليلِ العَقلىّ القاضِى بأنَّ الشّمسَ والقَمرَ والنّجومَ وغيرَها لَا تصلح للألوهية، لَا يَستقيمُ هذا الدّليلُ العقلىُّ القاطعُ إلا على مذهبِ أهلِ السّنةِ الذينَ يَنْفُونَ عَنِ اللهِ هذهِ الصّفاتِ القائمةَ بالمخلوقِ لأنهُ لَو كانَ حجمًا مخصوصًا لجازت الألوهيةُ للشمس لكنَّ أهلَ الحقّ المتمسّكينَ بذلكَ الدّليلِ العقلىّ يُبطِلونَ ذلكَ بقَولهم الشّمسُ لها حجمٌ مخصوصٌ ولونٌ مخصوصٌ وصفاتٌ مخصوصةٌ كالحرارةِ والتّحيّزِ فى الفَضاءِ الذى هوَ مكانُها يُبطِلونَ عقيدةَ عُبّادِها بكونِ اعتقادِهم الألوهية للشمس باطلًا مخالفًا للعقلِ. نُبطِلُ اعتقادَهم مِن دونِ أنْ نُورِدَ عليهِمُ الدّلائلَ القرءانيّةَ كقولهِ تَعالى فى سورةِ الأنبياء ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾ الآيـــةَ. فـــإذا كانتِ الشّمسُ يَمنعُ الدليلُ العقلىُّ دعوَى ألوهيتِها معَ أنَّ الشّمسَ حجمٌ كبيرٌ كثيرةُ النّفعِ للخَلقِ فكيفَ يَستجيزُ العاقلُ أنْ يكون اللهُ تعالى حجمًا قاعدًا على العرش أو متحيّزًا فوق العرش من دونِ القولِ بأنه قاعدٌ.

ثمَّ فى القرءانِ الكريم ما يَدلُّ على أنَّ ألفاظَ القرءانِ لَا يجوزُ أن تكونَ منطوقةً لله تعالى. قولُ اللهِ تَعالى فى سورة التكوير ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾. الرّسولُ الكريمُ هوَ جبريلُ باتفاقِ المفسّرينَ فلمَّا كانَ القرءانُ مَقْرُوءَهُ عبّرَ القرءانُ بهذهِ العِبارةِ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩﴾ ليُفهِمَنا أنَّ القراءةَ المعهودةَ وهىَ إيرادُ الكلماتِ بصوتٍ وحروفٍ متعاقبةٍ هوَ مِن صفةِ جبريلَ ليسَ مِن صفة الله، ومعَ هذا يجوزُ إطلاقُ القرءانُ كَلامُ اللهِ بمَعنى أنَّ هذا اللفظَ هوَ عبارةٌ عنْ كلام اللهِ الذى هوَ صفتُهُ القَائم بذاتهِ كحَياتهِ ليسَ على أنَّ اللهَ تَعالى قَرَأَهُ على جبريلَ كما يقرأُ الأستاذُ على الطالِبِ.

ومما يَدُلُّ على أنَّ كلامَ اللهِ ليسَ بصَوتٍ وحروفٍ أنهُ لَم يَرِدْ فى الكتابِ ولَا فى السّنّةِ أنَّ الله يَنْطِقُ ولَا وَردَ فى أسمائهِ الناطِقُ إنما الذى وَردَ فى حقِّهِ تَعالى الكلامُ والقولُ وهما مترادِفانِ فما كانَ منَ الكلامِ والقَولِ للمَخلوقِ فقَد يَكونُ بالحرفِ والصّوتِ وما كانَ لله فبخلافِ ذلكَ لأنهُ لَا يجوزُ على اللهِ أن لا يشابِهَ خلقَهُ فى شىء ويُشبِهَهُم فى شىء ءاخَرَ لذلكَ وردَتِ الآيةُ بلفظِ النّكِرَةِ فى مَعْرِضِ النَّفْيِ، فشىءٌ الواردُ فى هذهِ الآيةِ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ يشملُ كلَّ أجناسِ الخلقِ الحجم وصفاتِ الحجم. فالآيةُ نَزَّهتِ اللهَ تَعالى عَن أنْ يكونَ حَجْمًا أو صفةَ حجمٍ وهذا مَعنى

كلامِ المتكلّمينَ فى علمِ كلامِ أهلِ السّنةِ إنَّ اللهَ ليسَ جوهرًا ولا عَرَضًا فقولهم هذا شرحٌ للآيةِ ليسَ إلا . أما المشبّهةُ فقَد جعلتِ اللهَ تعالى حجمًا وأثبتَتْ له مع ذلك صفاتِ الحجم حيثُ إنهُ عندَهم حجمٌ لطيفٌ عند مَن قال منهم إنَّهُ نورٌ يتلألأُ وحجمٌ كثيفٌ عند من قال منهم إنه حجمٌ قاعدٌ على العرشِ أو قال هو حجمٌ متحيزٌ فوق العرش بدون وصفِهِ بالقعود وكِلا الفريقَينِ مخالفٌ للآية لكنَّ الفريقَ الذى أَثبَت له القعودَ أَنْحَسُ وأَنْجَسُ لأنَّ هؤلاءِ الذينَ وَصفوهُ بالقُعودِ على العرش وصفوهُ بصفةٍ يَشتركُ فيها ذَوو العقولِ الملائكةُ والإنسُ والجنُّ وغيرُهم منَ البهائم والطيورِ وكِلا الفريقَينِ جاهلٌ بخالِقِهِ فلَو ناظَرَهم عابَدُ الشّمسِ لَم يَستطيعوا أنْ يُقِيمُوا عليهِ حُجَّةً عقليّةً لأنهُ لَا يَقبلُ الحجّةَ النّقليةَ لَا يَقبلُ القُرءانَ لأنهُ يقولُ أنا لا أؤمن بكتابكم أعطونى دليلًا عقليًّا على أنَّ الشَّمسَ لَا يصح أن تكون إلهًا مِن حَيثُ العقلُ وأنَّ ما تَزعُمُونَهُ مِن وجودِ جسدٍ قائم فوق العرش أو مستقِرّ يَستحِقُّ الألوهيةَ حقٌّ. وأما أهلُ السّنةِ فإنَّ لهم جوابًا حُجةً عَقليةً يقطعونَ عابدَ الشَّمسِ بِها، يقولونَ لهُ مَعبودُكَ هذا الشمسُ حجمٌ مخصوصٌ لهُ شكلٌ مخصوصٌ وصِفةٌ مخصوصةٌ وحيّزٌ مخصوصٌ فكيفَ تَخَصَّصَ بهذهِ الصّفاتِ دونَ غَيرِها فإنْ قالَ هىَ خَصَّصَتْ نفسها بهذا الحجمِ وهذه الصفةِ، قيلَ لهُ يَستحيلُ عَقلًا أنْ يُخصِّصَ الشّىءُ نفسَهُ بحجمٍ مخصوصٍ وصفاتٍ مخصوصةٍ دونَ غَيرِ ذلكَ الحجمِ

وتلكَ الصفاتِ إنما الذى خصّصها بالوجودِ على هذا الحجمِ المخصوصِ وتلكَ الصّفاتِ المخصوصةِ مَوجودٌ ليسَ حجمًا لَا يَتصفُ بصفاتٍ حادثةٍ فهوَ الذى يَصحُّ عقلًا أن يكونَ مَوجودًا خالقًا للشّمسِ وغيرِها منَ الأجسامِ والأعراضِ أىِ الصفاتِ التى تقومُ بالأجسامِ عندئذٍ لَا يجدُ عابدُ الشّمسِ جَوابًا بل ينقطعُ. ولِلهِ الحمدُ أنْ وَفَّقَ أهلَ السنةِ الذينَ جَمعوا بينَ التنْزيهِ والإثباتِ لهذهِ الحجّةِ العَقليّةِ معَ الحججِ القرءانيّةِ والحديثيّةِ. أما الحجةُ القرءانيّةُ فتَكفِى هذهِ الآيةُ التى مرَّ ذِكرُها، وأما الحججُ الحديثيّةُ فمِنها حديثُ البُخارىّ **كانَ اللهُ ولَم يكُن شىءٌ غيرهُ**[1] اهـ إذْ منَ المعلومِ يَقينًا أنهُ لَم يَكن فى الأزلِ حجمٌ لطيفٌ ولَا حجمٌ كثيفٌ ولا صِفاتُهُما فوجبَ مِن ذلكَ أنَّ اللهَ تعالى ليسَ حجمًا متصفًا بصفات الحجم وهذهِ حجّةٌ ظاهرةٌ كالشّمسِ لكنْ مَن أقفلَ اللهُ قلبَهُ لَا يَفهمُها.

انتهَى واللهُ تعالى أعلم.

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه باب ما جاء فى قول الله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾.

الدرس الخامس والعشرون



حُرمةُ الكِبْرِ والحضُّ على التواضُعِ

درسٌ ألقاهُ العالِمُ العامِلُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ الشيبِيُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى يومَ الثامِن عَشر مِنْ ربيعٍ الأولِ سنةَ ثمانٍ وتسعينَ وثلاثمائة وألف وهو فِى بيانٍ حُرْمَةِ الكِبْرِ والحضّ على التواضُعِ. سمِعَهُ منه الشيخُ سميرُ ابنُ سامِى القاضِى والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ. قال رحِمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ له النعمةُ وله الفضلُ وله الثناءُ الحسنُ وصلَّى اللهُ على سيدنا محمدٍ وعلى ءالِهِ وشرَّفَ وكرَّمَ وسلَّمَ عليه وعلَى ءالِهِ تسلِيْمًا كثيرًا.

أمَّا بعدُ فإنَّ اللهَ تباركَ وتعالَى رَضِىَ لعِبَادِهِ التواضُعَ فقَدْ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **مَنْ تواضَعَ للهِ رَفَعَهُ**[(١)] اهـ رواهُ مُسلمُ بنُ الحجَّاجِ فِى الصَّحيحِ، ولذلكَ كانَ خُلُقُ الأنبياءِ التّواضُعَ للهِ تعالى بالتخلُّقِ بالتّواضُعِ معَ المؤمنينَ.

ورَوَينا فِى مُسندِ الإمامِ أحمدَ وغيرِهِ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ **أنا زَعيمٌ ببَيتٍ فِى الجنَّةِ لمنْ تَرَكَ المِراءَ وإنْ كانَ مُحِقًّا** اهـ فالمِراءُ وهوَ الجدالُ الذِى لَا يُرادُ بهِ

(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب استحباب العفو والتواضع.

إحقَاقُ الحقّ وإبطالُ الباطلِ الجدالُ الذِى ليسَ لوجهِ اللهِ تعالى بلْ يُرادُ به إخفاءُ الحقّ أو يُرادُ بِهِ التّعاظُمُ على الناسِ والترفُّعُ عليهِم مَذمومٌ ممقُوتٌ عندَ اللهِ تعالى ويُوجبُ البُعدَ مِنَ اللهِ.

كانَ الإمامُ الشّافعِيُّ رضِيَ اللهُ عنهُ يقولُ إنّى أُجادلُ المرءَ لَا أُحبُّ أنْ أكسِرَهُ إنَّما أُحبُّ أنْ يَظْهَرَ الحقُّ ولَو فِى جانِبِهِ فكانَ الإمامُ الشافعِىُّ قصدُهُ مِنْ جِدالهِ إظهارَ الحقّ ولَم يَكنْ قَصدُهُ تهشِيمَ الذِى يجادِلُهُ كما يَكونُ قصدُ كثيرٍ مِنَ النَّاسِ عندَما يجادِلونَ وهذا مِنْ ذَمِيمِ الخِصالِ لَا يحبُّهُ اللهُ تعالى، وإلى ذلكَ يدلُّ حديثُ رَسولِ اللهِ ﷺ الذِى رواهُ ابنُ حبّانَ فِى الصّحيحِ **ليسَ الشّديدُ الذِى يَغْلِبُ الناسَ ولكنَّ الشّديدَ مَنْ غَلَبَ نَفسَهُ**[(١)] اهـ ومَعنَى مَنْ غَلَبَ نفسَهُ أىْ يَقْهَرُها حتَّى لَا يَكونَ قصدُها الرّياءَ والتَّمَيُّزَ عنِ النّاسِ والتّرفعَ عليهِم، فمَنْ غلبَ نفسَهُ ومَنَعها عنِ التَّرفُّعِ على النّاسِ وكانَ يَرى فِى كلِّ ما يحدثُ أنهُ لَا يحدثُ إلَّا بمَشيئةِ اللهِ تعالى وعلمِهِ الأزَلِيَّيْنِ الأبدِيَّيْنِ وشَهِدَ ذلكَ شُهُودًا ذَوْقِيًّا ابتَعَدَ عَنْ حُبِّ العُلُوّ فِى الأرضِ وعلى النَّاسِ لأنَّهُ أيقَنَ أنَّهُ لَا تكونُ منفعةٌ ولا مَضَرَّةٌ إلَّا بمَشيئةِ اللهِ فكانَ همُّهُ وقصدُهُ فِى مُعامَلاتِهِ معَ النّاسِ أنْ يُقَرّبَ اللهُ لهُ الخيرَ وَيُبْعِدَهُ مِنَ الشّرّ لأنَّ اللهَ هوَ مالكُ الأمرِ فيكونُ هَمُّ هذا العَبدِ المؤمنِ الذِى أيقَنَ بذلكَ إيقانًا كامِلًا طَلَبَ

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه باب الفقر والزهد والقناعة.

الخيرِ مِنَ اللهِ تعالى، قلبُهُ يقولُ فِى أحوالِهِ اللهم ءاتِ نَفْسِى تَقْوَاهَا وزَكِّهَا أنتَ خيرُ مَنْ زَكَّاها. ويقولُ فِى سرِّهِ أيضًا واصرِفْ عنِّى سَيِّئَ الأخلاقِ إنهُ لَا يَصرِفُها إلَّا أنتَ. فهذا العبدُ الذِى لَزِمَ تقوَى اللهِ وتخلَّقَ بهذا الخلُقِ هوَ الذِى يتحقَّقُ فيهِ قولُ اللهِ تعالى فِى سُورةِ النحلِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ هذهِ معيّةٌ خاصَّةٌ وهِىَ معيّةُ النُّصرةِ والكِلاءةِ، اللهُ يَنصرُ عبدَهُ المؤمنَ التّقىَّ على الشّيطانِ فلَا يَستولِى الشيطانُ عليهِ مهما حاولَ أنْ يُطْغِيَهُ ويَنصرُهُ على نفسِهِ الأمّارةِ بالسّوءِ. وأمَّا مَنِ ابتعدَ عَنْ هذا الشُّهُودِ فإنَّهُ بينَ شَرَّيْنِ بينَ شرِّ نفسِهِ الأمّارةِ بالسّوءِ وبينَ شرِّ شيطانِهِ القَرِينِ الذِى وُكّلَ بهِ والمعصُومُ مَنْ عصَمَهُ اللهُ.

مَن تمسَّكَ بهذا الحديثِ كُفِىَ كثيرًا مِنَ الشُّرورِ والمهالِكِ ومَنْ أغفَلَهُ وابتعدَ مِنَ العملِ بهِ فقَدْ وُكِلَ إلى نفسِهِ ومَنْ وُكِلَ إلى نفسِهِ فقدْ هَلَكَ.

انظُرُوا إلى سِيَرِ الأنبياءِ وأخلاقِهِم، هذا يوسفُ عليهِ السّلامُ قَد قَصَّ اللهُ تعالى فِى القُرءانِ الكريم قِصَّتَهُ التِى فيهَا حِكَمٌ كثيرةٌ. ذَكَرَ اللهُ تبارَكَ وتعالى لَنَا عنهُ أنَّهُ لَقِىَ مِنْ إخوَتِهِ لأبيهِ وهُم عَشَرَةٌ ما لَقِىَ، حاولُوا أنْ يَقتلُوهُ حَسَدًا منهُم لأنَّهُ كانَتْ لهُ محبّةٌ فِى قلبِ والِدِهِ لِمَا اشتمَلَ عليهِ مِنْ محاسِنِ الأخلاقِ، حاوَلُوا أنْ يَقتُلُوهُ ثُمَّ عدَلُوا عنِ القتلِ إلى أنْ يُلقُوهُ فِى الجُبِّ أىِ البئرِ فَأَلْقَوْهُ فحَفِظَهُ اللهُ تعالى مِنَ الهلاكِ ومِنْ أنْ يَعْطَبَ فِى هذهِ

البئرِ، ثُمَّ ءالَ أمرُهُم إلى أنَّهم صارُوا محتاجِينَ إليهِ، صارُوا يَذهبُونَ مِنْ أرضِهِم إلى مِصرَ ليَجلِبُوا الطّعامَ مِنْ شدَّةِ حاجَتِهم إليهِ، ثُمَّ هوَ عرَفَهم فلَم يَنتقِمْ منهُم بقَتلٍ ولا قَطْعِ أطرافٍ ولا حَبْسٍ فِى السّجونِ وكانَ قَد عرَفَهُم وهم لَم يَعرِفُوهُ ولكنْ كانَ أمرُهُ معهُم بعدَ عشراتِ السّنين أنْ أَحْسَنَ إليهِم معَ أنهُ كانَ قَد أُوتِىَ مَقدِرةً على الانتقام منهُم. ثُمَّ هم تابُوا، رَجَعُوا إلى الإسلام[١] فتَابَ اللهُ عليهِم لكنْ لا يَكونُونَ أهلًا للنبوَّةِ لأنَّ النبوَّةَ لَا يَسْتَأْهِلُهَا إلَّا مَنْ نَشَأَ على الخُلُقِ الحسَنِ، على الصّدقِ، على الوَفاءِ، على الصّيانَةِ، وهؤلاءِ إخوةُ يوسفَ سبقَتْ لهُم هذهِ السّوابِقُ الخبيثةُ فلَا يَستحِقُّ واحِدٌ منهُم أنْ ينالَ النبوَّةَ فمَنْ قالَ مِنَ المؤرّخينَ والعُلماءِ إنَّهم صارُوا بعدَ يُوسُفَ أنبياءَ فقَد كذبَ.

فيَنبغِى للمُؤمِنِ أنْ يقتدِىَ بأنبياءِ اللهِ فلَا يَكونَ مجبُولًا على حُبِّ الترفعِ على النّاسِ ولَا مُتَخَلِّقًا بالكِبْرِ بل يكونُ خُلُقُهُ التّواضعَ، وفِى ذلكَ جَاءَ حديثٌ حَسَنُ الإسنادِ رواهُ التّرمذِىُّ فِى جامعِهِ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ **اللهُمَّ أَحْيِنِى مِسكينًا** أىْ مُتواضِعًا **وأَمِتْنِى مِسكينًا** أىْ واجعَلْ ءاخِرَ أحوالِى فِى الدّنيا التّواضعَ **واحشُرنِى فِى زُمرةِ المساكينِ**[٢] اهـ أىِ المتواضِعينَ، وليسَ مَعنَى

(١) هم كانوا خرجوا من الإسلام باستخفافهم بأبيهم نبىّ الله يعقوب حين قالوا إنك لفِى ضلالك القديم.

(٢) رواه الترمذِىُّ فِى سننه باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم.

الحديثِ أنْ لا يَرْزُقَهُ كفايتَهُ لأنَّ اللهَ تعالى أخبَرَنا فِى القُرءانِ بأنَّهُ رُزِقَ كِفايَتَهُ، قالَ اللهُ تعالى فِى سُورةِ الضُّحَى ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ ۝٨﴾ ومعنَى أغنَى أىْ أنالَهُ كفايتَهُ فهذا الحديثُ مُتَّفِقٌ معَ الآيةِ. والذِى عنَاهُ الرّسولُ ﷺ أنْ يكونَ مِسكينًا بمعنَى المتواضِعِ.

هذا أبو بكرٍ الصّدّيقُ رضِىَ اللهُ عنهُ اجتمعَ عندهُ المالُ الكثيرُ، أنفقَ على رسولِ اللهِ ﷺ قبلَ الهجرَةِ أربعينَ ألفًا والأربعونَ ألفًا فى ذلكَ الوقتِ تُساوِى أضعافَ أضعافِها فِى هذا الزّمنِ ومعَ ذلكَ كانَ مِنَ المتواضِعينَ، كانَ يُخِفُّ صَوتَهُ حينَ يَقرأُ القرءانَ، أحيانًا ما كانَ يُسمِعُ النّاسَ حينَ يَغلِبُهُ البكاءُ إسمَاعًا جيّدًا. ومِنْ شأنِ المتواضعِ أنهُ لَا يَكونُ أَلَدَّ[١] إذا جادلَ إنَّما يُحاوِلُ أنْ يتوصَّلَ إلى إحقاقِ الحقّ وإبطالِ الباطِلِ أمَّا الذينَ يجادِلُونَ ليترفَّعُوا على النّاسِ فإنَّهم فِى خَطَرٍ عظيمٍ لأنَّ حُبَّ الجَدَلِ قَد يَسُوقُ صاحِبَهُ إلى المهالِكِ، قَدْ يَخْرُجُ بهِ عَنِ الشّريعةِ إلى الباطِلِ الصِّرفِ، والعِياذُ باللهِ. فعَلَى المؤمِنِ أنْ يَتَوَخَّى[٢] إذا حاوَلَ أنْ يجادِلَ أنْ يكونَ كلُّ همّهِ إحقاقَ الحقّ وإبطالَ الباطِلِ ويَغلِبَ نفسَهُ مِنْ أنْ يتغيَّرَ قصدُهُ إلى حُبِّ التّرفعِ على النّاسِ ونُصْرَةِ رأيهِ بحقٍّ أو باطلٍ.

انتهى واللهُ سبحانَه وتعالى أعلم.

---

(١) الألَدُّ من اشتدت خصومته بحيث تخرج به عن الاعتدال.

(٢) أَىْ يتحرَّى ويقصِد.

الدرس السادس والعشرون



الجنةُ دارُ السلامِ

درسٌ ألقاهُ الشيخُ نزارُ بنُ رشيد الحلبِيُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى فِى بيروتَ وهو فِى بيانِ أنَّ الجنةَ دارُ السلامِ. سمِعَهُ منه الشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ سميرُ ابنُ سامِى القاضِى. قالَ رحِمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمدٍ وعلى ءالِهِ وأصحابِهِ الطيبِيْنَ الطاهرينَ.

أما بعد فقد قالَ اللهُ تعالى فِى سُورةِ الزُّخرُفِ ﴿يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

وعنِ ابنِ مسعودٍ رضِىَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ **إِنِّى لأَعلمُ ءاخِرَ أهلِ النّارِ خُروجًا مِنها وءاخِرَ أهلِ الجنّةِ دُخولًا الجنةَ رَجلٌ يخرجُ مِنَ النّارِ حَبْوًا فيقولُ اللهُ عزَّ وَجَلَّ لهُ اذهبْ فادخلِ الجنةَ فيأتِيها فيُخَيَّلُ إليهِ أنها مَلْأَى فيرجِعُ ويقولُ يا ربِّ وجدْتُهَا مَلْأَى فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ اذهَبْ فادخُلِ الجنّةَ قال فيأتِيها فيُخيّلُ إليهِ أنّها مَلْأَى**

فيَرجعُ فيقولُ يا ربِّ وجدْتها مَلْأَى فيقولُ اللهُ اذهَبْ فادخُلِ الجنّةَ فإنَّ لكَ مِثلَ الدّنيا وعَشرةَ أمثالِهَا أو إنَّ لكَ عشَرةَ أمثالِ الدّنيا قالَ ابنُ مَسعودٍ لقَد رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ ضحِكَ حتَّى بَدَتْ نَواجِذُهُ. قالَ ابنُ مسعودٍ فكانَ يُقالُ ذاكَ أدنَى أهلِ الجنةِ مَنزِلةً اهـ مُتّفقٌ عليهِ[١].

يُفهَمُ مِنَ الحديثِ أنَّ الناسَ على درجاتٍ هناكَ ويجبُ الإيمانُ بأنَّ الجنّةَ دارُ نعيمٍ حسِّيٍ أىْ فيها نَعيمٌ حقيقِيٌّ ملموسٌ وشرابٌ ملموسٌ وفيها أنهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصفًّى وأنهارٌ مِنْ حليبٍ وأنهارٌ مِنْ ماءٍ لَا يَتغيّرُ طَعمُهُ مِنْ طولِ المُكْثِ. وفيها أنهارٌ مِنْ خمرٍ لكنهُ ليسَ كخمرِ الدّنيا فلا يُخْبِلُ العقلَ وليسَ نَجِسًا. يَصيرُ المؤمنُ فِى الجنّةِ بطُولِ ءادمَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ. والواحدُ مِنْ أهلِ الجنّةِ يَكونُ ابنَ ثلاثٍ وثلاثينَ ولكنْ بلا لحيةٍ حتَّى الأنبياءُ. وإذا كانَ لهُ أقربَاءُ مؤمنُونَ فإنهُ يَراهُم متَى ما تَمنَّى ذلكَ فِى الجنةِ. أمَّا مَنْ ماتَ مِنْ أقربائهِ على الكفرِ فإنهُ لَا يَشتاقُ إليهم ولو كانَ أباهُ أو أمَّهُ.

ثُمَّ إنهُ لَا يُوجدُ عُزُوبَةٌ فِى الجنَّةِ حتَّى الولدُ الذِى مَاتَ وهوَ ابنُ يومِهِ يدخُلُ الجنّةَ ويتزوَّجُ فيها والأنثَى يُزَوّجُهَا اللهُ بمَنْ شاءَ مِنَ الذكورِ وليسَ ذلكَ خوفًا مِنَ الزّنَى إنَّما هوَ نعيمٌ أنعمَ اللهُ بهِ عليهِم. وَرَدَ أنَّ الشّهيدَ يتزوّجُ اثنَتَينِ وسبعينَ مِنَ الحُورِ العِينِ. وورِدَ أيضًا أنَّ للمُؤمنِ فِى الجنةِ خَيمةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ ارتِفَاعُهَا ستُّونَ مِيلًا

(١) رواه البخارِيُّ فِى صحيحه باب صفة الجنة والنار ورواه مسلم فِى صحيحه باب ءاخر أهل النار خروجًا.

فِى السّماءِ للمُؤمنِ فيها أَهْلُونَ أىْ أزواج. وأزواجُ الشَّخصِ هُنَّ لهُ إلى أبدِ الآبَادِ. والحورُ العِينُ مِنْ مخلوقَاتِ الجنّةِ يُعطِيهِنَّ اللهُ لمن يشاءُ مِنْ أهلِ الجنّةِ ولهُنَّ مِنَ الحُسنِ والجَمَالِ ما لو بَرَزَتِ الوَاحِدَةُ منهُنَّ إلى الدُّنيا لَمَلأَتْ ما بينَ المشرِقِ والمغرِبِ مِنَ الرَّائِحَةِ الزكيّةِ. ولَمَّا عُرِجَ بالنبِيِّ ﷺ إلى السّماواتِ العُلا اطَّلَعَ فِى الجنةِ فرَأَى الحُورَ العِينَ فطَلَبَ منهُ سيّدُنَا جبريلُ أنْ يُسَلِّمَ عليهِنَّ بالقَولِ فقُلْنَ لهُ نحنُ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ أزواجُ قَوم كِرَام. ورَأَى ﷺ فِى الجنَّةِ الوِلدانَ المُخلَّدِينَ وهُم خلْقٌ مِنْ خلقِ اللهِ لَيسُوا مِنَ البشرِ ولا مِنَ الملائكةِ ولَا مِنَ الجنِّ خلقَهُمُ اللهُ تعالى مِنْ غيرِ أمٍّ وأبٍ، هُم كاللؤلُؤِ المنثُورِ، لِيَخْدُمُوا أهلَ الجنّةِ. الواحدُ مِنْ أهلِ الجنّةِ أقلُّ ما يَكونُ عندَه مِنْ هؤلاءِ الولدانِ المخلَّدِينَ عَشرةُ ءالافٍ بإحدَى يَدَىْ كلٍّ منهُم صَفْحَةٌ(١) مِنْ ذهبٍ وصفحَةٌ مِنْ فضَّةٍ.

ولَا يُوجدُ فِى الجنّةِ ما تكرَهُهُ النّفوسُ فلَا يوجدُ حَيْضٌ ولَا يُوجدُ بَوْلٌ ولا غائِطٌ ولا عَرَقٌ يتولَّدُ منه وَسَخٌ ورَشْحُهُم(٢) كالمِسكِ.

وبمجرّدِ أنْ يدخُلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ ويستقرُّوا فيها يسمعونَ النّداءَ مِنَ المَلَكِ يا أهلَ الجنّةِ إنَّ لكُم أنْ تَحْيَوا فلَا تمُوتُوا أبدًا وإنَّ لكُم أنْ تَشِبُّوا فلا تهرَمُوا أبدًا وإنَّ لكم أنْ تَصِحُّوا فلَا تسقَمُوا أبدًا وإنَّ لكُم أنْ

(١) فى تاج العروس الصفحة شبه قصعة مُسْلَنْطِحَة عريضة تُشبعُ خمسة اهـ
(٢) عرقهم.

تنعَمُوا فلا تَبْأَسُوا أبدًا فيكونُونَ فِى نعيم يتجدَّدُ ولَا يَنقطِعُ فكلُّ ثمرَةٍ يَقطِفُها المؤمِنُ فِى الجنّةِ يُجعَلُ مكانَها ثمرةٌ والثّمرةُ كالجرّةِ والشّجرةُ فِى الجنّةِ ساقُها مِنْ ذهبٍ، وكذلكَ عندما يَرَى المؤمنُ الطّيرَ ويشتهِى أنْ يأكلَهُ يقعُ بينَ يدَيهِ مَشويًّا إنِ اشتهاهُ مَشويًّا مِنْ غيرِ كُلفَةٍ ثُم بعدَ أنْ يأكلَهُ يكْسُو اللهُ تعالَى العِظامَ لحمًا وجِلدًا وريشًا ويَطيرُ الطّيرُ حيًّا مِنْ جَديدٍ.

وأما الذِى قامَ بتوحيدِ اللهِ تعالى واجتنبَ مَعاصِيَهُ وأدَّى فرائضَهُ فإنهُ يدخلُ الجنّةَ بلَا عذابٍ حيثُ النّعيمُ الـمُقيمُ الخالدُ فيكونُ لهُ زيادةً على ما أخبرَ بتفصيلهِ اللهُ تعالى والنّبىُّ ﷺ نَعيمٌ لَا يعلمُهُ إلَّا اللهُ تعالى بدِلالةِ الحديثِ القدسِىّ الذِى رواهُ أبو هريرةَ قالَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ **قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ أعدَدْتُ لعِبَادِى الصَّالحينَ ما لا عَيْنٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سمعَتْ ولَا خَطَرَ على قلبِ بشرٍ** اهـ وقالَ أبو هريرةَ اقرأوا إنْ شِئتُم قولَهُ تعالى فِى سُورةِ السجدَةِ ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾[1].

تفكّرْ أخِى المسلم فِى أحوالِ أهلِ الجنّةِ وفيما خصَّهُمُ اللهُ مِنَ النّعيمِ المقيمِ الدّائم، يُعرَفُ فِى وجوهِهِم نَضْرَةُ النّعيمِ ويُسقَونَ مِنْ رحيقٍ مختوم ويجلِسُونَ على منابِرَ مِنَ الياقُوتِ الأحمَرِ ولهم خِيَامٌ

---

(١) رواه البخارِىُّ فِى صحيحه باب قوله ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٍ﴾ .

مِنَ اللؤلُؤِ الأبيضِ ويتكئونَ على الأرائكِ ولهم مِنَ الحُورِ العِينِ الخَيّراتِ الحسانِ كأنهنَّ الياقوتُ والمَرجَانُ فهَل مِنْ مُشَمِّرٍ للجنةِ.

أليسَ الحَرِيُّ بنا أنْ نَعملَ لآخرَتنا وأنْ نتزوّدَ لها وأنْ نتسابَقَ إلى الطّاعاتِ والخَيْرَاتِ فاللهُ عزَّ وجلَّ يقولُ فِى سُورةِ الحديدِ ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ ويقولُ فِى سورةِ المطففين ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ فالعجبَ العجبَ ممنْ يتنافسونَ على الدّارِ الفانيةِ ولَا يَستعدُّونَ للحِسابِ فِى الدارِ الباقيةِ وقَدْ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ **أوّلُ زُمْرَةٍ تلِجُ الجنةَ صُورَتُهم على صُورَةِ القَمَرِ ليلَةَ البَدرِ لا يَبصُقُونَ فيها ولا يَمْتَخِطُونَ ولا يَتغَوَّطُونَ أمشَاطُهُم مِنَ الذهبِ وءانِيَتُهُم مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ ومجَامِرُهُم مِنَ الأَلُوَّةِ ورَشْحُهُم المسكُ ولكلِّ واحِدٍ منهُم زوجَتَانِ يُرَى مُخُّ سَاقِهِمَا مِنْ وَراءِ اللحم مِنَ الحُسْنِ لَا اختلافَ بينَهم ولَا تَباغُضَ قُلُوبُهم قَلْبٌ واحِدٌ يُسبِّحُونَ اللهَ بُكرَةً وعَشيًّا** اهـ متفقٌ عليهِ(١).

اللهم إنَّا نسألُكَ أنْ تُميتَنَا على كلمةِ لا إله إلَّا اللهُ محمَّدٌ رَسولُ اللهِ وأنْ تجعَلَنَا مِنْ أهلِ الجنّةِ بفضلِكَ يا أرحَمَ الرّاحمينَ.

انتهى واللهُ تعالى أعلم.

---

(١) رواه البخارِيُّ فِى صحيحه باب ما جاء فِى صفة الجنة وأنها مخلوقة بلفظ **ءانيتهم فيها الذهب أمشاطهم من الذهب والفضة** ورواه مسلم فِى صحيحه باب فِى صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيًّا بلفظ **ءانيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة**.

الدرس السابع والعشرون



الصبر على المصائب

درسٌ ألقاه الصوفِىُّ العالِمُ الشيخُ عبد الله بن محمدٍ العبدرىُّ رحمه الله تعالى سنةَ تسعٍ وتسعين وثلاثِمائة وألفٍ أو قبلها وهو فى بيان الصبرِ على المصائب. سمعه منه الشيخ نبيل بن محمد الشريف والشيخ سمير ابن سامى القاضى. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله ربِّ العالمين له النّعمةُ وله الفضلُ وله الثناءُ الحسنُ. صلواتُ اللهِ البَرِّ الرحيمِ والملائكةِ المقرّبينَ على سيدِنا محمَّدٍ أشرفِ المرسلين وعلى ءاله وأصحابه وعلى جميع إخوانه الأنبياء والمرسلين وءال كلٍّ والصّالحين.

أمَّـا بعـدُ فقد قـالَ اللهُ تبـاركَ وتعـالى فى سورةِ البقـرة ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ فى هذهِ الآيةِ تبشيرُ المؤمنينَ الذينَ يتَّصفونَ بهذهِ الصّفةِ التى ذكرَها اللهُ تعالى وهىَ أنّهم راضونَ عنِ اللهِ تعالى أىْ لَا يَتسخَّطونَ عليهِ ولا يَتَبَرَّمون ولَا يتضجّرونَ مِن قضائهِ وإن كانتِ المصائبُ تُقلِقُهُم وتُحْزِنُهم وتؤذِيهم فى

أجسادِهم لكنَّ قلوبَهم راضيةٌ عنِ اللهِ تباركَ وتعالى، هؤلاءِ بشَّرَهم اللهُ تعالى بأنّهم تَنالهم صَلواتٌ منَ اللهِ أيْ رحماتٌ مَقرونةٌ بالتعظيمِ، ليسَ المرادُ مجرّدَ رحمةٍ لأنَّ مجرَّدَ الرَّحمةِ فى الدّنيا تشملُ المؤمنَ والكافرَ إنّما الصَّلواتُ هنا معناها الرّحماتُ المقروناتُ بالتعظيمِ أيِ الرَّحماتُ الخاصّةُ لأنَّ الرَّحماتِ خاصةٌ وعامّةٌ رحماتٌ يشتركُ بها المؤمنُ وغيرُ المؤمنِ والبَرُّ والفاجرُ وهذهِ منَ الرّحماتِ العامّةِ التى تكونُ فى الدّنيا، ومنَ الرَّحماتِ العامّةِ الانتفاعُ بهذا الهواءِ العليلِ والصّحّةِ والمالِ الوافرِ وغيرِ ذلكَ مِن أنواعِ النّعمِ الدّنيويّةِ، هذهِ منَ الرّحماتِ العامّةِ، أما الرّحماتُ الخاصّةُ فلَا يَنالها إلّا المؤمنونَ الصّابرونَ المسَلِّمونَ للهِ تسليمًا، وأولُ شرطٍ فى نيلِ واستحقاقِ الرّحماتِ الخاصّةِ الإيمانُ.

والإيمانُ هوَ الإيمانُ باللهِ ورسولهِ أيِ الاعتقادُ الجازمُ بوجودهِ تعالى بلا تشبيهٍ ولا تكييفٍ وتَركُ الاعتراضِ فى كلّ ما يقضيهِ على العبادِ مما يسرُّهُم ومما يَسوؤُهم، وأما الإيمانُ برسولهِ ﷺ فهوَ التسليمُ لهُ ﷺ فى أنَّ كلَّ ما جاءَ بهِ حقٌّ، سواءٌ كانَ مما يتعلّقُ بأحكامِ العبادِ فى هذهِ الحياةِ الدّنيا أمْ كانَ فيمَا يَحدُثُ فيمَا بعدَ الموتِ فى البرزخِ وفى الآخرةِ. هذا هوَ الإيمانُ.

أما قولهُ تعالى فى سورةِ البقرةِ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ فالمعنى أنّهم مُسَلِّمُونَ غَيرُ معترضينَ على ربّهم ثابتونَ على اعتقادِ

التّسليم للهِ تباركَ وتعالى فإنّهم عرَفوا واعتقَدوا وجزَموا بأنّهم مِلْكٌ للهِ تعالى لهُ أنْ يفعلَ فيهِم ما يشاءُ وأنهُم إليهِ راجعونَ أىْ أنَّ مآلَهم إلى الجزاءِ منَ اللهِ تباركَ وتعالى، جزاءُ المؤمنينَ على إيمانِهم بَدْؤُهُ فى البرزخ بعدَ الموتِ ومُعظمُهُ فى الآخرةِ، فالجزاءُ الذى يكونُ فى البرزخ للمؤمنينَ مما يسرُّهُم فإنَّ اللهَ وعدَهم أنهم متى ما خَرجوا منَ الدّنيا ليسَ عليهِم ما يَسوؤهُم بل هم فى حالهم كحالِ مَن كانَ مَسجونًا وكانَ فى قَحْطٍ ثمَّ خرجَ مِنَ السّجنِ وخرجَ منَ القحطِ والمجاعةِ إلى الرّخاءِ والسَّعَةِ، هذا القبرُ الذى تخافهُ النّفوسُ ليسَ ما يَحْدُثُ فيهِ لكلِّ إنسانٍ على حَدٍّ سواء، بل بعضُ الناسِ هذهِ القبورُ ألذُّ عندَهم مما كانوا عليهِ قَبْلَ ذلكَ ولو كانوا يَسكنونَ القصورَ الفاخِرةَ وكانَ عندَهم نَعيمٌ كثيرٌ، يَكفِى فى ذلكَ أنهم يَرونَ كلَّ يومٍ مقعدَهُم فى الجنةِ أوَّلَ النهارِ مرّةً وءاخرَ النهارِ مرّةً، هذا يفوقُ كلَّ لذّاتِ الدّنيا التى كانوا يُصيبُونها حينَ كانوا على وجهِ الأرضِ، وهناكَ غيرُ ذلكَ وهوَ أنهُ لَا يُسلَّط عليهِم فى قبورهِم ما يُؤذيهِم مِن هوامَّ ولَا يُقاسُونَ وَحْشَةَ الوَحْدَةِ فى القبرِ ولَا وَحْشَةَ الظُّلْمَةِ كلُّ ذلكَ مرفوعٌ عنهُم، وكذلكَ يُرفعُ عنهُم ضيقُ مِساحَةِ القبرِ، وهناكَ غيرُ ذلكَ كتنويرِ القبرِ، وأما فى الآخرةِ فما يَلقَونَهُ منَ النَّعيمِ أعظمُ فأعظمُ.

قولهُ تعالى ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ﴾

معناهُ أَنَّا مِلْكٌ للهِ تعالى يَفعلُ بنا ما يريدُ ونحنُ راضونَ بما يفعلهُ بنا إنْ كانَ مما يُلائمُ النّفوسَ وإنْ كانَ مما لَا يُلائمُ طبائعَ النّفوسِ لأنَّ النّفوسَ جُبِلَتْ على النّفورِ مِن أشياءَ وعلى الـمَيْلِ إلى أشياءَ، هؤلاءِ مُسَلِّمونَ للهِ تَسليمًا فيما يُلائمُ نفوسَهُم وفيما لَا يُلائمُ نفوسَهُم مما قضَى اللهُ تعالى وقدّرَهُ عليهم، وفى الحديثِ الصحيح الواردِ فيما يُقالُ فى الصّلاةِ بينَ التكبيرةِ والقراءةِ نحنُ لكَ وإليكَ وفى مراسيلِ أبى داودَ أيِ الكتابِ الذى ألفهُ أبو داودَ فى المراسيلِ أى الأحاديثِ التى يَذكرها التّابعونَ ولَا يَذْكُرُونَ الصّحابةَ الذينَ نَقَلُوا عنهُم هذهِ الأحاديثَ، فى هذا الكتابِ مَذكورٌ مَرفوعًا اللهم إنما نحنُ بكَ وإليكَ إنّما نحنُ بكَ معناهُ أصلُ وُجودِنا بكَ أىْ بقُدْرَتِكَ ومَشيئتِكَ فلَولا مَشِيئَتُكَ وقدرتُكَ ما وُجدنا وكذلكَ كلُّ صفاتٍ بنا فهىَ إنما وُجدَت بكَ أىْ بقُدرتِكَ ومشيئتِكَ وعلمِكَ، لَا شىءَ مِنّا كانَ أىْ وُجدَ إلا بكَ أىْ بخَلْقِكَ وقدرتِكَ ومشيئتِكَ وعِلمِكَ، ذواتُنا وصفاتُنا الدّائمةُ والطارئةُ التى تتغيّرُ مِن وقتٍ إلى وقتٍ كلُّ ذلكَ بخلقِكَ وُجدَ وبمشيئتكَ وعلمِكَ وتقديركَ وقضائِكَ وُجدَ، وأما قولهُ ﷺ فى هذا الأثرِ الـمُرسَلِ وإليكَ فمعناهُ مَرجِعُنا إليكَ، أىْ كلُّ واحدٍ مِنّا كُتبَ عليهِ الموتُ فإمّا أنْ يموتَ على حالةٍ مَرْضِيَّةٍ عندَ اللهِ وإما أنْ يموتَ وهوَ على حالةٍ غيرِ مرضيّةٍ عندَ اللهِ.

ثمَّ اللهُ تباركَ وتعالى ذكرَ المصيبةَ بلفظِ النَّكِرَةِ فى

هذهِ الآيةِ ليُفهِمَنا أنَّ كلَّ مصيبةٍ تُصيبُ المسلمَ إنْ كانَت صغيرةً وإنْ كانَت كبيرةً فإنّها تُفيدُهُ برفعِ الدّرجاتِ وتكفيرِ السّيئاتِ أيْ إنْ رَضِيَ عَن ربّهِ تباركَ وتَعالى فَفى كلّ ما يُصيبهُ يُرفعُ لهُ بِهِ دَرجةٌ ويُكفّرُ عنهُ به خَطيئةٌ أيْ تُمحَى عنهُ بعضُ ذنوبِهِ، لَا تَمرُّ عليهِ مصيبةٌ صغيرةٌ أو كبيرةٌ إلا وهوَ يَستفيدُ منها هذهِ الفائدةَ، ونِعْمَتِ الفائدةُ، حتى المصيبةُ التى لَا بالَ لها عندَ الناسِ كالشَّوْكَةِ التى يُشاكُها المسلمُ أو كالهَمّ الصّغيرِ الذى يُصيبُ المسلمَ مما هوَ ليسَ ذا تأثيرٍ كبيرٍ، أما الهمُّ الذى لهُ تأثيرٌ كثيرٌ فيزدادُ المسلمُ منهُ استفادةً على حسبِ عِظَمِ ذلكَ الهمّ.

ثمَّ هؤلاءِ المؤمنونَ الذينَ مدحَهم اللهُ تعالى شأنُهم أنهم فى أيامِ الهَرْجِ يُلازِمونَ طاعةَ اللهِ تَعالى أيْ بقَدرِ الإمكانِ أيْ لَا يَعصونَهُ مِن أَجْلِ الهَرْجِ بتركِ الفرائضِ وارتكابِ المعاصى الهَرْجُ هوَ كثرةُ القَتْلِ وقَد صَحَّ الحديثُ فى ذلكَ أنهُ ﷺ قالَ العِبادةُ فى الهَرْجِ كهِجْرَةٍ إلَيَّ اهـ رواهُ ابنُ حبّانَ وغيرهُ[1] أيْ أنَّ الذى يَلتزمُ طاعةَ اللهِ فى الهرجِ أيْ فى أيامِ كثرةِ القتلِ كأنهُ منَ الذينَ هاجَروا أيْ فى الوقتِ الذى كانَت فيهِ الهجرةُ إلى الرّسولِ ﷺ فَرضًا. بعدَما هاجرَ الرّسولُ ﷺ قبلَ

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه فى ذكر إعطاء الله جل وعلا المتعبد عند وقوع الفتن ثواب الهجرة ورواه مسلم فى صحيحه وابن ماجه فى سننه.

فَتْح مكّةَ كانتِ الهجرةُ على المؤمنينَ فرضًا مَنِ استطاعَ أنْ يَلحقَ بالرّسولِ ﷺ إلى المدينةِ كانَ فرضًا عليهِ أنْ يذهبَ إلى المدينةِ لِيُؤازِرَ الإسلام أىْ ليؤازرَ الدّعوةَ الإسلاميةَ بوجودهِ حولَ الرّسولِ ﷺ لأنّهم يكونونَ على أُهبةِ الاستعدادِ إنِ اسْتَنْفَرَهُم رسولُ اللهِ ﷺ ليَنْفِروا ويُساعدوهُ فى نشرِ الدّعوةِ الإسلاميّةِ والتعليمِ والتبليغِ، كانَ مَن لَم يُهاجرْ وهوَ مستطيعٌ فى ذلكَ الوَقتِ يكونُ ذنبهُ كبيرةً منَ الكبائرِ، أما إنْ كانَ غيرَ مستطيعٍ فلَم يَكنْ عليهِ ذنبٌ، والذى هاجَرَ ثمَّ تركَ المدينةَ ورجعَ إلى بلدهِ التى هىَ بَعْدُ معَ المشركينَ فكانَ ذنبهُ مِن كبائرِ الذّنوبِ مِثلَ ءاكلِ الرّبا ومانعِ الزّكاةِ.

أما بعدَ فتح مكّةَ فقَد سقطَت فَرضيّةُ الهجرةِ فالمسلمُ يَعيشُ أينَما شاءَ ويتَّقى ربَّهُ ولذلكَ قالَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ لَا هِجرةَ بعدَ الفتحِ ولكنْ جهادٌ ونيّةٌ اهـ رواهُ أحمدُ والبخاريُّ ومسلمٌ والطّبرانىّ(١) لأنَّ فتحَ مكّةَ كانَ هوَ السّببَ بتَدَفُّقِ العربِ فى الجزيرةِ العربيّةِ إلى الإسلام، قالَ اللهُ تباركَ وتعالى فى سورة النصر ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ الرّسولُ ﷺ عَلِمَ أنَّ دينَهُ انتشرَ وسيزدادُ بعدَ ذلكَ انتِشارًا وأنهُ أكثرُ الأنبياءِ أتباعًا، موسَى عليهِ السّلامُ مَا وُجِدَ ممنْ دخلَ فى دينهِ كعددِ مَنْ دَخَلَ دَعوةَ محمّدٍ، فالذينَ تبِعوا محمّدًا أكثرُ ممن تبعَ الأنبياءَ الأوّلينَ حتّى إنّهم يكونونَ يومَ القيامةِ

(١) فى المعجم الكبير.

جميعُهم أربعينَ صفًّا وتكونُ أمّةُ محمّدٍ ثمانينَ صفًّا. اللهُ تعالى بشّرهُ بأنهُ بعدَ فتحِ مكةَ ينتشرُ الدّينُ فتَحقّقَ ذلكَ بفضلِ اللهِ تعالى، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لَا هجرةَ بعدَ الفتحِ ولكنْ جهادٌ ونيةٌ اهـ فلَا يَنقطعُ الجهاد والنيةُ إلى يوم القيامةِ، إنْ عجزَ المسلمونَ عنِ الجهادِ بالفعلِ ينوونَ أنهم مَتى ما تمكّنوا يفعلونَ، مَن لَم يفعلْ ذلكَ فهوَ يموتُ على شُعبة منَ النّفاقِ الرّسولُ ﷺ قالَ مَن ماتَ ولَم يَغْزُ ولم يُحدِّثْ بهِ نَفْسَهُ ماتَ على شُعْبَةٍ مِن نفاقٍ اهـ رواهُ مسلمٌ فى صحيحهِ[1] ومَعنى على شعبةٍ مِن نفاقٍ أيْ على جُزْءٍ مِنَ النِّفاقِ.

انتهى والله تعالى أعلم.

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه فى باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو.

الدرس الثامن والعشرون



الشفاعة

درسٌ ألقاه الشيخُ نزارُ بنُ رشيدٍ الحَلَبِيُّ رحمه الله تعالى سنةَ ثمانٍ وتسعين أو تسع وتسعين وثلاثمائة وألف وهو فى بيان الشفاعة. سمعه منه الشيخ سمير بن سامى القاضى وءاخرون. قال رحمه الله رحمةً واسعةً

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى ءاله وأصحابه أجمعين.

أما بعد فقد قالَ اللهُ تعالى فى سورة الأعراف ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ بَيَّنَ اللهُ سبحانهُ وتَعالى أنَّ رحمتَهُ وَسِعَتِ المؤمنَ والكافرَ أىْ فى الدّنيا أمّا فى الآخرةِ فرحمتُهُ خاصّةٌ للمؤمنينَ. قالَ تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أى وَسِعَتْ فى الدّنيا كلَّ مؤمنٍ وكافرٍ ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أىْ أخصُّها فى الآخرةِ لمنِ اتَّقى الشّركَ وسائرَ أنواعِ الكفرِ أما الكافرُ فلا يُرحَمُ فى الآخرةِ كمَا قالَ اللهُ تعالى فى سورةِ الأعراف ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أىْ أنَّ اللهَ حَرَّمَ على الكافرينَ الرّزقَ النّافعَ والماءَ

الـمُـرْوِىَ فى الآخرةِ وذلكَ لأنّهم أضاعوا أعظمَ حقوقِ اللهِ على العبيدِ ألا وهوَ الإيمانُ باللهِ ورسولهِ.

إنَّ رحمةَ اللهِ تعُمُّ وتشمَلُ المؤمنَ والكافرَ فى هذهِ الدّنيا أما فى الآخرةِ فإنَّ اللهَ لَا يَرحمُ الكافرَ بشفاعةِ نبيّ منَ الأنبياءِ كما يحصلُ لقسمٍ منَ المؤمنينَ ولَا يَرحمهُ بغيرِ ذلكَ منَ الأعمالِ التى كانَ يَعملُها معَ النّاسِ فى هذهِ الدّنيا كإطعامِ المسكينِ والعطفِ على اليتيم فإنَّ الكفّارَ يُجازَوْنَ فى هذهِ الدّنيا بالصّحةِ والرّزقِ ونحوِ ذلكَ على أعمالهمُ الحسنةِ أما فى الآخرةِ فليسَ للكافرِ فى كَفَّةِ الحسناتِ شىءٌ لأنَّ اللهَ تعالى لَا يَقبلُ الأعمالَ الصّالحةَ أىْ لَا يَقبلُ الحسناتِ إلا ممنْ ءامنَ باللهِ ورسولهِ. قالَ تَعالى فى سورة النساء ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ١٢٤﴾ وقالَ اللهُ تَعالى فى سورةِ البقرةِ ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ وقالَ تَعالى فى سورةِ الأنبياءِ ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ والمعنى أنَّ أحدًا لَا يَشفعُ عندَ اللهِ إلا بإذنِ اللهِ ولَا يشفعُ أحدٌ منَ الأنبياءِ والملائكةِ ولا غَيرِهم لمنْ ماتَ كافرًا ولو كانَ مِن أقاربهِ فلَا يَشفعُ سيّدُنا محمّدٌ ﷺ مثلًا لأبى لهبٍ ولَا يَشفعُ سيّدُنا عيسَى عليهِ السّلامُ للذينَ يَعبدونهُ ولَا يَشفعُ سيّدُنا موسَى عليهِ السّلامُ لليهودِ الذينَ كفَروا وكذَّبوا المسيحَ ومحمّدًا عليهِما الصّلاةُ والسّلامُ وهذا مَعنى قولِ اللهِ

تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ أى لَا يَشفعونَ إلا لمن ماتَ على الإيمانِ. رواهُ البَيهقىُّ فى البعثِ والنّشورِ عنِ ابنِ عبّاسٍ رضىَ اللهُ عنهُما.

ومنَ الذينَ يَشفعونَ الأنبياءُ الذينَ هُم أفضلُ المخلوقاتِ وأفضلُهم سيّدُنا محمّدٌ ﷺ فإنّهم يشفعونَ لقسم منَ العصاةِ مِن أُممِهِم ولكنّهم لَا يَشفعونَ لمن ماتَ مرتدًّا بأنْ كانَ يَسُبُّ اللهَ مثلًا أو يستهزئُ بالأنبياءِ أو الملائكةِ أو يستهزئُ بالصّلاةِ أو الصّيامِ أو أحكامِ الشّرعِ ولو ظنَّ فى نفسهِ أنهُ مسلمٌ.

والملائكةُ الأطهارُ الذينَ ليسَ عليهِم ذنوبٌ وكلُّهم مؤمنونَ مُسلِمونَ مَجْبُولُونَ على طاعةِ ربّهم لَا يَعصونَ اللهَ، يَشفعونَ أيضًا فيُشفِّعُهُم اللهُ فى الآخرةِ فى قسمٍ مِن عصاةِ المسلمينَ الذينَ ماتوا قبلَ التّوبةِ وعليهِم ذنوبٌ كثيرةٌ.

وأيضًا يَشفَعُ العلماءُ العاملونَ والصّالحونَ والشّهداءُ وغيرُهم وقَد رُوِىَ أنَّ واحدًا منَ الأمّةِ المحمّديةِ يَشفعُ لأناسٍ كثيرينَ بعددِ قبيلةِ مُضَرَ وأنَّ الشّهيدَ يَشفعُ فى سبعينَ مِن أهلِ بَيتهِ.

وليُعلَم أنَّ الذى يَسبُّ اللهَ فى حالةِ الغضبِ أو المزحِ أو الجِدّ لَا يَكونُ مُسلِمًا قالَ اللهُ تعالى فى سورةِ التوبة ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ ﴿٦٦﴾﴾ وكذلكَ يَكفرُ مَن

يَعتقدُ أنَّ اللهَ جسمٌ قاعدٌ فوقَ العرشِ، فقَد قالَ الشّيخُ عبدُ الغَنىّ النّابلسىُّ مَنِ اعتقدَ أنَّ اللهَ ملأَ السّمواتِ والأرضَ أو أنهُ جسمٌ قاعدٌ فوقَ العرشِ فهوَ كافرٌ اهـ وقالَ الإمامُ الأشعرىُّ منِ اعتقدَ أنَّ اللهَ جسمٌ فهوَ غيرُ عارفٍ بربّهِ وإنهُ كافرٌ بهِ اهـ فاللهُ تعالى لَا يُشبهُ المخلوقاتِ، لَا يُوصَفُ بالهيئةِ ولا الشّكلِ ولا الصّورةِ ولَا يُوصَفُ بالحركةِ ولا بالسّكونِ ولا بالوقوفِ ولا الجلوسِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[2] فالذى يَعتقدُ مثلَ هذا الاعتقادِ الفاسدِ أو يَصدرُ منهُ مثلُ هذهِ الكُفريّاتِ ويَموتُ مِن غيرِ الرّجوعِ عَنها بالشّهادتينِ لَا يَشفعُ لهُ أحدٌ بل يخلدُ فى النّارِ مُهانًا أما المسلمُ الذى يُؤمِنُ باللهِ ورسولهِ الإيمانَ الصّحيحَ فإنهُ إنْ ماتَ مِن غيرِ توبةٍ منَ الذنوبِ الكبيرةِ التى عَمِلها فقَد يَشفعُ لهُ النبىُّ الكريمُ ﷺ إنْ كانَ مِن أمّتهِ كما أنَّ سائرَ الأنبياءِ يشفعونَ لعصاةٍ مسلمينَ مِن أُممهِم.

فإبراهيمُ عليهِ السّلامُ لَا يَشفعُ يومَ القيامةِ لأبيهِ ءازرَ الذى كانَ مُشركًا وكانَ يَنحِتُ التّماثيلَ التى يَعبُدونها مِن دونِ اللهِ. وقَد دَعاهُ سيّدُنا إبراهيمُ إلى الإيمانِ باللهِ وتَرْكِ عبادةِ الأوثانِ والتّماثيلِ التى لَا تَضرُّ ولا تَنفعُ والتى لَا تَستحقُّ العبادةَ وبيّنَ لهُ أنَّ اللهَ هوَ خالقُ

---

(١) سورة الشورى/الآية ١١ .

(٢) سورة الإخلاص/الآية ٤ .

الطّعامِ والشّرابِ وهوَ الذى يَرزقُ مَن يشاءُ وهوَ خالقُ كلّ شىءٍ إلا أنَّ ءازرَ عاندَ وأبَى أنْ يتخلَّى عَن كفرهِ.

والشّفاعةُ نوعانِ شفاعةٌ للمسلمينَ العصاةِ بعدَ دُخولِهِمُ النارَ لإخراجِهم مِنها قبلَ أنْ تَنتهىَ المدّةُ التى يستحِقّونها وشَفاعةٌ لمنِ استَحقّوا دخولَ النّارِ مِن عصاةِ المسلمينَ بذنوبِهِم فلَا يُدخِلُهُم اللهُ النّارَ بهذهِ الشّفاعةِ.

وأما مَن كانَ مُؤمنًا تقيًّا فهذا لَا يحتاجُ إلى الشّفاعةِ لذلكَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ **شَفاعَتِى لأهلِ الكبائرِ مِن أُمَّتِى** اهـ رواهُ أبو داودَ والتّرمذىُّ وغيرُهما.

إذنْ ليسَ هناكَ كافرٌ يَشفعُ فيهِ رسولُ اللهِ ذلكَ اليومَ ولا أحدٌ منْ أنبياءِ اللهِ لَا عيسَى ولا إبراهيمُ ولا موسى ولا نوحٌ ولا غيرُهم منَ الأنبياءِ عليهمُ السّلامُ.

وقَد قالَ اللهُ تعالى فى سورةِ المائدةِ إخبارًا عَن عيسَى الذى كانَ مُسلِمًا دعا لعبادةِ اللهِ ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ والمعنى أنهُ لَا يَشفعُ لكُم أحدٌ ولا يُخلِّصكُم مِن عذابِ اللهِ أحدٌ أىْ أنا لَا أشفعُ لكُم ولا أحدٌ غيرى يَشفعُ لكُم وليسَ لكُم إلا النّارُ التى أُعِدَّتْ للكفّارِ. ولَا يجوزُ أنْ يَعتقدَ أحدٌ أنَّ نبيًّا منَ الأنبياءِ يشفعُ لكافرٍ لأنَّ هذا تكذيبٌ للقرءانِ وردٌّ للنّصوصِ الشَّرعيّةِ كما لَا يجوزُ أَن يَعتقدَ أحدٌ أنَّ الكافرَ يُرحَمُ يومَ القيامةِ لأنَّ اللهَ أخبَرنا أنَّ رحمتَهُ فى الآخرةِ خاصّةٌ

بالمؤمنينَ كما قالَ تعالى فى سورةِ الأعرافِ ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ١٥٦﴾.

اللَّهُمَّ إنا نسألكَ أنْ ترحَمنا وأنْ تغفِرَ لنا وأنْ تُثبِتَ قلوبَنا على الإيمانِ وأنْ تُشَفِّعَ النَّبىَّ الكريمَ فينا، ونسألُكَ أنْ تُميتَنا على كلمةِ لا إله إلا اللهُ محمّدٌ رسولُ اللهِ.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس التاسع والعشرون



الحجُّ

درسٌ أعطاهُ الفقيهُ المحدّثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى للنساء سنةَ تسعٍ وتِسعينَ وثلاثمائةٍ وألف فِى بَيَانِ الحجّ. سَمِعَهُ منه الشَّيخُ سميرُ ابنُ سامِى القاضِى والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ. قال رَحِمَهُ اللهُ رحمةً واسِعَةً

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ وصلَّى اللهُ على سيدِنَا محمدٍ وعلى ءالِهِ وصحبِهِ الطيبِيْنَ أمَّا بعدُ فإنَّ حَديثًا فِى صَحيح مُسلم فيهِ فَوائدُ جَمَّةٌ وأحكامُهُ كثيرَةٌ وهوَ حَدِيثٌ صَحيحٌ مَشهُورٌ مَعرُوفٌ بينَ عُلَمَاءِ الحَدِيثِ عَنْ جعفرٍ الصَّادِقِ بنِ محمَّدِ بنِ علِيّ بنِ الحسَينِ بنِ علِيّ بنِ أبِى طالبٍ عَن أبيهِ محمّدٍ الباقِرِ قالَ دَخلنَا على جابرِ بنِ عبدِ اللهِ فسألَ عنِ القومِ حتَّى انتهَى إلَيَّ فقُلتُ أنا محمّدُ بنُ علِيّ بنِ حُسَينٍ فأهوَى بيَدِهِ إلى رأسِى فنَزَعَ زِرِّىَ الأعلَى ثُمَّ نَزَعَ زِرِّىَ الأسفَلَ ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ بينَ ثَدْيَيَّ فأنا يومئذٍ غُلامٌ شَابٌّ فقالَ مَرحبًا بكَ يا ابنَ أخِى سَلْ ما شِئتَ فسَألتُهُ وهوَ أعمَى وحَضَرَ وقتُ الصلاةِ فقامَ فِى سَاجَةٍ[١] مُلتحِفًا بها كُلَّما وضعَها على

(١) الساج طيلسان مقور ينسج كذلك وجمعه سيجان وقيل الساج الطيلسان الضخم الغليظ وقيل الطيلسان الأخضر اهـ

مَنْكِبِهِ رَجَعَ طَرَفَاها إليهِ مِنْ صِغَرِها ورِدَاؤُهُ إلى جَنْبِهِ على المِشْجَبِ[(١)] فصلَّى بنَا فقُلتُ أخبِرْنِى عَنْ حَجَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ بيَدِهِ فعَقَدَ تِسعةً فقالَ إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ مَكَثَ تِسعَ سِنينَ لَم يَحُجَّ ثُمَّ أَذَّنَ فِى النَّاسِ فِى العاشِرَةِ أنَّ رسولَ اللهِ حَاجٌّ فقَدِمَ المدِينةَ بَشَرٌ كَثيرٌ كُلُّهُم يَلْتَمِسُ أنْ يَأْتَمَّ برَسُولِ اللهِ ويَعمَلَ مِثلَ عمَلِهِ فخَرَجْنَا معهُ حتَّى أَتَيْنَا ذا الحُلَيْفَةِ فوَلَدَتْ أسمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بنَ أبِى بكرٍ فأرسَلَتْ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ كيفَ أصنَعُ قالَ اغتَسِلِى واسْتَثْفِرِى بثَوبٍ فأَحْرِمِى وصلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِى المسجِدِ ثُمَّ رَكِبَ القَصْوَاءَ[(٢)] حتَّى إذا استَوَتْ بهِ ناقَتُهُ عَلَى البَيْدَاءِ[(٣)] نَظَرْتُ إلى مَدِّ بَصَرِى بينَ يَدَيْهِ مِنْ رَاكِبٍ ومَاشٍ وعَنْ يَمِيْنِهِ مِثلُ ذلكَ وعَنْ يَسَارِهِ مِثلُ ذلكَ ومِنْ خَلْفِهِ مِثلُ ذلكَ ورَسُولُ اللهِ ﷺ بينَ أَظْهُرِنَا عليهِ ينْزِلُ القُرءانُ وهوَ يَعْرِفُ تأوِيْلَهُ ومَا عَمِلَ بهِ فِى شَىءٍ عَمِلْنَا بهِ فأَهَلَّ بالتوحِيْدِ **لَبَّيْكَ اللهُمَّ لبّيكَ لبيكَ لَا شريكَ لكَ لبيكَ إنَّ الحمدَ والنِّعمةَ لكَ والمُلك لا شَريكَ لكَ** وأَهَلَّ الناسُ بهذا الذِى يُهِلُّونَ بهِ ولم يَرُدَّ رَسولُ اللهِ ﷺ شيئًا منهُ ولَزِمَ رَسولُ اللهِ ﷺ تَلْبِيَتَهُ قالَ جَابِرٌ رَضِىَ اللهُ عنهُ لَسْنَا نَنْوِى إلَّا الحجَّ لسْنَا

(١) المِشجب عيدان يضم رءوسها ويفرج بين قوائمها وتوضع عليها الثياب وقد تعلق عليها الأسقية لتبريد الماء اهـ

(٢) القصواء اسم ناقة للنبىّ ﷺ قال ابن الأعرابىّ القصواء التِى قطع طرف أذنها كما فِى شرح النووِىّ على مسلم اهـ

(٣) البيداء اسم موضع مخصوص بين مكة والمدينة اهـ

نَعرِفُ العُمْرَةَ حتَّى إذا أَتَيْنَا البَيتَ معَهُ استَلَمَ الرُّكْنَ فَرَمَلَ ثَلاثًا ومَشَى أَرْبَعًا ثُمَّ نَفَذَ إلى مَقام إبراهيمَ عليهِ السّلامُ فقرَأَ ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾[1] وجَعَلَ المقَامَ بينَهُ وبَينَ البَيْتِ ثُمَّ رَجَعَ إلى الركنِ فاستَلَمَهُ ثُمَّ خَرَجَ مِنَ البَابِ إلى الصَّفَا فلمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾[2] **فأَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ** فبَدَأَ بالصَّفَا فرَقِىَ عليهِ حتَّى رَأَى البَيْتَ فاستَقْبَلَ القِبْلَةَ فوَحَّدَ اللهَ وكَبَّرَهُ وقالَ **لا إله إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ لهُ لهُ المُلكُ ولهُ الحمدُ وهوَ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَديرٌ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَه أَنْجزَ وَعْدَهُ ونَصَرَ عَبْدَهُ وهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ** ثُمَّ دَعَا بينَ ذلكَ قالَ مِثلَ هذا ثَلاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ نَزَلَ إلى المَرْوَةِ الحديثَ رواهُ مسلمٌ[3].

ورُوِّينا فى مستَدْرَكِ الحاكِمِ وسُننِ البيهقيّ وغيرِهما مِن حديثِ شَدّادِ بنِ أوسٍ رَضِىَ اللهُ عنه أنَّ نَبِىَّ اللهِ ﷺ قال **إنَّ مِن أفضلِ أَيّامِكُم يومَ الجمعةِ فيه خُلِقَ ءادمُ وفيه قُبِضَ وفيه النَّفْخَةُ وفيه الصَّعْقَةُ فإذا كان يومُ الجمعةِ فأَكْثِروا عَلَىَّ مِن الصلاةِ فيه فإنَّ صلاتَكُم معروضةٌ عَلَىَّ** قيل وكيف تُعرَضُ صلاتُنا عليك يا رسولَ الله وقَدْ أَرَمْتَ **قال إنَّ اللهَ حَرَّمَ على الأرضِ أنْ تأْكُلَ أجسادَ الأنبياءِ** اهـ هذا الحديثُ يَتَضَمَّنُ فَضلَ يوم الجمعةِ، هنا لفظُ الحديثِ **إنَّ مِن أفضَلِ أيامِكُم يومَ**

---

(١) سورة البقرة/الآية ١٢٥ .

(٢) سورة البقرة/الآية ١٥٨ .

(٣) رواه مسلم فِى صحيحه باب حجة النبىّ ﷺ.

الجمعةِ وإنما قال مِن أفضلِ أيامِكُم ولم يَقُلْ إنَّ أفضل أيامِكُم لأنَّ هناك أيامًا لها مَزايا وفضائلُ كيوم الحَجّ الأكبَرِ وهو يومُ العِيدِ بالنسبةِ للمُحْرِمِ فى الحَجِّ، يومُ العيدِ هو يومُ الحَجِّ، يومُ العيدِ هو يومُ الحجِّ الأكبَرِ، عَرَفَةُ قَبْلَ يوم العيدِ.

وسُمِّىَ يومُ العيدِ للحاجّ يومَ الحجّ الأكبرِ لأنَّ مُعْظَمَ أعمالِ الحجّ تكونُ فيه كالطوافِ والحلقِ أو التقصيرِ ورَمْىِ جَمْرَةِ العَقَبَةِ.

ولا يَتنافَى هذا معَ حديثِ الحجُّ عَرَفَةُ لأنَّ أشَدَّ أعمالِ الحجّ احتياطًا هو وقوفُ عَرَفَةَ لِضِيقِ وَقْتِهِ لأنَّ الوقوفَ بعَرَفَةَ وقتُهُ أقلُّ مِن يوم كامِلٍ لأنَّ وقتَهُ مِن زَوالِ يوم عَرَفَةَ أىِ التاسِعِ مِن ذِى الحِجَّةِ إلى الفَجْرِ، ما بين الزوالِ والفجرِ هذا وقتُ عَرَفَةَ فَمَنْ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الوقوفِ بعرفةَ فى هذه المدةِ التِى هِىَ أقلُّ مِن يومٍ كامِلٍ فاتَهُ الحجُّ فلذلك قالَ الرسولُ الحجُّ عرفة معناهُ مَن أدركَ عرفةَ أىْ وَقَفَ بعرفةَ فقد أدركَ الحجَّ أىْ ما سِوَى ذلك سَهْلٌ عليه لأنَّ أركانَ الحجّ سِوَى الوقوفِ وقتُها واسِعٌ. الطوافُ بالبيتِ الذى هو رُكْنٌ مِن أركانِ الحَجّ لا يُجبَرُ بِدَمٍ أىْ بذَبْحٍ إنْ فاتَ لأنَّ وقتَهُ واسِعٌ، لكنَّ أفضلَ أيامِهِ يومُ العيدِ، فَمَنْ لَمْ يَطُفْ طَوافَ الفَرْضِ فى خِلالِ أيامِ التشريقِ طافَ أىَّ يومٍ شاءَ بعدَ ذلِكَ لو بعدَ شهرٍ أو شهرَينِ أو ثلاثةٍ أو أكثرَ.

والسَّعْىُ مِثْلُهُ ليسَ وقتهُ ضَيِّقًا بلْ واسعٌ إنْ شاءَ يَسْعَى

عَقِبَ طوافِ القُدُومِ أَوَّلَ ما يَدْخُلُ مَكَّةَ وإنْ شاءَ يَسْعَى عَقِبَ طوافِ الفَرْضِ. والحلْقُ أو التَّقْصِيرُ يجوزُ فِعْلُهُما كالطوافِ بعدَ شهرٍ أو شَهْرَيْنِ أو ثلاثةٍ أو أكثرَ. فلمَّا كانَ العَمَلُ الذى وقتُهُ ضَيِّقٌ هو الوقوفَ بعرفةَ فقطْ قال عليه الصلاة والسلام الحجُّ عَرَفَةَ ليس معناهُ أنَّ مَنْ وَقَفَ بعَرَفَةَ ثَبَتَ له الحجُّ مِن غَيْرِ تَوَقُّفٍ علَى أعمالٍ أُخْرَى بلْ لا بُدَّ مِنَ الإحرامِ الذى هو النيةُ أى نيةُ الدخولِ فى النُّسُكِ ومِنْ طوافِ الفَرْضِ والسَّعْيِ والحلْقِ أو التقصيرِ.

قوله عليه الصلاة والسلامُ إنَّ مِن أفضلِ أيامِكُم يومَ الجمعةِ هو لِبَيانِ أنَّ هناك أيامًا فاضلةً غيرَ يومِ الجمعةِ وإنْ كانَ يومُ الجمعةِ يَخْتَصُّ بمَزايا ليست لِتِلْكَ الأيامِ الفاضِلةِ سِواهُ أىْ مِن بَين الأيامِ الفاضِلةِ سواه، ومن الأيام الفاضلةِ عشرُ ذِى الحِجَّةِ أىْ مِن أوَّلِ شهرِ ذِى الحِجَّةِ إلى العاشِرِ مِن يوم العيدِ، كلُّ هذه الأيامِ لها فضلٌ عندَ اللهِ تعالى فإنَّ عَمَلَ البرِّ والإحسانَ فى هذه الأيام يَزْكُو ويَزيدُ على ما سواه لذلك قال رسولُ اللهِ ﷺ ما مِن أيامِ العملُ فيها أحبُّ إلى اللهِ مِن عَشْرِ ذِى الحجةِ[١] اهـ فَيُفْهَمُ أنَّ الأعمالَ الصالحةَ فى هذه الأيامِ تَزْكُو عندَ اللهِ تعالى أكثرَ مما إذا عُمِلت فى غيرِها.

انتهَى واللهُ تعالى أعلَمُ.

---

(١) رواه الترمذى فى سننه باب ما جاء فى العمل فى أيام العشر.

الدرس الثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

جوازُ الرُّقْيَةِ والتوسُّلِ بالصَّالِحِينَ

درسٌ ألقَاهُ المحدِّثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ الشيبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى وهو فِى بَيَانِ جَوازِ الرُّقْيَةِ بِمَا فيه قُرءانٌ وذِكْرُ اللهِ وجَوَازُ التوسُّلِ بالأنبِيَاءِ والأولِيَاءِ فِى حَيَاتِهِم وبعْدَ مَمَاتِهِمْ. سَمِعَه منه الشيخُ سميرُ بنُ سامِى القَاضِى. قال رحِمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِينَ والصلاةُ والسلامُ على سيدِ المرسلِيْنَ وعلى ءالِهِ الطاهِرِينَ أمَّا بعدُ فقَدْ رُوِّيْنَا فِى جَامِعِ التِّرمِذِيّ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ **إنَّ الرُّقَى والتَّمَائِمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ**[١] اهـ

الرُّقَى هِىَ ما يُقرَأُ على المريضِ والمصَابِ فمَا كانَ مِنَ الرُّقَى مِنْ ذِكْرِ اللهِ أوِ القُرءانِ فهوَ جائِزٌ، والتَّمائِمُ هىَ الخَرَزاتُ التِى كانَ الجَاهِلِيُّونَ الكُفَّارُ يُعَلِّقُونَها على صِبْيَانِهم للوِقَايَةِ مِنَ العَيْنِ فهذهِ التَّمائمُ هِىَ التِى سمَّاها رَسولُ اللهِ شِركًا. والرُّقَى إذا كانَتْ بكَلِمَاتٍ فيها دَعوةُ الجِنِّ والأصنَامِ فذَلكَ شِركٌ. الرُّقَى جَمْعُ رُقْيَةٍ والتَّمائمُ جَمعُ تَمِيْمَةٍ[٢]، وليسَتِ التَّمائمُ هذهِ الحُرُوزَ التِى فيها

(١) ورواه ابن حبان فِى صحيحه باب ذكر التغليظ على من قال بالرقى والتمائم متكلًا عليها.

(٢) فى مختار الصحاح والتميمة عُوذةٌ تُعلَّقُ على الإنسان وفى الحديث=

قُرءانٌ أو ذِكرُ اللهِ إنَّما التَّمائمُ التِى قال عنها الرَّسُولُ إنَّها شِركٌ هِىَ ما كانتِ الجَاهِلِيَّةُ الكُفَّارُ يُعَلِّقُونَها على صُدُورِ الأطفَالِ اعتِقَادًا منهُم أنَّها بطَبِيْعَتِهَا تَحْفَظُ لَا على اعتِقَادِ أنَّ اللهَ جَعَلَهَا سَبَبًا للحِفْظِ مِنْ أَذَى الجِنِّ أوِ السّحْرِ بلْ كانُوا يعتقدُونَ أنَّ هذهِ الخَرَزاتِ هِىَ بِطَبْعِهَا تَحْمِى مَنْ عُلِّقَت عليه. أمَّا الرُّقَى التِى هِىَ قِراءةُ شَىءٍ مِنَ القُرءانِ أو ذِكرُ اللهِ فهِىَ جَائِزَةٌ بلَا خِلافٍ بينَ عُلَمَاءِ الإسلام ولَم يَزَلِ المسلِمُونَ مِنْ عَصْرِ الرَّسُولِ إلى الآنَ يَرْقُونَ بِمَا فِيْهِ ذِكْرُ اللهِ. الرَّسولُ ﷺ رَقَى لكنْ كانَ المشرِكُونَ يَرقُونَ رُقًى فيها كُفْرٌ مِنَ الاستِنْجَادِ بالشياطِينِ(١) ونحوِ ذلكَ. أمَّا التِّوَلَةُ فهِىَ سِحْرٌ تَفْعَلُهَا النِّساءُ للإضرَارِ بالزَّوجِ وتِلكَ كانَتْ أيضًا فيهَا نَوْعٌ مِنَ الكُفْرِ. هذا مَعنَى الحَدِيْثِ **إنَّ الرُّقَى والتَّمَائِمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ** اهـ

الرسولُ عليهِ السلامُ رَقَى بأكثرَ مِنْ رُقْيَةٍ مِنْهَا **بِسمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَىءٍ يُؤذِيكَ ومِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أوَ عَيْنِ حَاسِدٍ اللهُ يَشْفِيكَ**(٢) اهـ هذهِ الرُّقْيَةُ جِبرِيلُ عَلَّمَهَا النَّبِىَّ ﷺ. أمَّا الحُرُوزُ التِى يُعَلِّقُهَا المسلِمُونَ الكِبَارُ والصِّغَارُ على صُدُورِهِم مِمَّا كُتِبَ فيهِ ذِكْرُ اللهِ أو شَىءٌ مِنَ القُرءانِ فهذا جَائزٌ بإجمَاعِ المسلِمِينَ، مَا حَرَّمَهُ أَحَدٌ

= من علق تميمة فلا أتمّ الله له. وقيل هى خرزة اهـ
(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب الطب والمرض والرقى.
(٢) أى من الاستنجاد الذى هو كفر ممّا هو عبادة للشياطين ونحو ذلك.

مِنَ المسلِمِينَ إلَّا هؤلاءِ الوهابِيَّةُ الضَّالُّونَ، فمِنْ عَادَةِ الوَهَّابِيَّةِ إذا رَأَوا على صَدْرِ إنسانٍ حِرْزًا يُحاوِلُونَ أَنْ يَقْطَعُوهُ مِنْ عُنُقِ الشَّخصِ إنِ استَطَاعُوا ويقُولُونَ شِركٌ. ولَا يُلْتَفَتُ إلى كلامِهِم لأَنَّهُم جَاهِلُونَ بِخَالِقِهم مَا عَرَفُوا خَالِقَهُم لأنَّ الخَالِقَ عِندَهم جِسْمٌ قَاعِدٌ على العَرْشِ. عَقِيدَتُهم هذهِ أَمْرٌ مُستحيلٌ لَا يَصِحُّ فِى العَقْلِ لأنَّ الجِسمَ لَا يخلُقُ الجِسْمَ لو كانَ اللهُ جِسمًا مَا خَلَقَ الجِسْمَ لو كانَ يَصِحُّ أنْ يكونَ اللهُ جِسمًا خَالِقًا للعَالَم لكانَتِ الشمسُ أَوْلَى بأن تكونَ خَالِقَةً للعَالَم لأنَّ وُجُودَهَا مُحَقَّقٌ ونَفْعَها الكثيرَ مُحَقَّقٌ. وأمَّا مَا يعتَقِدُهُ الوهابِيَّةُ فِى اللهِ أنَّه جِسْمٌ قَاعِدٌ على العَرْشِ ليسَ مُحقَّقَ الوُجُودِ ولَا يُشَاهَدُ لهُ مَنْفَعَةٌ فلَو كانَ الجِسْمُ يَصِحُّ أنْ يكونَ إلٰهًا لَصَحَّ للشمسِ الألوهيةُ وهُم معَ كُفْرِهِم هذا يَظُنُّونَ بأنفُسِهِم أَنَّهُم هُمُ المسلِمُونَ وأنَّ مَنْ سِواهُم كُفَّارٌ.

يُكَفِّرونَ المسلِمينَ لأَنَّهم لَا يقُولُونَ كَمَا يقُولُونَ اللهُ جِسمٌ قَاعِدٌ عَلَى العَرْشِ ولأنَّ المسلِمِينَ يقُولُونَ عِندَ الفَرَحِ أو عِندَ الشِّدَّةِ يا محمَّدُ وقَد يقُولُونَ فِى بعضِ البِلادِ يا عبدَ القَادِرِ يَستَغِيثُونَ بالشيخِ عبدِ القادِرِ الجيلانِيّ رَضِيَ اللهُ عنهُ أو يَا رِفَاعِيُّ أو نحوَ ذلكَ، فهذِهِ الاستِغَاثَةُ أىْ قَولُ يا محمَّدُ عِندَهم شِركٌ، يَعتَبِرُونَهُ عِبادَةً للرَّسُولِ يقُولُونَ إلَّا أنْ يُقالَ ذلكَ فِى حَيَاةِ الرَّسُولِ أَمَامَهُ هذا ليسَ شِركًا أمَّا قَوْلُ هذا بعدَ وَفَاتِهِ شِركٌ وفِى حَيَاتِهِ فِى غَيرِ حَضْرَتِهِ شِركٌ، هذا دِينُ

الوهابِيَّةِ. أمَّا المسلِمُونَ فَفِى عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ حَصَلَ منهُم قَولُ يا محمَّدُ فِى غَيرِ حُضُورِهِ ﷺ وبعدَ وَفَاتِهِ، إلى يَومِنَا هذا المسلِمُونَ يقُولُونَ يا محمَّدُ. أمرٌ مُتَّفَقٌ عليهِ بينَ المسلِمِينَ مُنذُ أيَّامِ الرَّسُولِ ﷺ إلى الآنَ قَولُ يا محمَّدُ بِنِيَّةِ الاستِغَاثَةِ بِهِ إنْ كانَ فِى حَالِ الشِّدَّةِ أو بِنِيَّةِ الفَرَحِ بِهِ إنْ لم يَكنْ فِى حَالِ الشِّدَّةِ.

رَجُلٌ يُقَالُ لهُ أحمَدُ بنُ تيميةَ هوَ أوَّلُ مَنْ حَرَّمَ التَّوَسُّلَ بالرسولِ فِى غَيرِ حُضُورِهِ وبالأنبياءِ والاستِغَاثَةَ بِهِم.

التوسُّلُ هوَ الاستِغَاثَةُ لكنْ لَفْظُ أستَغِيْثُ أو أَغِثْنِى هوَ استِغَاثَةٌ لَفْظًا ومعنًى أمَّا قَوْلُ يا محمَّدُ فهوَ استِغَاثَةٌ معنًى لأنَّ المسلِمِينَ عِندَما يقُولُ أحدُهُم يا محمَّدُ قَدْ يكونُ هذا الذِى يقولُ هذهِ الكَلِمَةَ مَنْكُوبًا نَزَلَتْ بِهِ شِدَّةٌ فيُرِيْدُ أنْ يُسَاعِدَهُ الرَّسُولُ لِرَفْعِ هذهِ الشِّدَّةِ لأنَّ الرَّسُولَ يَنْفَعُ فِى حَيَاتِهِ وبعدَ مَمَاتِهِ، فِى حَيَاتِهِ يَنْفَعُ بِقُدرَةِ اللهِ وبإِذْنِ اللهِ وبعدَ مَمَاتِهِ يَنْفَعُ بإِذْنِ اللهِ وقُدْرَتِهِ فَأَىُّ فَرْقٍ بَيْنَ أنْ يُقَالَ فِى حَيَاتِهِ أَمَامَهُ يا رَسُولَ اللهِ أغِثْنِى وبينَ أنْ يُقالَ بعدَ وَفَاتِهِ أغِثْنِى يا رَسُولَ اللهِ، اللهُ تعالى هوَ الذِى يَخْلُقُ المنْفَعَةَ وهُوَ الذِى يَدْفَعُ المضَرَّةَ والشِّدَّةَ فالرَّسُولُ سَبَبٌ ليسَ هوَ يخلُقُ المنْفَعَةَ أوِ المَضَرَّةَ لِنَفْسِهِ أوْ لِغَيْرِهِ. كذلكَ كُلُّ الأسبَابِ لَا تخلُقُ مُسَبَّبَاتِهَا فالخُبزُ لَا يخلُقُ الشِّبَعَ إنَّما اللهُ يخلُقُ الشِّبَعَ عِندَ تَنَاوُلِهِ والماءُ لَا يخلُقُ الرِّىَّ إنَّما اللهُ يخلُقُ الرِّىَّ عِندَ شُرْبِهِ والدَّواءُ لَا يخلُقُ العَافِيَةَ إنَّما اللهُ يخلُقُ العَافِيَةَ عِندَ استِعْمَالِهِ

وهكذا كُلُّ الأسبَابِ لا تَخْلُقُ شَيئًا إنَّما اللهُ هوَ الذِى يخلُقُ.

الوهابيَّةُ بتكفِيرِها لمن يَستغِيثُ بالرَّسولِ أو بالأولياءِ يكونُونَ حَكَمُوا على جَميعِ المسلِمِينَ بالضلالِ والكُفْرِ. جَرَتْ عَادَةُ العُلَمَاءِ بأنْ يَذْكُرُوا أنَّ مَنْ أَصَابَهُ خَدَرٌ فِى رِجْلِهِ أىْ تَشَنُّجٌ وتَعَطُّلُ حَرَكَةٍ يقولُ يا محمَّدُ. الصَّحَابَةُ بعضُهُم فَعَلَ هذا ومَنْ جَاءَ بعدَهم فَعَلَ هذا. عَبْدُ اللهِ ابنُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِىَ اللهُ عنهُ وعَن أبِيهِ عُمَرَ أَصَابَهُ خَدَرٌ فقالَ لهُ بعضُ النَّاسِ اذكُرْ أَحَبَّ النَّاسِ إليكَ فقالَ يا محمَّدُ فانْحَلَّ عنهُ ذلكَ التَّشَنُّجُ فِى الحَالِ(١). هذا الفِعْلُ الذِى فَعَلَه عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ عِندَ الوهابيَّةِ شِرْكٌ كُفْرٌ، وعَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ الرَّسُولُ شَهِدَ لهُ بأنَّهُ صَالِحٌ.

الوهابيّةُ مَا سَلِمَ منهُمُ المسلِمُونَ المتقَدِّمُونَ ولا المتأخِّرُونُ ومَعُ هذا يُسَمُّونَ أنفُسَهُمُ السَّلَفِيَّةَ لِيُوهِمُوا النَّاسَ أنَّهُم على ما كانَ عليهِ الرَّسُولُ ﷺ والصَّحابةُ وعَقَائِدُهُمْ وأفعَالُهُم ضِدُّ السَّلَفِ ضِدُّ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ ومَنْ تَبِعَهم إلى هذا العَصْرِ.

نَعُودُ إلى مَسْئَلَةِ الرُّقْيَةِ، قالَ العُلَمَاءُ لَا يجوزُ الرُّقْيَةُ بكَلِمَاتٍ لا يُعْرَفُ مَعَانِيها، هذهِ التِى يُقالُ لَهَا البِرْهَتِيَّة

---

(١) رواه البخاريّ فى الأدب المفرد باب ما يقول الرجل إذا خدرت رجله ورواه ابن السنِّىّ فِى عمل اليوم والليلة باب ما يقول إذا خدرت رجله.

لَيْسَتْ مِنْ لِسَانِ العَرَبِ اللهُ أَعْلَمُ مِنْ أيِّ لِسَانٍ هِيَ فإِنْ ثبَتَ عَنْ ثِقَةٍ أَنَّها أسمَاءُ للهِ بِلُغَةٍ غَيرِ العَرَبِيَّةِ اطْمَأَنَّ القَلْبُ لاستِعْمَالِهَا. والاحتِيَاطُ أنْ يُرْقَى بالآيَاتِ القُرءانِيَّةِ وذِكْرِ اللهِ الذِى وَرَدَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِى كُتُبِ الحَدِيْثِ، الاحتِيَاطُ الاقْتِصَارُ على هذا. القُرءَانُ وأسمَاءُ اللهِ الحُسْنَى فِيها الكِفَايَةُ. القُرءانُ فِيهِ سِرٌّ عَظِيمٌ ولا سِيَّمَا إنْ كانَ القَارِئُ تَقِيًّا. كانَ فِى بَلَدِنَا هَرَرَ عَالِمٌ تَقِىٌّ أىُّ إنْسَانٍ يُصَابُ بالجِنِّ يَقْرَأُ عِندَهُ هذهِ الآيةَ فِى سُورةِ يُونُس فقط ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ فيَطِيرُ الجِنُّ عنِ المُصَابِ، ثُمَّ بعدَ مَوتِ هذا الشيخ رَجُلٌ أَرَادَ أنْ يَفْعَلَ كَمَا كانَ يَفْعَلُ ذلكَ الشَّيْخُ فقَرَأَ عَلَى مُصَابٍ فقَالَ الجِنِّىُّ الآيَةُ هِىَ هِىَ لكنِ القَارِئُ غَيرُ ذلكَ القَارِئِ.

انتهَى واللهُ تعالَى أعلَمُ.

الدرس الواحد والثلاثون



التفكرُ فِى مخلوقاتِ اللهِ وبيانُ سوءِ فَهْمِ الوهابيةِ

درسٌ ألقاهُ المحدثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدرِىُّ الهررِىُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى فِى بيروتَ وهو فِى بيانِ وجوبِ التفكُّرِ فِى مخلوقاتِ اللهِ للاستدلالِ بذلك على وجودِ اللهِ وعلَى صِفاتِهِ وبيان سوء فهم الوهابية. سَمِعَهُ منه الشيخُ محمدُ بنُ مصطفَى البكرِىُّ والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ جميلُ بنُ محمد حليم والشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى. قالَ رحِمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمدٍ وعلى ءالِهِ وأصحابِهِ الطيبينَ.

أما بعد فإنّ التّفكرَ فِى خلقِ اللهِ واجبٌ حتى يُستدَلَّ بذلكَ على وجودِ اللهِ وقُدرتهِ وأنهُ أزلِىٌّ أبدِىٌّ، التفكُّرُ فِى المخلوقِ لمعرفةِ هذا واجبٌ أىْ بهذا القَدرِ للوصولِ إلى الدليلِ على وجودِ اللهِ وأنهُ أزلِىٌّ وأنهُ لَا يُشبهُ شيئًا لأنَّ مَنْ عرفَ أنَّ العالَمَ مُتغيّرٌ يعرِفُ أنَّ لهُ مُغيّرًا ويَعرِفُ أنَّ مُغَيِّرَهُ لَا يَتغيّرُ. هذا فائدةُ التفكّرِ فِى الخلْقِ أمَّا التفكرُ فِى ذاتِ اللهِ فمَمْنُوعٌ لأنَّ الذِى يَبحثُ عَنْ ذاتِ اللهِ ليتصوَّرَهُ لَا يَصِلُ إلاَّ إلى التشبيهِ. لذلكَ

اللهُ تعالى مَنَعَنَا مِنَ التفكُّرِ فِى ذاتِهِ وأَمَرَنَا بالتفكُّرِ فِى مخلُوقَاتِهِ. مِنْ جُملَةِ ذلكَ أَنَّ الإنسانَ يعرِفُ أنهُ وُجِدَ بعدَ أنْ كانَ غيرَ موجودٍ ويُفْهَمُ مِنْ هذا أنهُ لا بُدَّ لهُ مِنْ مُوجِدٍ أوجدَهُ وأَنَّ هذا الموجِدَ الذِى أوجَدَهُ ليسَ حادِثًا بلْ أزلِيٌّ وجودُهُ ليسَ لهُ بدايةٌ، هذا يُقالُ لهُ استِدلالٌ على وجودِ اللهِ وقِدَمِهِ وأبديَّتِهِ وتَنَزُّهِهِ عَن مُشابهةِ خَلقِهِ لأنهُ عندَما يعرِفُ أَنَّ نفسَهُ وهذا العالَمَ كُلَّهُ تتغيرُ الأحوالُ فيهِ يَعرِفُ أَنَّ هذهِ الأشياءَ لا بُدَّ أنْ يكونَ لها مُوجِدٌ أوجدَها وأَنَّ مَنْ أوجدَها لَا يُشبِهُهَا بوجهٍ مِنَ الوجوهِ. هؤلاءِ الوهابيّةُ حُرِمُوا هذا التفكُّرَ وقالُوا اللهُ جَسَدٌ قَاعِدٌ على العرشِ له أعضاءٌ فكَفَرُوا بخالِقِهم مَا عَرَفُوا خَالِقَهُم.

تَفَكَّرُوا فِى خَلْقِ اللهِ ولا تَفَكَّرُوا فِى ذاتِ اللهِ[1] اهـ هذا كلامُ عبدِ اللهِ بنِ عبّاسٍ رضِىَ اللهُ عنهُما ليسَ حَديثًا نَبَوِيًّا لكنْ معناهُ يؤخَذُ مِنَ القُرءانِ فِى سُورةِ الأعـــرافِ ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ هذهِ الآيةُ تدلُّ على أَنَّ التفكّرَ فِى مَلكوتِ السّمواتِ والأرضِ مَطلوبٌ مُهِمٌّ.

فالوهابيةُ مَا عرفُوا الخالقَ مِنَ المخلوقِ، بلِ اللهُ عندَهم جسمٌ والبشرُ جسمٌ والعرشُ جسمٌ والضوءُ جسمٌ لطيفٌ والظلامُ والروحُ كلُّ هؤلاءِ بعضٌ جسمٌ لطيفٌ وبعضٌ كثيفٌ. جعلُوا اللهَ كالبشرِ جسمًا له نصفَانِ

(١) رواه البيهقىّ فى الأسماء والصفات باب ما ذكر فى الذات.

نصفٌ أعلَى ونصفٌ أسفل حتَّى اعتقَدُوا أنهُ جالسٌ على العرشِ. الذِى يجلسُ لهُ نصفانِ نصفٌ أعلى ونصفٌ أسفلُ. جَعلُوا اللهَ مثلَ خلقِهِ مَا عَرفُوا الخالقَ مِنَ المخلوقِ ومعَ هذا الجهلِ الفظيعِ يظنُّونَ أنهم هم المسلِمُونَ وأنَّ غيرَهم مِنَ الكفَّارِ.

كانَتْ تكفِى هذهِ الآيةُ فِى سُورةِ الشُّورَى لتنزِيهِ اللهِ عَنْ مُشابهةِ كلِّ شىءٍ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ لكنْ مَنْ أقفَلَ اللهُ قلبَهُ يَمُرُّ عليها مِنْ غَيرِ أنْ يفهَمَ معنَاهَا أمَّا مَنْ فَتَحَ اللهُ قلبَهُ يَفْهَمُ منها أنَّ اللهَ ليسَ حَجْمًا كثيفًا ولا حجمًا لطيفًا ولَا هوَ مِنَ الصفاتِ التِى يتصفُ بها الحجمُ الكثيفُ والحجمُ اللطيفُ لأنَّ كلمةَ شَىء يدخلُ تحتَها الحجمُ اللطيفُ والحجمُ الكثيفُ وصفاتُ الحجم اللطيفِ والحجم الكثيفِ فيَفهمُ مَنْ فتحَ اللهُ قلبَهُ أنَّ اللهَ ليسَ حَجمًا كثيفًا كالشمسِ والقمرِ ولَا حجمًا لطيفًا كالريحِ والنورِ ولَا هوَ مِنْ صفاتِ الحجم الكثيفِ أو اللطيفِ فيَفهمُ مِنْ ذلكَ أنَّ اللهَ لَا يتحرَّكُ ولا يسكنُ لأنَّ الحركةَ والسّكونَ مِنْ صفاتِ الأحجامِ لأنَّ اللهَ خلقَ الأحجامَ على ثلاثةِ أصنافٍ صنفٌ يتحرّكُ دائمًا كالنجومِ وصنفٌ ساكنٌ دائمًا كالعرشِ وصنفٌ يتحركُ تارَةً ويسكنُ تارَةً أُخرَى مثلُ البشرِ والجنّ والملائكةِ. ويَفهمُ أنَّ صفاتِ اللهِ ليسَتْ كصفاتِ الخلقِ. يفهَم أنَّ حياةَ اللهِ ليسَتْ كحياةِ المخلوقِينَ حياةُ المخلوقِينَ بالرّوحِ. ويفهَمُ أنَّ حياتَهُ ليسَتْ صفةً سبَقَهَا العدمُ بلْ

حياتُهُ ليسَ لها ابتداءٌ. ويفهمُ أنَّ قُدرةَ اللهِ ومشيئَتَهُ ليسَتَا كقدرةِ الخلقِ ومشيئتِهم لأنَّ قدرةَ الخلقِ ومَشيئتَهُم لها ابتداءٌ وتَقبلُ الزيادةَ والنقصانَ. وكذلكَ يفهمُ أنَّ سمعَ اللهِ وبصرَهُ ليسَ سَمعًا حادِثًا وبصرًا حادِثًا بلْ يَسمعُ الأصواتَ ويرَى الأجسامَ بسمعٍ وبصرٍ أزليَّيْنِ، ويفهَمُ أيضًا أنَّ كلامَ اللهِ ليسَ نُطقًا بالحروفِ لأنَّ الحروفَ مخلوقةٌ مَا كانَت فِى الأزلِ. اللغاتُ كلُّها ما كانَتْ، اللهُ تعالى خَلَقَها بعدَ أنْ كانَت معدومةً واللهُ تباركَ وتعالى أزلِيٌّ لَا تحدثُ فِى ذاتِهِ صفةٌ لم تكنْ فِى الأزلِ، ويفهَمُ أيضًا أنَّ كلامَ اللهِ كحياتهِ، حياةُ اللهِ ليسَ لها بدايةٌ ولَا نهايةٌ ولَا يتخلَّلُها انقِطاعٌ فيفهَمُ أنَّ كلامَ اللهِ الذِى هوَ متكلِّمٌ بهِ لَا يتخلَّلُهُ انقطاعٌ كما يتخلَّلُ كلامَ المخلوقينَ. المخلوقُ أوَّلَ ما يُولَدُ لَا يتكلَّمُ ثُمَّ بعدَ ذلكَ يتكلَّمُ كلامًا يَتخلَّلُهُ انقطاعٌ يتكلَّمُ ثُمَّ يسكتُ ثُمَّ يتكلمُ ثُم يسكتُ هذهِ الآيةُ تُفْهِمُ أنَّ كلامَه ليسَ كلامًا بحروفٍ وأصواتٍ إنما هوَ شىءٌ موجودٌ أزلِيٌّ أبدِيٌّ ليسَ حرفًا ولا صوتًا يُسْمِعُهُ مَنْ يشاءُ فِى الدّنيا أمَّا فِى الآخرةِ يَسْمَعُ كُلُّ أحدٍ مِنَ البشرِ كلامَ اللهِ كما جاءَ فِى الحديثِ الصحيحِ مَا مِنْ أحدٍ منكُم إلَّا سيكلِّمُهُ ربُّهُ يومَ القيامةِ مِنْ غيرِ تَرْجُمان ولَا حاجبٍ اهـ وبذلكَ الكلامِ الذِى ليسَ حرفًا ولا صوتًا يحاسِبُ الذِينَ يحاسِبُهم مِنْ خلقِهِ وينتهِى مِنْ حسابِهم فِى ساعَةٍ معَ كثرةِ الخلقِ مِنْ إنسٍ وجنّ لأنهُ وردَ فِى القرءانِ فِى سورةِ الأنعامِ ﴿وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ المعنَى أنَّ اللهَ

تعالى أسرَعُ مِنْ كُلِّ حاسِبٍ فلو كانَ كلامُه الذِى يحاسِبُ بِهِ الخلقَ يومَ القيامةِ ككلامِنَا لكانَ اللهُ أبطأَ الحاسبِيْن. وهذا القرءانُ الذِى نقرَؤُهُ اللهُ تعالى ما قَرَأَهُ بالحروفِ إنما كتبَهُ اللهُ فِى اللوحِ المحفوظِ ثُمَّ أمرَ جبريلَ بأنْ يأخُذَهُ ويقرَأَهُ على سيّدِنا محمّدٍ ففعلَ ذلكَ جبريلُ، أما الذِى يعتقدُ أنَّ اللهَ قرَأَ القرءانَ على جبريلَ بالحروفِ والكلماتِ ثُمَّ جبريلُ قرَأَهُ على سيدِنا محمدٍ فقَدْ جَعَلَ اللهَ مِثْلَ خَلْقِه.

ويَستدلُ بقولهِ تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الذِى فتحَ اللهُ قلبَهُ أنهُ لَو كانَ يجوزُ على اللهِ كلامٌ ككلامِ المخلُوقينَ أو قُدرةٌ كقدرةِ المخلوقينَ أو سمعٌ أو بصرٌ كسمعِ المخلوقِينَ ورؤيتِهِم أو كلامٌ هو مركبٌ مِنْ حروفٍ يسبِقُ بعضُها بعضًا لكانَ يجوزُ عليه كُلُّ ما يجوزُ على الخلقِ مِنْ ضعفٍ وموتٍ وعجزٍ ومرضٍ، كانَ يجوزُ عليه كُلُّ هذا فمَا يُؤدِّى إلى ذلكَ فهوَ محالٌ على اللهِ، الذِى فتحَ اللهُ قلبَه يَفهمُ مِنْ هذهِ الآيةِ كلَّ هذا مِنْ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

العبرةُ بالفهمِ ليسَ بكثرةِ القِراءةِ والحفظِ. هؤلاءِ الوهابيةُ فيهِم حُفَّاظُ قُرءانٍ لكنْ يعتقِدُونَ ضِدَّ القُرءانِ. وهذا ابنُ تيميةَ كانَ كثيرَ الحفظِ كانَ يحفظُ ءالافًا مِنَ الحديثِ معَ الرواةِ ومعَ هذا اللهُ تعالى مَا فتحَ قُفْلَ قلبِهِ فصارَ يعتقدُ أنَّ اللهَ جسمٌ قاعدٌ على العرشِ وأنَّ له أعضاءً وأنه يتحركُ ويسكُنُ، كلَّ ليلةٍ ينزِلُ إلى السماءِ

الدنيا بذاتِهِ ثُم يَقضِى ثُلُثَ الليلِ الأخيرِ فيها ثُم يعودُ إلى العرشِ. هذهِ المصيبةُ أتتهُم مِنْ فهمِهِمُ الفاسدِ لَمَّا سمِعُوا حديثَ **يَنزِلُ ربُّنا كلَّ ليلةٍ إلى السّماءِ الدّنيا حينَ يَبقَى ثُلُثُ الليلِ الأخيرُ ويقولُ هَل مِنْ داعٍ فأستجيبَ لهُ وهل مِنْ مُستغفِرٍ فأغفِرَ لهُ وهَلْ مِنْ سائلٍ فأعطِيَهُ حتَّى ينفجِرَ الفجرُ**[1] اهـ هذا الحديثُ فهِمُوهُ على الظاهِرِ وقالُوا اللهُ بذاتِهِ ينزِلُ ينتَقِلُ مِنَ العرشِ إلى السماءِ الدنيا مَا قالُوا اللهُ يأمُرُ مَلائكتَهُ بالنُّزُولِ بلْ قالُوا اللهُ بذاتِهِ ينزِلُ، وهذا ليسَ معنَى الحديثِ إنَّمَا معنَى الحديثِ تنزِلُ مَلائِكَةٌ بأمرِ اللهِ. اللهُ تعالى يَنْسُبُ بعضَ الأشياءِ إلى نفسِهِ وذلكَ الشىءُ يكونُ مِنْ صفاتِ المخلوقِينَ مِنْ أفعَالِ المخلوقِينَ لأنهُ هوَ الآمِرُ بذلكَ. ولَم ينتَبِهُوا للأمرِ المُحَالِ مِنْ تفسيرِهِم هذا النزولَ بقولِهِم ينزِلُ بذاتِهِ وذلكَ أنَّ الليلَ والنهارَ يختَلِفَانِ باختِلافِ بِقَاعِ الأرضِ فكلُّ جزءٍ مِنَ النَّهارِ لَيلٌ فِى أرضٍ أُخرَى فلَوْ كانُوا ينتَبِهُونَ لِفَسَادِ فَهْمِهِم لعَلِمُوا أنَّ هذا يُؤَدِّى إلى أنَّ اللهَ تعالى كلَّ لحظةٍ فِى نُزُولٍ وصُعُودٍ ونزولٍ وصعودٍ كُلَّ لحظةٍ مِنْ لحظاتِ الليلِ والنهارِ وهذا يُناقِضُ قولَهُم إنه قاعِدٌ على العَرْشِ. عُقُولُهُم سخيفةٌ لَا يفهمُونَ الآيةَ ولا الحديثَ على ما يليقُ باللهِ تعالى ولَا يَفهمُونَ أنَّ هذا مُوافِقٌ للعَقْلِ أو

(١) رواه مسلم فى صحيحه فِى باب الترغيب فِى الدعاء والذكر فِى ءاخر الليل والإجابة فيه. رواه النسائِىُّ فِى السنن الكبرى باب الوقت الذِى يستحب فيه الاستغفار.

مخالِفٌ للعَقْلِ، فمَعنَى الحديثِ أنَّ الملائكةَ ينزِلُونَ بأمرِ اللهِ مِنْ أماكِنِهِمُ التِى هِىَ فوق إلى السَّماءِ الدّنيا ثُم يُرَدِّدونَ فِى السّماءِ الدّنيا إلى أنْ يطلُعَ الفجرُ هذهِ الكلماتِ مُبلِّغينَ عنِ اللهِ أنَّ مَنْ دَعَاهُ يَستجيبُ لهُ وأنَّ مَنِ استغفرَهُ يغفِرُ لهُ وأنَّ مَنْ سألَهُ يُعطِيهِ مبلِّغينَ عنِ اللهِ يُردّدُونَ هُمْ مَنْ ذا الذِى يَستغفِرُنِى فأغفِرَ لهُ مَنْ ذا الذِى يدعُونِى فأستجيبَ له مَنْ ذا الذِى يسألُنِى فأعطِيَه يُردِّدُونَ هذا إلى الفجرِ ثُمَّ عندَ الفجرِ يصعَدُونَ إلى أماكِنِهم التِى هم مأمُورُونَ بالسُّكنَى فيها. والملائكةُ كثرَةٌ ينزِلُ منهُم كلَّ ليلةٍ قِسمٌ إلى قِسمٍ مِنَ الأرضِ على حَسَبِ ثُلُثِ الليلِ لذلكَ القِسْمِ مِنَ الأرضِ.

هذا معنَى الحديثِ ليسَ مَعنَى الحديثِ أنَّ اللهَ بذاتِهِ ينزِلُ كأنَّهُم يقولُونَ إنَّ اللهَ بذاتِهِ بالنسبةِ إلى كُلِّ أرضٍ على حَسَبِ حالِ تِلكَ الأرضِ ينزِلُ فِى الثُّلُثِ الأخيرِ مِنَ الليلِ فعَلَى قولِهِمُ الفاسِدِ اللهُ تعالى ما له عَمَلٌ إلَّا أنَّه نازِلٌ طالِعٌ.

انتهى واللهُ تعالى أعلَم.

الدرس الثانى والثلاثون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

التحذيرُ من انتقاصِ الرسولِ ﷺ والردُّ على بعضِ شُبُهاتِ الملاحِدَةِ وأنَّه لا خالِقَ إلَّا اللهُ

درسٌ ألقاهُ المحدِّثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدرِيُّ الهررِيُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى فِى الخامس عشر مِنْ جُمادَى الآخِرَةِ سنةَ ثلاثٍ وأربعمائة وألف وهو فِى بيانِ التحذيرِ من انتقاصِ الرسولِ ﷺ والردِّ على بعضِ شُبُهاتِ الملاحِدَةِ فِى ما يتعلقُ بزوجاتِه ﷺ وأنَّه لا خالِقَ إلَّا اللهُ تعالى. سمِعَهُ منه الشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى. قال رحمه اللهُ تعالى رحمةً واسِعَةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على أكرَمِ المرسلينَ وعلى ءالِهِ وصحبِهِ الطيبينَ الطاهرين.

وبعدُ فإنَّ اللهَ تباركَ وتعالى فرضَ على المؤمنينَ والمؤمناتِ إنكارَ أىْ إزالةَ ما حرَّمَهُ اللهُ تعالى على مَنِ استطاعَ وأشدُّ المنكرِ الكفرُ فهوَ رأسُ الذَّنبِ وأشدُّهُ وأعظَمُهُ عندَ اللهِ، ومِنْ أشَدِّ المنكراتِ التِى هِىَ مِنْ نوعِ الكُفرِ انتِقَاصُ رَسُولِ اللهِ ﷺ والطعنُ فيهِ.

فمِنَ الكُفرِ الذِى هوَ مِنْ هذا القبيلِ طَعنُ بعضِ الملحِدينَ فيهِ بقولهم إنهُ كانَ مَفتونًا بالنّساءِ فمِنهم مَنْ

يتطرَّقُ إلى ذلكَ بالاعتِراضِ عليهِ فِى تزوّجهِ بعائشةَ رضِىَ اللهُ عنها قبلَ سِنّ عشرِ سنينَ فإنهُ ﷺ أُدخِلتْ عائشةُ عليهِ وعُمُرُها تِسعُ سنواتٍ وهذا لَا مَطعَنَ فيهِ فِى عادةِ العَربِ ولَا مَطعَنَ فيهِ مِنْ حيثُ شرائعُ الأنبياءِ فإنهُ مِنَ المعروفِ فِى عادةِ عَرَبِ الحِجازِ بلِ الجزيرةِ العربيَّةِ بأسرِها البِناءُ بالزَّوجةِ أيِ الدخولُ بها فِى سِنِّ تسعِ سنينَ ليسَ فِى ذلكَ عارٌ فِى الجزيرةِ العربيّةِ وليسَ فِى ذلكَ إضرارٌ بها وقَدْ وُجِدَ فِى الجزيرةِ العربيّةِ عِدَّةُ نساءٍ وَلَدْنَ فِى العاشِرَةِ بل حَصَلَ أنْ ولَدَتِ امرأةٌ فِى العاشِرةِ بِنتًا ثُمَّ تزوَّجَتْ هذهِ البِنتُ بعدَ تِسعِ سنينَ فوَلَدَت بعدَ عَشْرِ سنينَ فكانتِ الأُولى جدّةً وعُمرُها إحدى وعشرونَ سنةً.

ومَعلومٌ سُنّةُ اللهِ فِى أنبيائِهِ أنْ أعطاهُم خَوارقَ للعادَةِ ومِنْ جُملةِ الخوارِقِ التِى أعطاهُم قوّةُ غريزةِ الشّهوةِ مِنْ غيرِ أنْ تشغَلَهُم عَنْ طاعَةِ اللهِ بلْ يزدادُ أجرُهُم على الثُّبوتِ فِى طاعةِ اللهِ وعدمِ التقصيرِ فيها معَ هذهِ القوّةِ الغريزيةِ وهذا كمالٌ فِى حقّهِم وقَد صحَّ أنَّ نَبِيَّ اللهِ سليمانَ حَلَفَ ذاتَ يومٍ قالَ لَأَطُوفَنَّ الليلةَ على مائةِ امرأةٍ حتَّى تحمِلَ كلٌّ واحدةٍ منهُنَّ فتَلِدَ ولدًا يكونُ فارِسًا يُجَاهِدُ فِى سبيلِ اللهِ[1] اهـ وكذلكَ صحَّ عَنْ سيّدِنا مُحمَّدٍ ﷺ أنهُ طافَ بعضَ الأيامِ على عِدَّةٍ مِنْ نِسائهِ ليُعَظِّمَ اللهُ لهُ الأجرَ حيثُ إنهُ معَ قوّةِ غَريزَتِهِ لم تَكنِ النّساءُ يَشْغَلنَهُ عنِ الاستِعدادِ الكاملِ للآخرةِ وقَد

(١) رواه البخارِىّ فِى صحيحه باب من طلب الولد للجهاد.

صحَّ عَنْ عائشةَ أنَّها قالتْ ما أتتْ ليلةٌ مِنْ لَيَالِيَّ على رسولِ اللهِ ﷺ إلَّا خَرَجَ فيها إلى البقيعِ يَزُورُهم فيَستغفرُ لهم[١] اهـ والبقيعُ مَقبرةُ أهلِ المدينةِ فهذا يدلُّ دلالةً ظاهرةً على أنهُ لم يَكنْ مُتعلِّقَ القَلْبِ بالنساءِ كما زعَمُوا. لو كانَ مُتعلِّقَ القَلْبِ بالنّساءِ لم يَكنْ يترُكُ عائشةَ فِى دَوْرِها ونَوبَتِها على الفِراشِ ثُمَّ يذهبُ إلى الجَبَّانةِ وحدَهُ ليَستغفِرَ لأهلِ الجبَّانةِ ويَدعُوَ لهم ويَقضِيَ هناكَ مِنَ الوَقتِ ما شاءَ اللهُ مَعَ أنَّ عُمُرَ عائشةَ عندَ وفاةِ النبىِّ ﷺ كانَ ثمانِيَ عشْرةَ سنةً وكانتْ أجملَ نسائهِ أو مِنْ أجمَلِهنَّ معَ حداثةِ السِّنِّ ولم يَكنْ دورُها مِنْ بينِ نسائهِ ﷺ إلَّا نَحْوَ يوم فِى عشرةِ أيام. ومما يدلُّ على أنهُ ﷺ لَم يَكُنْ مُتعلِّقَ القلبِ بالنِّساءِ أنَّ شخصًا عرضَ عليهِ بنتَهُ ووصَفَها بالجمالِ وقالَ إنّها لم تَمرَضْ قطُّ فقالَ لا حاجةَ لِى فيها، وذلكَ لأنَّ خِيارَ النّاسِ همُ الذينَ يُصابُونَ فِى هذهِ الدّنيا بالمصائبِ فاعتبَرَها رسولُ اللهِ ﷺ قليلةَ الحظِّ فلَم يَرْضَ بزَواجِها معَ ما وُصفَت بهِ منَ الجمالِ فلو كانَ مُتعلّقَ القلبِ بالنِّساءِ لم يُفَوّتْ هذهِ الفُرصةَ.

فيجبُ على المؤمنِ تزييفُ كلامِ الملحدينَ بلا تقصيرٍ ولا هَوادَةٍ[٢].

---

(١) رواه النسائِى فِى سننه باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين.

(٢) الهوادة السكون والمرادُ هنا بلا تركٍ للتزييف.

وأما تعديدُ الزَّواجِ بالنّسبةِ لسيّدنا محمّدٍ ﷺ فمِمَّا خصَّهُ اللهُ بهِ مِنَ الأحكامِ حِلُّ الجمعِ بينَ أكثرَ مِنْ أربعٍ فِى ءانٍ واحدٍ وتحريمُ ذلكَ على أمّتهِ. وكانَ واجبًا عليهِ ﷺ إظهارُ هذا الحُكمِ الذِى هوَ تَشريعٌ مِنَ اللهِ وفِى ذلكَ دلالةٌ على صِدقهِ ﷺ فِى دعوَى نبوَّتِهِ ورِسالتِهِ لأنهُ لو لم يَكنْ يتبعُ الوَحْىَ مِنْ ربّهِ لَم يتجرَّأْ على أنْ يقولَ للنّاسِ أنا يجوزُ لِى أنْ أجمعَ بينَ أكثرَ مِنْ أربعٍ مِنَ النّساءِ ولا يجوزُ لغَيرِى الجمعُ بينَ أكثرَ مِنْ أربعٍ لكنهُ لَا يُبالِى إلَّا بتنفيذِ ما يُوحَى إليهِ كانَ هَمُّهُ ﷺ إرضاءَ ربّهِ بتَبليغِ تشريعِ مولاهُ مِنْ غيرِ تحريفٍ ولا تَبديلٍ ولا تَقصيرٍ ولا هَوَادةٍ فلم يَكنْ يصرِفُهُ عَنْ ذلكَ خوفٌ مِنَ النّاسِ ولا مِنْ وَقيعَةٍ واعتراضِ بعضٍ عليهِ.
وفِى هذا البابِ قالَ القائلُ

إنْ صحَّ منكَ الرِّضَى يا مَنْ هوَ الطلبُ
فلا أُبَالِى بكلِّ النّاسِ إنْ غضِبوا

كانَ هَمُّهُ ﷺ أن يُرْضِىَ رَبَّهُ وأن يُؤَدِّىَ ما أمرَهُ بهِ رَبُّهُ مِنْ عملٍ يعملُهُ فِى نفسهِ أو تبليغٍ يبلِّغهُ إذْ كانَ قلبُهُ ممتلئًا بشُهُودِ أنهُ لَا ضارَّ ولا نافعَ على الحقيقةِ إلَّا اللهُ فهذا هوَ مَعنَى لا إله إلَّا اللهُ لأنَّ هذهِ الكلمةَ تَحْتَوِى على هذا المعنَى لأنَّ اللهَ اختَصَّ باستحقاقِ العبادةِ عَنْ غيرِهِ لأنهُ لَا خالقَ لمنفعةٍ ولا مَضرةٍ فِى الظاهرِ أو فِى الباطنِ إلَّا هوَ قالَ تعالى فِى سُورةِ فاطر ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ ومعنَى هذهِ الآيةِ أنهُ لَا أحَدَ سِوى اللهِ يخلُقُ

عَينًا مِنَ الأعيانِ ولا أثرًا مِنَ الآثارِ إلَّا اللهُ، يشملُ ذلكَ ما يحصلُ للعبادِ مِنْ لَذَّةٍ وألمٍ وفَرحٍ وحُزنٍ وهمّ وغَمّ وشِبَعٍ وريّ وجوعٍ وعطَشٍ وإدراكٍ وفهمٍ وعِلمٍ ولَمْحةٍ وطَرْفةٍ وحَرَكةٍ وسُكونٍ فإنهُ لَا يكونُ إلَّا بخلقِ اللهِ لَا بخلقِ أَحدٍ غيرِهِ فلَا تخلُقُ الأسبابُ على اختلافِ أنواعِها شيئًا مِنْ مُسبَّباتِها فالنارُ لَا تخلُقُ الإحراقَ وإنَّما اللهُ تعالى يخلُقُ الإحراقَ عندَ مماسّةِ النّارِ بمَشيئتهِ وعِلمِهِ فهذا إبراهيمُ عليهِ السّلامُ رُمِىَ فِى تلكَ النارِ العظيمةِ فلَم تُحرقْهُ ولا ثِيابَهُ وهذا الحيوانُ المسمَّى سَمَنْدَرًا لا تُحرقهُ النارُ حتَّى شعَرَهُ معَ أنهُ كغيرِهِ مِنَ الحيواناتِ مِنْ حيثُ تركيبُ جِسمهِ إذْ هوَ مِنْ جِلدٍ ولحم ودم وهذِهِ النَّعامةُ تأكلُ الجمرَ الأحمرَ وتَسْتَمْرِئُ[1] بذلكَ وكذلكَ كثيرٌ مِنْ مَشايخِ الرِّفاعِيَّةِ وغيرِهم دَخَلُوا أفرانًا حَامِيةً فلم تُحرِقْهُم ولا ثِيابَهم، فلَو كانتِ النّارُ تخلقُ الإحراقَ لما حصلَ هذا. وكذلكَ الأكلُ لَا يخلقُ الشِّبَعَ والصّحةَ والقوّةَ فلو كانَ كذلكَ لَم يحصلْ لكثيرٍ مِنْ أفرادِ هذهِ الأمّةِ المحمّديةِ أنْ يَعيشوا بلا أكلٍ وشربٍ أيامًا بلْ ثبتَ أنَّ بَعضًا مِنْ أفرادِ الأمّةِ المحمّديةِ عاشَ خمسَ عشْرةَ ليلةً بلا أكلٍ وهوَ أحدُ التّابعينَ فِى أيامِ الحجّاجِ أَغلَقَ الحجاجُ عليهِ بَيتًا ليَموتَ بالجوعِ إلَى خمسةَ عشرَ يومًا ثُمَّ أمرَ بإخراجِهِ فوَجدهُ صَحيحًا فأعفاهُ مِنَ القَتلِ وهذا الرّجلُ

(١) تستهنِئ اهـ

مِنْ عبادِ اللهِ الصّالحينَ مِنَ العلماءِ العامِلينَ مِنْ رواةِ حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ يُسمَّى عبدَ الرحمنِ بنَ أبِى نُعْم.

وهذهِ المرأةُ التى استُشهِدَ زوجُها فِى القرنِ الثالثِ الهجرِيّ فِى ناحيةٍ مِنْ نواحِى خُراسانَ عاشَتْ نحوَ عِشرينَ سنةً لا تأكلُ شيئًا وهِىَ بصحّةٍ تامّةٍ تَمشِى إذا مَشَت بنشاطٍ بعدَ لُقمةٍ أكَلَتْهَا فِى المنامِ مِنْ يدِ زوجِها الشّهيدِ وكذلكَ غيرُها مِنْ نِساءٍ وحصلَ فِى عصرِنا هذا أنَّ رجلًا(١) فِى جهةِ الجزيرةِ فِى سورية ظلَّ أربعَ عشْرةَ عامًا لَا يأكلُ لا ليلًا ولا نهارًا وهوَ يتجوَّلُ فِى البلادِ بنشاطٍ وقُوّةٍ فجَرَّبَ النّاسُ أمرَهُ فتَحقَّقُوا مِنْ ذلكَ.

انتهى واللهُ سبحانه وتعالى أعلم.

(١) هو الشيخ محمد طوقان رحمه الله تعالى اهـ

الدرس الثالث والثلاثون



البَغْىُ وقطيعةُ الرَّحمِ

درسٌ ألقاه المحدثُ الفقيهُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدرِىُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى وهو فِى بيانِ البَغْيِ وقَطْعِ الرَّحِمِ وعُقُوبَتِهِمَا. سمِعهُ منه الشيخُ جميلُ بنُ محمد حليم والشيخُ عبدُ الرزاقُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ محمدُ بنُ مُصطفَى البَكرِىُّ. قال رحمه الله رحمةً واسِعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين له النعمةُ وله الفضلُ وله الثناءُ الحسَن وصلَّى الله على سيدنا محمّدٍ وعلى ءاله وسلَّم.

وبعدُ فقدْ رُوِّينا بالإسنادِ المتّصلِ الصّحيحِ فِى مُسندِ الإمامِ أحمدَ مِنْ حديثِ أبِى بَكرةَ نُفَيْعِ بنِ الحارِثِ رضِىَ اللهُ عنهُ أنَّ نبِىَّ اللهِ ﷺ قالَ **ما مِن ذَنبٍ أجدَرُ بأنْ يُعجِّلَ اللهُ عُقوبةَ صاحبِهِ فى الدّنيا معَ ما لَهُ فِى الآخِرَةِ مِنَ البَغْيِ وقَطيعةِ الرَّحِمِ**(١) اهـ

المعنَى أنَّ الذّنوبَ التِى هِىَ أَوْلَى بأنْ يُعجِّلَ اللهُ

(١) رواه أبو داود والترمذىّ ورواه أحمد فِى مسنده باب حديث أبِى بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة رضِى الله عنه.

عذابَها لفاعلِها فِى الدّنيا معَ العذابِ الذِى يُؤخَّرُ لصاحِبِها فِى الآخِرةِ ذَنبَانِ أحدُهما البَغْىُ والثانِى قَطيعةُ الرَّحِمِ، فالباغِى وقاطعُ الرّحِمِ هذانِ أجدرُ أىْ أَوْلَى بأنْ يُعَجِّلَ اللهُ لهما عذابَهما فِى الدّنيا معَ ما يؤخَّرُ لهما مِنْ عذابِ الآخرةِ أىْ إنَّ هذينِ الذّنبينِ أَوْلَى الذنوبِ بتعجيلِ العذابِ لفاعلِهما فِى الدّنيا، أمَّا البَغْىُ فهوَ الاعتداءُ على الناسِ والتجبُّرُ إمَّا بسببِ السُّلْطةِ والحُكمِ كأنْ يكونَ الرّجلُ حاكمًا فيتجبَّرُ على عبادِ اللهِ فيَبْغِى على عبادِ اللهِ أىْ يظلِمُهم أو بسببِ الغِنَى فإنَّ بعضَ الأغنياءِ اعتِمادًا على أموالِهِم يَبغُونَ على الناسِ فيقولُ أحدُهم أنا أفعلُ بفُلانٍ كذا وكذا وأُسلِّطُ عليهِ أناسًا بمالِى أُعطِيهِم مِنْ مالِى وأُسلِّطُهم عليهِ حتَّى يُؤذُوهُ، هذا باغٍ مُعتمِدٌ على المالِ والأوَّلُ باغٍ مُعتَمِدٌ على السُّلْطةِ والقُوَّةِ والحُكْمِ. البَاغِى اللهُ تباركَ وتعالى يُعَجِّلُ لهُ فِى الدّنيا عذابًا سِوَى العذابِ الذِى يؤخَّرُ لهُ فِى الآخرةِ فَلْيُحْذَرِ البَغْىُ فإنَّ عاقِبتَهُ وَخيمةٌ فِى الدُّنيا، وفِى الآخِرةِ وخيمةٌ أشدُّ. كذلكَ قطيعةُ الرّحِمِ الذِى يَقطَعُ رحِمَهُ أىْ يجفُوهُم[1] يجفُو رَحِمهُ أىْ أقارِبهُ المؤمنينَ المسلِمينَ، فمَنْ كانَ لهُ رحِمٌ ولو بَعيدًا حَرامٌ قَطيعتُهُ فمَنْ قَطَعَ رحِمَهُ استَحقَّ عَذَابَ اللهِ الشديدَ فِى الآخِرَةِ ويُعَجَّلُ لهُ فِى الدّنيا أيضًا. والقطيعةُ أنواعٌ منها أنْ لا يَزُورَ رحِمهُ ويجعلَهُ كأنهُ معدومٌ كأنهُ مِنْ أهلِ

---

(١) يعرض عنهم اهـ

القبورِ لا يَزورهُ ولا يُرسِلُ بسَلام ولا يَكتبُ مكتوبًا بسَلامٍ بلْ يجعلُهُ كأنهُ ميّتٌ لا يَلتَفِتُ إليهِ هذا قاطِعُ رحِمٍ والآخَرُ هوَ الذِى يُؤذِى رحمهُ بسَبٍّ أو ضَربٍ أو نحوِ ذلكَ هذا أيضًا يقالُ لهُ قاطعُ رحم.

كلُّ قَرابةٍ للشخصِ يُسمَّى رحمَهُ خالُهُ، خالتُهُ، عمَّتُهُ، أبناءُ خالِهِ، أبناءُ خالتِهِ، أبناءُ عمِّهِ، أبناءُ عمَّتهِ، جدَّتُهُ، أختُ جدَّتِهِ، جدُّهُ، أخُو جدِّهِ، أخوهُ وابنُ أخيهِ، أختُهُ وابنُ أختِهِ، بنتُهُ وابنُ بنتهِ وابنةُ بنتهِ كلُّ هؤلاءِ رَحِمٌ مَنْ قطَعَ واحدًا مِنْ هؤلاءِ استحقَّ عذابَ اللهِ. وهذا أحدُ الذّنبينِ اللذَينِ هُما أَوْلَى بتعجِيلِ العُقُوبَةِ فِى الدّنيا سِوَى العَذابِ الذِى يُؤخِّرُهُ اللهُ إلى الآخِرةِ فلْيَتَدَارَكْ نفسَهُ مَنْ كانَ لهُ رحِمٌ لا يَصِلُها بالرُّجُوعِ إلى صِلَتِها فلْيَتَدارَكْ نفسَهُ قبلَ الموتِ قبلَ أنْ يُنزِلَ اللهُ بهِ عذابًا عُقوبةً فِى الدّنيا بقَطْعِهِ لرَحِمِهِ.

وهذا الرَّحِمُ الذِى يستحقُّ هذهِ الصِّلَةَ وقطيعتُهُ تكونُ مِنَ الذّنوبِ الكبيرةِ هوَ الرَّحِمُ المسلِمُ أمَّا الرحِمُ الكافرُ فليسَ لهُ حقُّ الرَّحِمِ.

انتهى واللهُ تعالى أعلم.

الدرس الرابع والثلاثون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الأشاعرةُ والماتُرِيدِيَّةُ علَى عَقِيدَةِ السَّلَفِ

درسٌ ألقَاهُ الأصولِيُّ المحدِّثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدرِيُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى فِى بيروتَ وهو فِى بيانِ عقيدةِ السلَفِ قبلَ أنْ يُعْطِىَ الطَّرِيقَةَ لِبَعْضِ المرِيْدِيْنَ. سَمِعَهُ منه الشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ عبدُ الرزاقِ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ جميلُ ابنُ محمد حَلِيم والشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى والشيخُ محمدُ بنُ مُصطفَى البَكْرِىُّ. قال رَحِمَهُ اللهُ تعالَى رَحْمَةً واسِعَةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ له النعمةُ وله الفضْلُ وله الثناءُ الحسنُ أمَّا بعدُ فإنَّ نبِيَّنَا ﷺ أوصَى أُمَّتَهُ بإكرَامِ الصَّحابَةِ والتَّابِعينَ وأتبَاعِ التابِعينَ أهلِ القُرُونِ الثَّلاثَةِ الأُولَى القَرنُ الأوَّلُ مِائةُ سَنَةٍ والقَرْنُ الثَّانِى كذلِكَ والقَرْنُ الثَّالِثُ كذلك. هؤلاءِ يُسَمَّوْنَ السَّلَفَ، هؤلاءِ أفضَلُ مِمَّنْ جاءَ بعدَهُم لأنَّ الكَذِبَ ما فَشَا فيهم كما فَشَا بعدَ ذلك. الكَذِبُ بما فيه الكذبُ على الرسولِ والكَذِبُ على اللهِ ما كانَ بَيْنَ المسلِمِينَ فاشِيًا فِى زَمَانِهِم وأخبَرَ النبِىُّ عليه الصلاةُ والسلامُ أنَّه يَفْشُو الكذِبُ بعدَ ذلك. هؤلاءِ أىِ الصحابَةُ والتَّابِعُونَ وأتباعُ التَّابعينَ اتَّبَعَهُمُ الإمامُ أبو الحسنِ الأَشْعَرِىُّ والإمامُ أبو منصُورٍ الماتُرِيدِىُّ، هذانِ الإمامانِ إمَامَا أهلِ السُّنةِ

والجماعةِ ومَنْ كان علَى عقِيدَتِهِمَا هو مِنْ أهلِ السُّنةِ والجَمَاعَةِ. وهذه العَقِيدَةُ لا تَزَالُ إلى يوم القِيَامَةِ قَائِمةً فِى أُمَّةِ سيدِنا محمدٍ لا تنقَطِعُ ولو دَخَلَ فيهِمُ التَّقْصِيرُ فِى الأعمَالِ لكنْ هذه العقيدَةُ لا تنقَطِعُ بينَهُم. والآنَ الأشعَرِيَّةُ والماتُرِيدِيَّةُ الذِينَ هُم أهلُ السُّنَّةِ هُم مِئاتُ الملايينِ أمَّا مَنْ خَالَفَهُم أىْ خالَفَ عَقِيدةَ أهلِ السُّنَّةِ فهُم قِلَّةٌ قَلِيلَةٌ بالنِّسْبَةِ إِلَيْهِم.

رُوِّينَا فِى جَامِعِ التِّرمِذِىّ بالإسنادِ الصحيح المتَّصِلِ عن ابن عمر أنَّ عُمَرَ بنَ الخطابِ رَضِىَ اللهُ عنه قالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ فقال أُوصِيكُم بأصحَابِى ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُم ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُم[١] اهـ معناه اتَّبِعُوا هؤُلاءِ ولا تَخْرُجُوا عنْ مُعْتَقَدِهِم. جُمهُورُ الأُمَّةِ المحمَّدِيَّةِ لا يَضِلُّونَ وإنَّما الضَّلالُ فِى المعتَقَدِ يَصِيرُ فِى غيرِهِم أمَّا فِى الجمهُورِ لا يَصِيرُ. جمهورُ الأُمَّةِ هُمُ الأشاعِرَةُ والماتُرِيدِيَّةُ اليوم. أندنُوسية أكثرُ مِنْ مِائةِ مليونٍ[٢] أشعريةٌ يَتَّبِعُونَ أبَا الحَسَنِ الأَشْعَرِىَّ فِى الاعتِقَادِ. هو أخَذَ عَقائدَ الصحابَةِ والتَّابعينَ وحَرَّرَهَا بالدَّلائِلِ العقلِيَّةِ والنَّقلِيَّةِ لِيَكُونَ ذلك قَمعًا لأهلِ الأهواءِ الذِينَ يُخَالِفُونَ ما كان عليه الصحابَةُ فِى الاعتِقَادِ فإنَّ المسلِمَ يَحتَاجُ للدَّلِيلِ العَقْلِىّ كما يَحتَاجُ للدليلِ النَّقلِىّ. الدليلُ العقلِىُّ

---

(١) رواه الترمذِىّ فِى سننه باب ما جاء فِى لزوم الجماعة.

(٢) هذا الكلام صدر من سنين بعيدة وأما اليوم فعدد المسلمين فِى أندنوسية يزيد عن مائتى مليون اهـ

يُرْشِدُ إلى معرفَةِ اللهِ كما بيَّنَهُ اللهُ تعالى بقولِهِ فِى سُورةِ ءالِ عِمران ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ نتيجةُ التَّفَكُّرِ هو العِلْمُ بكَمَالِ قُدرةِ اللهِ وكمالِ حِكْمَتِهِ وكمالِ عِلْمِهِ لأنَّ الذِى ينظُرُ فِى هذه المخلوقاتِ يقولُ لا بُدَّ مِنْ مُكَوِّنٍ كَوَّنَ هذه المخلُوقاتِ وأخرَجَهَا مِنَ العَدَمِ إلى الوُجُودِ لأنَّ العَقْلَ الصحيحَ لا يَقْبَلُ أنْ تكونَ هذه المخلُوقاتُ التِى نُشَاهِدُهَا والتِى لا نُشَاهِدُها دَخَلَتْ فِى الوجودِ مِنْ غيرِ خالِقٍ أخرَجَهَا مِنَ العَدَمِ إلى الوُجودِ.

الإمامُ أبو الحسَنِ الأشعَرِىُّ حَرَّرَ عَقائدَ أهلِ السُّنةِ بقُوَّةِ الأدِلَّةِ العقلِيَّةِ بحيثُ إنَّه أَفْحَمَ أهلَ البِدَعِ الذِينَ كانُوا فِى زَمَنِهِ مِنْ خَوارِجَ ومُعتزلةٍ وجَبريةٍ ومُشبِّهةٍ. المعتزلةُ والجبريةُ على طَرَفَىْ نَقِيضٍ وكلٌّ يَدَّعِى الإسلامَ أمَّا أهلُ السُّنَّةِ فهُم مُخَالِفُونَ للفَرِيقَيْنِ. فمَذْهَبُ أهلِ السُّنةِ كالحليبِ الذِى يَخْرُجُ مِنْ بينِ فَرْثٍ ودَمٍ سَائغًا للشَّارِبِينَ ومَذهبُ أهلِ الأهواءِ بخِلافِ ذلك.

الإمامُ أبو الحسَنِ الأشعَرِىُّ يقولُ فِى مَسئَلَةِ خَلْقِ أفعَالِ العِبَادِ العَبدُ لا يخلُقُ شيئًا إنَّما يَفْعَلُ بقُدْرَةٍ حادِثَةٍ خَلَقَهَا اللهُ فيه لا يستطيعُ بها أنْ يخلُقَ العبدُ شيئًا إنَّما هِىَ سَبَبٌ واللهُ تعالى يخلُقُ حَرَكاتِهِ وسكونَهُ ونتائِجَ أفكارِهِ عندما يَصْرِفُ العبدُ هِمَّتَهُ إلى ذلك.

الإمامُ أبو الحسَنِ الأشعَرِىُّ يقولُ العَبْدُ لا يخلُقُ شيئًا وله فِى ذلك دَلِيلانِ دليلٌ عقلِىٌّ ودَليلٌ نقلِىٌّ.

الدليلُ النَّقلِيُّ قولُهُ تعالى فِى سُورةِ فَاطِر ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ وقولُهُ فِى سُورةِ الزُّمَر ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾ كلِمةُ شَىءٍ تَشْمَلُ كُلَّ المخلُوقَاتِ نحن شَىءٌ وخَطَرَاتُ قُلُوبِنَا وحَرَكاتُنا وسَكَنَاتُنَا دَخَلَتْ تحتَ كَلِمَةِ شَىءٍ. الموجودُ الحادِثُ كذَواتِنَا وحَرَكاتِنَا وسَكَنَاتِنَا يُقالُ له شىءٌ والموجودُ الأزَلِىُّ الذِى لا ابتِدَاءَ له ولا انتِهَاءَ له وهو اللهُ بصِفَاتِهِ عِلمِهِ ومَشيئتِهِ وبَصَرِهِ وسَمْعِهِ شَىءٌ لكنَّ الشَّىءَ المرادَ فِى هذه الآيَةِ ما كان مَوجُودًا بعد عَدَمٍ أىْ لم يَكُنْ ثُمَّ كان. أمَّا فِى غيرِ هذا الموضِعِ فِى بعضِ المواضِعِ فِى القُرءانِ كَلِمَةُ شَىءٍ تَرِدُ بمَعنًى شَامِلٍ للهِ تبارَكَ وتعالى وغيرِهِ مِنْ كُلِّ ما دَخَلَ فِى الوُجُودِ، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[1] هنا الشَّىءُ معناهُ أوسَعُ لأنَّه يَشْمَلُ اللهَ تعالى وصِفاتِهِ، اللهُ تعالى يَعْلَمُ نَفْسَهُ ويعلَمُ صِفاتِهِ ويعلَمُ الحادِثاتِ التِى أخرَجَها مِنَ العَدَمِ إلى الوُجُودِ.

وأمَّا الفِرقَتَانِ الأُخْرَيَانِ وهما المعتزِلَةُ والجَبْرِيَّةُ فالمعتزلَةُ تقولُ العبدُ هو يخلُقُ كُلَّ أعمالِهِ الاختيارِيَّةِ، والبَقَّةُ تخلُقُ هِىَ، وكُلُّ مَا دَبَّ ودَرَجَ يخلُقُ هُو، أىْ يُحدِث مِنَ العَدَمِ إلى الوجُودِ. يقولُونَ اللهُ تعالى كان قادِرًا على أنْ يَخلُقَ أعمالَ العِبادِ قبلَ أنْ يُعْطِيَهُم القُدرَةَ وبعدَ أنْ أعطَاهُمُ القُدْرَةَ صارَ عاجِزًا. جَعَلُوهُ كما يقولُ المثَلُ أَدْخَلْتُهُ دَارِى فَأَخْرَجَنِى منها. معنَى

---

(١) سورة الحديد/الآية ٣ .

ذلك أنَّهم قالُوا اللهُ تعالى أعطَانا قُدرَةً فنحنُ بها نَخْلُقُ فبعدَ أنْ أعطَانَا صِرْنَا مُستَقِلّينَ مُستَبِدّينَ بأعمَالِنَا نحنُ نخلُقُهَا وهو صارَ عاجِزًا عنْ ذلك. الإمامُ أبو الحسَنِ الأشعَرِيُّ ضِدُّ هؤلاءِ.

أمَّا الجبريةُ فتقولُ العبدُ لا فِعْلَ له إنَّما هو كالرّيشَةِ المعلَّقَةِ فِى الهواءِ تُمِيلُهَا الرِّيحُ يَمْنَةً ويَسْرَةً فقَوْلُ النَّاسِ فَعَلَ فُلانٌ كذا أو قالَ فُلانٌ كذا مِثلُ قَولِنَا سَالَ الوَادِى أو نَزَلَ المطَرُ، معنَاهُ نحنُ والماءُ الذِى يَسِيلُ مِنَ الوَادِى سَواءٌ فكَمَا أنَّ ذلك الوَادِىَ ما فَعَلَ ذلك السَّيَلانَ ولا خَلَقَهُ كذلك قولُنَا فَعَلْنَا كذا مِثلُ ذلك ليسَ مِنْ فِعْلِنَا كما أنَّه ليس مِنْ خَلْقِنَا. هؤلاءِ أيضًا ضِدُّ ما عليه أبو الحسَنِ الأشعَرِيُّ.

أبو الحسَنِ الأشعَرِيُّ هو الذِى وافَقَ القُرءانَ وقَضَايَا العَقْلِ. العَقْلُ يُوافِقُ ما عليه الأشْعَرِيُّ والقُرءانُ مُؤَيِّدٌ لذلك. جاءَ أبو الحسَنِ الأشعَرِيُّ ضِدًّا لهؤلاءِ وضِدًّا لهؤلاءِ فكان الحَقُّ فيما ذَهَبَ إليهِ.

نحنُ فِى هذا معَ السَّلَفِ معَ الصَّحَابَةِ والتَّابعينَ وأتباعِ التَّابِعِينَ كما أنَّنَا معَ السَّلَفِ فِى تنزِيهِ اللهِ عنِ المكانِ والحدِّ والجهَةِ وذلك لأنَّ اللهَ تعالى قالَ فِى سُورةِ الشُّورَى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ نَفَى فِى هذه الآيَةِ أنْ يكونَ مُتَحَيِّزًا فِى جِهَةٍ مِنَ الجِهَاتِ أو فِى جميعِ الجِهَاتِ ونَفَى أيضًا أنْ يكونَ فِى مكانٍ واحِدٍ أو فِى جميعِ الأمكِنَةِ، اللهُ تبارَكَ وتعالى نَزَّهَ نفسَهُ فِى هذه

الآيَةِ عنِ المكانِ والجِهَةِ، والسَّلَفُ مَعَنَا فِى ذلك.

هذا كتابُ حِلْيَةِ الأولياءِ فيه كلامٌ عنْ سيّدِنَا عَلِىّ فيه نَفْىُ المكانِ والحدِّ عنِ اللهِ، عنِ النُّعمانِ بنِ سَعْدٍ قال كُنْتُ بالكُوفَةِ فِى دَارِ الإمَارَةِ دارِ عَلِىّ بنِ أبِى طالِبٍ إذْ دَخَلَ علينا نَوْفُ بنُ عبدِ اللهِ فقال يا أميرَ المؤمِنينَ بالبابِ أربعُونَ رَجُلًا مِنَ اليَهُودِ فقال عَلِىٌّ عَلَىَّ بِهِمْ فلَمَّا وَقَفُوا بينَ يَدَيْهِ قالُوا له يا عَلِىُّ صِفْ لَنَا رَبَّكَ هذا الذِى فِى السماءِ كيفَ هو وكيفَ كانَ ومتَى كانَ وعَلَى أىِّ شَىءٍ هو فاستَوى عَلِىٌّ جَالسًا وقالَ مَعْشَرَ اليَهُودِ اسمَعُوا مِنِّى ولا تُبَالُوا أنْ لا تَسْأَلُوا أحدًا غَيْرِى إنَّ رَبِّى عَزَّ وجَلَّ هو الأَوَّلُ لم يَبْدُ مِنْ ما ولا مُمازِجٌ معَ مَا ولا حَالٌّ وَهمًا ولا شَبَحٌ يُتَقَصَّى ولا محجُوبٌ فيُحوَى ولا كان بعدَ أنْ لم يَكُنْ فيُقالَ حادِثٌ بلْ جَلَّ أنْ يُكَيِّفَ الْمُكَيِّفُ للأشياءِ كيفَ كانَتْ، بلْ لم يَزَلْ ولا يَزُولُ لاختِلافِ الأزمَانِ ولا لِتَقَلُّبِ شَأنٍ بعدَ شأنٍ، وكيفَ يُوصَفُ بالأشبَاحِ وكيفَ يُنْعَتُ بالألْسُنِ الفِصَاحِ مَنْ لم يَكُنْ فِى الأشياءِ فيُقالَ بائنٌ ولم يَبِنْ عنها فيُقالَ كائنٌ بلْ هو بلا كيفيةٍ وهو أقرَبُ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ وأبعدُ فِى الشَّبَهِ مِنْ كُلِّ بَعيدٍ لا يخفَى عليه مِنْ عِبادِهِ شُخُوصُ لحظةٍ ولا كُرُورُ لَفْظَةٍ ولا ازْدِلافُ رَقْوَةٍ ولا انبِسَاطُ خَطوَةٍ فِى غَسَقِ لَيْلٍ دَاجٍ ولا إدْلَاجٍ، لا يَتَغَشَّى عليهِ القَمَرُ المنيرُ ولا انبِسَاطُ الشَّمْسِ ذَاتِ النُّورِ بِضَوئِهِمَا فِى الكُرُورِ ولا إقبالُ ليلٍ مُقْبِلٍ ولا إدبارُ نهارٍ مُدبِرٍ إلَّا

وهو محيطٌ بما يُريدُ مِنْ تكوِينِهِ، فهو العالِمُ بكُلِّ مَكانٍ وكُلِّ حِينٍ وأَوانٍ وكُلِّ نِهايةٍ ومُدَّةٍ والأَمَلُ إلى الخَلْقِ مَضْرُوبٌ والحَدُّ إلى غيرِهِ مَنْسُوبٌ[١] لم يخلُقِ الأشياءَ مِنْ أصولٍ أَوَّليةٍ ولا بأوائلَ كانتْ قبلَهُ بَدِيَّة بلْ خَلَقَ ما خَلَقَ فأقَامَ خَلْقَهُ وصَوَّرَ ما صَوَّرَ فأحْسَنَ صُورَتَهُ، تَوَحَّدَ فِى عُلُوِّهِ فليسَ لِشَىءٍ منه امتِنَاعٌ ولا له بِطَاعَةِ شَىءٍ مِنْ خَلْقِهِ انتِفَاعٌ، إجابتُهُ للدَّاعِينَ سَرِيعةٌ والملائِكَةُ فِى السمٰواتِ والأَرَضِين له مُطِيعةٌ، عِلْمُهُ بالأمواتِ البَائِدِينَ كعِلْمِهِ بالأحياءِ المتَقَلِّبِينَ وعِلْمُهُ بِمَا فِى السمٰواتِ العُلَى كعِلْمِهِ بِمَا فِى الأرضِ السُّفْلَى وعِلْمِهِ بكُلِّ شَىءٍ، لا تُحَيِّرُهُ الأصواتُ ولا تَشْغَلُهُ اللُّغاتُ سميعٌ للأصواتِ المختَلِفَةِ بلا جَوارِحَ له مُؤْتَلِفَةٍ مُدبِّرٌ بصيرٌ عالِمٌ بالأمُورِ حَىٌّ قَيُّومٌ سُبحانَهُ كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا بلا جوارِحَ ولا أَدَواتٍ ولا شَفَةٍ ولا لَهَواتٍ[٢] سُبحانَه وتعالى عَنْ تَكْيِيْفِ الصِّفَاتِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ إلهنَا محدُودٌ فقَدْ جَهِلَ الخالِقَ المعبُودَ اهـ

معنَى المحدُودِ ليس كما يَسْتَعْمِلُهُ بَعْضُ النَّاسِ، الشَّىءُ الصَّغيرُ يُسَمُّونَهُ مَحدُودًا فِى عُرْفِ العَوامِّ فِى هذا

(١) أىْ أنَّ غيرَ اللهِ يكونُ محدُودًا واللهُ لا يكونُ محدُودًا أىْ ليسَ له مِسَاحَةٌ اهـ

(٢) معناهُ أنَّ اللهَ تعالى مُتَكَلِّمٌ بلا جوارِحَ ليس تكَلُّمُهُ مِنْ فَمٍ ولِسَانٍ ولا له لَهَواتٌ وأَضْراسٌ مِثلَنَا، حُرُوفُنَا منها ما يَخْرُجُ مِنَ الشَّفَتَيْنِ ومنها ما يَخْرُجُ مِنَ الحَلْقِ إلى غيرِ ذلك أمَّا اللهُ تعالى فكلامُهُ ليسَ بِمَخَارِجَ اهـ

البَلَدِ، ليسَ هذا معنَى المحدُودِ، معنَى المحدُودِ الشَّىءُ الذِى له مِساحةٌ مهما اتَّسَعَ، العَرْشُ محدُودٌ وإنْ كُنَّا لا نَعْلَمُ مِساحَتَهُ. اللهُ تعالى لا يجوزُ أنْ يكونَ محدُودًا، لا يجوزُ أنْ يكونَ كالذَّرَّةِ التِى هِىَ أصغَرُ الأَجْرَامِ التِى نُحِسُّهَا بالعَيْنِ، هذه التِى تظهَرُ مِنَ الكَوَّةِ، إذا دَخَلَ ضَوءُ الشَّمسِ مِنَ الكَوَّةِ تَرَى أشياءَ صغيرةً كالغُبَارِ إذا أَرَدْتَ أنْ تَلْمِسَهَا لا تُحِسُّهَا مِنْ صِغَرِهَا فالوَاحِدُ منها هو الذَّرَّةُ، اللهُ تعالى ليس كهذه ولا كالعَرْشِ ولا يجوزُ اعتِقَادُ أنَّه أَوْسَعُ مِنْ مِسَاحَةِ العَرْشِ ءالافَ المرَّاتِ لأنَّ الذِى له حَدٌّ يحتاجُ إلى مَنْ جَعَلَهُ على ذلك الحَدِّ، بذلك عَرَفْنَا أنَّ الشمسَ لا يَصِحُّ عقلًا أنْ تكونَ إلـهًا خَالِقًا للعَالَم، بِمَ عَلِمنَا أنَّها مُحتاجةٌ، لأنَّ لها مِساحَةً وكُلُّ شَىءٍ لَه مِساحَةٌ مهما اتَّسَعَتْ مِساحَتُهُ فهُوَ مخلُوقٌ يحتاجُ إلى خالِقٍ خَلَقَهُ، فعَلِمْنَا أنَّ اللهَ لو كان له مِسَاحةٌ لكان محتاجًا مثلَ الشمسِ. لِهَذا المسلِمُ السُّنِّىُّ الذِى يَعْلَمُ أنَّ اللهَ مُنَزَّهٌ عنِ الحَدِّ يَكْسِرُ عابِدَ الشمسِ أمَّا مثلُ هؤلاءِ الوهابيةِ إذا قال له عابِدُ الشمسِ أنا أعبُدُ جِسمًا مُنيرًا نافِعًا للعَالَمِ أمَّا أنتَ تعبُدُ شيئًا لا تَرَاهُ فكيفَ يكونُ دِيْنِى باطلًا ماذا يقولُ له الوَهَّابِىُّ، يقولُ له الوَهَّابِىُّ قال اللهُ تعالى ويقرَأُ له بعضَ الآياتِ فيقولُ له أنا لا أُؤْمِنُ بكِتَابِكَ أعطِنِى دليلًا عَقْلِيًّا ماذا يقولُ له، ليسَ عِندَهُ دَليلٌ عَقلِىٌّ. الدليلُ العَقْلِىُّ مُهِمٌّ، الذِى ليس عِندَه دَليلٌ عَقلِىٌّ قَدْ يُواجِهُ عابِدَ الشمسِ فلا يَستطيعُ أنْ يَكْسِرَهُ لأنَّ ذاك لا يُؤْمِنُ بالقُرءانِ. هؤلاءِ

الذِينَ عَقِيدتُهُم أنَّ اللهَ له حَدٌّ بِقَدْرِ العَرْشِ أو أوسَعُ مِنَ العَرْشِ سَاوَوُا اللهَ بالمخلُوقِيْنَ ابنُ تيميةَ قال مَرَّةً إنَّ اللهَ بِقَدْرِ العَرْشِ ومَرَّةً قال إنَّه أوسَعُ مِنَ العَرْشِ يَمْلأُ العَرْشَ ويَزِيْدُ وجَعَلَ للهِ تعالى حَدًّا فقالَ اللهُ لهُ حَدٌّ يَعْلَمُهُ لا نَعْلَمُهُ نَحْنُ اهـ يُقالُ لهم العَرْشُ له حَدٌّ اللهُ يَعْلَمُهُ لا نَعْلَمُهُ نحنُ فقَدْ سَاوَيْتُمُ اللهَ بالعَرْشِ.

وإنِّى أُوصِيكُمْ بالثَّبَاتِ على نَشْرِ هذه العَقِيدَةِ عَقِيدَةِ الأشَاعِرَةِ عَقِيدَةِ أهلِ السُّنَّةِ والجمَاعَةِ فإنَّكُم إنْ فَعَلْتُم تكُونُونَ أَحْيَيْتُمْ دِينَ الإسلام، حَياةُ دِينِ الإسلام بِعَقِيْدَةِ أهلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ أمَّا المُشْتَغِلُ بخِلافِهَا لا يَكُونُ خَدَمَ دِينَ اللهِ. اثبُتُوا علَى ذلك ولا تُبالُوا بالمخَالِفِيْنَ مهما نَعَقُوا وكُونُوا علَى ما كانَ عليه السَّلَفُ خِيَارُ الأُمَّةِ، وكُونُوا على القَنَاعَةِ بالقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ. القَنَاعَةُ بالقليلِ مِنَ الرِّزقِ كَنْزٌ لا يَنْفَدُ أمَّا الذِى لا يَقْنَعُ بالقليلِ مِنَ الرِّزقِ يَنْجَرُّ إلى المعاصِى. هؤلاءِ بعضُ الذِينَ تَعرِفُونَ ما الذِى جَرَّهُمْ إلى البِدَعِ فِى الاعتِقَادِ، هو عَدَمُ القَنَاعَةِ بالقَليلِ مِنَ الرِّزْقِ.

وعليكُم بتَرْكِ الغَضَبِ لأنَّ الغَضَبَ يَجُرُّ إلى الهلاكِ، يَجُرُّ إلى الكُفْرِ، يَجُرُّ إلى الافتِرَاءِ، يَجُرُّ إلى قَتلِ قَرِيبٍ، يَجُرُّ إلى قَتْلِ صَدِيقٍ وإلى غيرِ ذلك مِنَ المفَاسِدِ والمهالِكِ.

مشايخُ الطريقةِ سيدُنا أحمدُ الرِّفَاعِيُّ وسيدُنا عبدُ القادِرِ والشيخُ شاه نَقْشَبَنْد وغيرُ هؤلاءِ أَخَذُوا مِنَ

البَيْعَةِ النَّبَوِيَّةِ، الرسولُ ﷺ كان يُبَايِعُ على تَرْكِ الشِّرْكِ باللهِ وغيرِ ذلك، وهؤلاءِ الذِينَ يُبَايِعُونَ النَّاسَ يَأْخُذُونَ على الناسِ البَيْعَةَ على إدَامَةِ ذِكْرِ اللهِ فالبَيْعَةُ النَّبَوِيَّةُ أصلٌ لِبَيْعَةِ الطَّرِيقَةِ فلا يُنكِرُهَا إلاَّ جَاهِلٌ، هِىَ ليس فيها إلَّا البَيعة على ذِكْرِ اللهِ فأَىُّ بأسٍ فِى ذلك. ويُقالُ لهؤلاءِ المعتَرِضِينَ لأيِّ شىءٍ تُنكِرُونَهَا فإنْ قالُوا الرسولُ لم يفعَلْهَا يُقالُ لهم هلْ نَهَى عنها، كمْ مِنْ أشياءَ تفعَلُونَهَا لمْ يَفْعَلْهَا رَسُولُ اللهِ، مَسجِدُ الرسولِ ﷺ ما كان له مِحْرَابٌ مُجَوَّفٌ إلى عِمارة عمرَ بنِ عبد العزيز له فى أثناء إمارته على المدينة. على أنَّه نَشَأَتْ وَهَّابِيَّةٌ فِى الجَزَائِرِ سَكَّرَتِ المحَارِيبَ المُجَوَّفَةَ هناك فِى بعضِ المساجِدِ.

كذلك النَّقطُ فِى المصاحِفِ والعَلامَاتُ التِى تَدُلُّ على انتِهاءِ الآياتِ العَلامَةُ المستديرةُ التِى علَى رُؤُوسِ الآىِ ما كانت، كذلك عَلامَةُ الحِزْبِ عَلامةُ الجُزءِ كلُّ ذلك ما كان. كلُّ ذلك بعد الرسولِ بزمانٍ فَعَلَهَا المسلمونَ فكيف تُنكِرُونَ أشياءَ لم يفعَلْهَا الرسولُ ﷺ وتَسكُتُونَ عنْ أشياءَ أُخرَى لم يفعَلْهَا الرسولُ[1] ﷺ. والطريقةُ الرفاعيةُ هِىَ أقدَمُ الطُّرُقِ، كان الشيخُ أحمدُ الرِّفَاعِىُّ والشيخُ عبدُ القادِرِ الجيلانىُّ فِى القرنِ السادِسِ الهجرِىِّ ثُمَّ بعد ذلك تَعَدَّدَتْ طُرُقٌ كثيرةٌ بَلَغَ عَدَدُهَا أربعينَ، هذه الطرُقُ غيرَ التِّجانيةِ كلُّها أُحدِثَتْ على

---

(١) أى مع كونها متعلقة بأمور الدين اهـ

وِفَاقِ القُرءانِ والحديثِ. سيدنا أحمدُ الرفاعِيُّ كان عالِمًا مُحَدِّثًا فقيهًا شافعيًّا، كان أولياءُ ذلك العصرِ يقولُونَ هو أَجَلُّ المشايخ قَدرًا فِى زَمَنِهِ وكان شَدِيدَ التواضُع والشفقةِ يقالُ له أبو العَلَمَينِ أىْ عِلْم الظاهِرِ وعِلم الباطِنِ ويقالُ له شيخُ العُرَيجاءِ لأنَّه شَفَى بِنتًا اسمُهَا زينبُ كانَتْ عَرْجَاءَ.

انتهى واللهُ تعالى أعلم.

الدرس الخامس والثلاثون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أقسامُ المعذَّبِينَ فِى النَّارِ

درسٌ للشيخِ نزارِ بن رشيد الحلبِيّ رحِمَهُ اللهُ وهو فِى بيانِ أقسامِ المعذبينَ فِى النَّارِ. تلقَّاهُ منه الشيخُ سميرُ بنُ سامِى القَاضِى وءاخَرُون. قال رحِمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسِعَةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمّدٍ وعلى ءالِهِ وصحبِهِ.

أما بعد فقد قال اللهُ تعالى فِى سُورةِ المُلْكِ ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٦﴾ وقال تعالى فِى سورةِ الكهفِ ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ۝٢٩﴾.

إنَّ الإسلامَ هو الدِّينُ الذى رَضِيَهُ اللهُ لعِبادِهِ لقولِهِ تعالى فِى سُورةِ المائدَةِ ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ وقدْ وَعَدَ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ هذا الدِّينَ الحنيفَ جنةَ الخُلْدِ التِى هِىَ دارُ السلامِ جَزاءً لهم وتَرغِيبًا، وتَوَعَّدَ مَنْ كَفَرَ به نارَ جهنَّمَ خالدِينَ فيها أبدًا جَزاءً لهم وتَرهِيبًا.

روى البخارِىُّ أنَّ ابنَ عُمَرَ قال قال رسولُ اللهِ ﷺ **إذا صارَ أهلُ الجنةِ إلى الجنةِ وأهلُ النارِ إلى النارِ**

جِىءَ بالموتِ حتَّى يُجْعَلَ بين الجنةِ والنارِ ثُمَّ يُذبحُ ثُمَّ يُنادِى مُنادٍ يا أهلَ الجنةِ لا مَوْت ويا أهلَ النارِ لا موت فيزدادُ أهلُ الجنةِ فرَحًا إلى فرَحِهِم ويزدادُ أهلُ النارِ حُزْنًا إلى حُزْنِهِم اهـ مُتَّفَقٌ عليه[1]. وقال تعالى فِى سُورَةِ الأحزابِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ يُؤْخَذُ مِنَ الآيةِ والحديثِ أمرانِ الأولُ أنَّ النارَ قدْ خُلِقَتْ وأُعِدَّتْ وسُعِّرَتْ والثَّانِى أنَّ الكفارَ أهلَ النارِ خالِدُونَ فِى نارِ جهنَّمَ إلى أبَدِ الآبَادِ فلا يخرُجُونَ منها بلْ هِيَ مَقَرُّهُم ومُستقَرُّهُم لا يَذُوقُونَ فيها بَردًا ولا شَرابًا إلَّا حَمِيمًا وغَسَّاقًا وذلك جزاءٌ لهُم بما كَسَبَتْ أيدِيْهِم.

والكافرُ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ وهو فِى البَرْزَخِ قال تعالى فِى سُورةِ غَافِرٍ ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ فهذِهِ الآيةُ دليلٌ على أنَّ الكافِرَ قبلَ أنْ تقومَ الساعةُ يُعَذَّبُ وهو فِى البَرْزَخِ بنَظَرِهِ لمقْعَدِهِ مِنَ النَّارِ مرةً فِى الصباحِ ومرةً فِى المساءِ وهو يعذّب بغيرِ ذلك مِنْ أنواعِ العذابِ، ويومَ القيامَةِ يُساقُ إلى النارِ، قال تعالى فِى سُورةِ الزُّمَر ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ﴾ ونارُ جهنمَ هِيَ أعظَمُ نارٍ خَلَقَهَا اللهُ، فأقْوَى نارٍ فِى الدنيا هِيَ جُزْءٌ مِنْ سبعينَ جُزءًا مِنْ نارِ جهنم، قال

(١) رواه البخارِى فِى صحيحه باب صفة الجنة والنار ومسلم فِى صحيحه باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

الرسولُ ﷺ **نارُكُم هذِه جُزءٌ مِنْ سَبعِيْنَ جُزءًا مِنْ نارِ جهنم**[١] اهـ رواه الحاكِمُ.

ورُوِيَ عنْ عاصم عنْ أبِى صالِح قال إذا أُلْقِىَ الرجُلُ فِى النارِ لم يكُنْ له مُنتَهى حتَّى يبلُغَ قعرَها ثُمَّ تَجِيشُ به جهنمُ فترفَعُهُ إلى أعلَى جهنم وما على عِظَامِهِ مُزْعَةُ لحم فتَضْرِبُهُ الملائِكَةُ بالمقَامِعِ فيَهْوِى بها إلى قعرِها فلا يزالُ كذلك[٢] اهـ أو كما قال. أخرَجَهُ البيهَقِىُّ.

وقال كعبُ الأحبار والذِى نفسُ كَعْبٍ بيدِه لو كُنتَ بالمشرِقِ والنارُ بالمغرِبِ ثُمَّ كُشِفَ عنها لخَرَجَ دِماغُكَ مِنْ مَنْخِرَيْكَ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهَا، يا قومُ هل بهذا قَرَارٌ أمْ لكم على هذا صَبْرٌ، يا قومُ طاعَةُ اللهِ أَهْوَنُ عليْكُم مِنْ هذا العذابِ فأَطِيْعُوه[٣] اهـ

ولْيُعْلَمْ أنَّ عذابَ أهلِ النارِ يكونُ بالرُّوحِ والجَسَدِ، وفِى النارِ يكونُ جَسَدُ الكافِرِ أكبرَ بكثيرٍ مِنْ جَسَدِهِ وهو فِى الدنيا فقَدْ رَوَى مُسلِمٌ عنْ أبِى هُرَيْرَةَ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال **ضِرْسُ الكافِرِ أو نابُ الكافِرِ مثلُ أُحُدٍ وغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيْرَةُ ثَلاث**[٤] اهـ

(١) رواه الحاكم فِى المستدرك كتاب الأهوال.

(٢) رواه البيهقِى فِى البعث والنشور باب ما جاء فِى ثياب أهل النار وسلاسلهم وأغلالهم.

(٣) رواه أبو نعيم فى الحلية.

(٤) رواه مسلم فِى صحيحه باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

وكما أنَّ فِى الجنَّةِ درجاتٍ كذلك إنَّ فِى النارِ دَرَكاتٍ ويُقالُ أيضًا دَرَجَاتٌ وذلك حَسَبَ أعمالِ العِبادِ قال تعالى فِى سُورةِ الأنعَام ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ﴾ والمنافقونَ هُمْ فِى الدَّرْكِ الأسفَلِ مِنَ النارِ وهذا المكانُ خاصٌّ بالكفارِ لا يَصِلُهُ عُصَاةُ المسلِمِيْنَ وقَعْرُ جهنَّم مَسافَةُ سبعينَ عامًا فِى النُّزُولِ، قال ﷺ **إنَّ العبدَ ليتكلَّمُ بالكلِمَةِ لا يَرَى بها بأسًا يهوِى بها فِى النارِ سبعينَ خَرِيفًا** اهـ رواهُ التِّرْمِذِيُّ[١]. ومعنَى الحدِيْثِ أنَّ الإنسانَ قد يتكلَّمُ بكلِمَةٍ لا يَظُنُّ فيها سُوءًا وهِىَ فِى الحقيقةِ تَسْتَوْجِبُ نُزُولَهُ إلى قَعْرِ جهنَّم الذِى هو خَاصٌّ بالكُفَّارِ.

أمَّا عُصاةُ المسلِمينَ فبَعْضُهُم يَقَعُ فِى نارِ جهنم والبعضُ الآخَرُ يعفُو اللهُ عنهم فيُنْجِيْهِمْ منها كتارِكِ الصلاةِ الذِى تَوَعَّدَهُ اللهُ بقَوْلِهِ فِى سُورَةِ الماعُونِ ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ وهؤلاءِ همُ الذِينَ يُؤَخِّرُونَ صلاتَهُم عنْ وقتِهَا حتَّى يدخُلَ وقتُ الصلاةِ الأُخرَى بغيرِ عُذْرٍ. قال ﷺ فِى وعيدِ تارِكِ الصلاةِ **ومَنْ لمْ يَأْتِ بِهِنَّ فليسَ له عَهْدٌ أنْ يُدْخِلَهُ الجنةَ إنْ شاءَ عَذَّبَهُ وإنْ شاءَ أدْخَلَهُ الجنةَ** اهـ رواه الإمامُ أحمدُ[٢] فتاركُ الصلاةِ المفرُوضَةِ مِنْ أهلِ الكبائِرِ استَحَقَّ العذابَ فِى النارِ بعدْلِ اللهِ فإذا أدخَلَهُ

---

(١) رواه الترمذِى فِى السنن باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس.
(٢) رواه أحمد فِى مسنده باب حديث عبادة بن الصامت رضِى الله عنه.

اللهُ النارَ بمَعَاصِيهِ فإنَّه لا يخلُدُ فيها بلْ إنَّه يتعذَّبُ فيها لفترَةٍ مُعيَّنَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُهُ اللهُ منها إلى الجنةِ، فعَنْ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ قال قال رسولُ اللهِ ﷺ **إنَّ ناسًا مِنْ أُمَّتِى يُعَذَّبُونَ بِذُنُوبِهِمْ فيَكُونُونَ فِى النَّارِ ما شاءَ اللهُ أنْ يكُونُوا ثُمَّ يُعَيِّرُهُم أهلُ الشِّرْكِ فيَقُولُونَ ما نَرَى ما كُنْتُم تُخَالِفُونَا فيه مِنْ تَصْدِيْقِكُم وإيمانِكُم نَفَعَكُم فلا يبقَى مُوَحِّدٌ إلَّا أَخْرَجَهُ اللهُ مِنَ النَّارِ** ثُمَّ قَرَأَ رسولُ اللهِ ﷺ ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾[1][2] وذلك لأنَّ الكفارَ محرُومُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ فِى الآخِرَةِ لقَولِهِ تعالى فِى سُورةِ الأعرافِ ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أىْ أنَّ رحمةَ اللهِ فِى الدنيا شَمَلَتِ المسلِمَ والكافِرَ ولكنَّها فِى الآخِرَةِ خاصةٌ بالمسلمينَ الذِينَ تجنَّبُوا الشِّرْكَ وماتُوا مُؤمِنينَ.

فاحرصْ أخِى المسلِمَ دائمًا على أداءِ ما أمرَكَ اللهُ به وعلى اجتِنابِ ما نَهَاكَ اللهُ عنه ولا تَسْتَنْزِلْ غَضَبَ اللهِ وسَخَطَهُ واجعَلْ هَواكَ تَبعًا لِشَرْعِ اللهِ واعْمَلْ لِمَا بعدَ الموتِ فإنَّ الكَيِّسَ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وعَمِلَ لِمَا بعدَ الموتِ، قال تعالى فِى سُورَةِ النازِعاتِ ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾.

---

(١) سورة الحجر/الآية (٢).

(٢) رواه الطبرانِى فِى المعجم الأوسط باب من اسمه محمد.

اللهم ءاتِ نُفُوسَنَا تقْواهَا وزَكِّهَا أنتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أنتَ وَلِيُّهَا ومَوْلَاهَا.

وسُبحانَ رَبِّكَ ربِّ العِزَّةِ عمَّا يَصِفُونَ وسَلامٌ على المرسلِينَ والحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ.

انتهى واللهُ تعالى أعلم.

الدرس السادس والثلاثون



الأسبابُ لا تخلُقُ المسبَّبات

درسٌ ألقاه الفقيهُ المتكلّمُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ الشيبِيُّ العبدرِيُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى سنةَ ثمانٍ وتسعينَ أو تِسعٍ وتِسعينَ وثلاثمائة وألف وهو فِى بيانِ أنَّ الأسبابَ لا تخلُقُ المسبَّباتِ وإنَّما اللهُ هو خالِقُها عند وجودِ الأسبابِ. سمِعَهُ منه الشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ. قال رحِمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ وصلَّى اللهُ على أشرَفِ المرسلينَ محمدٍ وعلى ءالِهِ وصحبِهِ الأكرَمِينَ المَيامِين.

وبعدُ فإنَّ اللهَ تبارَكَ وتعالى رَبَطَ الأسبابَ بالمسبَّباتِ أىْ جَعَلَ بين الأسبابِ والمسبَّباتِ ارتِباطًا مِنْ غيرِ أن يكونَ للأسبابِ على المسبَّباتِ تَسَلُّطٌ بالخلقِ والتكوينِ، أىْ أنَّه لا شىءَ مِنَ الأسبابِ يخلُقُ شيئًا مِنْ مُسبَّباتِها إنَّما يحصُلُ عادَةً بمشيئةِ اللهِ تعالى الأزليةِ وتقديرِهِ وعِلمِهِ الأزلِيَّيْنِ وقدرَتِهِ الأزليةِ وجودُ المسبَّباتِ عندَ مُباشرَةِ الأسبابِ. معنَى ذلك أنَّه عندَمَا يستعملُ الإنسانُ الأسبابَ كالأدويةِ لطلبِ الشفاءِ بها يخلُقُ اللهُ تعالى الشفاءَ بمشيئَتِهِ الأزليةِ فإنْ لم يكُنْ شاءَ فِى الأزَلِ أنْ يحصُلَ المسبَّبُ إثْرَ السببِ لم

يحصُلِ المسبَّبُ فلا يعتمدِ الإنسانُ أنه متَى ما وُجِدَتِ الأسبابُ وُجِدَتِ المسبَّباتُ لا محالةَ بلْ يجبُ علينا أنْ نعتقدَ أنه إذا حَصَلَتِ الأسبابُ تحصُلُ المسبباتُ إنْ كان اللهُ تعالى شاءَ فِى الأزَلِ أنْ تحصُلَ هذه المسبباتُ فإنْ لم يكُنِ اللهُ شاءَ فِى الأزَلِ أنْ تحصُلَ عند استعمالِ الأسبابِ لم تحصُلِ المسبَّبَاتُ لأنَّ المسبباتِ لا تحصُلُ إلَّا بمشيئةِ اللهِ الأزليةِ. فإذَنْ الأسبابُ لا تُوجِبُ المسبَّباتِ بطريقِ التَّلازُم العَقْلِيّ إنَّما جَرَتِ العادةُ بمشيئةِ اللهِ تعالى على أنْ يحصُلَ الشفاءُ عند استعمالِ الأدويةِ فِى كثيرٍ مِنَ الأحوالِ ولم يَشَأ اللهُ أنْ يحصُلَ الشفاءُ بها على الدوامِ فِى جميعِ الأحوالِ. لو كان اللهُ شاءَ أنْ يحصُلَ بها الشفاءُ فِى جميعِ الأحوالِ كان كلُّ مَنْ يستعمِلُ الدواءَ الذِى هو لمرضٍ مُعيَّنٍ يحصُلُ الشفاءُ عند استعمالِهِ بلا تخلُّفٍ لكِنَّنَا نُشاهِدُ فِى كثيرٍ مِنَ الأحوالِ أنَّ الناسَ يستعمِلُونَ الأدويةَ لأمراضٍ مُعيَّنَةٍ ثُمَّ لا يحصُلُ الشفاءُ بها، هذا دليلٌ عِيَانِيٌّ وبُرهانٌ يَقِيْنِيٌّ على أنَّ الأسبابَ لا تخلُقُ المسبَّباتِ إنَّما تَلَازُمُ الأسبابِ والمسبباتِ مِنْ هذا القبيلِ عادِيٌّ فلا يَتَوَكَّلِ العَبْدُ على الأسبابِ بلْ يَتَوَكَّلْ على مُسَبِّبِ الأسبابِ أىْ على خالِقِ الأسبابِ أىْ على اللهِ الذِى جَعَلَ ارتِباطًا بين الأسبابِ والمسبَّباتِ فليَتَوَكَّلْ عليه. لماذا يَتَوَكَّلُ عليها. هذه الأدويةُ التِى يُعلِّقُ الناسُ عليها ءامَالَهُم مخلوقةٌ للهِ والشفاءُ الذِى يحصُلُ عند استعمالِهَا بخلْقِ اللهِ تعالى ليس مخلُوقًا

لأحَدٍ غيرِ اللهِ فكيفَ ينبغِى أنْ يُنسَى خالِقُ الأسبابِ والمسبَّبَاتِ مِنْ أجلِ الأسبابِ. هذا أىْ نِسيانُ المسبِّبِ على الدوامِ مِنْ شِيمَةِ الغافِلِينَ عنِ اللهِ الواقِفِينَ عند الأسبابِ. أمَّا مَنِ اعتَقَدَ أنَّ هذه الأسبابَ هِىَ تخلُقُ مُسبَّبَاتِهَا ولا يعتقِدُ أنَّ اللهَ تعالى هو خالِقُ الأسبابِ ومُسبَّباتِها فإنَّه كافِرٌ.

أبو مسلِم الخَوْلانِىُّ قِصَّتُهُ ثابِتَةٌ هو مِنْ أهلِ اليَمَنِ كان فِى الوقتِ الذِى ظَهَرَتْ فيه دَعْوَةُ الأسْوَدِ العَنْسِىِّ الكذابِ الذِى ادَّعَى أنَّه نبِىٌّ فكان أبو مُسلِم يتجَوَّلُ فِى الناسِ ويُكَذِّبُ الأسودَ فِى البِلادِ التِى كانتْ ءامَنَتْ بالأسودِ. كان يتجوَّلُ ويقولُ للناسِ هذا الأسودُ كذابٌ ليس برَسُولِ اللهِ إنَّما رَسُولُ اللهِ محمدٌ ﷺ. الذِينَ ءامنُوا بالأسوَدِ العَنْسِىِّ أخَذُوهُ إلى رَئِيسِهِم الذِى صَدَّقُوهُ بقولِهِ إنَّه نبِىٌّ فما هانَ عليهم أنْ يُشِيْعَ هذا الشخصُ المسلِمُ أبو مُسلِمٍ الخولانِىُّ فِى الناسِ أنَّ رئيسَهُم كذابٌ فقال له ارجِعْ عمَّا تقولُ وءَامِنْ أنِّى رسولُ اللهِ فقال لا أرجِعُ أنتَ لسْتَ برسولِ اللهِ فكذَّبَهُ فِى وجهِهِ فأَضرَمَ له نارًا عظيمةً فرَمَاهُ فيها فلَمْ تُؤَثِّرْ فيه النارُ ثُمَّ فِى اليومِ الثانِى أيضًا أُضْرِمَتْ له نارٌ عظيمةٌ فرَمَوهُ فيها فلم يحتَرِقْ ثُمَّ أُضْرِمَتْ له النارُ فِى اليوم الثالِثِ فرُمِىَ فيها فلمْ يحترِقْ ثُمَّ نفاهُ قال لا تُقِمْ بأرْضِى أىْ بين الناسِ الذِينَ ءامنُوا بِى. ثُمَّ جاءَ هذا الإنسانُ إلى المدينةِ المنورَةِ دَخَلَ المسجِدَ فبَيْنَ هُو فِى المسجِدِ أتاهُ

عُمَرُ بنُ الخطابِ فنَظَرَ فِى وجهِهِ فقال أنتَ أبو مُسلم الخولانِىُّ قال نعم[١] لأَنَّ خبَرَهُ كان شاعَ بين المسلمينَ مِنَ اليمَنِ إلى الحِجَازِ قِصَّتُهُ كانتْ شاعَتْ فقَبَّلَهُ عُمَرُ بينَ عَيْنَيْهِ وقال الحمدُ للهِ الذِى جَعَلَ فِى أُمَّةِ محمدٍ ﷺ مثلَ خَلِيلِ الرحمنِ إبراهيم.

كان أبو مُسلم لم يأتِ إلى المدينةِ إلَّا بعد وفاةِ رسولِ اللهِ ﷺ، كان هو أسلَمَ فِى حياةِ الرسولِ فِى بَلَدِهِ فِى اليمنِ لكنَّه لم يُهاجِرْ لأنَّه لم يَكُنْ مُستطيعًا للهِجْرَةِ أىْ لمغَادَرَةِ بَلَدِهِ إلى المدينةِ المنوَّرَةِ حيثُ مُقامُ رسولِ اللهِ ﷺ فهو مِنَ الذِينَ لهم عُذْرٌ، كان أهلُ الأعذَارِ فِى الوقتِ الذِى كانَت الهِجْرَةُ إلى المدينةِ فرضًا على كُلِّ مُسلِمٍ استَطَاعَ أنْ يُهَاجِرَ لا حَرَجَ عليهِم لأنَّهم لم يستَطِيعُوا أنْ يُهاجِرُوا، أمَّا مَنِ استطاعَ فلم يُهاجِرْ كان ءاثِمًا عاصِيًا.

فهذا أىْ عدَمُ إحراقِ النارِ لإبراهيمَ الخليلِ ولأبِى مُسلِمٍ الخولانِىِّ دليلٌ ظاهِرٌ على أنَّ الأسبابَ لا تخلُقُ مُسبَّبَاتِها إنَّما اللهُ تعالى يخلُقُ المسبَّبَاتِ عند الأسبابِ أىْ حينما تُلامِسُ النارُ الجِسْمَ يحصُلُ الاحتِرَاقُ، اللهُ تعالى يخلُقُ الاحتراقَ فِى الشىءِ الذِى لمسَتْهُ النارُ ليسَتِ النارُ تخلُقُ الاحتراقَ. لو كانتِ النارُ تخلُقُ الاحتراقَ لكان إبراهيمُ احترَقَ لأنَّ النارَ التِى أُوقِدَتْ كانَتْ نارًا عظيمةً كانتْ مِساحَتُهَا كبيرةً لكنَّها لمْ تُحرِقْهُ

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه باب الصحبة والمجالسة.

ولا ثِيَابَه. كذلك أبو مُسلم لم تُحرِقْهُ ولا ثِيابَه. وكذلك خَلْقٌ كثيرٌ مِنَ المسلمِينَ إلى يومِنا هذا يدخلُوُنَ الأفرَانَ الحامِيَةَ ولا تُحرِقُهُم ولا ثِيابَهُم. كان فِى مدينةِ حمص شيخٌ مِنَ السَّعْدِيِّيْنَ الآنَ لهم زَاوِيَةٌ مَعْرُوفَةٌ فقد رَأيتُ ابْنَهُ يُسَمَّى الشيخَ بُرهَانًا فحدَّثَنِى عنْ والِدِهِ وغيرُهُ حدَّثَنِى أنَّه كان رَحَلَ إلى إسطنبول أيامَ السلطانِ عبدِ الحميدِ فقيلَ له لَمَّا عَرَفُوا أنَّه يَنْتَسِبُ إلى مَشيَخَةِ التَّصَوُّفِ والطريقَةِ قالُوا له أيِ الأتْرَاكُ أَرِنَا ءايَةً إنْ كُنْتَ مِنْ أهلِ النَّسَبِ، هُو مَنْسُوبٌ إلى سيدِنا الحُسَين، أَرِنَا ءايةً كَرَامةً فأَشْعَلُوا الفُرْنَ بِشِدَّةٍ فدَخَلَ فِى النارِ فلم تُؤَثِّرُ فيه بلْ أطفَأَهَا، هو بمُكثِهِ فيها أطفَأَهَا، فعندئِذٍ اعتَقَدُوا فيه فوَصَلَ خبَرُهُ إلى السلطانِ عبدِ الحميدِ فبَنَى له بِنَايَةً ضَخْمَةً جَميلَةً فِى حمص حتَّى يَتَّخِذَهَا زَاوِيَةً للذِّكْرِ. قبلَ ذلك كان هو وأحبَابُهُ يَذْكُرُونَ فِى مَكانٍ مُتَواضِعٍ ومِساحَتُهُ صغيرةٌ فلمَّا بَنَى له السلطانُ عبدُ الحميدِ هذه البِنايةَ هذه البِنايةُ وَسِعَتْهُمْ هو وأتبَاعَهُ المنتَسِبِينَ إليه بالذِّكْرِ والطريقَةِ.

ثُمَّ أيضًا هذه النَّعَامَةُ الحيوانُ المعرُوفُ هو كغَيرِه مِنَ الحيواناتِ البهائِمِ مِنْ لحْمٍ ودَمٍ وعَظْمٍ فهِىَ تأكُلُ الجَمْرَ الأحمَرَ أكْلًا تَسْتَمْرِئُهُ أىْ مِنْ غَيرِ أنْ يُزْعِجَهَا ويُؤذِيَها تأكُلُهُ أكلًا كذلك المسامِيرُ الـمُحْمَرَّةُ مِنَ النارِ تأكُلُها النَّعَامُ ولا يُؤذِيْهَا معَ أنَّها مِنْ لحمٍ ودَمٍ وعَظْمٍ كغَيرِهَا مِنْ هذه الحيوانَاتِ فلِمَاذا هذا الجمْرُ وهذه القِطَعُ

الحدِيدِيَّةُ الـمُحْمَاةُ بالنارِ لا تُحرِقُهَا وتُحرِقُ فِى العَادَةِ غيرَهَا، لو كانتِ النارُ تخلُقُ الاحتِراقَ كانَتْ أحرَقَتْ كُلَّ شىءٍ تُصِيْبُهُ ما كان إبراهِيمُ الخليلُ نَجَا مِنَ الاحتِرَاقِ ولا كانَ أبُو مُسلم ولا كان هؤلاءِ الصوفيةُ الصادِقُونَ. هذا دليلٌ حِسّىٌّ على أنَّ النارَ لا تخلُقُ الاحتراقَ. كذلك الخُبْزُ لا يخلُقُ الشِّبَعَ لآكِلِهِ كذلِكَ الماءُ لا يخلُقُ الرِّىَّ لشَارِبِهِ كذلك الدواءُ لا يخلُقُ الشفاءَ لمستعمِلِهِ، هذا دليلٌ حِسِّىٌّ على إثباتِ ما جاءَ به الإسلامُ أنَّ النارَ وغيرَها مِنَ الأسبَابِ كالأدوِيَةِ لا تخلُقُ شيئًا مِنْ مُسبَّبَاتِهَا إنَّما الذِى خَلَقَ النارَ وخَلَقَ الأجسامَ التِى تُماسُّ النارَ وخَلَقَ الأدويةَ وخَلَقَ أصحابَ الأمراضِ هو الذِى يخلُقُ هذه المسبَّباتِ.

انتهى واللهُ سُبحانَهُ وتعالى أعلَمُ وأحكَمُ.

الدرس السابع والثلاثون



تَفسيرُ حديثِ
إذا استَعَنْتَ فاستَعِنْ باللهِ

درسٌ ألقاهُ المحدِّثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدرِيُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى فِى بيروتَ وهو فِى بيانِ تفسيرِ حديثِ إذا استعنْتَ فاستَعِنْ باللهِ. سمِعَهُ منه الشيخُ محمدُ بنُ مُصطفى البَكرِىُّ والشيخُ جميلُ بنُ محمدٍ حليم والشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ. قال رحِمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسِعَةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ وصلواتُ اللهِ البَرِّ الرحيمِ والملائكةِ المقرَّبينَ على سيدِنَا محمدٍ أشرَفِ المرسلينَ وعلى ءالِهِ وصحبِهِ الطيِّبينَ.

أما بعدُ فقد رُوِّينا فِى جامعِ الترمذِىّ رحمه الله مِنْ حديثِ عبدِ الله بنِ عباسٍ رضِىَ الله عنهما أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال مخاطبًا لابنِ عباسٍ **إذا سألتَ فاسْأَلِ اللهَ وإذا استعنْتَ فاستَعِنْ باللهِ** اهـ

معنى الحديثِ أنَّ الأَوْلَى بأنْ تسأَلَهُ هو اللهُ وهذا أمرٌ لا شك فيه لأنَّ اللهَ تبارك وتعالى هو خالقُ الخيرِ والشرِّ وخالقُ المنفعةِ والمضرَّةِ فإذا كان كذلك فلا يَخْفَى أنَّ الأَوْلَى بأنْ يُسألَ هو الله وأنَّ الأَوْلَى بأنْ

يُستعانَ به هو الله. وفِى معنَى هذا الحديثِ[1] حديثٌ رُوِّيْنَاهُ فِى صحيحِ ابنِ حبان أنّه ﷺ قال **لا تُصاحِبْ إلَّا مُؤمنًا ولا يأكُلْ طعامَك إلا تَقِىٌّ**[2] اهـ هذا الحديثُ أيضًا يدُلُّ على أنَّ الأَوْلَى بالمصاحَبَةِ هو المؤمنُ وكذلك الأَوْلَى بأنْ تُطْعِمَ طعامَك التَّقِىُّ وليس مرادُ رسولِ اللهِ ﷺ فِى هذا الحديثِ أنه لا يجوزُ صُحْبَةُ غيرِ المؤمِنِ، ليس مُرادُ النبِىِّ أنه لا يجوزُ أنْ تُصاحِبَ غيرَ المؤمِنِ إنَّما مُرادُهُ بيانُ أنَّ الأَوْلَى بالمصاحَبَةِ هو المؤمِنُ. وكذلك الجزءُ الثانِى مِنْ هذا الحديثِ **ولا يأكُلْ طعامَكَ إلا تَقِىٌّ** اهـ مرادُ رسولِ الله ﷺ به أنَّ الأَوْلَى بأنْ يَطْعَمَ طعامَكَ هو المسلِمُ التَّقِىُّ.

مَنْ هو التقِىُّ، التقِىُّ هو مَنْ قامَ بحقُوقِ اللهِ وحقوقِ العبادِ أىْ أدَّى الواجباتِ المتعلقةَ بالعباداتِ البدنيةِ كالصلاةِ وصيامِ رمضانَ والزكاةِ والحجِّ إلى غيرِ ذلك وتجنَّبَ ما حرَّمَ اللهُ، هذا هو التَّقِىُّ، مَنْ أدَّى الواجباتِ واجتنبَ المحرماتِ يقالُ له تقِىّ. رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ فِى هذا الحديثِ **ولا يأكُلْ طعامَكَ إلا تَقِىّ** اهـ معناه أنَّ الأَوْلَى بأنْ تُطْعِمَهُ طعامَكَ هو المسلِمُ التَّقِىُّ أىْ أنَّ إطعامَ طعامِكَ المسلمَ التقِىَّ خيرٌ وأَوْلَى، أفضَلُ مِنْ أنْ تُطْعِمَ مُسلمًا غيرَ تَقِىٍّ أَوْ كافِرًا. وليس معنَى الحديثِ أنه لا يجوزُ أنْ تُطعِمَ المسلمَ الذِى هو

(١) أى من حيث إن المراد بيان الأولى بالأمر اهـ

(٢) رواه ابن حبان فِى صحيحه باب ذكر الاستحباب للمرء أن يؤثر بطعامه وصحبته الأتقياء وأهل الفضل.

مِنْ أهلِ الكبائِرِ مِنَ العُصاةِ ولا يعنِى رسولُ الله ﷺ أنه لا يجوزُ إطعامُ الكافِرِ بلْ هذا جائزٌ وهذا جائزٌ. إذا أطعَمَ المسلمُ العاصِيَ الذِى هو مِنْ أهلِ الكبائِرِ جائِزٌ وفيه ثوابٌ. كذلك إذا أطعَمَ الكافرَ مِنَ الكُفَّارِ هو جائزٌ وفيه ثوابٌ.

هل فِى معنَى هذا الحديثِ خفاءٌ لمنْ عَرَفَهُ على هذا الوجهِ، ما فيه خفاءٌ. فالمحرِّفُونَ لشريعةِ اللهِ يُورِدُونَ حديثَ ابنِ عباسٍ **هذا إذا سألْتَ فاسألِ اللهَ وإذا استعَنْتَ فاستَعِنْ باللهِ** لتحرِيمِ التوسُلِ بالأنبياءِ والأولياءِ، أينَ فِى هذا الحديثِ تحريمُ التوسلِ بالأنبياءِ والأولياءِ. هل قال الرسولُ لا تسألْ غيرَ اللهِ ولا تستعنْ بغيرِ الله، ما قال. أليسَ بين أنْ يُقالَ لا تسألْ غيرَ اللهِ وبين أنْ يقالَ إذا استعنْتَ فاستَعِنْ باللهِ فَرقٌ، بلى. لكنْ هؤلاءِ الذِينَ دَأْبُهم تحريفُ شريعةِ الله والتمويهُ على الناسِ وزخرفةُ الباطِلِ وإيهامُ الناسِ الأمرَ الجائزَ حرامًا أو شِركًا وكُفرًا هم حَرَّفُوا معنَى حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ. هذا دَأْبُهُم. إذا أرادُوا أنْ يُحرِّمُوا التوسلَ بالأنبياءِ والأولياءِ يذكُرُونَ هذا الحديثَ. هذا الحديثُ صحيحُ الإسنادِ إنّما هم يحرفُونَ معناه. ليس فيه دليلٌ على ما يدَّعونَ، ليس فيه أدنَى دلالةٍ على تحريم التوسلِ بالأنبياءِ والأولياءِ، ليس فيه بالمرةِ.
وكلُّ مُؤمنٍ يعلَمُ ويعتقدُ أنَّ سُؤالَ المؤمنِ ربَّهُ أفضَلُ مِنْ أن يَسأَلَ غيرَه، كلُّ مُؤمنٍ يعلَمُ ذلك يعلَمُ أنَّ سؤالَ

اللهِ تعالى أفضلُ مِنْ سؤالِ واحِدٍ مِنْ خَلقِهِ، كذلك كُلُّ مُؤمِنٍ يعلَمُ أنَّ الاستِعَانةَ باللهِ خيرٌ وأفضلُ مِنَ الاستعانةِ بغيرِ اللهِ تعالى لكنْ هؤلاءِ لا يُورِدونَ الحديثَ على هذا المعنَى الذِى هو مرادُ رسولِ اللهِ ﷺ إنّما يُورِدُونَهُ لتحريمِ ما أحَلَّ اللهُ.

التوسلُ بالأنبياءِ والأولياءِ شىءٌ أَذِنَ به الشرعُ، اللهُ تبارَكَ وتعالى أَذِنَ لنا أنْ نتوسلَ بالأنبياءِ والأولياءِ الأحياءِ والأمواتِ. هؤلاءِ ليس عندَهُم دليلٌ إلَّا التموِيْهَ. هذا الحديثُ يُورِدُونَهُ لِيُوهِمُوا الناسَ أنَّ سؤالَ غيرِ اللهِ بمعنَى التوسلِ بالأنبياءِ والأولياءِ حرامٌ ويُورِدُونَهُ بمعنَى أنَّ الاستعانَةَ بالأولياءِ والأنبياءِ حرامٌ بلْ هم يعتَبِرُونَ ذلك كُفرًا بلْ إذا نادَيْتَ نبيًّا أوْ ولِيًّا نِداءً مِنْ غيرِ أنْ يكونَ حيًّا حاضِرًا أمَامَكَ يعتَبِرُونَه شِركًا كُفرًا وليس عندَهُم دليلٌ إلَّا التمويهَ أىْ إلَّا أنَّهم يُوهِمُونَ الناسَ بما يُورِدُونَه مِنَ الشبهاتِ أىْ مِنَ الأمورِ التِى تُوهِمُ سامِعَها إنْ لم يكنْ مِنْ أهلِ المعرِفَةِ والفَهْمِ أنَّ الأمْرَ كما يقُولونَ.

ثُمَّ هناك حدِيثٌ ءاخَرُ يُورِدُونَه وهو ضعيفٌ. أمَّا حديثُ عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ هذا فهو صحيحٌ **إذا سألتَ فاسألِ اللهَ وإذا استعنتَ فاستَعِنْ باللهِ** اهـ رواهُ الترمذىُّ فِى جامِعِهِ وصَحَّحَهُ لكنَّ هناك حدِيثًا ضَعِيفًا يتشبَّثُونَ به لتحريمِ الاستغاثةِ وتكفيرِ المستغيثِ برسولِ اللهِ وبسائِرِ الأنبياءِ والأولياءِ. ما هو هذا الحديثُ. هذا الحديثُ

رواه الطبرانِىّ والإمامُ أحمدُ فِى مُسندِهِ بإسنادٍ فيه رَاوٍ ضعيفٌ عند أهلِ الحديثِ يقالُ له ابنُ لَهِيعَةَ. هذا الحديثُ أنَّ أبا بَكْرٍ رَضِىَ اللهُ عنه قال قُومُوا بِنَا إلى رسولِ اللهِ نَستغِيثُ به مِنْ هذا المنافِقِ فذَهَبُوا فقالُوا لرَسولِ اللهِ ﷺ فقال **إنَّه لا يُستغَاثُ بِى إنَّما يُستغاثُ باللهِ عزَّ وجلَّ**[1] اهـ هذا الحديثُ هم يتشبَّثُونَ به لتكفيرِ مَنْ يستغِيثُ بالرسولِ أو بغيرِه مِنَ الأنبياءِ أو بوَلِيٍّ مِنْ أولياءِ اللهِ أو مَنْ يقولُ يا رسولَ اللهِ أغِثْنِى أو يا عبدَ القادِرِ الجيلانِىّ أغِثنِى ونحوَ ذلك مِنَ العِبَاراتِ، يُورِدُونَ هذا الحديثَ الضعيفَ الذِى لا يُحْتَجُّ به لتكفيرِ المستغيثِ فإيَّاكُم أنْ تُصَدِّقُوهم، إنْ أورَدُوا لكم حديثًا فإمَّا أنْ يكونَ ذلك الحديثُ ضعيفًا وإمَّا أنْ يكونَ الحديثُ صحيحًا ولكنْ هم يُحرِّفُونَ معناه فكُونُوا على حَذَرٍ منهم، إيَّاكم أنْ تتسرَّعُوا بمُوَافَقَتِهِم. هذا الحديثُ ليس له إسنادٌ صحيحٌ ومعَ هذا هم يُورِدُونَهُ لتكفيرِ المستغيثِ برسولِ اللهِ ﷺ أوِ الذِى يقولُ يا رسولَ اللهِ أغِثْنَا أو يا رسولَ اللهِ أعِنَّا أو يا رسولَ اللهِ أنقِذْنَا مِنْ هذه الشِّدَّةِ أو يا رسولَ اللهِ هَلَكْنَا فأنقِذنا وأغِثنا ونحوَ ذلك مِنَ العِباراتِ، يُريدونَ بإيرادِهم لهذا الحديثِ الضعيفِ أنْ يُكفِّرُوا المسلِمَ الذِى يستغِيْثُ برسولِ اللهِ أو بغيرِهِ مِنْ أنبياءِ اللهِ أو بِوَلِيٍّ مِنْ أولياءِ اللهِ.

(١) عزاه فِى مجمع الزوائد وكنز العمال إلى الطبرانِىّ ورواه أحمد فِى مسنده باب حديث عبادة بن الصامت رضِى الله عنه.

هو الاستغاثةُ والتوسلُ معناهُما واحِدٌ. إذا إنسانٌ قال اللَّهُمَّ إِنِّى أسألُكَ بنبِيِّنَا محمدٍ أن تُفَرِّجَ كُرْبَتِى أو أَنْ تَحُلَّ لِى مُشكِلَتِى هذا يقالُ له توسلٌ بالرسولِ ويقالُ له استغاثةٌ بالرسولِ. الاستغاثةُ والتوسلُ بمعنًى واحدٍ كما قال ذلك الحافظُ الفقيهُ المحدّثُ اللغوِىُّ النَّحْوِىُّ المتكلِّمُ الأُصولِىُّ الشافِعِىُّ تقِىُّ الدِّينِ السبكِىُّ. هذا الإمامُ تقِىُّ الدِّينِ السبكِىُّ وهو مِنْ عُلماءِ اللغةِ والنحوِ كما أنه محدّثٌ حافظٌ فِى الحديثِ وفقيهٌ شافِعِىٌّ مِنْ أهلِ الاجتهادِ فِى المذهبِ الشافِعِىّ وعلى ما قال بعضُهم هو مجتهدٌ لكنْ لم ينادِ بالاجتهادِ ما قال للناسِ يا ناسُ أنا صِرتُ مجتهدًا فتَعَالَوا خُذُوا باجتِهادِى ما فَعَلَ ذلك، فإنَّ المجتهدَ وإنْ كان مجتهدًا ليس مِنْ شرطِهِ أن يُنادِىَ الناسَ إلى نفسِهِ لِيُقَلِّدُوهُ ويَتْبَعُوهُ، ليس شرطًا، فإنَّه يَرَى تقليدَهم لإمامٍ مِنَ الأئِمَّةِ المتبُوعِيْنَ كالشافِعِىّ ومالكٍ وأبِى حنيفَةَ وأحمدَ بنِ حنبلٍ رَضِىَ اللهُ عنهم أنَّ ذلك يَكفِى.

وهناك أيضًا أمرٌ يَتشبَّثُ هؤلاءِ به لتحريم التوسلِ بالنبِىّ بعدَ وفاتِهِ. عندهم قاعِدَةٌ ما أنزَلَ اللهُ بها مِنْ سُلطانٍ وهِىَ قولُهُم لا يجوزُ التوسلُ إلَّا بالحَىّ الحاضِرِ. مَنْ وَضَعَ لهم هذه القاعدةَ، ابنُ تيمية، ولم يقُلْهُ عالِمٌ مسلِمٌ قبلَ ذلك. ما قال هذه الكلمةَ قبلَ ابنِ تيميةَ أحدٌ مِنْ عُلماءِ الإسلامِ، قال لا يجوزُ التوسلُ إلَّا بالحَىّ الحاضِرِ، ماذا يعنِى بهذا، يعنِى بهذا أنك إنْ

توَسَّلتَ بِنَبِيٍّ أو ولِيٍّ بعد وَفَاتِهِ حرامٌ بلْ شِرْكٌ وكُفْرٌ، إنْ توسَّلْتَ بالنبِيّ أو غيرِه مِنَ الأولياءِ فِى غيرِ مجلِسِهِ هو فِى بلَدٍ وأنتَ فِى بلَدٍ أو أنتَ فِى بيتِكَ وهو فِى مكانِهِ إذا توسلتَ به فِى هذه الحالِ عندَه أشرَكْتَ وكَفَرْتَ، عندَ ابنِ تيميةَ. فهؤلاءِ الذِينَ فيما بين الناسِ اليومَ أخَذُوا بتلكَ القَاعِدَةِ التِى ما أنزَلَ اللهُ بها مِنْ سُلطانٍ التِى لم يقُلْهَا رسولُ اللهِ ولا إمامٌ مجتهِدٌ أبو حنيفةَ أو مالِكٌ أو أحمدُ بنُ حنبلٍ أوِ الشافعِىُّ أو غيرُهم، ما قالها أحَدٌ.

هنا مسئَلَةٌ ينبَغِى الانتباهُ لها، هُم يَفتَرُونَ على أبِى حنيفةَ، ماذا يقولون، يقولونَ أبو حنيفةَ قالَ لا يجوزُ أنْ يُسأَلَ اللهُ تعالى بحَقِّ أحَدٍ اهـ أىْ لا يجوزُ أنْ يُقالَ نسألُكَ بحَقِّ فُلانٍ. أبو حنيفةَ يحتَمِلُ أنْ يكونَ قال هذه الكلِمَةَ ويحتمِلُ أنَّه لم يَقُلْهَا. فإنْ قالها فسَّرَها جماعَتُهُ بأنَّ مُرادَ أبِى حنيفةَ بمَنْعِهِ مِنْ هذه العِبَارَةِ أىْ بِحَقِّ فُلانٍ أنَّ هذه الكلِمَةَ تُوهِمُ أنَّ على اللهِ حقًّا لازِمًا لخَلْقِهِ لِعِبَادِه واللهُ تعالى ليس مُلْزَمًا بِشَىءٍ. الذِينَ يعمَلُونَ الحسناتِ المطيعُونَ له مِنَ الأنبياءِ والأولياءِ إنَّما أطاعُوهُ بتمكينِ اللهِ تبارك وتعالى لهم، هو عَلَّمَهُم، خَلَقَ فيهمُ الإدراكَ والعِلمَ هو أعطَاهُم قُوَّةَ الكلامِ وهو أعطاهُم قُوَّةَ المشْيِ، كُلُّ ما يفعَلُونَهُ مِنَ الحسناتِ فبِفَضْلِ اللهِ تعالى، مِنْ أينَ يكونُ اللهُ مُلْزَمًا لأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، ليس مُلْزَمًا لا للأنبياءِ ولا للأولياءِ،

اللهُ ليس مُلْزَمًا لِأَحَدٍ أنْ يُعطِيَهُ شيئًا إنَّما هو مُتَكَرِّمٌ مُتفضِّلٌ، الثوابُ الذِى يُصيبُ الطائعينَ مِنْ عبادِهِ الأنبياءَ والأولياءَ فَضْلٌ منه ليس هو مُلزَمًا أنْ يعطِيَهُم، لماذا، لأنَّه هو خَلَقَهُم هو أَوْجَدَهُم مِنَ العَدَمِ ثُمَّ خَلَقَ فيهم هذه الحركاتِ والسكناتِ التِى هِىَ مِنَ الحسناتِ فإذًا له الفضلُ عليهم ليس لهم على اللهِ فَضْلٌ، الأنبياءُ والأولياءُ والملائكةُ كلُّهم ليس لهم على اللهِ فَضْلٌ بلِ اللهُ تبارك وتعالى هو المتفَضِّلُ عليهم، هو خَلَقَهُم وخَلَقَ عُقُولَهُم وخَلَقَ ألسِنَتَهُم التِى يذكُرُونَ بها ويُسبِّحُونَ بها ويُقَدِّسُونَه بها وهو خَلَقَ فيهمُ النُّطْقَ، الإنسانُ هذا عندما يولَدُ هل ينطِقُ، لا ينطِقُ، مَنِ الذِى يخلُقُ فيه بعدَمَا يبلُغُ زمانَ النطقِ قُوةَ النطقِ، ثُمَّ مَنِ الذِى يُلْهِمُ الإنسانَ لِيَعْمَلَ الخيرَ، اللهُ تبارك وتعالى هو الذِى يُلْهِمُ الإنسانَ، فمِنْ هنا يُعْلَمُ أنَّ اللهَ تبارك وتعالى ليس مُلْزَمًا لِأَحَدٍ بواجِبٍ مِنَ الواجِباتِ بحيثُ إذا لم يفعَلْهُ يكونُ ظالـمًا، حاشَى لله. اللهُ تعالى لا يجبُ عليه شىءٌ على وجهِ اللُّزُوم لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ لا للأنبياءِ ولا للأولياءِ بلْ هو الذِى تَكَرَّمَ عليهم وتفضَّلَ عليهم، هو الذِى ألهَمَهُم فِعْلَ الخيراتِ وهو الذِى أقدَرَهُم على فِعْلِ الخيراتِ. هذا كلامُ جَمَاعَةِ أبِى حنيفةَ، قالُوا الإمامُ أبُو حنيفةَ مَنَعَ مِنْ قَوْلِ أسألُكَ بِحَقِّ فُلانٍ لأنَّ هذه الكلِمَةَ تُوهِمُ أنَّ اللهَ تعالى مُلْزَمٌ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ بأنْ يُعْطِيَهُ شيئًا وهو ليس مُلْزَمًا. هذا معلُومٌ بأنَّ اللهَ ليس مُلزَمًا لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ بأنْ يُعطِيَهُمُ الثَّوابَ

فِى الآخِرَةِ وإنَّما هو مُتَفَضِّلٌ على عِبادِه الطائعينَ مِنَ الأنبِياءِ والأولياءِ. جماعةُ أبِى حنيفةَ قالُوا إنَّما مَنَعَ الإمامُ مِنْ قَوْلِ أسأَلُكَ بِحَقِّ فُلانٍ لأنَّ كَلِمَةَ بِحَقِّ فُلانٍ تُوهِمُ أنَّ اللهَ مُلْزَمٌ. أَحَدُ رُؤُوسِ الوهَّابِيَّةِ فِى دِمَشْقَ الشَّام قبلَ أكثَرَ مِنْ عِشرينَ سنةً كُنَّا فِى مجلِسِ مُنَاظَرَةٍ معه قال أمَّا التوسُّلُ فقد كفَانا المؤنَةَ أبُو حنيفةَ اهـ يعنِى أبُو حنيفةَ حَرَّمَ التوسُّلَ فنحنُ اكتَفَيْنَا بذلِك. أَيْنَ حَرَّمَ أبُو حنيفةَ التوسُّلَ، إنَّما مَنَعَ مِنْ هذهِ الكلِمَةِ فقط أسألُكَ بِحَقِّ فُلانٍ، مِنْ هذه الكلِمَةِ مَنَعَ، ما قال لا يجوزُ التوسلُ بالأنبياءِ والأولياءِ فِى غيرِ حُضُورِهِم وفِى غيرِ حالِ حياتِهِم، ما قال هذا أبُو حنيفةَ.

ثُمَّ لو فَرَضْنَا أنَّ أبا حنيفةَ قال هذا(١) فليس فِى هذا حجةٌ لأنَّه ورَدَ الحديثُ الصحيحُ الذِى يُثْبِتُ جَوازَ أنْ نَقُولَ اللهم إنِّى أسألُكَ بحَقِّ فُلانٍ. وَرَدَ حديثٌ حَسَنُ الإسنادِ حسَّنَهُ حافِظَانِ مِنْ حُفَّاظِ الحديثِ أحدُهُمَا الحافِظُ ابنُ حجَرٍ والآخَرُ الحافِظُ أبُو الحسَنِ المقْدِسِىُّ. هذا الحديثُ هو أنَّ الرسولَ ﷺ قال **مَنْ خَرَجَ إلى المسجِدِ وقال اللهم إنِّى أسألُكَ بحَقِّ السائِلِيْنَ عليك وبحَقِّ مَمْشَاىَ هذا فإنِّى لمْ أَخْرُجْ أَشَرًا ولا بَطَرًا ولا رِياءً ولا سُمْعَةً**(٢) إلى ءاخِرِ الحدِيثِ وفيه

(١) أى لو فرضنا أن أبا حنيفة رضِىَ الله عنه منع من قول اللهم أسألك بحق فلان اهـ

(٢) رواه أحمد فِى مسنده باب مسند أبِى سعيد الخدرِى رضِىَ الله عنه.

أنَّ مَنْ قال هذا وهو ذَاهِبٌ إلى المسجِدِ يَسْتَغْفِرُ له سبعُونَ ألفَ مَلَكٍ. هذا الحديثُ قال الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ حَسَنٌ كذلك الحافِظُ الآخَرُ قال عنه حَسَنٌ.

لِوُجُودِ هذا الحديثِ ليس فيما يُنسَبُ إلى أَبِى حنيفةَ بالمعنَى الذِى يَتَوَهَّمُوْنَهُ أوْ بالمعنَى الذِى قالَهُ جماعَتُهُ دليلٌ ليس فيه دليلٌ على تحريمِ أنْ يقولَ المتوسلُ فِى توسُّلِهِ اللهم إِنِّى أسألُكَ بحقِّ محمدٍ أوْ بحقِّ إبراهيمَ أوْ بحقِّ أَبِى بكرٍ أوْ بحقِّ علِيِّ بنِ أَبِى طالِبٍ، ما فيه دليلٌ على تحريمِ ذلك، أَنَّى يكونُ فيه دليلٌ. إذا جاءَ الخبرُ انقَطَع النظَرُ. هكذا قال أهلُ العِلْمِ. معناه إذا جاءَ الحديثُ عنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ القِياسُ والاجتِهادُ بَطَلَ، بَطَلَ الاجتِهادُ معَ وُجُودِ حديثِ رَسولِ اللهِ. معَ وجودِ هذا الحديثِ نحنُ نقولُ ذاك الذِى يُروَى عنْ أَبِى حنيفةَ ما فيه دليلٌ. ذاك الذِى ذَكَرْتُ لكُم أنَّه مِنْ رُؤُوسِ الوهَّابِيَّةِ قال لِى فِى مُنَاظَرَةٍ مِنَ المناظَرَاتِ فِى دمشقَ أَمَّا التوسلُ فقدْ كَفَانا أَبُو حنيفةَ المؤنَةَ، كلامٌ لا طائِلَ تحتَهُ بلْ هو هباءٌ منثُورٌ.

انتهى واللهُ تعالى أعلَم.

الدرس الثامن والثلاثون



الأنبياءُ أحياءٌ بعدَ الموتِ

درسٌ ألقاه المحدِّثُ الشيخُ عبدُ الله بنُ محمدٍ الهرريُّ المعروفُ بالحبشيِّ رحمه اللهُ تعالى سنةَ ثمانٍ وتسعينَ أو تسعٍ وتسعينَ وثلاثِمائةٍ وألفٍ فى مسجد بُرج أبى حَيْدَرٍ فى بيروتَ وهو فى بيانِ حياةِ الأنبياءِ فى قبورهم ونَفْعِهِم غيرَهم بعد الموتِ. سَمِعَهُ منه الشيخُ نبيل بن محمد الشريف والشيخُ سمير بن سامى القاضى. قال رحمه الله تعالى رحمة واسعة

الحمدُ لله ربِّ العالمين وصلى الله على سيِّدِنا محمدٍ وسلَّمَ أَمَّا بعد فقد رُوِّينَا فى مسندِ الإمامِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ من حديث أَوْسِ بنِ أوسٍ رَضِىَ الله عنه أَنَّ نَبِىَّ اللهِ ﷺ قال **إِنَّ مِن أفضلِ أيامِكم يومَ الجمعة فأكثِرُوا من الصلاة علَىَّ فيه فإِنَّ صلاتَكم تَبْلُغُنِى** قالوا وكيف ذلك يا رسولَ الله وقد أَرَمْتَ قال **إِنَّ اللهَ قد حرَّمَ على الأَرْضِ أَنْ تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ** اهـ هذا الحديثُ صحيحٌ مُتَّفَقٌ على صحته رواه أبو داود أيضًا والبيهقِىُّ فى سُننه الكُبرَى وفى جزءِ حياةِ الأنبياء.

هذا الحديثُ الصحيحُ فيه إثباتُ أَنَّ يومَ الجمعةِ من أفضلِ الأيامِ عند الله وأَنَّ الصلاةَ على النبىِّ ﷺ مطلوبٌ الإكثارُ منها فيُسَنُّ الإكثارُ من الصلاةِ على

النبيِّ ﷺ فيه أكثرَ من غيرِه، وأنَّ هذه الصلاة تبلُغ رسولَ الله ﷺ، وفيه أنَّ الصحابةَ قالوا كيف ذلك يا رسولَ الله وقد أَرَمْتَ أَىْ صِرْتَ رَمِيمًا أَىْ أكلتْ عِظامَك الأرضُ إذْ ما كان بَلَغَهُم قبلَ ذلك أنَّ أجسادَ الأنبياءِ لا تأكلُها الأرضُ فقالوا فأَعْلَمَهم، فمِن ذلك الوقتِ عَلِمُوا أنَّ أجسادَ الأنبياءِ لا تُسَلَّطُ عليها الأرضُ، وهذا أَىْ بقاءُ أجسادِهم بعدَ الوفاةِ الذى هو الفناءُ مستمِرٌّ باقٍ حتى إنَّ أجسادَهُم هذه تُنْشَرُ يومَ القيامةِ من القبور ليسَتْ أجسادًا معادَةً جديدةً لأنَّهُ لا سبيلَ للبِلَى على أجسادِهِم.

وهناك حديثٌ ءاخَرُ صحيحُ الإسنادِ له تَعَلُّقٌ بهذا الحديثِ وهو أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال **صلُّوا علَىَّ فإنَّ صلاتَكم تبلُغُنِى حيثُمَا كنتم**[1] اهـ قال ﷺ **فمَنْ صلَّى علَىَّ نائـيًا بُلِّغْتُهُ ومَن صلَّى علَىَّ عند قبرِى سَمِعْتُهُ**[2] اهـ

الحديثُ الأولُ والثانِى كِلاهما فيهما إثباتُ حياةِ الأنبياءِ بعدَ الموتِ فإنْ قيل كيف هذا وقد قال الله تبارك وتعالى فى سورة الرحمن ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦﴾ فالجوابُ أنَّ الفناءَ تحقَّقَ بالموت ليس مِن شَرْطِ الفناءِ الذِى ذكرهُ اللهُ فى هذه الآيةِ أَنْ يَبْلَى الجسدُ بل الفناءُ تحقَّقَ بالموت الذِى هو مفارقَةُ الروحِ للجَسَدِ،

---

(١) رواه أبو داود فى سننه باب زيارة القبور.

(٢) رواه البيهقىُّ فى شعب الإيمان وغيرُهُ.

إنَّما يَفْتَرِقُ الناسُ بأنَّ بعضًا منهم بعد موتِهِم وعَودَةِ الرُّوحِ إلى الجسد تَبْلَى أجسادُهم شيئًا فشيئًا حتى لا يَبقى مِن أجسادِهم إلا عَجْبُ الذَنَب وهو عَظمٌ صغيرٌ كهَيئَةِ الخردلَةِ فى الصِّغَرِ فإنَّ هذا خُلِقَ للبقاء، عليه رُكِّبَ الإنسانُ وعليه يُعادُ يومَ القيامةِ، أمَّا الأنبياءُ وشُهداءُ المعركةِ الذِين كانَتْ عقيدَتُهم صحيحةً ونيتُهُم صحيحةً فالأجسادُ منهم لا تبلَى، أما الفناءُ فقد تحقَّقَ على الجميعِ وفى الحدِيثَينِ أيضًا إثباتُ أنه ﷺ يبلُغُه صلاةُ أمَّتِه عليه، فللهِ تعالى ملائكةٌ وظيفتُهم إبلاغُ صلاةِ المؤمنين على رسولِ اللهِ ﷺ إليه فى قَبْرِه. وفى الحديث الثانِى إثباتُ أنَّ النبىَّ ﷺ يسمَعُ صلاةَ مَنْ صلَّى عليه عند قبرِه لقَولِه ﷺ **ومن صلى علَىَّ عند قبرِى سمِعْتُه** اهـ وليس مانِعًا له ﷺ مِنْ سَماعِ صلاتِهِم وسلامِهِم عليه كثرةُ المصلِّينَ عليه مهما بَلَغَت الكثرةُ فإنَّ اللهَ تباركَ وتعالى قدرتُه صالحةٌ لأنْ يُسْمِعَ نبىَّ اللهِ صلاةَ كلِّ واحِدٍ مهما كثُرَ عدَدُ المصلِّينَ عليه عِنْدَ قَبْرِهِ.

وهذانِ الحديثانِ يَشهدانِ لصِحَّةِ ما ورَدَ من أنَّ أعمالَ أُمَّتِه تُعْرَضُ علَيْه أَىْ بعضَ أعمالِهم ما كان خَيرًا وما كان غَيرَ ذلك فقد ثبت عن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ رضِىَ اللهُ عنه عن رسولِ الله ﷺ أنه قال **حياتِى خيرٌ لكم تُحْدِثون ويُحْدَثُ لكم ومَمَاتِى خيرٌ لكم فإذا أنا مُتُّ عُرِضَتْ علَىَّ أعمالكم فإنْ رأيتُ خيرًا حَمِدتُ**

اللهَ وإنْ رأيتُ غيرَ ذلك استغفرتُ لكم(١) اهـ فمن هذه الأحاديثِ يُعْلَم أنَّ موتَ رسولِ اللهِ ﷺ لم يُسبِّبْ له انقطاعًا كليًّا عن أمورِ أُمَّتِه فصلاتُهم عليه وسلامُهم تبلغُه وتبلغُه بعضُ أعمالهم فما كان مِنْ خيرٍ حَمِد اللهَ على ذلك وما كان مِنْ شَرّ استغفَرَ لهم وهذا فضلٌ كبيرٌ أكرمَ اللهُ به نبيَّه محمدًا ﷺ وأكرَمَ به أُمَّتَه فالحمدُ لله على ذلك.

وهناك حديثٌ رابعٌ صحيحٌ يَعُودُ بالمعنَى إلى هذه الأحاديثِ الثلاثةِ وهو ما رواه البيهقِيُّ وأبو يَعْلَى فى مسندِه من حديث أنسِ بن مالكٍ رضِىَ الله عنه أن نبىَّ الله ﷺ قال **الأنبياءُ أحياءٌ فى قبورهم يُصَلُّونَ**(٢) اهـ فإذا كان حالُ الأنبياء أنهم يُصلُّون فى قبورِهم بعد أَنْ أحياهُمُ الله تعالى بإعادَةِ الرُّوحِ إلى الأجسادِ فلا مانِعَ بأَنْ يَدْعُوَ النبىُّ لمنْ شاءَ اللهُ تعالى من المؤمنين فَيُفَرَّجَ كربٌ بدعَائِه ﷺ أو يَنَالَ طالبٌ رغبتَه. فإن قال قائلٌ هذه الأحاديثُ تُسْتَشْكَلُ بحديثِ **إذا مات ابنُ ءادم انقطع عملُهُ إلا مِن ثلاثٍ**(٣) اهـ فالجواب أن حديثَ **إذا مات ابنُ ءادم** المرادُ به العملُ التكليفِىُّ أَىْ أَنَّ العملَ الذِى يتجدَّدُ له به الثوابُ كُلَّمَا عمِلَه انقطع وليس فيه أنه لا يدعو فى قبْرِهِ لأحَدٍ وأنه لا يبقَى له شعورٌ وليس

---

(١) رواه البزار فى مسنده باب زاذان عن عبد الله.

(٢) رواه البيهقِىُّ فى جزء حياة الأنبياء وأبو يعلى فى مسند عن ثابت البنانىّ والبزار فى مسنده باب مسند أبى حمزة أنس بن مالك.

(٣) رواه مسلم فى باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

فيه أنَّ الإنسانَ يبقى على حالَتِه حين فارقَتْ روحُهُ جسدَهُ بحيثُ يصيرُ كقِطْعَةِ خشَبٍ لا شعورَ ولا إحْسَاسَ فإنَّ هذا بعيدٌ من الصِّحَةِ كلَّ البُعدِ، إنما يَستشكِل بهذا الحديث أحاديثَ حياةِ الأنبياءِ مَنْ كان فهمُهُ سقيمًا أو فى نفسه تَرْكُ استشعارِ التعظيم لرسولِ اللهِ ﷺ وذلك من شدَّةِ فسادِ قلوبِهِم فيتصوَّرون أنَّ رسولَ الله ﷺ صار بعد وفاته لا يدعو لأحدٍ ولا يشعر بشَىءٍ فهذا جهل منهم ليس أمرًا لهم فيه دليلٌ من الأحاديث النبوية، ليس فى هذا الحديث أن ابنَ ءادم بعد موته لا يَسمعُ ولا يدعُو لأحَدٍ من أهلِ الدنيا إنما هذا يَرجِعُ إلى فساد أفهامِ هؤلاءِ الذِين يتصوَّرون من هذا الحديثِ ما ليس فيه.

نحن نقول الأنبياء لا يتجدَّدُ لهم ثوابٌ بعمَلهم فى قُبورِهِم كصلاتِهم إنما يتلذَّذُون بها ولكِنْ ليس فيه أنَّه لا يَدْعُونَ الله ولا يُصلُّون ومَن زعم هذا فهو سقيمُ القلبِ فاسِدُ الفهم. ووردَ ما يؤَيِّدُ هذه الأحاديثَ مِن أنَّ الأنبياءَ بعد وفَاتِهِم لهم عَمَلٌ ينفَعُ غَيرَهم، فهذا حديثُ المعراج فيه أَنَّ موسى لقِيَ رسولَ الله ﷺ فسأله ماذا افتَرض اللهُ على أُمَّتِك من الصلاة فقال خمسون صلاةً فقال له موسى سَلْ ربَّكَ التخفيفَ فراجَعَهُ تسعَ مرَّات حتى خفّف عن أمةِ محمد ﷺ إلى خمس صلوات[1] فنفع موسى أُمَّةَ محمدٍ ﷺ وعلى جميعِ رسُلِ اللهِ هذا النفعَ بعد موتِه.

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه باب ذكر الملائكة.

وكذلك مما يؤيِّد ذلك ما فى حديث المعراجِ أَنَّ الأنبياءَ الثمانيةَ الذين لقيَهُم فى السموات وهم ءادم ويحيَى وعيسى ويوسف وإدريس وهارون وموسى وإبراهيم هؤلاء كلٌّ منهم لقيَهُ رسولُ الله ﷺ فى سماءٍ من السموات إلا عيسى ويحيَى فإنه لقِيَهُما فى السماء الثانية، كلُّ واحِدٍ منهم سلَّم عليه رسولُ الله ودعا كلٌّ منهم للنبيِّ بخيرٍ فإِنَّهُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قال عِنْدَ ذِكْرِ لقائِه بكُلٍّ منهم **ودعا لِى بخير**[١] اهـ فإذا طلَب أحدٌ من رَسُولِ اللهِ عِنْدَ قَبْرِه أَوْ فى غير ذلك أن يَتوجَّه له إلى الله فليس ذلك كما يُخاطِبُ حجرًا أو قطعةَ خَشَبٍ كما يزعم ذلك أناسٌ يَدَّعُون أنهم صَفْوَةُ المسلمين والحقيقةُ عكسُ ذلك، ليس الشَّأْنُ بإيرادِ ءايَةٍ أو حديثٍ فى غَيْرِ مَحَلِّهِ إِنَّمَا الشأنُ أَنْ تُورَدَ الآيةُ أَوِ الأحاديثُ فى محلِّها، أما وضعُ الآيةِ فى غَيرِ مَحَلِّها والأحاديثِ فى غيرِ موضِعِها فهو شأنُ الضالِّينَ الـمُنْحَرِفينَ كالخوارجِ، قال عبدُ اللهِ ابنُ عمرَ رضِىَ الله عنه حمَلُوا ءاياتٍ وردَتْ فى الكفّار على المؤمنينَ فجعلوها فى المؤمنين[٢] اهـ

الخوارجُ لم يفهمُوا قولَه تعالى فى سورة يوسف ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ على وَجْهِهِ فاعْتَبَرُوا عليًّا لذلك واعْتَبَرُوا مَنْ والاهُ مخالِفِينَ للآيةِ وذلك لِفَسَادِ أَفْهَامِهِم أى الخوارِجِ، لذلك قال عبدُ الله بن عمر حملوا ءاياتٍ

(١) رواه مسلم فى باب الإسراء برسول الله ﷺ.
(٢) رواه البخارى فى صحيحه باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة.

وردَتْ فى الكفار فجعلوها فى المسلمين، وهؤلاء كذلك فإذا سمعُوا رجلًا يقول يا رسول الله اعتبرُوهُ كعُبّاد الأوثان، عندهم كالذِى يقول هُبَل يا هُبَل، وقد ثَبَتَ عن بَعْضِ الصحابَةِ أنه قال يا محمَّدُ، عبد الله بن عمر هذا خَدِرَتْ رِجْلُه أى حصل له تَشَنُّجٌ فقيل له اذكُرْ أحبَّ الناسِ إليك فقال يا محمد فكأنما نُشِط من عِقال[(١)]، وهذا حصلَ بعد وفاةِ الرسولِ ﷺ، فمن ينادِى نبيًّا بقَصْدِ أنْ يَتوجَّهَ له إلى الله لكشفِ ضُرّه أنَّى يكون شِركًا. هؤلاء من فسادِ ظُنُونِهم وصَلَ الأمرُ ببعضهم إلى أنه وَجَدَ رجلًا قاعدًا فى ظلِّ شجرةٍ رافعًا يدَيهِ يدعو الله عز وجل فهَجَمَ عليه وقال له لِمَ تعبدُ هذه الشجرة.

هؤلاء يضعُونَ الكلامَ فى غيرِ موضِعِه، هذا دَأْبُهُم. وسبحان الله والحمدُ لله ربِّ العالمين.

انتهى والله تعالى أعلم.

---

(١) رواه ابن السنّىّ فى عمل اليوم والليلة باب ما يقول إذا خدرت رجله. والعقال هو الحبل الذى يُشدّ به فى وسط ذراع الإبل مع وظيفه.

الدرس التاسع والثلاثون



التحذير من الفرق الثلاث

درسٌ ألقاه الفقيهُ المتكلّمُ الشيخُ عبدُ الله بنُ محمدٍ العبدريُّ رحمه الله تعالى فى بيروت وهو فى بيان التحذيرِ من الفِرَقِ الثلاثِ حزبِ الإخوانِ وحزبِ التحريرِ والوهابيةِ. سمعه منه الشيخُ جميل بن محمد حليم والشيخ سمير بن سامِى القاضى والشيخ نبيل بنُ محمد الشريف والشيخ عبد الرزاق بن محمد الشريف والشيخ محمد بن مصطفى البكرىّ. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمةُ وله الفضلُ وله الثناءُ الحسنُ وصلَّى الله عَلَى سيِّدِنا محمَّدٍ وعلى ءالهِ وصحبِهِ وسلَّم أما بعدُ فإنَّ المسلِمِينَ كانُوا على عقيدَةٍ واحدَةٍ بعد وفاةِ الرسولِ ﷺ إلى نحوِ خمسٍ وعشرين سنة. ما كان بينهم اختلافٌ فى العقيدةِ ثم شَذَّ بعضُ النَّاسِ الذين لم يَرَوُا الرسولَ ﷺ عن عقيدَةِ الصَّحابةِ.

أوَّلُ هؤلاءِ يُقالُ لهم الخوارِجُ، فى عَهْدِ سيِّدِنا عليٍّ هذا حصل. هؤلاء انحرافُهُم أنهم فسَّرُوا بعضَ الآياتِ على غيرِ وَجْهِها فزَعَمُوا أنَّ مَنْ عَمِلَ معصيةً خرجَ من الإسلامِ، كفَرَ، فعِنْدَهُم الحاكِمُ إنْ حَكَمَ بغيرِ الشَّرْعِ كَفَرَ. المسلمونَ كلُّهم كانوا يعتقِدُون قبلَ ظهورِ هؤلاءِ

أَنَّ مَنْ حَكَم بغيرِ الشَّرْعِ للرِّشْوَةِ أو للصَّدَاقَةِ أو للقرابة لا يكفُرُ وإنما هو فاسِقٌ، قبلَ ظهورِ هذه الفرقَةِ هكذا كانت عقيدةُ المسلمين. عقيدةُ المسلمين التى كان عليها الصحابَةُ أنَّ المسلمَ لا يَخرجُ مِن الإسلامِ لأجْلِ المَعْصِيةِ إن كانَتْ صغيرةً وإن كانَتْ كبيرةً. هؤلاء خالفُوا هذه العقيدةَ فقالوا مَنِ ارتكبَ معصيةً كفَرَ. فى الأوَّلِ كانوا يقُولُونَ الذى حكَمَ فقط يكفُر، لا يقولون الرَّعيَّةُ تكفُر لأنَّ الحاكِمَ حكَمَ بغيرِ الشرع، ما كانوا يُكفِّرون الرعيةَ لذلك. ثمَّ شَذَّ من هؤلاء أناسٌ فقالوا الرعيّةُ أيضًا تَكفُر إذا حَكَمَ الحاكِمُ كالـمَلِكِ بغيرِ الشَّرْعِ، قالوا كفَرَ الحاكِمُ وكفَرَتِ الرَّعِيَّةُ، هؤلاء أكثرُ ضلالًا من الأوَّلِينَ، كِلا الفريقَين يُقَالُ لهم خوارج.

ثم بعد ألفٍ وأربعمائة سنةٍ من سِنِى الهجرةِ إلا نحو أربعين سنة ظَهَر رجلٌ فى مصرَ يقال له سَيّد قُطب فقال كما قالت هذه الفرقَةُ التِّى زادَتْ فى الشُّذُوذِ قال أيُّ إنسان يَحْكُمُ بغيرِ الشرع ولو بحُكم واحدٍ خرج مِن الإسلام وخرجَت الرَّعِيَّةُ التى هو يَحْكُمُها مَن شارَكَهُ فى الحُكْم ومَن لم يُشارِكْه. هذا الرجل كان فى مصر، مات منذُ أربعين سنة(١) ثم أتباعُه صارُوا يعتقدون هذا الاعتقادَ فكفَّرُوا حُكّامَ المسلمين والرعيةَ. يقالُ لهؤلاءِ حزبُ الإخوانِ وهم سَمَّوْا أنفُسَهُم فى أوَّلِ الأمرِ

(١) هذا وقت إعطاء هذا المجلس وإلا فقد مر على موته إلى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة نحو ستين سنة.

«الإخوانُ المسلمون» ثم تَسَمَّوْا فى بعض البلاد بالجماعَةِ الإسلاميَّةِ ليُوهِمُوا الناسَ أنهم هم المسلمون فقط وأن مَن سِواهُم ليسوا مسلمين. هؤلاء لمّا كفَّرُوا الحاكِمَ والمحكومَ أى الرعيَّةَ استحلُّوا دماءَ الناسِ استحلُّوا قتلَ المسلمين فيجب الحذَرُ منهم. وأكبرُ وسيلةٍ للسلامَةِ مِنْ ضلالهم تعلُّمُ علمِ الدينِ على طريقةِ أهلِ السُّنَّةِ.

كانوا فى مصرَ ثم توسَّعُوا فصَارُوا يَقْتُلُون المسلِمِينَ للوصُولِ إلى الحُكْم، على زَعْمِهِم يُزِيلُون هؤلاءِ الحُكامَ وهؤلاء الرعيةَ ليَحْكُموا بشريعةِ الله، وهؤلاء كاذِبون ليس غَرَضُهُم أن يحكُمُوا بالقرءانِ لو وَصَلُوا إلى الرئاسةِ إنما هَمُّهُم الرئاسَةُ، لو وصلُوا إلى الرئاسَةِ لحكَمُوا بالقانونِ كما يحكُمُ الناسُ اليومَ[(١)]. والدَّليلُ على ذلك أنَّه فى سورية منذُ ثلاثين سنة تقريبًا دخل ثمانيةَ عشرَ شخصًا منهم فى البرلمان واثنان من هؤلاء الثمانية عشر شاركا فى وضع الدستور أى القانون. هذا دليلٌ على أنَّهم كاذبُون لا يُريدون الحكمَ بشَرْعِ اللهِ لكن يريدُونَ أن يَنْخَدِعَ المسلمُون بقَولهم نحن نريد الحكمَ بالشَّرْعِ الإسلامِيّ لِيَمِيلَ إليهِمُ النَّاسُ فَيَقْوَوْا بهم لِيَصِلوا إلى غرضِهِمُ الفاسِدِ.

(١) وقد حصل هذا فى مصر بعد وفاة الشيخ رحمه الله عندما تولى محمد مرسى رئاسة الجمهورية سنة إحدى عشرة وألفين بالتاريخ الروميّ وحكم هو وأتباعه بالقانون وحصل فى المملكة المغربية عندما تولى زعيمهم عبد الإله بن كيران رئاسة الحكومة ذلك العام.

عَلامَةُ حزبِ الإخوانِ هؤلاء أَنْ يقولَ المنتَسِبُ إليهم مَنْ يحكُم بغَيرِ حُكْمِ اللهِ كافرٌ والرعيَّةُ الذينَ يعيشُون فى ظِلِّه كفَّار.

أما حِزْبُ التَّحريرِ فَيُعْرَفُونَ بقَولِهم يَجِبُ علَينا نَصْبُ الخَلِيفَةِ أى حاكِم واحِدٍ يحْكُمُ جميعَ المسلمِينَ ومَنْ ماتَ قَبْلَ نَصْبِ الخَلِيفَةِ مِيتَتُهُ مِيتَةُ الجاهليَّةِ المشركِين. يُحرّفُون حديثًا إلى هذا الوَجْهِ، والحديثُ ليسَ معناهُ هذا. الحديثُ هو **مَنْ مات وليس فى عُنُقِهِ بَيعَةٌ مات مِيتَةً جاهِلِيَّةً**[١] اهـ هذا الحديثُ يُحَرِّفُونَهُ. والحديثُ معناهُ أنَّ الذى يمُوتُ وهو مُحَارِبٌ للخليفَةِ الذِى ثَبَتَتْ له البَيْعَةُ كالذين قاتَلُوا سيِّدَنا عليًّا رَضِىَ اللهُ عنهُ فمَنْ ماتَ منهم قَبْلَ أن يَتُوبَ فمِيتَتُهُ كمِيتَةِ الجاهِلِيَّةِ المشركِين. ثلاثُ فِرَقٍ حارَبُوا عليًّا أَوَّلُهم أهلُ وَقعةِ الجَمَلِ هؤلاءِ حاربوه نِصْفَ نهارٍ فكسَرَهم فتاب مَنْ تاب وقُتِلَ مَن قُتِلَ. والفِرْقَةُ الثَّانِيَةُ جماعَةُ معاوِيَةَ هؤلاء حاربُوهُ ثلاثةَ أشهرٍ. هؤلاءِ ذَنْبُهُم أَعْظَمُ وذَنْبُ معاوِيَةَ أَعْظَمُ. والفِرْقَةُ الثالثةُ هم الخوارِجُ حاربُوهُ فى النَهْرَوان.

عائِشَةُ وطَلْحَةُ والزُّبَيرُ رَضِىَ اللهُ عنهم هؤلاء حضَرُوا معركةَ الجَمَلِ، وَقَفُوا فى مُعَسْكَرِ المخالِفِينَ الخارِجِينَ على سَيِّدِنَا علِيٍّ لكِنْ هؤلاء الثلاثةُ تابُوا، عائشةُ نَدِمَتْ

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر.

ندمًا كبيرًا وطلحَةُ ما ماتَ حتى انْصَرَفَ لأنَّ سَيِّدَنا عليًّا ذكَّره شيئًا فَلَحِقَهُ واحِدٌ ممن كان يُقَاتِلُ سَيِّدَنا عَلِيًّا فقتَلَهُ. والزُّبَيرُ سيدُنا عليٌّ ذكَّرَهُ قال له أليس قال الرَّسولُ **لتُقاتِلَنَّ عَلِيًّا وأنتَ ظالِمٌ له** قال نَسِيتُ فانصرف تائبًا(١) اهـ هؤلاء اللهُ تعالى تابَ عليهم لكن وقعُوا فى معصيةٍ، كلُّ هؤلاء من أهلِ السعادةِ لم يمُوتُوا إلَّا بعدَمَا تابُوا من هذه المَعْصِيَةِ، هكذا من كتَبَ اللهُ له السَّعادةَ لا بُدَّ أَنْ يَتُوب قبلَ أن تخرُجَ رُوحُهُ ولو بساعَةٍ واحدةٍ.

حزْبُ التحريرِ قالوا الذى يموتُ ولم يُبايعْ خَلِيفَةً أى لم يأخُذْ عَهْدًا للخليفةِ يموتُ ميتةً جاهليةً وأهلُ هذا العصرِ كلُّهم ليس عليهم خليفَةٌ فعِنْدَهُم مَن يَمُوت مِن أهل هذا العصرِ فميتتُه كمِيتَةِ أولئك المشركين. حرَّفُوا الحديثَ كما أنَّ جماعَةَ سيِّد قُطُب حرَّفُوا الآيةَ التى فى سورَةِ المائدة ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

أمَّا الوهابيةُ فهم مَعروفون بأمْرَينِ أحدُهما أنهم يقولون اللهُ قاعِدٌ على العرش والأمرُ الثانى مَن قال يا محمدُ أو يا حَسَنُ أو يا حُسَيْنُ أو يا علِيُّ أو يا عبدَ القادر أو يا شيخُ أحمدُ الرفاعِيّ عندَهُم كافرٌ حلالُ الدَّم. كذلك عِنْدَهُم من زَارَ قبرَ نبيٍّ أو وليٍّ لِطلبِ البركَةِ مِنَ اللهِ بهذه الزيارةِ فهو كافرٌ حلالُ الدَّمِ.

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك فى ذكر مقتل الزبير بن العوام رضِىَ الله عنه.

هؤلاءِ الثلاثةُ يُحَذَّرُ منهم على هذا الوَجْهِ. وهؤلاءِ الفِرَقُ الثلاثُ لا يجوزُ تزويجُهم بناتِ المسلمِين، عقِيدَتُهُم فاسِدَةٌ. فى هذا الزَّمَنِ الوهابيةُ اندسُّوا بينَ الناسِ وحزبُ الإخوان اختلطوا بالناسِ وحزبُ التحريرِ كذلك فإذا جاءَ إنسانٌ يخْطُبُ بِنتًا لا يُزوَّجُ البنتَ إلا بعدَ أن يُمتَحَن فيُسأَلَ ماذا تَقُول فيمَنْ يقُولُ بقَولِ حِزبِ الإخوانِ وماذا تَقُولُ فيمن يقُولُ بقَولِ الوهابيةِ وماذا تقولُ فيمن يقولُ بقَولِ حزبِ التحريرِ فإذا قال هؤلاء ضالُّون يُزَوَّجُ وإلا فهو خطرٌ كبيرٌ، بعد أن يتَزوَّجَ البنتَ يُظهِرُ عقيدتَه فيتعكَّر عَيْشُها. وبعضُ رِجَالِ المحكمَةِ الشَّرعيَّةِ هذه جُهالٌ يقولُونَ للمرأةِ إنْ هِيَ طلبَتِ الخَلاصَ منه بعدما عرفَتْ أنه وَهّابِيٌّ أو أَنَّهُ من حِزْبِ الإخوان أو أَنَّهُ من حزبِ التَّحرِيرِ يقولون لها ارجِعِى لا يسمَعُونَ لها شَكْواها لأنهم ليسُوا مِنْ أهلِ العلْم إنما يَتَعَيَّشُونَ مِنَ الوظيفةِ فى المحكمة. الخطرُ اليومَ عظيمٌ.

هؤلاء أكثرُ الفِرَقِ ظهورًا ممن يَدْعُون باسم الدَّعوَةِ إلى الدِّين، ويوجَدُ غيرُ هؤلاءِ الثَّلاثَةِ أيضًا كجَماعَةِ أمين شَيْخُو الذى كان فى دِمَشْق وتُوفِّى منذ ثلاثين سنة[(١)]. هو جاهِلٌ ما تعلَّم العلمَ أخذَ الطريقَةَ النقشبندية مِنْ أمين كفتارو. أمين كفتارو ولِىٌّ لَكِنْ هذا أمين شيخو كان جاهلًا مِنْ هؤلاء الجَنْدِرْمَة فانْحَرَفَ

(١) أى من تاريخ إعطاء هذا الدرس فى حياة الشيخ عبد الله رحمه الله.

وصار له أتباعٌ فى دِمَشْق وهنا[١] قُرْبَ دارِ الأيتام. هؤلاء يقُولُونَ اللهُ شاءَ أَنْ يكُونَ كلُّ الخلقِ سُعَداءَ صالحين لَكِنَّ الخلقَ خالفُوا مشيئةَ اللهَ، هذا ضدُّ أهلِ السُّنةِ، أهلُ السنةِ يقولون اللهُ شاءَ لبعضِ عبادِهِ أن يَصِيرُوا مؤمنينَ فصارُوا مؤمنينَ واللهُ تعالى شاء لبعض العبادِ أن يصيرُوا كفارًا بمشيئتِهم فصارُوا كفارًا، هذه عقيدةُ أهلِ السنةِ. على حَسَبِ قولِ جماعةِ أمين شيخو إنَّ مشيئةَ اللهِ ما تنفَّذَتْ إنما تنفَّذَتْ مشيئةُ العبادِ، هؤلاءِ كُفَّارٌ.

عقيدَةُ أهلِ السنةِ أَنَّ اللهَ فى الأزلِ شاءَ ما يَحْصُلُ مِنَ العبادِ مِنْ حركاتٍ وسكونٍ واعتقادٍ، اللهُ شاءَ فى الأزلِ ما يحصلُ منهم فما لم يشأ اللهُ فى الأزلِ أَنْ يكونَ لا يَحْصُلُ، هذا دينُ اللهِ. هؤلاء جماعةُ أمين شيخو خالَفُوا العقيدةَ الإسلاميةَ. أغلبُ مشايخِ الشامِ يسكتُونَ عن الوهابيَّةِ وجماعةِ أمين شيخو وحزبِ الإخوانِ والتحريريةِ، يعرفون الباطِلَ باطلًا لكِنْ يسكتُونَ لذلِكَ التحريرِيَّةُ وجماعةُ أمين شيخو والوهابيةُ وحزبُ الإخوان يتزوَّجُونَ بناتِهِم. فاحذرُوا هؤلاء المنحرفين وحذِّرُوا منهم.

انتهى والله تعالى أعلم.

(١) أى فى بيروت.

الدرس الأربعون



بيانُ حرمةِ الربا

درسٌ ألقاه الفقيهُ المحدثُ الشيخُ عبدُ الله بنُ محمدٍ العبدريُّ الهرريُّ رحمه الله تعالى فِى الرابعِ مِنْ المحرم سنةَ سبعٍ وتسعين وثلاثِمائةٍ وألف ثم أعطاه نقلًا عنه الشيخُ نزارٌ ابنُ رشيد الحلبيُّ وسمعه منه الشيخُ سميرُ بنُ سامى القاضِى وءاخرون. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى ءاله وأصحابه الطيبينَ الطاهرين. أما بعدُ فإنَّ اللهَ تباركَ وتعالى قال فِى سورةِ البقرةِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾.

وعن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رَضِىَ اللهُ عنه لَعَنَ رسولُ اللهِ ﷺ ءاكلَ الربا ومُوكِلَهُ وكاتِبَهُ وشاهِدَيْه[1] اهـ ثُمَّ الربا أنواعٌ ثلاثةٌ رِبا القَرْضِ ورِبا الفَضْلِ ورِبا النَّسَاءِ. ورِبا القَرْضِ أنْ يُقْرِضَ الشخصُ شخصًا مالًا ويَشْتَرِطَ عليه الردَّ معَ الزيادةِ أو يشترطَ عليه شرطًا يَجُرُّ به منفعةً[2] وذلك كأنْ يُقْرِضَ إنسانًا مُحتاجًا ألفَ دِرهمٍ

(١) رواه مسلمٌ فِى صحيحِه بابُ لَعْنِ ءاكِلِ الربا ومؤكِلِه.

(٢) قال فِى نهايةِ المحتاجِ إلى شرحِ المنهاجِ باب الربا ما نصُّه ربا القرضِ بأنْ يُشترطَ فيه ما فيه نفعٌ للمُقرِضِ غير نحو الرهن اهـ

على أنْ يَرُدَّه إليه معَ زيادةِ عشرةٍ أو أقلَّ أو أكثرَ أو يَشترطَ عليه أنْ لا يتعاملَ معَ غيرِه أو يشترطَ عليه أن يَرْهَنَهُ دارَهُ ليَسكُنَها مجانًا أو بسِعْرٍ مخفوضٍ وذلك لأنَّ اللهَ تعالى سَنَّ القَرْضَ لِعِبَادِهِ للمُواساةِ لا للاستِربَاحِ. ومِنْ ذلك أنْ يُقْرِضَهُ ويَشترطَ عليه رُكُوبَ سَيَّارَتِه واستِعمالَهَا إلى أنْ يُوفِّيَهُ الدَّيْنَ ومِنْ ذلك أنْ يَشترطَ عليه أنْ يَترُكَ عنده ساعةً على أنه إذا لم يَرُدَّ عليه مالَه فِي وقتِ كذا أخذَها أو تملَّكَها.

وأما ربا الفَضْلِ فهو أنْ يُبادِلَ الذهبَ بالذهبِ بلا مُساواةٍ بالوزنِ أو فضةً بفضةٍ بلا مساواةٍ بالوزنِ وكذلك أنْ يُبادِلَ الحِنطةَ[١] البيضاءَ بالحنطةِ السمراءِ بلَا مُساواةٍ بالكيلِ أو السكرَ الأبيضَ بالسكرِ الأحمرِ بلَا مساواةٍ بالكميةِ أو الملحَ الجبليَّ بالملحِ البَحْرِيّ بلَا مساواةٍ بالكميةِ وهكذا بيعُ كلِّ مطعومٍ بمطعومٍ مِنْ جنسِهِ بلَا مساواةٍ كأنْ يبادِلَ نوعًا مِنَ التمرِ بنوعٍ ءاخَر بلَا مساواةٍ بالكميةِ ولو كان أحدُهما أرفعَ قيمةً مِنَ الآخَرِ فإنَّ ذلك رِبًا حرامٌ مِنَ الكبائرِ.

وأما رِبا النَّساءِ بفتحِ النونِ فهو مبادلةُ ذهبٍ بذهبٍ معَ تساوِي الوزنِ لكنه معَ تأخيرِ القبضِ إلى أجلٍ طويلٍ أو قصيرٍ أو أنْ يُبادلَ سُكَّرًا بِسُكَّرٍ مثلِهِ بالكميةِ لكنْ معَ تأخيرِ القبضِ عنْ مجلسِ المبادَلَةِ ومِنْ ذلك ما لو دَفَعَ إنسانٌ قِطعةَ ذَهَبٍ إلى صَائغٍ ليُعطيَهُ حُلِيَّ ذهبٍ مِنْ غيرِ

(١) الحنطة هِيَ القمح.

تسويةٍ بالوزنِ فذلك ربًا ولَا نظرَ إلى قيمةِ الصَّنْعَةِ شرعًا فإذا قال الصائغُ أُعطِيكَ هذا الحُلِيَّ ووزْنُهُ عشرُ دراهِمَ على أنْ تُعطيَنِى هذه القِطعةَ التِى وزنُها خمسةَ عشر درهمًا مِنْ أجلِ قيمةِ صَنْعَةِ يَدِى كانَ ذلك ربًا.

ومِنَ الربا لو دفعَ إلى الصَّرَّافِ قِطعةَ ذهبٍ غير مسبوكةٍ لِيُعْطِيَهُ عددًا مِنَ الجُنَيْهَاتِ الذهبيةِ المسبوكةِ بلَا تسويةٍ فِى الوزنِ فإنَّ ذلك ربًا.

والدليلُ على حُرمةِ ذلك بعد الآيةِ القرءانيةِ قولُه ﷺ الذهبُ بالذهبِ ربًا إلا مثلًا بمثلٍ سواءً بسواءٍ يدًا بيدٍ والفضةُ بالفضةِ ربًا إلا مثلًا بمثلٍ سواءً بسواءٍ يدًا بيدٍ والبُرُّ بالبُرِّ ربًا إلا مثلًا بمثلٍ سواءً بسواءٍ يدًا بيدٍ والشعيرُ بالشعيرِ ربًا إلا مثلًا بمثلٍ سواءً بسواءٍ يدًا بيدٍ والتمرُ بالتمرِ ربًا إلا مثلًا بمثلٍ سواءً بسواءٍ يدًا بيدٍ والملحُ بالملحِ ربًا إلا مثلًا بمثلٍ سواءً بسواءٍ يدًا بيدٍ فإذا اختلفَتْ هذه الأجناسُ فبِيْعُوا كيفَ شِئْتُمْ إذا كان يدًا بيدٍ[1] اهـ

قولُه ﷺ **إذا اختلَفَتْ هذه الأجناسُ فبِيْعُوا كيف شِئْتُمْ إذا كان يدًا بيدٍ** اهـ معناه أنه إذا بُودِلَ نقدٌ بنقدٍ أو مطعومٌ بمطعومٍ ذهبٌ بفِضةٍ أو قمحٌ بشعيرٍ أو تمرٌ بغير تمرٍ أو ملحٌ بغير ملحٍ أىْ مِنْ غير جنسِهِ كائنًا ما كان يجوزُ معَ المساواةِ وبلَا مساواةٍ شرطَ أن يكونَ يدًا بيدٍ يعنِى أنَّ مَنْ بادَلَ الذهبَ بالفضةِ معَ المفاضلةِ بالوزنِ

(١) رواه مسلِمٌ فِى صحيحِه بابُ الصرفِ وبيعِ الذهبِ بالوَرِقِ نقدًا.

لكنْ بلَا تأخيرٍ بأنْ قَبَضَ كلٌّ مِنَ الطرفينِ العِوَضَ قبلَ الافتراقِ أىْ قبلَ أنْ يفترِقَا كان جائزًا فلو بُودِلَ كيلو ذهبٍ بألفِ كيلو فضةٍ فِى المجلسِ قبل أنْ يفترِقَا هذا أقبضَهُ كيلو ذهبٍ قبل أن يفترِقَا وذاك أقبضَهُ ألف كيلو فضةٍ فِى المجلِسِ قبل أنْ يفترِقَا حلَّ جازَ ذلك لأنه بالتراضِى. البيعُ إذا لم يكنْ مما حرَّمَ اللهُ تبارَكَ وتعالى التفاضُلَ فيه يجوزُ مهما كانتْ نِسبَةُ التفاضلِ. لا يقال لا يجوزُ أنْ يربحَ الإنسانُ أكثرَ مِنْ نصفِ رأسِ المالِ أو أكثرَ مِنْ مثلِهِ أو أكثرَ مِنْ مِثلَيْهِ أو أكثرَ مِنْ ثلاثةِ أمثالِه، لَا يقالُ فِى شرعِ اللهِ تعالى لا يجوزُ ذلك الربحُ فِى ما لمْ يَشترطِ الشرعُ التماثلَ بين العِوَضَيْنِ، يجوزُ مهما بلَغَ، مهما بلغَ الربحُ فإنه جائزٌ إذا لمْ يكنْ هناك غَشٌّ وكذِبٌ فقد باعَ أحدُ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ شيئًا اشتراهُ بسبعِمائةٍ بأربعةِ ءالافٍ وهو عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ الذِى كان أعلمَ علماءِ اليهودِ قبل أنْ يُسلِمَ ثُم رَدَّ ألفينِ للمُشترِى تَقَرُّبًا[1] وكان عبدُ اللهِ بنُ سلام مِنْ أكابرِ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، كان أحدَ المبشَّرِينَ بالجنةِ وهو المرادُ بقولِ اللهِ تعالى فِى سورةِ الأحقافِ ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الآية[2]. هو عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ كان مِنَ اليهودِ الذين يسكنونَ المدينةَ لَمَّا قَدِمَ

(١) ذكرَها الحافظُ ابنُ حجرٍ العسقلانىُّ فِى المطالبِ العاليةِ بزوائدِ المسانيدِ الثمانيةِ باب فدْىِ الأُسارَى.
(٢) كما فِى الدرِّ المنثورِ فِى التفسيرِ بالمأثورِ للسيوطِىّ.

رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ ذهبَ إليه ليتأكدَ أنه هو النبىُّ الذِى بشّرَ به موسى عليه وعلى نبينا الصلاةُ والسلامُ فسألَ النبىَّ ﷺ ثلاثةَ أسئلةٍ فأجابَهُ رسولُ اللهِ ﷺ فعَرَفَ بأنه نبىٌّ حقًّا فشَهِدَ أن لا إله إلا الله وأنّ محمّدًا رسولُ اللهِ وجملةُ أسئلتِه أنه سألَهُ ما أول ما يأكُلُهُ أهلُ الجنةِ فأجابَه رسولُ اللهِ ﷺ **زيادةُ كَبدِ الحوتِ** وسألَه كيف يُشبهُ الولدُ أباه أو أمَّه فقال **إذا سبقَ ماءُ الرجلِ ماءَ المرأةِ ذهبَ الأبُ بالشَّبَهِ وإذا سَبَقَ ماءُ المرأةِ ماءَ الرجلِ ذهبتِ الأمُّ بالشَّبَهِ** وسألَه عنْ أولِ ما يحشرُ الناسَ فقال **أولُ ما يحشرُ الناسَ نارٌ تَخْرُجُ مِنَ المشرقِ فتسُوقُهم إلى المغربِ**(١) اهـ هذا قبلَ يوم القيامَةِ قبلَ يومِ القيامةِ تخرجُ نارٌ مِنَ المشرقِ تسوقُ الناسَ إلى المغربِ يرحلُ الناسُ هربًا منها إلى المغربِ وكان عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ يعتقدُ أنَّ هذه الأسئلةَ الثلاثةَ لا يعلمُ جوابَها إلا نبِىٌّ فلماً أجابَه الرسولُ ﷺ بهذا الجوابِ لم يبقَ عنده شَكٌّ بأنه نبِىُّ اللهِ.

القرضُ شرعَهُ اللهُ للمُواساةِ أىْ ليُواسِىَ صاحبُ اليَسَارِ والغِنَى صاحبَ الحاجةِ والاضطرارِ، ما شرَعَهُ للاسْتِرباحِ. الناسُ اليومَ جعلُوا القرضَ للاسترباحِ الواحدُ منهم يُقرِضُ إنسانًا محتاجًا مبلغًا مِنَ المالِ على شرطِ ردِّ الزيادةِ أو على شرطِ أن يُسْكِنَهُ دارَهُ مجانًا إلى

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه فى ذكر الإخبار عن أول ما يأكل أهل الجنة فى الجنة.

أن يُوَفِّيَهُ الدَّيْنَ هذا خلافُ القرضِ الذِى شرَعَهُ اللهُ تعالى لعبادِهِ، اللهُ تعالى شرعَ القرضَ لفكِّ العُسرِ لفكِّ عُسْرَةِ المحتاجِينَ ما وَضَعَ اللهُ تعالى القرضَ لِيُربَحَ به ربحٌ محرمٌ عند اللهِ تعالى فلذلك الذِى يُقرِضُ إنسانًا مالًا ويَشترِطُ ردَّ الزيادةِ فإنه وقعَ فِى الربا وكذلك الذِى يشترِطُ أنْ يستعملَ دارَهُ للسكنَى إلى أن يَرُدَّ له الزيادةَ، هؤلاء وقعُوا فِى الذنبِ العظيمِ تَنزِلُ عليهِمْ لعنةُ اللهِ، يَستحِقُّونَ لعنةَ اللهِ، أما مَنْ يُقَرِضُ بدونِ شرطِ الزيادةِ وبدونِ جرِّ منفعةٍ لنفسِهِ بلْ يُقرِضُ لفكِّ العُسرَةِ هذا له ثوابٌ عند اللهِ. والقرضُ مرتينِ على هذا الشكلِ كثوابِ الصدقةِ مرةً واحدةً[(١)].

انتهى واللهُ تعالى أعلم.

مُلاحظة. أحكامُ بعضِ المسائلِ المتعلقةِ ببيعِ الطعامِ بعضِه ببعضٍ التِى ذُكِرَتْ فِى هذا الدرسِ هِى على وَفْقِ مذهبِ الإمامِ محمدِ بنِ إدريسَ المطلبِيّ الشافعِيّ ويختلفُ الحكمُ فيها فِى بعضِ المذاهبِ الأخرَى كمذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ رضِىَ اللهُ عنه فلْيُتَنَبَّه.

انتهى والله تعالى أعلم.

(١) أخرجَ البزارُ فِى مسندِه أنَّ النبِيَّ ﷺ قال قرضُ مرتينِ يعدِلُ صدقَةَ مرةٍ اهـ

الدرس الحادى والأربعون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حُرمةُ الـمَنِّ بالصدقَةِ والحَلِفِ كذِبًا

درسٌ ألقاهُ الفقيهُ المحدِّثُ الشيخُ عبدُ الله بنُ محمدٍ الشَّيْبِيُّ العَبْدَرِيُّ رحمَهُ اللهُ تعالى يومَ الثانِى مِنْ جُمَادَى الأولى سنةَ ثمانٍ وتسعينَ وثلاثِمائةٍ وألفٍ وهو فِى بيانِ حُرْمَةِ الـمَنِّ بالصدقَةِ والحَلِفِ كذِبًا. سمِعَهُ منه الشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى. قالَ رحمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمُد للهِ ربِّ العالمينَ وصلَّى اللهُ على سيدِنا محمدٍ أشرفِ المرسلِينَ وخاتَمِ النبِيِّيْنَ ﷺ وعلى ءالِهِ. أما بعدُ فإنَّ اللهَ تبارَكَ وتعالَى قالَ فِى سُورَةِ البقرةِ ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾.

هذِهِ الآيةُ ءاخِرُ ءايةٍ نزَلَتْ وفيها الأمرُ بالتقوَى، فيها الأمرُ بالاستعدادِ للآخرَةِ بتقوَى اللهِ. ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا﴾ أىْ خافُوا ذلك اليومَ العظيمَ يومَ تُرْجَعُونَ فيهِ إلى اللهِ، فيومُ القيامةِ يومٌ لا يُوجَدُ فيهِ رئيسٌ ومَرؤُوسٌ على العَادَة التِى عرَفَها العِبادُ فِى الدنيا بلِ اللهُ تبارَكَ وتعالى هو يُحاسِبُ العِبادَ يُكَلِّمُ هذا ويُكَلِّمُ هذا بِلَا تَرْجُمَان أىْ يُسْمِعُهُمْ كلامَهُ الذِى لا يُشبِهُ كلامَ العالمين، منهُمْ مَنْ يُكلِّمُهُمُ اللهُ تعالى كَلامَ مَنْ رَضِىَ اللهُ عنهُ أىْ

يُسمِعُهُمْ كلامَهُ الذِى لا يُشبِهُ كلامَ الخَلْقِ فيَحصُلُ لهمْ سُرورٌ ورِضًى واطْمِئنانُ نفسٍ ومنهُم مَنْ يُكلِّمُهُمُ اللهُ تعالى لِيَعْرِفُوا أنهمْ مُهَانُونَ عندَ اللهِ ليس لهمْ أمانٌ وليسوا منْ أهلِ الدرجاتِ العُلَى. فالمَرْضِيُّونَ عندَ اللهِ تعالى يحصُلُ لهمْ عندما يسمَعُونَ كلامَ اللهِ مِنَ الفرَحِ والسرورِ ما لا يُوصَفُ والمغضُوبُ عليهِمْ لا يشعُرُونَ بأمْنٍ بلْ يشعُرُونَ بخوْفٍ عظيمٍ وقَلَقٍ مَتِيْنٍ لا يُوصَفُ وهناكَ فريقٌ ثالثٌ وهمْ بعضُ عُصاةِ المسلمينَ يكونُونَ بحالةٍ بينَ حالةِ هؤلاءِ وحالةِ هؤلاءِ وفِى هذا المعنَى وردَ فِى الصحيحِ الحديثُ المشهورُ **ما مِنكُمْ مِنْ أحدٍ إلا سَيُكلِّمُهُ رَبُّهُ ليس بينَهُ وبينَهُ تَرْجُمَان**(١) اهـ وهذا الموقفُ الذِى سَيَقِفُهُ العبدُ ويسمعُ فيه كلامَ اللهِ ليس كوقوفِ إنسانٍ أمامَ مَلِكٍ يكونُ بينَهُ وبينَ ذلك المَلِكِ مَسافةٌ ومُقابلةٌ بجهةٍ بلْ وقوفُ العبدِ بينَ يَدَيِ اللهِ تعالى فِى الآخِرةِ بِلَا مَسافةٍ بينَهُ وبينَ اللهِ(٢).

قالَ تعالى ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أىْ أنَّ اللهَ تعالى يُجازِى كلَّ نفسٍ بعملِها إنْ كانَ خيرًا فخيرٌ وإنْ كانَ شرًّا فشرٌّ فلمَّا كانتْ حالةُ الكُفّارِ وقِسمٍ مِنْ غيرِهمْ أنهُ لا يحصُلُ لهمْ سُرورٌ مِنْ سَماعِ كلامِ اللهِ تعالى بلْ يحصُلُ لهمْ خِزْىٌ وقَلَقٌ

---

(١) رواهُ البخارِىُّ فِى الصحيحِ بابُ قولِ اللهِ تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

(٢) قال أبو حنيفةَ فِى الفقهِ الأكبرِ ولا يكونُ بينهُ أى بينَ اللهِ وبينَ خلْقِهِ مَسافة اهـ

وخَوْفٌ لسُوءِ مَصِيرِهِمْ عُبِّرَ عنْ ذلك بما جاءَ فِى الحديثِ مِنْ ذِكْرِ ثلاثةٍ أنهُ لا يُكلِّمُهمُ اللهُ يومَ القِيامَةِ ولَا يَنظُرُ إليْهِمْ ولا يُزَكِّيْهِمْ. ومعنَى **لا يُكلِّمُهم** أنهُم لَا يَفرَحُونَ حينَ يَسمَعُونَ كلامَهُ ومعنَى **لَا يَنْظُرُ إليْهِمْ** أنهُ لَا يُكرِمُهُمْ أمَّا رُؤْيَتُهُ تعالى لعِبادِهِ فهِىَ رُؤيةٌ شامِلةٌ عامَّةٌ أزليةٌ أبديةٌ. قالَ رسولُ اللهِ ﷺ **ثلاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إليْهِمْ ولَا يُكلِّمُهمْ ولَا يُزكِّيْهِمْ ولهمْ عذابٌ ألِيْمٌ المَنَّانُ والمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الكاذِبِ والفقيرُ المتكبِّرُ**[1] اهـ

أمّا المَنَّانُ فهو الرجلُ الذِى يَمُنُّ بمَا أحسَنَ إلى شخصٍ لِيَظهرَ أنهُ أعلَى منهُ يقولُ أَلَمْ أُعْطِكَ كذا أَلَمْ أَفعلْ مِنَ المعرُوفِ إليْك كذا وكذا لِيَكْسِرَ قلْبَهُ فهذا المَنُّ مُحرّمٌ مِنَ الكبائِرِ يُحْبِطُ الثَّوابَ، قال اللهُ تباركَ وتعالى فِى سُورةِ البقرةِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ شَبَّهَ اللهُ تعالى المَنَّ بالرِّياءِ لِأَنَّ كِلَيْهِما يُحْبِطَانِ الثوابَ، وأمّا المُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الكاذِبِ فهو الذِى يَحْلِفُ كذِبًا لِيُنَفِّقَ بِضَاعَتَهُ وذلك أيضًا مِنْ كبائرِ الذنوبِ، أمّا إذا حَلَفَ وهو صادقٌ لِيُنَفِّقَ سِلعتَهُ فليس عليه ذنبٌ لكنَّ تَرْكَ ذلك أفضلُ، فلَا خيرَ فِى الحَلِفِ إلَّا إذا كان يُرادُ به إحقاقُ حَقٍّ أو إبطالُ باطلٍ، فالحَلِفُ الذِى فيه ثوابٌ مثلُ الحَلِفِ الذِى كانَ الرسولُ ﷺ يَحْلِفُهُ حينَ يُحَدِّثُ

(١) رواه النسائِىّ فى السنن الكبرى فى باب المنفق سلعته بالحلف الكاذب.

أصحابَهُ بشىءٍ مِنَ الأمورِ الدينيةِ لِيُؤَكِّدَ ذلك فِى نُفُوسِهم، كان أحيانًا يقولُ والذِى نفسُ محمّدٍ بيدِهِ[١] اهـ وكان كثيرًا ما يقولُ إذا نَفَى شيئًا وأرادَ تأكيدَ ذلك لَا ومُقَلِّبِ القُلوبِ[٢] اهـ لِيُعْلِمَ السامِعينَ أنه صادقٌ فيما قالَ لا رَيْبَ فيه ولِيُعَلِّمَهُمْ أنَّ ما كان كذلك مِنَ الحَلِفِ فيه ثوابٌ ولِيُعَلِّمَهُمْ أنَّ اللهَ تباركَ وتعالى هو خالقُ كلِّ شىءٍ لَا يخلُقُ العِبادُ شيئًا فإنه إذا كان عَمَلُ القَلْبِ مخلُوقًا للهِ تعالى فعملُ الجوارحِ معلومٌ أنه مخلوقٌ للهِ تعالى بالأَوْلى. وكذلك كلُّ حَلِفٍ يُشْبِهُ ذلك فهو حَقٌ وفيه ثوابٌ لمن أَخْلَصَ نيّتَه. وروى مسلمٌ فِى الصحيح عنْ عليِّ بنِ أبِى طالبٍ رَضِىَ اللهُ عنه قال والذى فَلَقَ الحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ إنه لَعَهْدُ النبِيِّ الأميِّ إلىَّ لا يُحبُّنِى إلا مؤمنٌ ولا يُبغِضُنِى إلا مُنافِقٌ[٣] اهـ كان كثيرًا ما يَحلِفُ هذا الحَلِفَ لِكَوْنِ ما يُوْرِدُهُ مِنَ الكلامِ عَقِبَهُ مِنَ الحقِّ المُتيقَّنِ الذِى لا رَيْبَ فيه ولا شك.

والفقيرُ المتكبرُ ذُكِرَ فِى هذا الحديث. والكِبْرُ مِنَ الكبائِرِ وهو أن يَرُدَّ الحقَّ على قائِلِهِ بعدَ العلمِ بأنَّ معه الحقَّ أو أن يحتقِرَ المسلمَ لكونِه فقيرًا أو ذا عاهةٍ أو صغيرَ السِّنِّ أو نحوَ ذلك[٤] فمَنْ فَعَلَ ذلك فقد وقعَ فِى

---

(١) رواه البخارِىُّ فِى الصحيحِ بابُ كيف كانت يمينُ النبِيِّ ﷺ.
(٢) رواه البخارِىُّ فِى الصحيحِ بابُ كيف كانت يمينُ النبِيِّ ﷺ.
(٣) رواه مسلمٌ فِى الصحيحِ بابُ الدليلِ على أنَّ حُبَّ الأنصارِ وعليٍّ رضِىَ اللهُ عنهم مِنَ الإيمانِ وعلاماتِه وبُغْضُهم مِنْ عَلاماتِ النِّفاقِ.
(٤) روى مسلمٌ فِى صحيحِهِ عَنْ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ عنِ النبِيِّ ﷺ قال=

سَخَطِ اللهِ، وإنما ذَمَّ رسولُ اللهِ ﷺ الفقيرَ المتكبرَ لأنَّ الكِبْرَ قبيحٌ للغنِيّ والفقيرِ لكنهُ معَ الفقْرِ أقبحُ فالفقيرُ المتكبرُ أشدُّ إثمًا مِنَ الغَنِيّ المتكبرِ. فيُعْلَمُ مِنْ هذا الحديثِ أنَّ هؤلاءِ الثلاثةَ مِنْ شرِّ الناسِ يومَ القيامة.

والتكبرُ صفةٌ مذمومةٌ معَ المتواضِعِ وغيرِ المتواضِعِ فلا يجوزُ أنْ يقالَ التكبرُ على المتكَبِّرِ صدقةٌ. اللهُ تباركَ وتعالى يحِبُّ المؤمنَ المتواضعَ فكلُّ مَنْ له عند اللهِ منزلةٌ عاليةٌ صفتُهُ التواضعُ وتركُ العُجْبِ، ومَنْ تأمَّلَ فِى أحوالِ الصالحينَ مِنَ الصحابةِ ومَنْ بعدَهم عَلِمَ أنهم كانوا مُتواضعِيْنَ غَيْرَ مُترفِّعِيْنَ على الناسِ. كان الإمامُ الشافعِيُّ رضِيَ اللهُ عنه مع جلالةِ قدرِهِ وعُلُوّ شأنِهِ لا يجادِلُ إنسانًا وهو مُترفِّعٌ عليه إنما كان ينوِى عند جِدالِهِ لإنسانٍ الوُصولَ لإظهارِ الحقِّ، وكان مِنْ عِظَمِ إخلاصِهِ للهِ تعالى أنه كان يُحبُ أنْ ينتشِرَ عِلمُهُ مِنْ غيرِ إشرافِ نفسٍ إلى أنْ يُعْرَفَ بذلك لِيُبَجِّلَهُ الناسُ ويُعَظِّمُوهُ إنما كان قصدُهُ نشرَ الحقِّ بين الناسِ ولمْ يكنْ فِى نيتِهِ أنْ يُشَارَ إليه بالأصابعِ لِوُفُورِ العلمِ والتفوُّقِ فِى المعرِفَةِ فلَوْلَا ذلك لما أَظْهَرَ عِلْمَه[1].

= **لا يدخلُ الجنةَ مَنْ كان فِى قلبِهِ مِثْقَالُ ذرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ** قال رَجُلٌ إنَّ الرجلَ يحبُّ أنْ يكونَ ثوبُهُ حسنًا ونعلُهُ حسنةً قال **إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ الناسِ** اهـ بابُ تحريمِ الكِبْرِ وبيانه.

(١) انظرْ بابَ ذِكْرِ مولِدِ الشافعِيّ رحمَهُ اللهُ تعالى وتاريخِ وفاتِهِ ومِقدارِ سِنّهِ وبيانِ نسَبِهِ وشرَفِ أصلِهِ على وجهِ الاختِصارِ مِنْ مَعرِفَةِ السننِ والآثارِ للبيهقِيّ.

ومِنْ عظيمِ تواضُعِهِ أنه كان لا يُرِيدُ الإمامةَ فِى الصلاةِ خَوْفًا مِنْ تحمُّلِ الأمانَةِ معَ أنه كان أَفْقَهَ أهلِ عصرِهِ وأعلَمَهُم وأحسنَهُم صوتًا بالقِراءةِ. كان بحرُ بنُ نصرٍ يقولُ كُنَّا إذا أردْنَا البُكاءَ قلنا اذهَبُوا بنا إلى هذا الفتَى المطَّلبِيّ يعنِى الشافعِىَّ فنأتِيْه فنستمعُ لقراءتِه فنتساقطُ مِنَ البكاءِ اهـ كانوا مِنْ حُسنِ صوتِ الإمامِ الشافعِىّ يأتُونَ لِيَستمِعُوا إلى قِراءَتِهِ حتَّى تَرِقَّ قُلوبُهم وتخشعَ للهِ، يجلِسُونَ فيستمِعُونَ إلى قراءتِهِ فكان يُغْشَى عليهم أو يكونون قرِيبِيْنَ مِنْ حالةِ الغَشْيَةِ مِنْ شِدةِ ما يدخلُ فِى قلوبِهِم مِنَ الرِّقَّةِ والخَشْيَةِ مِنَ اللهِ مِنْ حُسْنِ قراءَتِهِ رضِىَ اللهُ عنه، ومع ذلك مع ما ءاتاهُ اللهُ تعالى مِنْ حُسْنِ الصوتِ فِى القِراءَةِ وجُوْدَةِ القِراءَةِ كان يَخافُ أنْ يتقدمَ الناسَ إمامًا فِى الصلاةِ. هذا حالُ أولياءِ اللهِ أنهم يتَّهِمُونَ أنْفُسَهُمْ بالتقصِيرِ.

انتهى واللهُ تعالى أعلَم.

الدرس الثانى والأربعون



التحذيرُ مِن مُعاداةِ الأولياءِ

درسٌ ألقاه العالِمُ العامِلُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدريُّ رحمه الله تعالى سنةَ ثمانٍ وتسعينَ وثلاثِمائةٍ وألفٍ فى بيروتَ فى مسجد برجِ أبى حيدرٍ وهو فى بيانِ التحذيرِ مِنْ معاداةِ الأولياءِ والطَعْنِ فى السابِقِينَ الأولِينَ مِنَ المهاجرينَ والأنصارِ. سمعه منه الشيخُ سميرُ ابنُ سامى القاضِى. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ لله ربِّ العالمين وصلَّى الله على سيِّدِنا محمَّدٍ وعلى ءالِهِ وصحبِهِ الطيبينَ الطاهرينَ وسلَّم، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسُولُه.

أما بعدُ فقد قال رسولُ الله ﷺ فيما يَروِيهِ عن اللهِ تبارك وتعالى **مَن عادَى لِى وَلِيًّا فقد ءاذَنْتُهُ بالحَرْبِ وما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عبدِى بشىءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مما افترضْتُ عليه ولا يزالُ عبدِى يتقرَّبُ إِلَيَّ بالنوافلِ حتى أحبَّهُ فإذا أحببْتُهُ كنتُ سمعَهُ الذِى يَسمَعُ به وبصرَهُ الذِى يُبْصِرُ به ويَدَهُ التِى يَبْطِشُ بها ورِجْلَهُ التِى يَمشِى بها** اهـ الحديثَ أخرجه البخارِىّ[1].

(١) أخرجه البخارِىّ فى صحيحه باب التواضع.

والولِيُّ هو الذِى أدَّى الواجباتِ واجْتَنَبَ المحرّماتِ وأكثرَ مِن النوافلَ، فالطَّبَقَةُ العُليا من المؤمنينَ بعد الأنبياءِ بالنسبةِ إلى البَشَرِ والجنّ همُ الأولياءُ ثم سائرُ المؤمنين. أمّا الملائِكَةُ فكلُّهم أولياءُ اللهِ وإنْ كانوا على درجاتٍ فيما بَينَهُم. وأكبرُ الأولياءِ فى البَشَرِ وأعلاهُم درجةً هم أولياءُ الصحابةِ. وأولياءُ أمَّةِ محمدٍ ﷺ هم الذين عناهُم اللهُ تعالى بقولِه فى سورة براءة ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَـٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّـٰتٍ تَجۡرِى تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ وهؤلاء الأولياءُ لا ينقَطِعُونَ فى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إلى يوم القِيامَةِ. ثم إنَّ مِنْ كراماتِ الأولياءِ أو مما يُكْرِمُهُم اللهُ به فى الدنيا إجابةَ الدعوَى وتكثيرَ القليلِ من الطعام وعدمَ التأثُّرِ بالسُّم القاتِلِ وعدمَ الاحتِرَاقِ بالنَّارِ. أما إجابةُ الدعوى فهِىَ كثيرةٌ. كان سعدُ بنُ أبِى وَقّاصٍ وهو المسمى سعدَ بنَ مالكٍ المكّىَّ القرشِىَّ أحدُ العشرةِ المبشرينَ بالجنَّةِ مجابَ الدعوَى إنْ دعا لشخصٍ أصابَتْهُ تلك الدعوى وإن دعا على شخصٍ ظالمٍ أصابتْهُ تلك الدعوى وذلك أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ دعا لسعدِ بن أبى وقاص قال **اللهُمَّ أجب دعوته**[١] اهـ فكانت دعوتُه مستجابةً. مِن ذلك ما رواه قيسُ بن أبِى حازم وكان من أكابرِ التابعِينَ الذين لَقُوا الصحابةَ قال

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك فى كتاب المغازى والسرايا.

كُنْتُ فى المدينَةِ أطوفُ فى السُّوقِ حتى بلَغْتُ أحجارَ الزَّيتِ فلقِيتُ أناسًا مجْتَمِعينَ وإذا برَجُلٍ راكِبٍ دابَّةً بينهم فجاءَ سعدُ بن أبى وقاص فقال ما هذا فقالوا هذا رَجُلٌ يشتُمُ علِيَّ بن أبى طالب فتقدَّمَ إليه فأفْرَجُوا له فقال سعد يا هذا عَلامَ تشتُم علِيَّ بن أبى طالب ألم تَعْلَمْ أنه أولُ من أسلم، ألم تعلم أنه أولُ من صلَّى مع رسولِ الله، وذكر حتى قال ألم تعلم أنه خَتَنُ[(١)] رسولِ الله، ألم تعلم أنه صاحبُ رايةِ رسول الله فى غزواته، ثم استقبَلَ القبلةَ ورفَعَ يدَيْهِ فقال اللهم إن كان هذا يَشْتُمُ وليًا من أوليائِكَ فلا تفرّق هذا الجمعَ حتى تُرِيَهُم قدرتك فساخت[(٢)] به دابَّتُهُ فوقَعَ على هامَتِهِ على تلك الأحجارِ فانْفَلَقَ دِماغُهُ فماتَ[(٣)] اهـ

ثم بعدَ ذلك ذُكِرَ له أنَّ رجلًا من الحُكَّام الجائرينَ قال فى بيتِ مالِ المسلِمينَ إنَّ هذه الأموالَ نفعَلُ بها ما نشاءُ ونمنع عنها مَن نشاءُ فقام سعدٌ لِيَدْعُوَ عليه فنَزل ذلك الرَّجُلُ خوفًا مِن أن يدعُوَ عليه فتصِيبَهُ دعوتُهُ فيهلِكَ وقال إنما هى أموالُ اللهِ[(٤)]، كان أحدَ وُلاةِ بنِى أميةَ الجائرينَ الذين يَسْتَبِدُّونَ ببيتِ مالِ المسلمين

---

(١) الختن زوج البنت كما فى غريب الحديث لابن الجوزى.
(٢) أى غاصت فى الأرض انظر تاج العروس.
(٣) رواه الحاكم فى المستدرك فى باب ذكر مناقب أبى إسحاق سعد بن أبى وقاص.
(٤) رواه الحاكم فى المستدرك على الصحيحين باب ذكر مناقب أبى إسحاق سعد بن أبى وقاص.

فيُعْطُونَ مَن يُوَالِيهِم ويَمْنَعُون عن كَثِيرٍ ممن يَسْتَحِقُّونَ.

وهكذا يَنْتَقِمُ اللهُ تعالى ممن يشاءُ ممن يؤذِى أولياءَهُ وينتَهِكُ حُرمتَهُم، وهذا الذِى يؤذِى الأولياءَ لا يأمَنُ أنْ يصيبَهُ اللهُ تعالى قبلَ مَوتِهِ بمصيبَةٍ تَقْصِمُ ظَهْرَهُ جزاءً له على فِعْلِهِ.

ثم يُعْلَمُ مِن هذا الحديثِ الصحيحِ أنَّ أكابرَ أصحابِ رسولِ الله ﷺ المهاجِرين الأَوَّلِينَ لم يكن بينَهُم حِقْدٌ وعَداوَةٌ بل كان كلُّ واحدٍ منهم يَعْرِفُ الفَضْلَ لأخِيهِ الذِى يَجْمَعُهُ بِهِ صحبتُه رسولَ اللهِ ﷺ والسابِقِيَّةُ فى مؤازَرَتِهِ فمَنْ قامَ بالتَّعَصُّبِ وطَعَنَ فى بعضٍ منهم ومَدَحَ البعضَ فإنَّ عاقِبَتَهُ وخِيمَةٌ ومن لم يشأ اللهُ له النجاةَ لا يَعتَبِرُ مهما شاهَدَ أو سَمِعَ بما فيه عِبرةٌ.

كان أحدُ فقهاءِ اليَمَنِ سليطَ اللسانِ على بعضِ الفُقَهاءِ المعتبَرِينَ من الأولياءِ الكبَارِ، وهذا الفقيهُ الولىُّ الإمامُ هو الفقيهُ المشهورُ محيِى الدينِ النوَوِىُّ، وكان هذا اليمنىُّ يؤذِى النوَوِىَّ فلمَّا ماتَ اليمنِىُّ واسمُهُ جمالُ الدين اندلَعَ لسانُه بشكلٍ بَشِعٍ وجاءَ شىءٌ يشبِهُ الهِرَّةَ فاقتطَعَ لسانَه وذهب به واخْتَفَى(١)، هذا بعضُ ما جزاهُ اللهُ تعالى به قبلَ أن يُغَيَّبَ إلى بَطْنِ الأَرْضِ. فالحذرَ الحذرَ من القدحِ والطعنِ فى واحدٍ من السابِقِينَ الأولينَ من المهاجرِينَ أو الأنصارِ، والأنصارُ هم أهلُ المدينةِ الذِينَ نصرُوا رسولَ اللهِ ﷺ فسمَّاهُم

(١) انظر الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر.

اللهُ تعالى بهذا الاسمِ الشريفِ الأنصار وهو اسمٌ لم يَكُن لهم قبلَ الإسلامِ إنما الإسلامُ شرَّفَهُم به، كذلك ليَحْذَر المؤمنُ المشفِقُ على نفسِهِ من التعرُّضِ لمعاداةِ أيِّ ولِيٍّ من أولياءِ الله.

وسَعْدُ بن أبى وقاص هو أفضلُ المؤمنينَ بعد الخلفاءِ الراشدِين من الطَّبَقَةِ العليا. أما أبو هريرة فلا يُعَدُّ من السابقِينَ الأوَّلِين لكنَّهُ يُعَدُّ من علماءِ الصَّحَابَةِ ومن الذِينَ كان لهم حظٌّ وافرٌ مِن حبِّ اللهِ ورَسُولِهِ، وقد أدْرَكَ مع رسولِ اللهِ ﷺ صحبةَ ثلاثِ سنواتٍ لازَمَهُ فيها فأخَذَ مِن العِلْمِ الكثيرَ الكثيرَ لأنَهُ كان متفرِّغًا لم يكن متزوِّجًا ولم يكن يَشْغَلُهُ أهلٌ ولا مالٌ فلَمْ يَكُنْ يَمْتَهِنُ مِهْنَةً ولا كان له ابنٌ يشغَلُهُ ولا أهلٌ تقطعُهُ خِدْمَتُهُم عن ملازَمَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فجَمَعَ فى هذه السنواتِ مِنْ عِلْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ما لم يَجْمَعْهُ كثيرٌ من الذين لازَمُوا رسولَ اللهِ أكثرَ من عشرِ سنواتٍ، واللهُ تعالى هو ذو الفَضْلِ والمنّ كما قال رسولُ الله ﷺ فى بعضِ دَعَواتِهِ **لا مانِعَ لما أعطَيْتَ ولا مُعْطِيَ لما مَنَعْتَ**[1] اهـ فمِنْ علامَاتِ المَقْتِ أنْ يَجْعَلَ الإنسانُ هَمَّهُ الطَّعْنَ بهؤلاءِ الأبرارِ الأطهارِ.

والهِجْرَةُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ لها مكانةٌ عاليةٌ عندَ اللهِ، كان رجلٌ من أصحابِ رسولِ اللهِ قد هاجَرَ هو وصاحبٌ له من بلادِهِما وتُسَمَّى دَوْسًا إلى

(١) رواه مسلم فى صحيحه باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع.

المدينةِ المنوَّرةِ بعدما هاجَرَ إليها رسولُ اللهِ ﷺ بمُدَّةٍ، تَرَكا وطَنَهُمَا حُبًّا فى اللهِ ورَسُولِهِ واغْتَرَبَا إلى مدينةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وكان أحدُ الرجلَينِ أصابَهُ مرَضٌ ثم اشتدَّ علَيهِ الألَمُ فأخذَ حديدةً فقطَعَ مفاصِلَ يدَيهِ فصار الدمُ يَشْخُبُ فمات بنَزيف الدم، ثم رءاه رفيقُه المهاجرُ فى الرؤيا برؤيَةٍ حسنةٍ، لم يرَهُ برؤيةٍ سيئةٍ، فقالَ لَهُ ما فَعَلَ بكَ رَبُّكَ قال غفرَ لِى بهِجْرَتِى إلى النَّبِىّ[١]، فإذا كان هذا حالَ هذا المهاجِرِ الذِى فعلَ أكبرَ الجرائِم بعد الكُفْرِ فكَيفَ يكُونُ المهاجِرُونَ السابِقُونَ الأوَّلُونَ.

إذا كان اللهُ تبارك وتعالى شَبَّهَ غِيبَةَ الرجلِ المسلم مِنْ غيرِ سببٍ شرعِيٍّ من غيرِ تقييدٍ بالصالحينَ الأولياء بالأكلِ من لحمِ أخيهِ ميتًا فما يكُونُ الذِى يَغْتَابُ أبا بكرٍ أو عُمَرَ أو عثمان أو أبا هُرَيرَةَ أو سَعْدَ بن مالك، أَلَيسَ هذا ذنبًا ومَعْصِيةً شَنِيعَةً. الله تعالى عظَّم حرمةَ المؤمِنِ فقد رُوِّينَا بالإسنادِ الصحيح أنَّ حُرمَةَ المؤمنِ عند اللهِ تعالى أعظمُ مِن حُرمَةِ الكَعْبَةِ[٢]. وأما غيبةُ الأتقياءِ الصالِحِينَ فمعصيةٌ كبيرةٌ مَن أكثرَ منها ولم يَتُبْ يكُونُ من أهلِ عذابِ القبرِ.

(١) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد باب رفع الأيدى فى الدعاء ومسلم فى صحيحه باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر.

(٢) رواه الترمذى فى سننه باب ما جاء فى تعظيم المؤمن، والبيهقى فى شعب الإيمان فصل فيما ورد من الأخبار فى التشديد على من اقترض من عرض أخيه المسلم شيئًا بسب أو غيره.

فما أعظمَ خُبثَ مَن يُعادِي واحدًا من السابقِينَ الأولينَ من المهاجرين والأنصار والذين اتَّبَعُوهُم بإحسانٍ وما أَعْظَم جهلَه إن أَقْدَمَ على الطَعْنِ فيمن زكَّاهُمُ الله.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الثالث والأربعون



تمييزُ الخُلطةِ الـمُحَرَّمَةِ للرجالِ بالنساءِ مِنْ غيرِها

درسٌ ألقاهُ الفقيهُ المحدثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ العَبْدَرِيُّ رحمهُ اللهُ تعالى وهو فِى بيانِ تمييزِ الخُلطةِ المحرَّمةِ للرجالِ بالنساءِ مِنْ غيرِها. سمِعَهُ منه الشيخُ عبدُ الرزاقِ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ جميلُ ابنُ محمد حليمٌ والشيخُ محمدُ بنُ مصطفى البكريُّ.
قال رحمه اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين وصلى اللهُ على سيدِنا محمدٍ أشرفِ المرسلين وعلى ءالهِ وصحبِه الطيبينَ الطاهرين.

أما بعد فقد قال الفقهاءُ الخُلْطَةُ المُحرَّمةُ بين الرجالِ والنساءِ هى التضامُّ والتلاصقُ وأما ما سوى ذلك فليس خُلْطَةً مُحَرَّمَةً إنْ لم تكنْ خَلوةٌ مُحرمةٌ[١] فقد كانتِ النساءُ فِى عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ يُصَلِّينَ خلفَ رسولِ اللهِ ﷺ وبعدَ صفوفِ الرجالِ مِنْ غيرِ أن يكونَ بين صفوفِ الرجالِ وصفوفِ النساءِ ساترٌ، والمسافةُ بين صَفِّ

(١) فِى المجموع شرحِ المهذَّبِ للنووىّ ما نصهُ ولأن اختلاطَ النساءِ بالرجالِ إذا لَم يكنْ خَلوة ليس بحرام اهـ

الرجالِ الذِى يلِى النساءَ وبين صَفِّ النساءِ مِقدارُ مترٍ وشىءٍ لأنه إذا بَعُدَ الصفُّ عنِ الإمامِ أو بَعُدَ الصفُّ الذِى بَعْدَهُ عنِ الصفِّ الذِى يلِى الإمامَ أكثرَ مِنْ ثلاثةِ أذرُعٍ يدويةٍ وذلك أقلُّ مِنْ مترٍ ونصفٍ كانَ ذلك مكروهًا فأما ما كانَ فيه تضامٌّ وتلاصقٌ فهو حرامٌ إذا كانَ عنْ تَعَمُّدٍ وإلَّا فليس حرامًا كالذِى يحصلُ فِى الطوافِ حولَ الكعبةِ وعند رَمْىِ الجمراتِ وعند المواجهةِ الشريفةِ أىِ الوقوفِ أمامَ رسولِ اللهِ ﷺ بالمدينةِ عندَ قبرِه الشريفِ مِنَ التضامّ الذِى هو غيرُ مُتَعَمَّدٍ بلْ مِنْ شدةِ الزحمةِ فلا يُقالُ فيه حرامٌ، فلمْ يَزَلِ المسلمونَ على ذلك إلى وقتِنا هذا[١] فالآن الوضعُ فِى المسجدِ الحرامِ وفِى مِنًى فِى محلِّ الرجمِ وفِى مسجدِ الرسولِ ﷺ لاَ يَزالُ على هذه الحالِ لَمْ يُخصَّصْ للرجالِ وقتٌ وللنساءِ وقتٌ بلْ يجتمِعُ الفريقانِ فِى المطافِ حولَ الكعبةِ وعندَ السلامِ على الرسولِ ﷺ فِى المسجدِ النبوِيّ وغيرِ ذلك.

وأما تعليمُ الرجالِ النساءَ الدينَ الشاباتِ وغَيْرَهُنَّ فهو أمرٌ اتفقَ المسلمونَ على جوازِهِ بلْ على وجوبِهِ فِى الجُملةِ فقدْ أتَى رسولُ اللهِ ﷺ إلى مجلسٍ فيه النساءُ يومَ عيدٍ خارجَ مسجدِ الرسولِ ﷺ ومعه بلالٌ رضِىَ

---

(١) فِى وقتِ إعطاءِ هذا الدرسِ لم يكنْ فصلٌ بين الرجالِ والنساءِ عندَ السلامِ على رسولِ اللهِ ﷺ بلْ كانتِ النِّسوةُ يقِفْنَ خلفَ الرجالِ عندَ السلامِ.

اللهُ عنه فوَعظَهُنَّ وذكَّرَهُنَّ وأمَرَهُنَّ بالتصدقِ[١] أىْ لمصالحِ المسلمينَ ليس لنفسِهِ لأنه يحرُمُ عليه أكلُ الصدقةِ ﷺ.

وكذلك المبايعةُ التِى أمرَهُ اللهُ تباركَ وتعالى أنْ يبايعَ النساءَ المؤمناتِ[٢] دليلٌ على جوازِ دعوةِ الرجالِ النساءَ إلى الدينِ وكذلك كانَ كثيرٌ مِنَ الصحابةِ تقصِدُهُمُ النساءُ والرجالُ للتعلُّم منْهُمْ كما أنَّ النساءَ مِنَ الصحابِيَّاتِ كانَ الرجالُ والنساءُ يقصِدُونَهُنَّ لعِلْم الدينِ كأُمّ الدرداءِ زوجةِ أبِى الدرداءِ[٣] ثُمَّ لمْ تَزَلْ بعدَ ذلك فِى العُصُورِ نساءٌ يَتَلَقَّيْنَ العلمَ مِنَ الرجالِ وكانَ رجالٌ يتلقَّوْنَ العلمَ مِنَ النساءِ بِلَا خَلوةٍ محرمةٍ كانَ فِى القرنِ الخامسِ الهِجرىِّ فِى دمشقَ عالمُ حديثٍ لمْ يكنْ له نظيرٌ فِى دمشقَ فِى ذلك الزمنِ يُقالُ له ابنُ عساكرَ تلقَّى الحديثَ مِنْ ألفِ رجلٍ وثلاثِمائةِ امرأةٍ، ومَنْ حَرَّمَ أو كَرَّهَ تعليمَ الرجالِ النساءَ الدينَ فهو كافرٌ باللهِ العظيم، فلمْ يَقُلْ رسولُ اللهِ ﷺ قَطُّ لا يُعلِّمُ الرجالُ الدينَ إلا رجالًا أمثالَهُم ولا قالَ قطُّ لا يتعلمُ الرجالُ الدينَ مِنَ النساءِ بلْ تعليمُ الدينِ بين الرجالِ والنساءِ واجبٌ ومَنْ قال خِلافَ ذلكَ فهو مُفترٍ فِى دينِ اللهِ عَدُوُّ دينِ اللهِ.

---

(١) رواه البخارِىُّ فِى صحيحِهِ كتابُ العيدين بابُ خروجِ النساءِ والحِيَّضِ إلى المصلَّى.

(٢) رواه البخارِىُّ فِى الصحيح كتابُ بدءِ الوحْىِ.

(٣) كما فِى البخارِىِّ كتابُ بدءِ الوحْىِ ذِكْرُ عددٍ ممن حدَّثَ عنها مِنَ الرجالِ.

وليس لهؤلاءِ المُحرّفِينَ لدينِ اللهِ حُجةٌ شرعيةٌ إلَّا قولُهُم بأفواهِهِم وليس بإمكانِهِم أنْ يأتُوا بآيةٍ أو حديثٍ صحيحٍ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ يُثْبِتُ ما يدَّعُونَ ونسألُ اللهَ تعالى أنْ يكفيَنا شَرَّهُمْ. وليتَ شِعْرِى ماذا يكسِبُونَ مِنْ هذا الافتراءِ على الدينِ. وفِى صحيحِ البخاريّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال **بَلِّغوا عنِّى ولو ءايةً**[1] اهـ فلو كان تبليغُ الرجالِ الدينَ للنساءِ مُحرَّمًا لقال لِيُبَلِّغِ الرجالُ عَنِّى الرجالَ والنساءُ النساءَ.

ولو كان الأمرُ كما يقولُونَ لَبَعَثَ اللهُ تعالى أنبياءَهُ للرجالِ ونَبِيَّاتٍ للنساءِ لكنَّهُ تبارَكَ وتعالى لمْ يُرسلْ نبياتٍ فكانَ فِى ذلك دليلٌ ظاهرٌ على أنَّ الدعوةَ إلى الدينِ فَرْضٌ مِنَ الفَريقَيْنِ للْفريقَيْنِ أنَّ ذلك مَطلوبٌ مِنَ الرجالِ إلى الرجالِ والنساءِ ومِنَ النساءِ إلى النساءِ والرجالِ فقَولُه ﷺ **بَلِّغوا عنِّى ولو ءايةً** حُكْمُهُ يَشمَلُ الذُّكورَ والإناثَ كما أنَّ قولَهُ تعالى فِى سُورةِ العَصْرِ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ شامِلٌ للرجالِ والنساءِ وإنْ وَرَدَ بلفْظِ التذكيرِ وليس مِنْ ذلك شىءٌ خاصٌّ بالرجالِ إلَّا ما خصَّهُ الشرعُ بالرجالِ وهكذا أغلَبُ النُّصوصِ القُرءانيةِ والحديثيةِ لا يَتَمارَى فِى ذلك إلَّا مُحَرِّفٌ لدينِ اللهِ.

انتهى واللهُ سبحانَه وتعالى أعلَم.

(١) رواه البخارِىُّ فِى الصحيحِ بابُ ما ذُكِرَ عنْ بنِى إسرائيل.

الدرس الرابع والأربعون



الكلامُ عنْ بعضِ الكبائرِ

درسٌ ألقاهُ المحدِّثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدريُّ الهرريُّ رحمَهُ اللهُ تعالى سنةَ ثمانٍ وتسعينَ وثلاثمائة وألف وهو فِى بيانِ بعضِ الكبائرِ. سمِعَهُ منه الشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ. قال رحمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ وصلّى اللهُ وسلمَ على سيدِنا محمدٍ وعلى ءالِهِ وصحبِهِ الطيبينَ الطاهرينَ.

أما بعد فقد رُوِّينا بالإسنادِ المتصلِ فِى صحيحِ الإمامِ ابنِ حبانَ البُسْتِىّ رحمَهُ اللهُ بإسنادِهِ إلى أبى أيوبَ الأنصارِىِّ رضِىَ اللهُ عنه قال قال رسولُ اللهِ ﷺ **ما مِنْ عبدٍ يعبدُ اللهَ لا يُشركُ به شيئًا ويُقيمُ الصلاةَ ويُؤْتِى الزكاةَ ويَصومُ رمضانَ ويجتنبُ الكبائرَ إلَّا دخَلَ الجنةَ**[(١)] اهـ يعنِى رسولُ اللهِ ﷺ أنَّ مَنْ فَعَلَ ذلك دخَلَ الجنةَ بلَا عذابٍ فِى القبرِ ولَا فِى الآخِرَةِ. فعلى هذا المُسْلمِ يَنطبِقُ قولُ اللهِ تعالى فِى الآيةِ الكريمةِ فِى سورةِ ءالِ عِمران ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ

(١) رواه ابنُ حبانَ فِى صحيحِهِ بابُ ذكرِ البيانِ بأنَّ الجنةَ إنما تجبُ لمن ءاتى الزكاةَ معَ سائرِ الفرائِضِ وكان مجتنِبًا للكبائرِ.

أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾. فهذا المسلمُ الذِى فَعَلَ ما ذُكِرَ فهو الذِى يُزَحْزَحُ أىْ يُبْعَدُ عنْ نارِ جهنَّم ويُدْخَلُ الجنةَ وهو الذِى يَنطبِقُ عليه قولُه تعالى فِى سُورةِ الكهفِ ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ فكلٌّ مِنْ أهلِ الجنةِ راضٍ بِمُقَامِهِ فيها لا يَمَلُّ مِنْ طُولِ مُقَامِهِ ولا يَسْتَقِلُّ ما هو فيه مِنَ النِّعَمِ فِى تلك الحياةِ الأبديةِ الدائِمَةِ.

ثم هذا الحديثُ يَتَحَمَّلُ مِنَ الشرحِ الكثيرَ والتفصيلَ الواسعَ لكننا نقتَصِرُ اليومَ على شرحِ قولِهِ ﷺ **ويَجتنبُ الكبائِرَ** اهـ فالكبائرُ هِىَ الذنوبُ التِى تُشعِرُ بأَنَّ فاعِلَها غيرُ مُكترِثٍ بالدِّينِ أىْ قليلُ المبالَاةِ، وهِىَ مِنْ حيثُ التَّعْدادُ قريبٌ مِنَ السبعين[1]. منها أكلُ الربا وهو أنواعٌ وأعظَمُهُ أنْ يُقْرِضَ الرجلُ مالًا لغيرِه ويَشترِطَ جَرَّ مَنفعةٍ لنفسِهِ أو له ولِلمُقترِضِ سواءٌ كان الشرطُ الزيادةَ فِى المقدارِ أو أنْ يُسكِنَه بيتَهُ مَجانًا إلى أن يَرُدَّ له المالَ.

ومِنَ الكبائِرِ شُرْبُ الخمرِ ولو كانت خَمْرَ شعيرٍ.

ومنها السِّحرُ سواءٌ كان للتحبيبِ بين اثنينِ أو للتبغيضِ أو لِتَخْبِيلِ العقلِ أىْ لِيُصابَ بالجنونِ أو كان لتسليطِ الأمراضِ على المسحُورِ سواءٌ كان مِنْ عَدُوٍّ إلى عَدُوٍّ أمْ مِنْ زَوْجَةٍ إلى زوجِها لِيُطِيعَها فِى كلِّ شىءٍ أمْ

(١) أخرجَ عبدُ الرزاقِ فِى مُصنفِهِ باب الكبائرِ أنه قيلَ لابنِ عباسٍ الكبائرُ سبع قال هِىَ إلى السبعينَ أقرب اهـ

مِنْ أُمِّ الزوجةِ حتَّى يكونَ زوجُ بنتِها مُطيعًا لها لا يخالفُ لها أمرًا.

ثُمَّ السحرُ أنواعٌ منه ما لا يَتِمُّ إلا بعبادةِ الشيطانِ أىْ بالسجودِ له ومنه ما يكونُ فيه كلماتٌ غيرُ مفهومةِ المعنَى وتكونُ هِىَ فِى الحقيقةِ رُموزًا يُحِبُّها الشياطينُ يقضُونَ لمن يستعمِلُها بُغْيَتَهُ وطَلَبَهُ. وقد يخلِطُونَ فِى عَمَلِ السحرِ مِنَ الآياتِ القُرءانيةِ للإيقاعِ بالناسِ فِى الكفرِ باعتِقَادِهِم أنَّ القُرءانَ يدخُلُ فِى السحرِ فالذِى يَظُنُّ أنَّ القُرءانَ يدخُلُ فِى عمَلِ السحرِ فقدْ خرَجَ مِنَ الإيمانِ وذلك مقصُودُ الشيطانِ فكثيرًا ما يكونُ الذينَ يستعمِلُونَ السحرَ أناسًا ينتسِبُونَ إلى بعضِ الطرُقِ ويشتغلُونَ معَ ذلك بالشَّعْوَذَةِ والسِّحرِ، يظنُّهُمُ الناسُ مشايخَ هُداةً يُقَرِّبُونَ الناسَ إلى اللهِ وهمْ يُبعِدُونَ الناسَ عنِ اللهِ، خَلَطَ عليهِمُ الشيطانُ الأُمورَ.

ومِنَ الكبائِرِ أنْ يقتطعَ حقّ امرِئٍ مُسْلِمٍ بيَمِيْنٍ كاذِبَةٍ.

ومِنَ الكبائِرِ أن يُضَيِّعَ الإنسانُ نفقةَ زوجتِهِ أو نفقةَ أولادِهِ الصغارِ أو نفقةَ والدَيْهِ الفقيرَيْنِ معَ المقدِرَةِ[١].

ومنها قتلُ البهيمةِ بالجوعِ والعطشِ[٢].

ومِنَ الكبائرِ ضربُ المسلمِ ضربًا مُبَرِّحًا بغيرِ حقٍّ

---

(١) رواه أبو داود فى سننه باب فى صلة الرحم.

(٢) رواه البخارى فى صحيحه باب خمس من الدواب فواسق. ورواه مسلم فى باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الذى لا يؤذى.

كَمَنْ يضرِبُ زوجتَهُ مِنْ أجلِ أنها تُخالِفُهُ فِى أمرٍ ليس واجبًا شرعًا عليها كالذِى يَضرِبُ زوجتَهُ لأنها لم تَصنعِ الطبيخَ جَيِّدًا أو أنها لم تذهبْ معه للنُّزْهةِ لأمكنةٍ خَبِيْثَةٍ فيها مُنكَراتٌ بلْ هذا الثانِى ذنبُهُ مُضاعفٌ لأنه أرادَ إكراهَهَا على محرَّم حرَّمَهُ اللهُ تعالى، لكنها إنْ طاوَعَتْهُ بغيرِ عُذْرٍ فِى فِعْلِ المُحرَّمِ فعَلَيْهَا ذنبٌ أيضًا.

ومِنَ الكبائِرِ امتِنَاعُ الزوجةِ إذا دَعَاهَا زَوْجُهَا للفِرَاشِ بغيرِ عُذرٍ شَرْعِيٍّ فإنَّها تكونُ مِنْ أهلِ الكبائرِ حتَّى إنَّه وَرَدَ فِى الحديثِ الصحيحِ أنَّ المرأةَ التِى تَبِيْتُ وزَوْجُها غَضْبَانُ عليها مِنْ أجلِ تَمَنُّعِهَا مِنَ الفِراشِ بلَا عُذْرٍ شَرْعِيٍّ فإنَّ الملائكةَ تلعَنُهَا إلى الصَّبَاحِ[١]. والعجبُ أنَّ كثيرًا مِنَ النِّساءِ يُحَافِظْنَ على أمرِ الطبيخِ وتنظيفِ البيتِ ولا يُحافِظْنَ على هذا الحقِّ الذِى فُرِضَ شَرعًا. قال رسولُ اللهِ ﷺ **إذا دَعَا الرجلُ زَوْجَتَهُ[٢] فَلْتَأْتِهِ ولو كانت على التَّنُّورِ**[٣] اهـ

ومِنَ الكبائِرِ تركُ تعلُّم العِلْم الشَّرعِيّ الضَّرُورِيّ[٤] ولو بالمُشافَهَةِ مِنْ غيرِ كِتابةٍ ولاَ تَقْيِيْدٍ لا فَرْقَ فِى ذلك

(١) رواه البُخارِيُّ فِى صحيحِهِ كتاب بدءِ الوَحْى.
(٢) أى دعاها للاستمتاع بها.
(٣) رواه الترمذِيُّ فِى السُّننِ باب حقّ الزَّوجِ على المرأةِ.
(٤) قال فِى فيضِ القديرِ شرحِ الجامعِ الصغيرِ ما نصُّه (فإنَّ طلبَ العلم فريضَةٌ على كلِّ مُسْلِم) مُكلَّفٍ وهو العِلْمُ الذِى لا يُعْذَرُ المكلَّفُ فِى الجهلِ به كمعرفةِ الصانِعِ وما يجبُ له وما يستحيلُ عليه ومعرفةِ رُسُلِهِ وكيفيةِ الفُرُوضِ العَيْنِيَّةِ اهـ

بين الرجلِ والأُنْثَى لأنَّ مَنْ لا يتعلَّمُ يقعُ فِى الكبائِرِ شاءَ أمْ أَبَى ولا يَضْمَنُ صحةَ صَلاتِهِ ولا صيامِه ولا زكاتِه ولا زواجِه فكمْ مِنَ الناسِ يعيشُونَ بالمُعاشَرَةِ المُحَرَّمَةِ مِنْ شِدَّةِ الجهلِ كالذِينَ يُطَلِّقُونَ بالثلاثِ ثُمَّ يَستَمِرُّونَ بمُعَاشَرَةِ زَوجَاتِهِمُ اللَّواتِى طَلَّقُوهُنَّ فيَقَعُونَ فِى الزِّنَى عندَ اللهِ.

انتهى واللهُ سُبحَانَهُ وتعالى أعلَم.

الدرس الخامس والأربعون



بيان التفصيل فى البدعة (١)

درسٌ ألقاه الأصولِيُّ المحدثُ الشيخ عبد الله بن محمد الشيبىّ العبدرىّ رحمه الله تعالى فى بيروت وهو فى بيان البدعة. سمعه منه الشيخ نبيل بن محمد الشريف والشيخ سمير بن سامى القاضى. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين له النعمةُ وله الفضلُ وله الثناءُ الحسنُ وصلواتُ اللهِ البَرِّ الرحيمِ والملائكةِ المقربينَ على سيدنا محمدٍ أشرفِ المرسلينَ وعلى جميعِ إخوانِهِ النبيينَ والمرسلينَ وسلامُ اللهِ عليهم أجمعين.

أما بعدُ فقَد رَوَينا فى صحيحِ مسلمٍ وغيرِهِ مِن حديثِ جريرِ بنِ عبدِ اللهِ البَجَلِىّ رضىَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ **مَنْ سَنَّ فى الإسلامِ سنّةً حسنةً فلهُ أجرُها وأجرُ مَن عمِلَ بها لا يَنْقُصُ مِن أجورِهِم شىءٌ ومَن سَنَّ فى الإسلامِ سنّةً سيّئةً فعليهِ وِزرُها ووِزرُ مَن عمِلَ بها لا يَنْقُصُ مِن أوزارِهِم شىءٌ** اهـ هذا الحديثُ أصلٌ فى إثباتِ البدعةِ الحسنةِ المسماةِ بالبدعةِ المستحبّةِ أيضًا لأنَّ قولَهُ ﷺ **سُنَّةً حسنةً** فى مقابلِ السّنةِ

السيّئةِ لفظٌ عامٌّ يشملُ كلَّ ما استُحدِثَ على وِفاقِ الكتابِ والسّنةِ أىْ ليسَ على خلافِهما فهوَ داخلٌ فى قولِهِ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ **مَن سَنَّ فى الإسلامِ سنّةً حسنةً فلهُ أجرُها** اهـ وإنْ كانَ سَببُ هذا الحديثِ أنَّ أناسًا مُجْتَابِى النِّمار[1] أىْ مِن شدّةِ البُؤسِ والفَقرِ خَرقوا أوساطَ نِمارِهم فأدخلُوها عليهِم فأدنَوا جوانِبها على أبدانِهم لسَترِ العورةِ، ما كانوا يجدونَ قَميصًا ولا إزارًا والإزارُ هوَ ما يُلبَسُ على النّصفِ الأسفلِ مِن شِدّةِ الفقرِ والبؤسِ إلا ثوبًا واحدًا عَريضًا طويلًا كانوا خَرقوا وسطَهُ ليستُروا جوانبَ أبدانِهم، ليستُروا العورةَ وهؤلاءِ لَم يَكونوا مِن أهلِ المدينةِ بل جاءوا إليها للاجتماعِ برسولِ اللهِ ﷺ فلمَّا رأى رسولُ اللهِ ﷺ هؤلاءِ فى هذهِ الحالةِ فى حالةِ البؤسِ التى بهِم تغيّرَ وجههُ حَزَنًا عليهِم فحثَّ على أنْ يُتصدّقَ عليهِم فَجُمِعَ لهم شىءٌ لتفريجِ كربتِهم وإخراجِهم منَ البؤسِ الذى هم فيهِ ففرِحَ رسولُ اللهِ ﷺ، بدَا الفَرَحُ على وجههِ لما جُمعَ لهم شىءٌ يقضونَ بهِ حوائجهُم فعندئذٍ قالَ **مَن سنَّ فى الإسلامِ سنّةً حسنةً فلهُ أجرُها وأجرُ مَن عمِلَ بها لَا ينقصُ مِن أجورِهم شيئًا** هذا الحديثُ وردَ على هذا السَّببِ لكنْ معناهُ عامٌّ وعلماءُ الأصولِ قالوا إذا كانَ النّصُّ وردَ على سببٍ وكانَ اللفظُ عامًّا فيُعتبرُ العمومُ لَا يُعتبرُ خصوصُ السَّببِ.

---

(١) النمار جمع نمرة كساء فيه خطوط بيض وسود.

هؤلاءِ الذينَ يُعادونَ البدعةَ الحسنةَ التى ليسَت مما يوافقُ أهواءَهم يقولونَ هذا الحديثُ وردَ فى مثلِ هذهِ الصَّدقةِ وليسَ عامًّا وهذا مردودٌ بالقاعدةِ الأصوليّةِ العبرةُ بعُمومِ اللفظِ لَا بخصوصِ السَّببِ(١) فلا يُبالِ المؤمنُ إذا وجدَ أمرًا استحسنهُ العلماءُ الماضونَ الثّقاتُ الأتقياءُ بإنكارِ مَن أنكرهُ. كلُّ ما استحدثهُ أولئكَ العلماءُ الأتقياءُ فهوَ داخلٌ تحتَ قولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ **مَن سَنَّ فى الإسلامِ سنّةً حسنةً فلهُ أجرُها** ليسَ الحديثُ خاصًّا بالصّدقةِ فى مثلِ تلكَ الحالةِ التى هىَ سَببُ ورودِ الحديثِ ومَنِ ادَّعى التّخصيصَ فقَد خالفَ عُلماءَ الأصولِ. ثمَّ شاهدُ الحالِ يَقضِى بذلكَ وذلكَ أنَّ القرءانَ لما كتبهُ الصّحابةُ مِن لفظِ الرسولِ، كُتَّابُ الوحيِ لما كتَبوهُ مِن لفظِ الرّسولِ ﷺ ما كانَ مَنقوطًا ما كانتِ الباءُ لها نقطة والتاءُ لم تكُن منقوطةً. هذا النَقْطُ حصلَ بعدَ وفاةِ رسولِ اللهِ ﷺ بزمانٍ.

أولُ مَنْ نَقَط المصاحفَ فوضعَ للباءِ نقطةً وللتاءِ نقطتينِ ونحوَ ذلكَ هوَ يحيى بنُ يَعْمَرَ. هذا مِن ثقاتِ التّابعينَ ليسَ مِن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ هوَ مِن أجلّاءِ التّابعينَ وهوَ أوّلُ مَن نَقَطَ المصاحفَ. هذا أيضًا يدخلُ تحتَ قولِ الرّسولِ ﷺ **مَن سنَّ فى الإسلامِ سنّةً حسنةً**. الصّحابةُ مَا قالوا لهُ أنتَ كيفَ تعملُ شيئًا لم

(١) كما قاله الرازى فى المحصول.

يَفعلْهُ رسولُ اللهِ. ما قالوا لهُ الرّسولُ ﷺ ما قالَ ضَعُوا النّقطةَ للباءِ وللتاءِ وغيرِ ذلكَ، ما اعترضهُ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ، مَا عارَضُوهُ، مَا قالوا لهُ بئسَ العملُ مَا عمِلتَ بلِ استحسنوهُ وذلكَ لأنَّ فيهِ نفعًا كبيرًا. أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ اقتَصروا على كتابةِ المصحفِ مُجَرّدًا منَ النَّقطِ والحركاتِ والتّعشيرِ، والتّعشيرُ هوَ وَضعُ علامةٍ على كلّ عَشْرِ ءاياتٍ وهذهِ العلاماتُ بعدَما أحدثَ يحيى بنُ يَعمَر النَّقَطَ أُحْدِثَتْ. وكتابةُ الصّحابةِ للمصحفِ معَ تركِ التنقيطِ كانَ فيهِ نظرٌ إلى أنَّ القرءانَ أُنزِلَ على سَبعةِ أحرُفٍ، الكلمةُ الواحدةُ أحيانًا تُقرأُ عندَ بعضِ القُرّاءِ بالتاءِ وعندَ الآخَرينَ بالياءِ فالمصحفُ لـمّا كُتبَ بدُونِ تنقيطٍ صارَ صالحًا لهذهِ القراءةِ ولهذهِ القراءةِ لهذهِ الحكمةِ أيْ حتى يكونَ المصحفُ مُوافقًا لهذهِ القراءةِ ولهذهِ القراءةِ كتبوهُ بلا نَقْطٍ لذلكَ الصَّحابةُ سَكتوا على تجريدِ المصحفِ منَ النُقَط ولم يَسُنُّوا نَقْطَهُ لكنْ لما كانَ النَقْطُ أيضًا فيهِ مصلحةٌ كبيرةٌ ولا سيّما على غيرِ العربِ لأنَّ غيرَ العربِ لَا يَسهلُ عليهِمُ النُّطقُ بالمصحفِ كسهولةِ النُّطقِ بهِ على العربِ الفصحاءِ الذينَ كانوا فى زَمنِ الوَحيِ والتنزيلِ أيْ شهِدوا الوحيَ والتنزيلَ إذا كانَ غيرَ منقوطٍ، لأجلِ هذهِ المصلحةِ مَا أُنكرَ على يحيى بنِ يعمَر فِعلُهُ.

هذا التّابعيُّ الجليلُ هوَ أولُ مَن نَقَطَ المصاحفَ فهذا

العملُ الذى عمِلَهُ منَ السّنةِ الحسنةِ ويُسمّى بدعةً حسنةً ويسمّى بدعةً مستحبّةً. فالذى يقولُ البدعةُ الضّلالةُ المحرّمةُ هىَ كلُّ ما لم يَفعلْهُ رسولُ اللهِ ﷺ فليبدَأ بإزالةِ النُّقَطِ منَ المصاحفِ، قبلَ أنْ يتكلَّمَ على البدع الحسنةِ التى استحدَثها علماءُ الإسلامِ فليبدَأ بكشطِ[١] النُّقَطِ منَ المصاحفِ إنْ كانَت عندَهُ هذهِ القاعدةُ صحيحةً أىْ زَعمُهُ أنَّ كلَّ ما لم يفعلْهُ رسولُ اللهِ ﷺ فهوَ بدعةُ ضلالةٍ. إنْ كانتْ هذهِ القاعدةُ عندهُ صحيحةً فليبدأْ بالمصاحفِ.

ثمَّ منَ المتّفقِ عليهِ عندَ علماءِ المصطلحِ أمرٌ استحدثهُ علماءُ الحديثِ، استحدثوهُ ولَم يثبُتْ ذلكَ عَن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ نصًّا ولا عَن رسولِ اللهِ ﷺ إنّما هُم استحدثوهُ واستحبّوهُ قالوا فى كتبِ المصطلحِ ككتابِ تدريبِ الرّاوى للحافظِ السّيوطىّ وكتابِ مقدّمةِ علومِ الحديثِ للحافظِ أبى عمرٍو بنِ الصّلاحِ وغيرِهما إنَّ عقدَ مجلسِ الإملاءِ أىْ إملاءِ الحديثِ مُستحبٌّ قالوا يُستحبُّ أنْ يُبدَأ بالبَسملةِ والحمدلةِ والصّلاةِ على النّبىّ وقراءةِ شىءٍ منَ القرءانِ ثمَّ يقولُ المبلّغُ عنِ المحدّثِ وكانَ مِن عاداتِهم أنَّ المحدّثَ يتلُو الحديثَ وءاخرَ يبلّغُ عنهُ لأنهُ كانَ فى تلكَ العصورِ مجلسُ الحديثِ يَكثرُ حاضِروهُ كانَ يحضرُ ءالافٌ مجلسَ الحديثِ فلذلكَ المحدّثُ كانَ يحتاجُ إلى أنْ ينصِبَ

---

(١) كشَطَه قَلَعه ونزَعه وكشَفه عَنْهُ كما فى لسان العرب.

مُبلّغًا فهذا المبلّغُ يقولُ بعدَ تقديمِ البَسملةِ والحمدلةِ والصّلاةِ على النّبىّ وقراءةِ شىءٍ مِنَ القرءانِ بعدَ هذهِ الأمورِ الأربعةِ يقولُ مَنْ ذَكَرْتَ رحمكَ اللهُ. هذا الخطابُ للمحدِّثِ. المُسْتَمْلِى يخاطبُ المحدِّثَ بهذا الكلامِ يقولُ مَن ذكرتَ رحمكَ اللهُ أو ما ذكرتَ رحمكَ اللهُ فيبدَأُ المحدّثُ بالتحديثِ يقولُ حدّثنا فلانٌ قالَ حدّثنا فلانٌ إلى أنْ يَنتهىَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فيذكرَ لفظَ الحديثِ.

هذا عَقَدَ لهُ علماءُ الحديثِ فى كتبِ المصطلحِ ترجمةً، جعلوهُ ترجمةً مستقلّةً، هذا مِن جملةِ البِدَعِ المستحبّةِ لأنَّ الرَّسولَ ﷺ مَا فعلَ هذا ولا أبو بكرٍ ولا عمرُ ولا عثمانُ ولا أبو هريرةَ ولا عبدُ اللهِ بنُ عبّاسٍ ولا عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ ولا أبو سعيدٍ الخُدْرِىُّ ولا غيرُهم مِن أصحابِ رسولِ اللهِ الذينَ كانوا يحدّثونَ الذينَ أخَذوا الكثيرَ منَ الحديثِ عَن رسولِ اللهِ ﷺ، مَا عمِلوا هذا الشّىءَ إنما أحدُهم كانَ يقولُ سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ كذا وكذا أو قالَ رسولُ اللهِ ﷺ كذا وكذا مِن دونِ تقديمِ هذهِ الأشياءِ التى استَحبَّها واستحدَثها علماءُ الحديثِ فهؤلاءِ المشوّشونَ ماذا يقولونَ عَن هذا، هُم يَدَّعُونَ أنّهم مِن أهلِ الحديثِ وأهلُ الحديثِ هُم ابتدَعوا هذهِ البِدعةَ الحسنةَ، ماذا يقولونَ.

العجبُ مِن هؤلاءِ. أشياء يَرتكبُونها وهىَ بدعٌ قبيحةٌ

ولَا يَشعرونَ بأنهم ارتكبوا بدعةً قبيحةً. أنا أعرفُ أحدَ رؤوسِهم يَكتبُ فى مؤلفاتهِ عندَ ذكرِ اسم النّبىّ صَادًا مجرَّدةً بدلَ أنْ يَكتُبَ ﷺ وهذا الرّجلُ نفَسُهُ هوَ الذى قالَ عنِ الصّلاةِ على النّبىّ ﷺ على المئذنةِ جَهرًا بصوتِ الأذانِ إنها بدعة محرمة وقالَ بعضُ جماعتهِ عنها هذا حرام هذا مثل الذى يَنْكِحُ أُمَّهُ. كيفَ شَبَّهَ هذا بالزّنى بالأمّ. لولا فسادُ قلبهِ ما كانَ يَتجرّأُ على هذا. الصّلاةُ على النّبىّ بعدَ الأذانِ سنّةٌ شرعيّةٌ إنْ كانتْ جَهرًا وإنْ كانتْ بالإسرارِ لأنَّ الرَّسولَ ﷺ قالَ **مَن ذكرَنى فلْيُصلّ علَىَّ**[1] اهـ هذا المؤذّنُ أليسَ ذكرَهُ لما قالَ أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ثمَّ أنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ أليسَ ذَكَرَ النّبىَّ إذَنْ مَطلوبٌ منهُ أنْ يُصلِّىَ على النّبىّ، عَمِلَ بالحديثِ. ولم يَقُل الرّسولُ ﷺ فليُصلِّ علىَّ سرًّا ولَا يُصلِّ علىَّ جهرًا. مِن أينَ لهم تحريم الصلاة على النبىّ عقب الأذان من المؤذن جهرًا. مِن أينَ لهم. وأخبَثُ من ذلكَ تَشبيهُ الذى شبَّهَ هذهِ البدعةَ الحسنةَ بنكاحِ الأمّ. أيكونُ مثلُ هؤلاءِ دعاةً إلى شريعةِ اللهِ. لا يكونُ بل هؤلاءِ محرّفونَ لشريعةِ اللهِ ولَيسوا دعاةً إلى شريعةِ اللهِ ولَا سَلفيّينَ بل هُم عكسُ السَّلفِ لكنْ ليَخدَعوا النّاسَ يَقولون نحنُ سلفيّونَ.

أعودُ أقولُ إنْ كانوا يَدَّعونَ أنَّ كلَّ ما لَم يَفعلْهُ رسولُ اللهِ ﷺ بدعةٌ ضلالةٌ فليَبدأوا بكَشطِ النُّقَط منَ

(١) رواه أبو يعلى الموصلى فى مسنده.

المصاحفِ قبلَ أنْ يتكلّموا على الصّلاةِ على النبىّ جَهرًا بصوتِ الأذانِ على المئذنةِ وقبلَ أنْ يُنكروا عملَ المولدِ فى شَهرِ ربيعِ الأوّلِ الذى استَحدثهُ عالمٌ فاضلٌ مَلِكٌ مجاهدٌ تقىٌّ ثُمَّ وافقهُ علماءُ الحديثِ على فِعلهِ هذا، مَلِكٌ يقالُ لهُ الملِكُ المظفَّرُ كانَ هوَ ملكَ إربلَ اللهُ تباركَ وتعالى ألهمَهُ فى شهرِ ربيعِ الأولِ عَمِلَ مأْدُبَةً طويلةً ذَبَحَ فيهِ ذبائحَ منَ الأغنامِ ءالافًا منَ الأغنامِ وأَحضرَ منَ الحَلْوَيَاتِ وجَمَعَ العلماءَ والفقهاءَ والزّهادَ الصّوفيّينَ جمعَ هؤلاءِ وجمعَ الوُجهاءَ فى ناحيتهِ وعمِلَ هذا المولدَ إظهارًا بالفَرحِ بوجودِ رسولِ اللهِ ﷺ وبُروزهِ إلى الدّنيا فى ذلكَ الوقتِ إظهارًا لشُكرِ اللهِ تباركَ وتعالى على هذهِ النّعمةِ العظمى بُرُوزِ سيّدنا محمّدٍ ﷺ فى مثلِ ذلكَ الوقتِ فاستحسنهُ علماءُ الحديثِ حتى إنَّ منهُم حافظًا مِن حفّاظِ الحديثِ يقالُ لهُ ابنُ دِحْيَةَ منَ المغربِ كانَ خرجَ منَ المغربِ يقصدُ أن يَزورَ البلادَ الشَّرقيةَ ثمَّ صادفَ هذا الوقتَ الذى كانَ عمِلَ فيهِ هذا الملِكُ المظفّرُ المولدَ لأولِ مرَّةٍ وكانَ ذلكَ فى أواخرِ المائةِ السّادسةِ الهجريّةِ هذا الحافظُ المحدّثُ ابنُ دحيةَ عمِلَ لهُ كتابًا فى المولدِ سمّاهُ التنويرَ فى مولدِ البشيرِ النّذيرِ ﷺ. كلُّ العلماءِ الذينَ كانوا فى ذلكَ الوقتِ مِن محدّثينَ حفاظِ الحديثِ وفقهاءَ وصوفيينَ كلُّهم رَضُوا بهذا العملِ مَا اعتبروهُ شيئًا مِن بدَعِ الضَّلالةِ.

ثمَّ لو كانَ هؤلاءِ المشوّشونَ سَلِموا مِنْ كُلّ ما

استحدثَ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ لقالَ القائلُ هؤلاءِ يحاربونَ كلَّ ما استُحدِثَ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ لكنّهم متلبّسونَ ببدعٍ قبيحةٍ مثلِ كتابةِ صلعَم عندَ ذكرِ اسمِ النبيّ ﷺ فهذهِ بدعةٌ قبيحةٌ.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس السادس والأربعون



بيان التفصيل فى البدعة (٢)

درسٌ ألقاه الأصولِىُّ المحدث الشيخ عبد الله بن محمد الشيبىّ العبدرىّ رحمه الله تعالى فى بيروت وهو فى بيان البدعة. سمعه منه الشيخ سمير بن سامى القاضى والشيخ نبيل بن محمد الشريف وهو تتمة الدرس السابق فى بيان تفصيل البدعة. قال رحمه الله تعالى رحمة واسعةً

أما بعد فما أُحدِثَ على خلافِ الكتابِ والحديثِ والإجماعِ فهوَ بدعةُ ضلالةٍ. وأما ما أُحدِثَ ولَم يَكن مخالفًا للكتابِ ولا للسّنّةِ ولا للإجماعِ ولا للأثرِ فهذهِ بدعةُ هدى. هذا التّعريفُ مَنْ عَرَفَهُ عرفَ معنى البِدعةِ التى قالَ عنها رسولُ اللهِ ﷺ **فإيّاكم ومحدَثاتِ الأمورِ فإنَّ كلَّ محدَثةٍ بدعةٌ وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**(١) اهـ مَن عرفَ هذا التّفسيرَ الذى هوَ للإمامِ الشّافعىّ رضىَ اللهُ عنهُ عرفَ معنى البدعةِ التى ذمَّها رسولُ اللهِ ﷺ وعرفَ البِدعةَ التى لَم يَعْنِها رسولُ اللهِ ﷺ بهذا الحديثِ بَل عرفَ أيضًا مَعنى الحديثِ الآخرِ حديثِ جريرِ بنِ عبدِ اللهِ البَجَلىّ **مَن سنَّ فى الإسلامِ سنّةً حسنةً** فإنَّ كِلا

---

(١) رواه أبو داود فى سننه باب فى لزوم السنة.

الحديثَينِ صحيحٌ فإذا صحَّ حديثانِ وكانَ بينَهما بحسبِ الظّاهرِ تعارضٌ فعلماءُ الحديثِ وعلماءُ الأصولِ يقولونَ يُجمَعُ بينَهما أىْ يُوَفَّقُ بينَهما كما وفَّقَ علماءُ السّنةِ بينَ حديثِ العِرباضِ بنِ ساريةَ الذى فيهِ **فإنَّ كلَّ محدَثةٍ بدعةٌ وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ** وبينَ حديثِ جريرِ بنِ عبدِ اللهِ **مَن سنَّ فى الإسلامِ سنةً حسنةً فلهُ أجرُها وأجرُ مَن عمِلَ بها** إلى ءاخرِهِ. التّوفيقُ بينَ هذينِ الحديثَينِ الصَّحيحَينِ حقٌّ واجبٌ. وأما التّشبّثُ بظاهرِ حديث العِرباضِ بنِ ساريةَ الذى فيهِ **وكلُّ محدَثةٍ بدعةٌ وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ**، التّشبّثُ بظاهرِ هذا الحديثِ وإلغاءُ الحديثِ الآخرِ فذلكَ مخالفٌ لطريقِ المحدِّثينَ وطريقِ الأصوليّينَ وهوَ عملٌ مردودٌ لَا يُلتَفتُ إليهِ فكثيرٌ منَ النّاسِ جاءَتهُم مصيبتُهم مِن جَهلِهم بالتّوفيقِ والجمعِ بينَ الحديثَينِ فيَتركونَ الجمعَ بينَ الحديثَينِ اللذينِ هما متعارضانِ بحسبِ الظّاهرِ ويأخذونَ بأحدِهما ويتركونَ الآخرَ ويُلْغونَهُ معَ كونِ كلٍّ منَ الحديثَينِ صَحيحًا ثابتًا. حتى لو كانَ أحدُهما فى مرتبةِ الصّحيحِ والآخرُ فى مرتبةِ الحسنِ يَلزمُ التوفيقُ بينَهما والجمعُ. فعليكُم بهذا التعريفِ الذى قالهُ الإمامُ الشّافعيُّ رضىَ اللهُ عنهُ وَقَبِلَهُ غيرُهُ منَ العلماءِ الذينَ جاؤوا بعدهُ كالبَيهقىّ والحافظِ ابنِ حجرٍ وغيرِهما، أما ما عَرّفَ بهِ البدعةَ كتابٌ يُسمَّى الاعتصامَ للشّاطبىّ المالكىّ فإنهُ لَا يُعطِى الحقيقةَ بَل يُورثُ مُطالِعَهُ ارتباكًا يؤدِّى بهِ إلى التباسِ الأمرِ ويُطيلُ النَّفَسَ فى هذا الأمرِ بما لَا طائلَ تحتَهُ ولذلكَ أوهمَ

كثيرًا منَ النّاسِ خلافَ المعنى المقصودِ وشوَّشَ أفكارَهُم.

ثمَّ إنَّ هذا التقسيمَ الذى أتى بهِ الإمامُ الشّافعىُّ رضىَ اللهُ عنهُ لهُ دليل، يشهَدُ لهُ حَديثانِ مِن أحاديثِ النبىّ ﷺ أحدُهما حَديثُ **مَنْ أحدثَ فى أمرِنا هذا ما ليسَ منهُ فهوَ رَدٌّ** اهـ هذا رواهُ البُخارىُّ، ولمسلمٍ روايةٌ ثانيةٌ لهذا الحديثِ وهىَ **مَن عمِلَ عَملًا ليسَ عليهِ أمرُنا فهوَ رَدٌّ** اهـ هذانِ الحديثانِ وهما فى المعنى حديثٌ واحدٌ يشهدانِ لما قالهُ الشّافعىُّ رضىَ اللهُ عنهُ فى تفسيرِ البدعةِ فإنَّ قولهُ عليهِ الصّلاة والسّلامُ **مَن أحدثَ فى أمرِنا هذا ما ليسَ منهُ فهوَ رَدٌّ** اهـ لهُ مَنطوقٌ ومفهومٌ مَنطوقُهُ ذمُّ ما أُحْدِثَ فى هذا الدّينِ مما هوَ ليسَ منهُ هذا مَنطوقُ هذا الحديثِ وأما مفهومُهُ فهوَ أنَّ ما أُحْدِثَ فى هذا الأمرِ أىْ فى هذا الدّينِ مما هوَ منهُ أىْ ما يُوافقُهُ فإنهُ ليسَ رَدًّا أى ليسَ مَردودًا، هوَ هذا الحديثُ هؤلاءِ المَفْتُونونَ يَمُرُّونَ عليهِ لأنهُ حَديثٌ مشهورٌ رواهُ النّووىُّ فى كتابهِ الأربعينَ ومعَ هذا مَا هداهُمُ اللهُ لفهمِ معناهُ. لَو فهِموا معناهُ لعَرفوا أنهُ ليسَ جميعُ الـمُحْدَثَاتِ مَردودةً إنما المردودُ هوَ الـمُحْدَثُ على خلافِ هذا الدّينِ، إذًا يُفْهَمُ مِن هذا الحديثِ أنَّ ما أحدِثَ على خلافِ هذا الدّينِ فهوَ مَردودٌ وأنَّ ما أحدِثَ على وِفاقهِ فليسَ بمَردودٍ، وكلُّ ما لهُ أصلٌ يعودُ إليهِ فى الدّينِ مما أحدَثهُ أهلُ العلمِ فهوَ ليسَ مِن بدعةِ

الضّلالةِ التى ذمَّها الرّسولُ ﷺ فى حديثِ العِرباضِ بقولِهِ **كلُّ مُحْدَثةٍ بدعةٌ وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ** فلا يُهَوِّلَنَّكُمْ إيرادُ هؤلاءِ المفتونينَ الحديثَ أو الآيةَ على حَسبِ أهوائِهم. لا يُهَوّلنّكُمْ أى لَا تَفزَعوا إذا أورَدوا عليكُم ءايةً أو حديثًا على حسبِ هواهُم والحقيقةُ تُخالِفُ ما يدَّعونهُ لَا تفزَعوا. وهكذا فى العقائدِ.

فى العقائدِ يُوردُونَ حَديثًا ليُوقعوا الشَّخصَ فى تَحْيِيزِ اللهِ تباركَ وتعالى أى إثباتِ الحيّزِ والمكانِ للهِ تباركَ وتعالى ليُوقعوا النّاسَ فى العقيدةِ الفاسدةِ وهى جَعْلُ المكان لله تعالى حيّزًا أى جعل الحيز لله تعالى.

هذا الحديثُ عُرِفَ بحديثِ الجاريةِ لأنَّ سببَ هذا الحديثِ أنَّ رَجلًا لطمَ جاريةً لهُ أىْ مملوكةً لهُ ثمَّ نَدِمَ فجاءَ إلى الرّسولِ ﷺ فقالَ يا رسولَ اللهِ إنى فعلتُ كذا وكذا فسألَ رسولُ اللهِ ﷺ هذهِ الجاريةَ أينَ اللهُ فقالَت فى السّماءِ وفى لفظٍ أتشهدينَ أن لا إله إلا اللهُ فقالت نعَم. روايتانِ. الرّواية الأولى فى مسلم والرّوايةُ الثانيةُ فى الموطَّإ للإمام مالكٍ. هذا الحديثُ ظاهرهُ يُوهمُ النّاسَ أنَّ اللهَ متحيّزٌ فى السماء وهذا لَا يجوزُ على اللهِ لأنَّ هناكَ حديثًا ءاخرَ صَحيحًا ثابتًا رواهُ التّرمذيُّ **أطَّتِ**(١) **السّماءُ وحُقَّ لها أن تئِطَّ ما فيها موضعُ أربعِ أصابعَ إلا وفيهِ**

(١) الأَطِيطُ صوتُ الأَقْتاب. وفى الصحاح القَتَبُ بالتحريك رحلٌ صغير على قدر السنام اهـ.

مَلَكٌ قائمٌ أو راكعٌ أو ساجِدٌ اهـ الرسولُ ﷺ يخبِرُنا أنَّ السّمواتِ كُلَّها السّمواتِ السّبعَ ما فيها موضعُ أربعِ أصابعَ فارغٌ إلا وهوَ مشغولٌ بالملائكةِ بعضُهم قائمونَ وبعضُهم راكعونَ وبعضُهم ساجدونَ فالذى يَعتقدُ ظاهرَ هذا الحديثِ يجعلُ اللهَ تعالى مُزاحِمًا للملائكة وهُم قَد مَلَأُوا السّمواتِ ما فيها موضعُ أربعِ أصابعَ فراغٌ. على زعمِهم الله تعالى يُزاحِمُ هؤلاءِ ويَنْدَسُّ فيما بينهم وهذا لَا يجوزُ على اللهِ وإنْ قالوا المرادُ بكلمةِ السّماءِ العرشُ يقالُ لهم العرشُ يوجدُ فوقَهُ مكانٌ وهذا المكانُ هوَ الذى فيه الكتابُ الذى كتبَ اللهُ تباركَ وتعالى فيهِ **إنَّ رَحْمَتِى تَغْلِبُ غَضَبِى** وفى لَفْظٍ **إنَّ رَحْمَتِى سَبَقَتْ غَضَبِى** اهـ هذا الحديثُ رواهُ البُخاريُّ فى كتابِ التوحيدِ يُثبتُ لنا أنَّ فوقَ العرشِ مَكانًا وهوَ مكانُ هذا الكتابِ.

بعضُ أذكيائهم الذينَ هُم عندَهم فى مُنتهَى المعرفةِ يقولونَ اللهُ موجودٌ بلا مكانٍ لأنه فوقَ العرشِ وفوقَ العرشِ لا مكان اهـ وهذا الحديثُ يُثبتُ المكانَ فوقَ العرشِ وهوَ موضعُ هذا الكتابِ الذى كتبهُ اللهُ تباركَ وتعالى لَـمَّا قَضَى خَلقهُ أىْ لَـمَّا خلقَ العرشَ والكرسىَّ وغيرَ ذلكَ منَ العوالمِ. ولفظُ هذا الحديثِ الذى رواهُ البخاريُّ **إنَّ اللهَ لَـمَّا قَضَى الخلقَ كتبَ فى كتابٍ فهوَ موضوعٌ عندهُ فوقَ العَرشِ إنَّ رَحمتى غلبَت غضَبى** اهـ هذا الحديثُ يَنْقُضُ عليهم ما يَبْنُونَهُ مما تَوَهَّمَتْهُ

نفوسُهُم. وإن قالَ قائلٌ منهُم قولُهُ عليهِ الصّلاةُ والسّلام فوقَ العرش أى دُونَ العرش يقالُ لهُ هذا تأويلٌ بلَا حُجَّةٍ. أىُّ مَانِعٍ مِن حيثُ العقلُ أو مِن حيثُ الشّرعُ أنْ يكونَ فوقَ العَرشِ مكانٌ. يقالُ لهم أينَ بُرهانُكم. هاتُوا إنْ كنتُم صادِقِينَ. هاتوا لَنا دليلًا عقليًّا على استحالةِ وجودِ مكانٍ فوقَ العَرشِ أو دليلًا نَقليًّا صَحيحًا على استحالةِ وجودِ مكانٍ فوقَ العرشِ ولَن يجدوا إلى ذلكَ سَبيلًا. إذًا دعواهُم التأويلَ أىْ تأويلَ قولِهِ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ فوقَ العرشِ بأنَّ معناهُ دون العرش لَغوٌ لا يُلتفَتُ إليهِ لأنَّ القرءانَ والحديثَ يجبُ تركُهما على الظّاهرِ إلا إذا كانَ هناكَ دليلٌ عقلىٌّ أو دليلٌ نقلىٌّ ثابتٌ عندئذٍ يجوزُ تأويلُ الآيةِ أو الحديثِ وإلا فالتأويلُ عبَثٌ والنّصوصُ الشّرعيةُ تُنزَّهُ عنِ العَبثِ. التأويلُ بلا دليلٍ عقلىّ أو نَقلىّ تلاعبٌ بالآيةِ وتلاعبٌ بالحديثِ.

ثم هذا الحديثُ حديثُ الجاريةِ لهُ تأويلٌ. معنى قولهِ عليهِ الصّلاةُ والسلامُ **أينَ اللهُ** ما اعتقادُكِ فى اللهِ مِنَ التّعظيم. هذا المعنى. وقولها (فى السماء) وفى لفظٍ (فأشارت إلى السماء) هذا القولُ أو هذا اللفظُ معناهُ أنهُ تباركَ وتعالى رفيعُ القَدرِ جدًّا. هذا مَعنى الحديثِ حديثِ الجاريةِ.

ثمَّ هذا الحديثُ ليسَ مُتواترًا فكيفَ يُؤوِّلُونَ الآياتِ القرءانيةَ التى لو فُسِّرَت على ظواهِرها لنَقضَتْ عليهِمُ

اعتقادَهم أن الله فوق العرش أو فى سماء من السموات. ءاياتٌ عديدةٌ وأحاديثُ صحيحةٌ عديدةٌ ظواهرها تَنْقُضُ معتقَدَهم أنَّ اللهَ بذاته فوقَ العرشِ وذلكَ كقولِ اللهِ تباركَ وتعالى فى سورة البقرة ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ هذهِ الآيةُ ظاهِرُها أنَّ اللهَ هنا فى الأرضِ بحيث إذا صَلَّى مُشَرِّقًا أو مُغَرِّبًا أو إلى الجنوبِ أو إلى الشَّمالِ يكونُ تَوَجَّهَ إلى ذاتِ اللهِ أى أنَّ اللهَ هنا على مَدارِ الأُفُقِ أفقِ السماءِ بحيث إنَّ أيَّ مُصَلٍّ يُصَلِّى فى الطريق التى يقصِدُها النافلةَ نافلةَ السفرِ يكون متجهًا إلى ذات الله تبارك وتعالى. هذه الآية على حسب ظاهرها تنقُضُ معتَقَدَهم أنَّ اللهَ متحيِّزٌ على العرش أو فى سماءٍ مِن السموات، تنقضُ عليهِم، تَهْدِمُ عليهم ما بَنَوْهُ بتخيّلاتِهم، تهدِمُها.

وأما نحنُ أهلَ السّنةِ والجماعةِ بتوفيقِ اللهِ تباركَ وتعالى ورَحمتهِ هُدِينا للتّوفيقِ بينَ النّصوصِ بينَ القرءانِ والحديثِ وبينَ ءايةٍ وءايةٍ أخرى وبينَ حديثٍ وحديثٍ. اللهُ تباركَ وتعالى وفَّقنا برَحمتهِ وفَضلهِ للتّوفيقِ بينَ الآياتِ وبينَ الأحاديثِ. نحنُ أهلُ السّنةِ والجماعةِ نقولُ هذهِ الآيةُ ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ لا تُحمَلُ على ظاهرِها بل تُؤوَّلُ. وما تأويلُها. تأويلُها أنَّ قِبلةَ اللهِ تباركَ وتعالى حيثُما توجّهتُم فى صلاةِ النّافلةِ فى السّفرِ على الدّوابّ أو مُشاةً الجهةُ التى تقصِدونها

﴿فَثَمَّ﴾ أىْ فى تلكَ الجهةِ ﴿وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾[١]. لَا نقولُ ﴿وَجْهُ ٱللَّهِۖ﴾ معناه ذات الله فى كل الآيات. نَقولُ هذهِ الآيةُ ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ معناها قبلةُ اللهِ أىْ أنَّ اللهَ تباركَ وتعالى جعلَ لكمُ الجهةَ التى تقصِدونها إذا أردتُم صلاةَ النّفلِ قبلةً لكُم أىْ إنْ كنتُم مُشرّقينَ وإنْ كنتُم مُغرّبينَ وإنْ كنتُم متَّجِهينَ إلى الجنوبِ أو متَّجِهينَ إلى الشّمالِ هناكَ قبلةُ اللهِ. لَا نقول ذاتُ اللهِ هناك لأنَّ هذا شىءٌ يُحيلهُ العقلُ ويُحيلهُ النّقلُ.

انتهى والله تعالى أعلم.

---

(١) أى قبلة الله قاله عكرمة ومجاهد، كما فى زاد المسير لابن الجوزى.

الدرس السابع والأربعون



البدعةُ الحسنةُ والطُّرُقُ الصُّوفيةُ

درسٌ ألقاه الصوفِيُّ الأصولِيُّ الفقيهُ المحدّثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى فِى بيروتَ وهو فِى بيانِ البدعةِ الحسنةِ والكلامِ عنِ الطُرُقِ التِى استَحْدَثَها بعضُ الصَّالِحينَ. سَمِعَهُ منه الشيخُ جميلُ بنُ محمد حليم والشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ عبدُ الرزاقِ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ محمدُ بنُ مُصطفَى البَكرِيُّ. قال رحِمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسِعَةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على سيّدِ المرسلينَ وعلى ءالِهِ الطيّبينَ الطاهرِينَ أمَّا بعدُ فإنَّ اللهَ تبارَكَ وتعالى رَخَّصَ للمُؤمِنينَ أنْ يُحْدِثَ عُلَمَاؤُهُم فِى الدِّينِ ما يُوافِقُ القُرءانَ والحديثَ إِنَّمَا نَهَى اللهُ تعالى عنْ إحداثِ شَىءٍ فِى الدِّينِ إذا كان ذلك الشَىْءُ مُخالِفًا للقُرءانِ والحَديثِ أَمَّا ما يُوافِقُ القُرءانَ والحديثَ أهلُ العِلْمِ إذا أحدَثُوهُ فهو مقبُولٌ عِندَ اللهِ ليس بِدعَةً مُحرَّمَةً، إنَّما البِدعةُ المحرمةُ هِىَ ما أَحْدَثَهُ الناسُ مما يُخالِفُ القُرءانَ والحديثَ. فقدْ أحدَثَ عُلماءُ الإسلام الأتقياءُ أُمورًا فِى الدِّينِ لم يذكُرْهَا القُرءانُ ولا الرَّسولُ. فِى القَرْنِ الأوَّلِ مِنْ

تاريخِ الهِجرةِ الإسلاميَّةِ أحدَثَ عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ رَضِيَ اللهُ عنه المحارِيبَ[١] المِحرَابَ المُجَوَّفَ، قَبْلَهُ ما كانَ لمسجِدِ الرسولِ ولا لغَيرِهِ مِنْ مَساجِدِ الصحابةِ مِحْرابٌ مُجَوَّفٌ، ما كان، كذلك ما كان لمسجِدِ الرسولِ ولا لِغَيْرِهِ مِئذنَةٌ فهو الذِى أحدَثَ المِئذنةَ.

ثُمَّ بعدَ سِتمائةِ سنةٍ أحدَثَ مَلِكٌ تَقِىٌّ عالِمٌ عَمَلَ المولِدِ فِى شهرِ ربيعِ الأولِ فوافَقَ هذه الأُمورَ عُلماءُ الإسلامِ ما قالوا هذا شىءٌ لم يفعَلْهُ الرسولُ فهو بِدعةٌ مُحرمةٌ. ثُمَّ قَبْلَ ذلك بنحوِ مِائةِ سنةٍ أحدَثَ الشيخُ أحمدُ الرِّفاعىُّ والشيخُ عبدُ القادِرِ الجيلانِىُّ الطريقةَ وقَبِلَ ذلك عُلماءُ الإسلامِ إلَّا الطَّائفةُ الضَّالةُ الوهابيةُ فإنَّهم يُنْكِرُونَ المولِدَ والطَّرِيقَةَ ولا يُنكِرُونَ المحارِيبَ ولا المآذِنَ ويَعتبِرُونَ المولِدَ والطَّرِيقَةَ حَرامًا فهؤلاءِ كلامُهُم لا عِبْرَةَ له لأنَّهُم لا يعمَلُونَ على حَسَبِ مِيزانِ الشريعَةِ بلْ يَتَعَلَّقُونَ بِمَا أعجَبَهُم ويُنْكِرُونَ ما لم يُعْجِبْهُم.

إذا قيل للوهابيَّةِ هؤلاءِ الأربعةُ كلٌّ ما فَعَلَها الرسولُ ولا الصحابةُ إنَّما فعَلَهَا غيرُ الصحابةِ كيف تُنْكِرُونَ اثنينِ وتقبلُونَ اثنين، تقبلُونَ المحرابَ والمئذنةَ وتُنكِرُونَ المولِدَ والطريقةَ وكلٌّ لم يفعَلْهُ الرسولُ فليس عندَهُم جوابٌ إلَّا أنَّهم يُحِبُّونَ التَّشوِيشَ على الناسِ.

---

(١) انظر خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودِى الفصل الثامن فِى زيادة الوليد واتخاذه المحراب والشرفات والمآذن.

ثُمَّ إنَّ الشيخَ أحمدَ الرفاعِيَّ والشيخَ عبدَ القادرِ الجيلانِيَّ كانا فِى عصرٍ واحدٍ فِى العِراقِ وكان أولياءُ ذلك الزَّمنِ يقولونَ الشيخُ أحمدُ الرفاعِىُّ أَجَلُّ المشايخِ قدرًا. وكان الشيخُ أحمدُ الرِّفاعِىُّ رَضِىَ اللهُ عنهُ عالِمًا فقيهًا محدِّثًا مُفسِّرًا أعلَمَ الناسِ بكتابِ اللهِ وحديثِ رسولِ اللهِ فِى زَمانِهِ لكنَّهُ لم يشتغِلْ بكثرَةِ التآليفِ بلِ اشتغَلَ بتدريسِ الناسِ الفِقهَ والتوحِيدَ والتفسيرَ والحديثَ. كان كلَّ يومٍ يُدرِّسُ أوَّلَ النهارِ وءاخِرَ النهارِ إلَّا يومَ الخميسِ فكان يجْلِسُ على كُرْسِيِّ الوَعْظِ. كان يجتمعُ عندَهُ فِى ليلةٍ مِنَ السنةِ مِائةُ ألفِ نَفْسٍ يتَبَرَّكُونَ بمجلِسِه وكان هو يَكفِيهِمْ طعامَهُم وشَرابَهُم، وهذا الشىءُ لم يحصُلْ لِغَيرِهِ مِنَ الأولياءِ وهذا سِرٌّ مِنْ أسرَارِ اللهِ.

ويُسمَّى أبا العبَّاسِ ويُسمَّى أبا العَلَمَينِ ويُسمَّى شيخَ العُرَيْجاءِ لأنَّه خَرَجَ مرَّةً إلى قَريةٍ فيها أتباعُهُ اسمُهَا الحدَّادِيَّةُ فاستَقْبَلَهُ أهلُهَا رِجالًا ونِساءً وكان بينَهُم بِنْتٌ عَرجاءُ حَدباءُ قَرعَاءُ فلمَّا رأَتِ الشيخَ توجَّهَتْ إليهِ طَلبَتْ منه الدُّعاءَ قالَتْ كَرِهْتُ نفسِى لشِدَّةِ ما تَسْتَهْزِئُ بِى بَناتُ القَريَةِ فتَوجَّهَ الشيخُ إلى اللهِ تعالى لِيُزِيلَ عنها ما بِها فاستَقَامَتْ رِجْلُهَا وظَهْرُهَا ونَبَتَ شَعَرُ رأسِهَا فِى الحالِ فمِنْ هناك سُمِّىَ شيخَ العُرَيجاءِ أىِ الشيخَ الذِى شَفَى البِنْتَ العَرْجَاءَ.

ثُمَّ إنَّ اللهَ تعالى أكرَمَ أتباعَهَ أهلَ طريقَتِهِ بكَراماتٍ

ذلَّلَ لهم السِّباعَ والعَفَارِيتَ والنارَ والثعابِينَ. عُرِفُوا فِى الشرقِ والغربِ فيما مضَى أنَّهم يُشعِلُون نارًا عظيمةً ويَدْخُلُونَها ويذْكُرونَ اللهَ فيها حتَّى تنطفِئَ فلا تُؤذِيهِم ولا تُحْرِقُ ثِيابَهُم وكانُوا يدخُلُونَ الأفرانَ الحامِيَةَ ينامُونَ فِى جانِبٍ والخَبَّازُ يَخْبِزُ فِى الجانِبِ الآخَرِ.

ومِنْ مَناقِبِهِ[1] رَضِىَ اللهُ عنه أنه كان له خالٌ مِنْ أولياءِ اللهِ الكبارِ اسمُهُ الشيخُ منصورٌ رأَى رسولَ اللهِ ﷺ فِى المنامِ فقالَ بَشِّرْ أُختَكَ بأنَّها ستَحمِلُ بعدَ أربعينَ ليلةً بولَدٍ يكونُ سيِّدَ الأولياءِ كما أنا سيدُ الأنبِياءِ، فحَمَلَتْ به أمُّهُ بعد تلك الليلةِ بأربعينَ ليلةً ثُم لمَّا ولدَتْه اهتَمَّ به خالُهُ هذا مِنْ حيثُ التربيةُ الدينيةُ فنَشَأَ رَضِىَ اللهُ عنه نشْأةً طَيِّبةً إلى أنْ صارَ أفضَلَ أولياءِ زَمانِهِ.

ثُم إنَّهُ بعد الطريقَتَينِ الرفاعيةِ والقادريةِ حَدَثَتْ طُرُقُ الشاذِلِيَّةِ والنَّقْشَبَنْدِيَّةِ والبَدَوِيَّةِ إلى نحوِ أربعِينَ طريقة. كلُّ هذه الطُّرُقِ تُقَرِّبُ إلى اللهِ لكنَّ اللهَ تبارَكَ وتعالى جَعَلَ للرِّفاعيَّةِ امتيازًا مِنْ بَيْنِ هذه الطُّرُقِ كلِّها. هذه الطُّرُقُ غيرَ الرفاعيةِ دَخَلَهَا التحرِيفُ، أتباعُهَا انحَرَفُوا ولا سِيَّما الشاذلية، الشاذليةُ دَخَلَها انحِرَافٌ كبيرٌ كبيرٌ كبيرٌ والعياذُ بالله. أَغْلَبُ مَنْ ينتَسِبُ إلى الشاذِلِيَّةِ اليومَ ليْسُوا على شريعَةِ اللهِ. مِنْ أَشْنَعِ ما وَصَلَ إليه هؤلاءِ الذِينَ انحَرَفُوا مِنَ الشاذِلِيَّةِ أنَّهُم صَارُوا يقُولُونَ اللهُ داخِلٌ فِى كُلِّ إنسانٍ الذَّكرِ والأنثَى خَرَجُوا مِنَ التَّوحِيدِ

---

(١) أى محاسِنِه.

خَرَجُوا مِنَ الإسلامِ صَارُوا أَكْفَرَ مِنَ النَّصَارَى واليَهودِ. لهم وُجودٌ فِى لبنَانَ وفِى سُوريةَ وفِى فِلسطينَ وفِى الأُرْدُن. يُقالُ لهم لهؤلاءِ الشاذِليَّةِ المنحَرِفِينَ الشاذليةُ اليَشْرُطِيَّةُ. شيخُهُمُ الذِى هو كان شاذِلِيًّا ثُمَّ انتَسَبُوا إليه يُسَمَّى نُورَ الدِّينِ اليَشْرُطِىّ[١]. أصلُهُ مِنْ تُونُسَ نَزَلَ فِى فِلسطينَ فِى بَلَدٍ اسمُهَا عَكَّا فصَارَ لَهُ أتباعٌ، أكثَرُهُمُ انحرَفُوا ضَلُّوا خَرَجُوا مِنَ الإسلامِ فِى حَيَاتِه، فِى حَيَاةِ الشيخِ انحرَفُوا، قَليلٌ مِنْ أتبَاعِهِ استَفَادُوا بَقُوا على الخَيْرِ. كان يوجَدُ عالِمٌ تقِىٌّ مِنْ لبنانَ انتسَبَ إليه، بعدما ماتَ صارَ يَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهِ نورٌ إلى السماء. يُوجَدُ بالقُربِ مِنَ الجَبَّانَةِ التِّى دُفِنَ فيها فِى بيروتَ كنِيسَةٌ للنَّصَارَى مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ فرَأَتْ رَاهِبَتَانِ نَصْرَانِيَّتَانِ ذاتَ ليلةٍ نُورًا يَطْلُعُ مِنْ قبرٍ مِنْ هذه الجَبَّانَةِ إلى السماءِ فتَأَكَّدَتَا مَوقِعَ القَبْرِ ثُم صَبَاحًا ذَهَبَتَا إلى الحَفَّارِ الذِى

(١) وأما الشيخ نور الدين علِىُّ اليشرطِىّ الذِى ينتسبون إليه فهو برِىء مما يقولون بل هو كان على التنزيه. قال الشيخ مصطفى نجا رحمه الله فِى كشف الأسرار (ص/٣٦) وكتب أى الشيخ نور الدين إِلَى بعض إخواننا من أهل العلم والفضل خارج بيروت بلغنِى أن فلانًا فسدت أحواله وخرج عن الميزان الشرعِىّ فاعلموا وأعلِموا الجميع أنه مطرود من طريقتنا الشريفة هو وكل من وافقه على فساده وأفعاله المخلة بالشرع الشريف وأوصيكم أن تَزِنُوا أحوال الفقراء على الكتاب والسنة وكل من رأيتم منه مخالفة فأنتم مأذونون بطرده ولا تعطوا الطريقة إلا لمن وجدتم فيه الأهلية ورأيتموه متمسكًا بالشريعة الطاهرة المرضية. وكتب لِى يقول كل طريقة تخالف الكتاب والسنة فهِىَ زندقة وباطلة اهـ قال الشيخ عبد الله الهررى رحمه الله والشيخ مصطفى نجا مفتِى لبنان صحبه واستفاد وانتفع منه وتخرج به وليًّا اهـ

يَحْفِرُ القُبُورَ. سأَلَتَا هذا القَبرُ قَبرُ مَنْ قال لهما الشيخ مُصطَفَى نَجَا. هذا وقليلٌ استَفَادُوا مِنْ هذا الشيخ، البَقِيَّةُ كَفَرُوا والعِيَاذُ باللهِ. اللهُ تعالى حَفِظَ الرِّفاعِيَّةَ، الرِّفاعيَّةُ إلى الآنَ يشتَغِلُونَ بالعقيدةِ ويهتَمُّونَ بالمحافَظَةِ على العَقِيدَةِ أكثَرَ مِنْ كُلِّ أهلِ الطُّرُقِ لأنَّ إمامَهُمُ السيِّدَ أحمدَ كان يُؤَكِّدُ الاهتِمَامَ بالعَقِيدَةِ بالتوحيدِ أنَّ اللهَ تعالى مَوجُودٌ بلا كيفيَّةٍ بِلا مكانٍ ليسَ حَجْمًا كَثِيفًا ولا حَجْمًا لَطِيفًا ولا حَجْمًا صَغِيرًا ولا حَجْمًا كَبيرًا كالعَرْشِ لا يُوصَفُ بالحرَكَةِ ولا بالسُّكُونِ ولا بالتَّحَيُّزِ فِى جِهةٍ أو مَكانٍ. السيدُ أحمدُ كانَ يُؤَكِّدُ هذا فِى تعلِيمِهِ للناسِ فبَقِىَ أتبَاعُهُ يَهْتَمُّونَ بالعَقِيدَةِ وصَارُوا هُم حُرَّاسَ العَقِيدَةِ.

أُوصِيكُم بالحذَرِ مِنْ كَثيرٍ مِنَ التِّجانِيَّةِ، التِّجَّانِيَّةُ مُحَرَّفَةٌ. بعضُ المشايخِ الخونةِ لمَّا دَخَلَتْ فَرَنسا بِلادَ المغرِبِ عَمِلَ لهم طَرِيقةً لأجلِ غَرَضِ فَرَنْسَا أَخَذَ كِتَابَ شَيْخِهِمُ المخطُوطَ حَرَّفَهُ وطَبَعَهُ فنَشَرَ هذا المحَرَّفَ وأخفَى الأصلَ فتَعَلَّقُوا بهذا المطبُوعِ فدَخَلَتْ علَيهِم ضَلالاتٌ.

انتهى واللهُ تعالى أعلَم وبارَكَ اللهُ فيكُم.

الدرس الثامن والأربعون



أحكامُ صيامِ رمضان

درسٌ للشيخِ نزارِ بنِ رشيدٍ الحلبِيّ رحِمَهُ اللهُ أعطاهُ فِى بيروتَ وهو فِى بيانِ أحكامِ الصِّيام. سَمِعَهُ منه الشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ. قال رَحِمَهُ اللهُ تعالى رَحمةً واسِعَةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمّدٍ وعلى ءالِهِ وأصحابِهِ أجمَعِين.

أما بعد فقد قال اللهُ تعالى فِى سورةِ البقرةِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ وقال رسولُ اللهِ ﷺ **مَنْ صامَ رمضانَ إيمانًا واحتِسابًا غُفِرَ له ما تقدَّمَ مِنْ ذنبِه** اهـ رواهُ البخارِىُّ[١].

الصيامُ كغيرِه مِنَ العباداتِ له فرائضُ وشروطٌ ومبطلاتٌ يجبُ على الصائمِ أن يتعلَّمها حتَّى يكونَ صيامُه صحيحًا مقبولًا عند اللهِ سبحانه وتعالى.

فُرِضَ صومُ رمضانَ فِى السنةِ الثانيةِ للهجرةِ وقد صامَ رسولُ اللهِ ﷺ تسعَ سنواتٍ تُوُفِّىَ بعدَها. وهو

(١) رواه البخارِىُّ فِى صحيحه باب صوم رمضان احتسابًا من الإيمان.

فَرْضٌ معلومٌ مِنَ الدينِ بالضرورةِ أىْ أنه ظاهرٌ بين المسلمينَ يعلَمُهُ الجاهلُ والعالِمُ فمَنْ جَحَدَ فرضِيَّتَهُ أىْ أنكَرَ وجوبَ صيام شهرِ رمضانَ فهو كافرٌ وأمَّا مَنْ أفطَرَ فِى رمضانَ لغيرِ عُذْرٍ شرعِيّ وهو يعتقدُ وجوبَهُ عليه فلا يكفُرُ بلْ يكونُ عاصِيًا فاسِقًا مِنْ أهلِ الكبائِرِ يَستَحِقُّ العذابَ الشديدَ فِى النارِ.

والصيامُ ثابتٌ بالقرءانِ الكريم والسنةِ المطهرةِ قال تعالى فِى سُورةِ البقرَةِ ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ وقال رسولُ اللهِ ﷺ **بُنِىَ الإسلامُ على خمسٍ** وعَدَّ منها الصيامَ بقولِهِ **وصَوْمِ رمضانَ** اهـ رواه الشيخانِ[1]. ولذلِكَ أجمَعَتِ الأمَّةُ على وجوبِهِ فِى رمضانَ.

وهو واجبٌ على كلِّ مُسلمٍ بالغٍ عاقلٍ قادرٍ على الصيام غيرِ الحائضِ والنفساءِ والمريضِ والشيخِ الهرِمِ والمرأَةِ العجوزِ الذِينَ يَعْجِزُونَ عنه، فلا يَصِحُّ الصيامُ مِنَ الكافِرِ الأصلِيّ ولا مِنَ المرتَدِّ وهو الذِى كان مُسلمًا وخَرَجَ مِنَ الإسلام، ولا يصِحُّ مِنْ حائضٍ ولا نُفَسَاءَ، ولو صامَتَا حالَ وجودِ الدم فعلَيْهِما إثمٌ وعليهما القضاءُ ولا يجبُ الصيامُ على الصبِيّ أىْ غيرِ البالِغِ ولكنْ إذا أكمَلَ عشرَ سنينَ قمريةً مِنَ العُمُرِ يجبُ على ولِيِّ أمرِهِ أن يضرِبَه على تركِهِ الصيامَ إذا كان مُطيقًا له. ولا يجبُ على المريضِ الذِى يشُقُّ عليه

(١) رواه البخارِى ومسلم كلٌّ فِى باب قول النبِى ﷺ بنِىَ الإسلام على خمس.

الصومُ ولا على المسافِرِ سَفرًا طويلًا وعليهما القضاءُ ولو صامَ المريضُ والمسافِرُ صَحَّ منهما وإذا ضَرَّهُما حَرُمَ عليهما، ولا يجِبُ الصيامُ على العجوزِ الفانِى مَخَافَةَ التَّلَفِ والموتِ.

ومِن فرائضِ الصوم خمسةُ أشياءَ فالأولُ النيةُ ومحلُّها القلبُ فلا يُشتَرَطُ النُّطَقُ بها باللسانِ وهِىَ واجبةٌ لكُلِّ يوم مِنْ رمضانَ فِى ليلَتِهِ[١] ولا يصِحُّ الصيامُ بدونِ النيةِ فيقولُ بقلبِهِ مثلًا أصومُ يومَ غدٍ عنْ أداءِ فرضِ رمضانِ هذه السنةِ إيمانًا واحتِسابًا للهِ تعالى. وكذلك يجبُ على الحائِضِ والنفساءِ إذا انقطَعَ الدمُ ليلةَ الصيامِ أن تنوِىَ صيامَ يومِ غدٍ مِنْ رمضانَ وإن لم تغتَسِلْ.

والثانِى الإمساكُ مِنْ طُلُوعِ الفجرِ إلى غُرُوبِ الشمسِ عنِ الأكلِ والشُّرْبِ وعنْ إدخالِ كُلِّ ما له حجمٌ ولو كان هذا الشىءُ صغيرًا إلى الرأسِ أوِ البطنِ أوِ الأَمعَاءِ ونحوِها مِنْ مَنْفَذٍ مفتُوحٍ كالفَم والأنفِ أوِ القبُلِ والدبُرِ فإنَّه يُفطِرُ بذلك. وأمَّا مَنْ أَكَلَ أوْ شَرِبَ ناسيًا ولو كان ما أكَلَهُ أو شَرِبَهُ كثيرًا فلا يُفْطِرُ لقولِهِ ﷺ **إذا نَسِىَ أحدُكُم وهو صائمٌ فأكَلَ وشَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَومَهُ فإنَّما أطْعَمَهُ اللهُ وسَقَاهُ** اهـ رواه البُخارِىّ[٢].

---

(١) روى البيهقِىُّ فِى السنن الكبرى باب ما عليه فِى كل ليلة من نية الصيام للغد أن رسول الله ﷺ قال **مَنْ لَمْ يُبَيِّتِ الصيامَ قبلَ الفجرِ فلا صيامَ له** اهـ

(٢) رواه البخارِىُّ فِى صحيحه باب إذا حنث ناسيًا فِى الأيمان وباب الصائم إذا أكل أو شرب ناسيًا.

ويجبُ على الصائمِ الإمساكُ عنِ الجماعِ وإخراجِ المنِيّ بالاستمناءِ والمباشرَةِ فإنَّه مُفَطِّرٌ أمَّا إنْ كانَ خُرُوجُه بسبَبِ النظَرِ أوِ الفِكْرِ فهو غيرُ مُفَطِّرٍ.

وكذلك يجبُ على المسلِمِ الثبوتُ فِى الإسلامِ على الدَّوامِ فِى رمضانَ وغيرِه وذلك بتجَنُّبِ الوقوعِ فِى الكفرِ بأنواعِه الثلاثةِ الكفرِ الاعتقادِيّ كمَنْ يعتقدُ أنَّ اللهَ جِسْمٌ أوْ ضَوْءٌ أو رُوحٌ أو يُنْكِرُ فَرضِيَّةَ الصلاةِ والصيامِ أو يَستَحِلُّ شُرْبَ الخمرِ، والكُفرِ الفِعلِيّ كرَمْيِ المصحَفِ فِى القاذُوراتِ، والكُفرِ القولِيّ كسَبِّ اللهِ أوْ نَبِيٍّ مِنَ الأنبياءِ أوْ مَلَكٍ مِنَ الملائِكَةِ أوِ الاستهزاءِ بالصلاةِ أوِ الصيامِ أوْ أحكامِ الدِّينِ فمَنْ وَقَعَ فِى أيِّ نوعٍ مِنْ هذه الأنواعِ بَطَلَ صومُهُ وعليه العَودُ فورًا إلى الإسلامِ بالنُّطقِ بالشهادَتَينِ ويلزَمُهُ الإمساكُ بَقِيَّةَ النهارِ ثُمَّ قضاءُ هذا اليومِ بعدَ رمضانَ.

ومما يُستحَبُّ للصائِمِ تعجيلُ الفِطْرِ إذا تَحَقَّقَ غُرُوبَ الشَّمْسِ لقَولِهِ ﷺ **لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما عَجَّلُوا الفِطْرَ** اهـ رواه البُخارِيُّ[١]. فإذا أفطَرَ الصائِمُ استُحِبَّ له أن يقولَ اللهمّ لك صُمتُ وعلى رِزْقِكَ أفطَرْتُ[٢]. ويُستحَبُّ له أيضًا تأخيرُ السُّحُورِ إلى ءاخِرِ الليلِ وقبلَ الفجرِ ولو بِجُرْعَةِ ماءٍ.

ويَتأَكَّدُ فِى حَقِّ الصائمِ صَوْنُ لِسانِهِ عنِ الغيبةِ

---

(١) رواه البخارِيُّ فِى صحيحه باب تعجيل الإفطار.

(٢) رواه البيهقِيُّ فِى السنن الكبرى باب ما يقول إذا أفطر.

والنميمةِ والكلام البَذِىءِ وغيرِ ذلك مِنَ الأمورِ المحرَّمَةِ وإنْ سَبَّهُ مُسلِمٌ أَوْ قاتَلَهُ فلْيَقُلْ كمَا علَّمَنَا رسولُ اللهِ ﷺ فِى ما رواهُ البُخارِىُّ عنه ﷺ أنه قال **الصيامُ جُنَّةٌ فإذا كان يومُ صَوْمِ أحدِكُم فلا يَرْفُثْ ولا يَجْهَلْ وإنِ امرُؤٌ قاتَلَهُ أوْ شاتَمَهُ فليَقُلْ إنِّى صائمٌ إنِّى صائمٌ**[١] اهـ فإنَّ بعضَ الكبائرِ تُذْهِبُ ثَوابَ صِيامِ اليَوْمِ الذِى وَقَعَتْ فيه، فالذِى لا يَتَوَرَّعُ عنِ النميمةِ والغيبةِ والشَّتْمِ بغيرِ حقٍّ وشهادةِ الزُّورِ فِى خِلالِ صَومِهِ فقَدْ أَذْهَبَ ثَوابَ صيامِ يَوْمِه.

وليُعلَمْ أنَّ الصبرَ على طاعَةِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى أَهْوَنُ مِنَ الصبرِ على عَذَابِهِ فلا يَتَهَاوَنِ المسلِمُ فِى أداءِ هذه الفَرِيضَةِ بلْ لِيَكُنْ شهرُ رمضانَ محطةً للتَّزَوُّدِ بصالِحِ الأعمَالِ فإنَّ خيرَ الزَّادِ التَّقوى.

انتهى وسبحان اللهِ وبحمدِه واللهُ تعالى أعلم.

(١) رواه البخارىُّ فى باب فضل الصوم ومالك فِى الموطإ.

الدرس التاسع والأربعون



أحكامُ النِّكاحِ

درسٌ ألقاه الإمامُ الفقيهُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ الشيبيُّ العبدرِيُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى سنةَ ثمانٍ وتِسعينَ أو تِسعٍ وتِسعينَ وثلاثِمائةٍ وألفٍ فِى مسجِدِ بُرجِ أبِى حيدرَ فِى بيروتَ وهو فِى بيانِ ما يتعلَّقُ ببعضِ أحكامِ النِّكاحِ. سمِعَهُ منه الشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ سميرُ ابنُ سامِى القاضِى. قال رحمه اللهُ تعالى رحمةً واسِعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ وصلَّى اللهُ على سيدنا محمدٍ وعلَى ءاله وصحبِهِ وسلَّم.

أمّا بعدُ فقد قال اللهُ تبارك وتعالى فِى سُورةِ البقرةِ ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾

هذه الآيةُ هِيَ ءاخِرُ ما نَزَلَ مِنَ القُرءانِ. هو القرءانُ نَزَلَ فِى ظَرْفِ ثلاثٍ وعشرينَ سنةً فقد نزَلَ الوحْيُ على الرسولِ ﷺ وعُمرُهُ أربعونَ سنةً ثُمَّ استَمرَّ بمكةَ ثلاثَ عشرةَ سنةً والقرءانُ ينزِلُ عليه الشىءَ بعد الشىءِ ثُمَّ هاجَرَ إلى المدينةِ المنورةِ بأمرٍ مِنَ اللهِ تعالى ثُمَّ عاشَ فِى المدينةِ عشرَ سنواتٍ والقرءانُ ينزِلُ عليه، ولم يكُنِ النزولُ على ترتيبِ التِّلاوَةِ وإنَّما عَلَّمَهُمْ رسولُ اللهِ ﷺ ترتيبَ التِّلاوَةِ بعدَ ذلك.

ثُمَّ التقوى عبارةٌ عنْ أداءِ الواجباتِ واجتنابِ المحرماتِ، والواجباتُ هِيَ الأمورُ التِى يستحِقُّ مَنْ ترَكَهَا العذابَ فِى الآخِرَةِ. ثُمَّ الواجباتُ لها مراتبُ فأعلَى الواجباتِ وأفضَلُها الإيمانُ باللهِ ورسولِهِ ثُمَّ الصَّلواتُ الخمسُ ثُمَّ صيامُ رمضانَ. ومِنْ جُملَةِ الواجباتِ العَمَلِيَّاتِ أنْ يعرِفَ المسلمُ المكلَّفُ المحتاجُ لتعلُّمِ أمورِ النِّكاحِ كيفَ يصِحُّ النِّكاحُ وكيف يحصُلُ الطَّلاقُ، هذا مِنَ الواجباتِ ومَنْ لمْ يتعلَّمْهُ هلَكَ لأنَّه قد يقعُ فِى أمرٍ حرَّمَهُ اللهُ تعالى وهو لا يدرِى أنَّه وقعَ فِى الحرامِ فكان مِنَ الواجبِ أنْ يتعلَّمَ المكلَّفُ الذِى يُرِيدُ النِّكاحَ كيف يصِحُّ النِّكاحُ وكيف ينفَسِخُ بعدَ انعِقَادِهِ.

وقد قال رسولُ اللهِ ﷺ فِى وصيَّتِهِ بالنساءِ **اسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بكلِمةِ اللهِ**(١) اهـ معنَى كلِمَةِ اللهِ صيغةُ العَقْدِ أيِ الزَّواجُ شَرطُهُ الصِّيغةُ أيِ الكلِمَةُ التِى يقُولُهَا أبو البِنْتِ للزَّوْجِ أوْ لِوَكِيلِ الزَّوْجِ، مثلًا يقولُ للزوجِ زوَّجْتُكَ بِنْتِى فُلانَةَ ويقولُ الزوجُ قَبِلْتُ زَواجَهَا، هذه هِيَ كلِمَةُ اللهِ بحضُورِ الشاهِدَيْنِ المسلِمَيْنِ الذَّكَرَيْنِ عندَ الشافِعِيّ. لا يصِحُّ عقدُ النِّكاحِ إلَّا بِوَلِيٍّ وشَاهِدَىْ عَدْلٍ عندَ الشافِعِيّ.

ويُشترطُ فِى الوَلِيّ والشاهدَيْنِ ستةُ شُرُوطٍ الإسلامُ والبُلُوغُ والعَقْلُ والحُرِّيَّةُ والذُّكُورَةُ والعَدَالةُ. قال

---

(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب حجة النبِىّ ﷺ.

رسولُ اللهِ ﷺ **لا نِكَاحَ إلَّا بِوَلِيٍّ وشاهِدَىْ عَدْلٍ**[١] اهـ ويُشترَطُ فِى الوَلِيّ والشاهِدَيْنِ أَنْ يَكُونَا سَمِيْعَيْنِ بَصِيْرَيْنِ عَارِفَيْنِ بِلِسَانِ المتعَاقِدَينِ مُتَيَقِّظَيْنِ. ويجوزُ أَنْ يُوَكِّلَ الوَلِيُّ والزوجُ فإنْ كان الوكيلُ عنِ الزوجِ حاضرًا يقولُ لِوَلِيّ البِنْتِ قَبِلْتُ زَواجَهَا لِمُوَكِّلِى فُلان أَوْ قبِلْتُ زَواجَهَا له ويُسَمِّى الخاطِبَ والشاهدانِ يسمعانِ وينظُرَانِ إلَيْهَا ويَرَيَانِها، وإنْ كانَا يعرِفَانِهَا قبلَ ذلك يكفِى رُؤيَةُ الشاهِدَينِ قبلَ ذلك وكذلك إنْ كانا يعرِفانِ أنَّها فُلانةُ بنتُ فُلانٍ يكفِى هذا للشاهِدَينِ. أمّا إنْ كانتْ هِىَ غائبةً والشاهدانِ لا يعرِفانِها بِعَيْنِهَا ولا باسْمِهَا ونَسَبِهَا فهذِه الشَّهَادَةُ لَمْ تَصِحَّ ولَمْ يصِحَّ النِّكاحُ.

ويشترطُ أنْ تكونَ الصيغةُ باللُّغَةِ العربيةِ بلفظِ زَوَّجْتُكَ أو أنكَحْتُكَ أوْ بترجَمَةِ هاتَيْنِ الكلِمتينِ لغيرِ اللغةِ العربيةِ ولو كانا يعرِفانِ العربيةَ أمَّا بغيرِ هاتينِ الكلِمتينِ أىْ بغيرِ لفظِ التَّزْوِيجِ والإنكاحِ فعندَ الشافِعِيّ لا يصِحُّ، أمَّا عند الإمامِ أبِى حنيفةَ رَضِىَ اللهُ عنه فيَصِحُّ التزويجُ بلفظِ التزويجِ وبلفظِ الإنكاحِ وما يُعْطِى معناهُما فإذا قال وَهَبْتُ بِنْتِى زوجةً لك فقال قَبِلْتُ زَواجَها صحَّ النِّكاحُ عندَه. أمَّا سِوى هذا مِنَ الكلام فليس شرطًا لِصِحَّةِ النِّكاحِ كتَسميةِ المهْرِ عندَ النِّكاحِ فإنَّه إنْ لَمْ يُسَمَّ

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه باب ذكر نفى إجازة النكاح بغير ولِىّ وشاهدىّ عدل.

صَحَّ العقدُ ووَجَبَ مهرُ المثلِ. وليس شرطًا قِراءةُ الفاتِحَةِ ولا تِلاوَةُ الخُطبَةِ التِى تُقْرَأُ عند العَقْدِ إنَّما الخُطبَةُ فِى عَقْدِ النِّكاحِ سُنَّة. كان رسولُ اللهِ ﷺ عَلَّمَهُم أنْ يقُولُوا **إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُهُ ونَستعِينُهُ ونستَغْفِرُهُ ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أعمَالِنَا مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورَسُولُه** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[٣][٤] اهـ هذه هِيَ خُطبةُ النكاحِ لكنَّها ليسَتْ ضروريةً إنَّما فيها ثَوابٌ فإمَّا أنْ يقرَأَهَا الأبُ وإمَّا أنْ يقرَأَهَا الزوجُ، والفاتحةُ فيها بَرَكَةٌ ولكنَّها ليسَتْ رُكنًا فِى العَقْدِ وليسَتْ شَرطًا له إنَّما يُشترطُ لِصِحَّةِ العَقْدِ حُضُورُ شاهِدَيْنِ مُسلِمَيْنِ ذَكَرَيْنِ أوْ ذَكَرٍ وامرَأَتَيْنِ مُسْلِمَتَيْنِ عندَ أبِى حَنيفَةَ رَضِىَ اللهُ عنه.

---

(١) سورة النساء.

(٢) سورة ءال عمران.

(٣) سورة الأحزاب.

(٤) رواه أبو داود فِى سننه باب فِى خطبة النكاح.

ويُشترطُ لِصِحَّةِ النِّكاحِ أنْ لا تكونَ المرأةُ أوِ البِنْتُ فِى عِدَّةِ الغَيْرِ، أمَّا فِى عِدَّةِ الشخْصِ الذِى كان طَلَّقَهَا طَلاقًا له رَجْعَةٌ بعدَه[١] فإنْ أرادَ إرجاعَها يصِحُّ له ضِمْنَ عِدَّتِه، ثُمَّ مِنْ شُرُوطِ النِّكاحِ إنْ كانتِ المرأةُ مُسلِمَةً أنْ يكونَ الزَّوجُ مُسلمًا فلا يصِحُّ عقدُ نكاحِ المسلِمَةِ على الكافِرِ نصرانيًّا كان أوْ يهُوديًّا أوْ دُرْزِيًّا أوْ مجُوسيًّا أوْ مُرتدًّا.

وَوَلِيُّ النكاحِ الأبُ المسلِمُ ثُمَّ الجدُّ المسلِمُ ثُمَّ أخُوهَا المسلِمُ ثُمَّ ابنُ أخِيْهَا المسلِمُ فإنْ لم يكنِ ابنُ الأخِ فعَمُّها فإنْ لم يكنْ فابنُ العَمِّ مَنْ كان منهُم مُسلِمًا ثُمَّ القَاضِى، فإنْ لمْ يَرْضَ ولِىّ النكاحِ تزوِيْجَهَا بغيرِ سَبَبٍ شَرْعِيٍّ تَمَنَّعَ عِنادًا لِيُعَذِّبَها فالقَاضِى هو وَلِيُّهَا، فإنْ كان القَاضِى لا يُجرِى العَقْدَ بِدُونِ دَفْعِ رُسُوم تُحَكِّمُ هِىَ وخَاطِبُها إنسانًا دَيِّنًا مُسلِمًا يكونُ هو بدرجَةِ القَاضِى لها يقولانِ لهذا المسلِم الدَّيِّنِ الذِى يَفْهَمُ أحكامَ النكاحِ حَكَّمْنَاكَ فِى زَوَاجِنَا ثُمَّ يقولُ هو للخَاطِبِ زَوَّجْتُكَ مُحَكِّمَتِى فُلانةَ فيقولُ قَبِلْتُ زَوَاجَهَا.

ويصِحُّ عقدُ النكاحِ ولو فِى غيرِ المحْكَمَةِ ولو مَازِحًا معَ استِيفاءِ شُرُوطِ العَقْدِ. قال رسولُ اللهِ ﷺ ثَلاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وهَزْلُهُنَّ جِدٌّ الطلاقُ والنكاحُ والرَّجْعَةُ[٢] اهـ

---

(١) كأن بقِىَ له طلقة أو طلقتان.

(٢) رواه أبو داود فِى سننه باب الطلاق على الهزل.

والـمَهْرُ لا بُدَّ منه ولو لـمْ يذكُرَاهُ لكنَّه يُسَنُّ ذِكْرُ المهْرِ فِى صُلْبِ العقْدِ فإنْ هِىَ رَضِيَتْ بقِلَّةِ المهْرِ صَحَّ النكاحُ أمَّا بدونِ رِضَاهَا فلا يجوزُ لأبِيْهَا أنْ يذكُرَ مَهْرًا تافِهًا.

أمَّا رِضَا البنتِ فِى الزّواجِ فإنَّه إنْ كانتِ البِنْتُ بِكرًا وزَوَّجَها أبُوها فإنْ لمْ يكُنْ فجَدُّهَا أبو أبِيْهَا بدونِ رِضَاهَا بإنسانٍ كُفءٍ لها ثَبَتَ هذا النكاحُ، وأما إذا زوَّجَهَا بدونِ رِضَاهَا بمَنْ ليس فِى مُستواهَا[١] فلا يصِحُّ هذا النكاحُ، أمَّا الثَّيِّبُ فلا يَعْقِدُ النكاحَ عليها إلا بإِذْنِهَا مُطلقًا، حتَّى سكوتُهَا لا يكفِى لأنَّ الثَّيِّبَ أحَقُّ بنفْسِهَا. أمَّا غيرُ الأبِ والجدِّ فلا يصِحُّ لهم إجراءُ العَقْدِ على البِكْرِ بدونِ إِذْنِهَا.

ومِنْ شُرُوطِ النكاحِ أيضًا أنْ لا يكونَ الرجلُ[٢] مُحْرِمًا بحَجٍّ أوْ عُمرَةٍ فلا يَثْبُتُ عَقْدُ النكاحِ فِى حالِ الإحرامِ بالحَجِّ والعُمرَةِ بلْ هو باطِلٌ.

وإنْ أذِنَتِ البِنْتُ البِكْرُ بالمهرِ القليلِ صَحَّ النكاحُ أمَّا إنْ هِىَ لمْ تَرْضَ فلا يجوزُ له أنْ يُجْرِىَ عليها العقدَ بأقلَّ مِنْ مهرِ المثلِ، مهرُ المثلِ معناه المهرُ الذِى يُرْغَبُ به لنساءِ عَصَبَاتِهَا كعَمَّاتِها ولا يَثْبُتُ أقلُّ منه.

ثُمَّ إذا أُجرِىَ العقدُ لشخصٍ كان يُظْهِرُ الإسلامَ ثُمَّ تَبَيَّنَ أنَّه كافِرٌ وقتَ إجراءِ العقدِ تَبَيَّنَ أنَّ ذلك النكاحَ

---

(١) أى ليس كفأً لها.

(٢) أىْ أو المرأة.

غيرُ ثابتٍ، لا تكونُ زوجةً له، هِيَ حَرامٌ عليه فإذا عَلِمَتْ ذلك فحَرَامٌ عليها أنْ تُمَكِّنَهُ مِنْ نفسِهَا وحرامٌ علَى أهلِهَا أنْ يُمَكِّنُوهُ منها، أمَّا إذا كان وقتَ إجراءِ العَقْدِ مُسلِمًا ثُمَّ سَبَّ اللهَ بعدَ الدُّخُولِ ثُمَّ تَشَهَّدَ بنيةِ الدخولِ فِي الإسلامِ قبلَ أنْ تنقَضِيَ العِدَّةُ لمْ يلزَمْهُ عقدٌ جديدٌ وهذا مذهَبُ الشافِعِيّ ثُمَّ لو تَكَرَّرَ منه عِدةَ مَرَّاتٍ أنَّه يكفُرُ بالسَّبِّ ثُمَّ قبلَ أنْ تنتَهِيَ العِدَّةُ يعودُ إلى الإسلامِ فلا يلزَمُهُ عقدٌ جديدٌ.

انتهى واللهُ سبحانَهُ وتعالى أعلَم.

الدرس الخمسون



كَيْفِيَّةُ التَّذْكِيَةِ وحُرْمَةُ أكلِ الـمَيْتَةِ (١)

درسٌ ألقاه الفقيهُ المحدثُ الشيخ عبد الله بن محمد الهرريُّ رحمه الله تعالى فى السادسِ والعشرينَ من ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وألف وهو فى بيان التذكية وحرمةِ أكلِ الميتةِ. سمعه منه الشيخُ نزارُ ابنُ رشيد الحلبيُّ رحمه الله تعالى والشيخ نبيل بن محمد الشريف والشيخ سمير بن سامى القاضى. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ لله ربّ العالمين له النعمةُ وله الفضلُ وله الثناءُ الحسنُ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم.

أما بعدُ فإنَّ أحسنَ الحديثِ كتابُ اللهِ وأحسنَ الهدىِ هدىُ محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأمورِ محدثاتُها وكلُّ محدَثةٍ بدعةٌ وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ. قالَ اللهُ تباركَ وتَعالى فى سورة المائدة ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾.

اللهُ تباركَ وتَعالى ذكرَ فى هذهِ الآيةِ تحريمَ أحدَ عشرَ شَيئًا، الأولُ منهَا الميتةُ وهىَ ما زالتْ حياتُها بغيرِ ذكاةٍ شرعيةٍ كأنْ تموتَ بمَرضٍ أو بذَبحِ مَن لَا تَحِلُّ ذبيحتُهُ كالمجوسىّ والمرتدّ والدّرزىّ والبُوذىّ ولو ذَبحوا كما يَذبحُ المسلمونَ بقَطعِ الحلقومِ أىْ مجرَى النفَسِ وبقَطعِ المَرِىءِ أى مجرَى الطعامِ والشّرابِ ولو سَمَّوا وكبَّروا فلَا تَحِلّ ذبيحةُ هؤلاءِ. أما اليهودىُّ والنّصرانىُّ فتَحِلُّ ذبيحتُهما لأنَّ هذينِ معَ كفرهِما أحلَّ اللهُ لنا أنْ نأكلَ ذبائحَهُما إنْ ذَبَحا بالطّريقةِ الإسلاميّةِ. والمرأةُ المسلمةُ واليهوديةُ والنصرانيةُ إذا ذَبَحَت فذبيحَتُها حلالٌ وكذلكَ الولدُ الذى هوَ دونَ سنّ البُلوغِ إذا كانَ يُحسنُ الذّبحَ.

واليَهودىُّ والنصرانىُّ لَو لَم يسمّيا اللهَ فذَبيحتُهما حلالٌ، أما المسلمُ إنْ سمَّى اللهَ تعالى فذبيحتهُ حلالٌ باتّفاقِ العلماءِ، وإنْ تركَ تسميةَ اللهِ عَمدًا فقَد قالَ أبو حنيفةَ وأحمدُ ومالكٌ لَا تحلّ ذبيحتهُ وإنْ تركَها سَهوًا تحلُّ ذبيحتهُ، وأما الإمامُ الشافعىُّ رضىَ اللهُ عنهُ فقالَ ذبيحةُ المسلم سَمَّى اللهَ أو لَم يُسمِّ فهىَ حلالٌ ولو تركَ التّسميةَ عَمدًا.

والمسلمُ أو اليَهودىُّ أو النّصرانىُّ إذا ضغطَ على الآلةِ التى تَقطعُ رقبةَ الذّبيحةِ فنزلتْ فقَطعتها حلَّ وتكونُ كالتى ذُبحَتْ بالسّكينِ[١]، وإنْ كانتِ الماكينةُ بمُجرّدِ ما تَدخلُ

(١) والثانية يكون لها حكمُ الأولى إذا كان الشخص أيضًا هو الذِى=

البقرةُ أو غيرُها إليها تقطعُ رقبتَها فهذهِ ميتةٌ.

وأما المسلمُ الذى ارتدَّ إلى اليهوديةِ أو النصرانيةِ فذبيحتهُ حرامٌ.

ولَا يجوزُ للمسلم أنْ يأكلَ اللحمَ حيثُما وجدَهُ مِن غَيرِ أنْ يعلمَ أنهُ ذبَحٌ شرعىٌّ، ولَا ضرورةَ لأكلهِ معَ وجودِ السَّمكِ والخضارِ الحلالِ، وليُعلَم أنَّ أولَ مَا يَنتُنُ منَ الإنسانِ فى القبرِ بَطنُهُ فليَكتفِ الإنسانُ بالخضارِ وذبح يدهِ فى حالةٍ كهذهِ.

أما السّمكُ فكيفَما وصلَ إلينَا فحلالٌ سواءٌ عَن طريقِ مجوسىّ أو كتابِىّ فمَيتَةُ السَّمكِ حلالٌ.

الأمرُ الثانى الدمُ فهوَ حرامٌ حَرَّمَهُ اللهُ تعالى سواءٌ كانَ دمَ ذبيحةٍ منَ الحيواناتِ المأكولَةِ أو دمَ غيرِها وسواءٌ كانَ مائعًا أو جمدَ بعدَ انفصالهِ مِن مخرجهِ فالدّمُ الذى يخرجُ منَ الذّبيحةِ ثمَّ يَجْمُدُ بطريقةٍ ما فحرامٌ أكلُهُ وقَد تعوَّدوا ذلكَ فى أورُوبا وهوَ منَ الكبائرِ وحرامٌ بيعهُ وشراؤهُ.

والدمُ الذى حرَّمهُ اللهُ تعالى هوَ الدمُ المسفوحُ أىِ السّائلُ، قالَ اللهُ تعالى فى سورة الأنعام ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمًا مَّسۡفُوحًا﴾ أما الدّمُ غيرُ السّائلِ فليسَ حرامًا

= يُحرّك الآلة لتقطع رقبتها أما إذا كانت الآلة تقطع بنفسها رقبتها بدون تحريك الشخص ولا ضغطة بعد المرة الأولى فما ذُبح بهذه الآلة بعد الأولى حرام.

فالكبدُ والطِّحالُ حلالٌ لأنّهما ليسَا دمًا مَسفوحًا فمَن أكلَ الكبدَ نِيئًا أو مَطبوخًا أو مَشويًّا فهوَ حلالٌ وكذلكَ الطِّحالُ لأنَّ اللهَ قالَ ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ ولَم يَقلْ أو غيرَ مَسفوحٍ، أما الدمُ الذى يَنِزُّ منَ اللحمِ الطّازَجِ ويَسيلُ منهُ فهذا غيرُ حرامٍ، كذلكَ لو احمرَّ المرَقُ منَ اللحمِ المقطّعِ الطّازَجِ لاً يحرمُ إنما الحرامُ هوَ الدمُ المسفوحُ.

الأمرُ الثالثُ لحمُ الخنزيرِ أىْ يحرمُ أكلهُ سواءٌ كانَ بَرِّيًّا أو أهْلِيًّا.

والميتةُ والدمُ ولحمُ الخنزيرِ وما أُهِلَّ لغيرِ اللهِ بهِ حرامٌ فى جميعِ الشّرائعِ ومِنها شرعُ المسيحِ.

الأمرُ الرابعُ ما أُهلَّ لغيرِ اللهِ بهِ أىْ مَا ذُبحَ لعبادةِ غيرِ اللهِ كتعظيمِ الأصنامِ، فالشّىءُ الذى ذُكرَ عليهِ اسمُ غيرِ اللهِ عندَ ذبحهِ حرامٌ، كما يَفعلُ بعضُ الوَثنيّينَ لما يَذبحونَ لأوثانِهم ويَذكرونَ عليهِ اسمَ ذلكَ الوثَنِ تَعظيمًا لهُ وتقربًا إليه. كانَ لقبائلِ العَربِ طواغِيتُ، والطّاغوتُ هوَ شيطانٌ ينزلُ على الإنسانِ ويتكلّمُ على فَمهِ فكانوا فى الجاهليةِ يُعظّمونَ هذا الإنسانَ مِن أجلِ الشّيطانِ الذى يَنزلُ فيهِ ويَتكلّمُ على لسانهِ، كانوا يَعبدونَ ذلكَ الشيطانَ لأنهُ عندما يَنْزِلُ على هذا الإنسانِ كانَ يحدّثهُم ببَعضِ مَا يَحْدُثُ فى المستقبلِ، كانَ يقولُ لهم هذا العامَ يحصلُ كذا يحصلُ وباءٌ وحرقٌ وقَحْلٌ وأحيانًا يقولُ فلانٌ يُولَدُ لهُ ولدٌ فلانٌ يموتُ ونحوَ ذلكَ منَ

الأمورِ المستقبَلةِ، وهذا الشيطانُ لَا يعلم الغيب إنما يأخذُ الخبرَ منَ الملائكةِ إذِ الملائكةُ أولياءُ اللهِ وأحبابهُ يُطلعُهُم اللهُ تعالى على كثيرٍ منَ المستقبَلِ فهذا الشّيطانُ يَسمعُ مُستَخْفيًا حديثَ الملائكةِ فيمَا بينَهُم ثمَّ ينزلُ فيَتحدثُ بهِ لكنهُ لَا يقتصرُ على الذى سَمِعَهُ منَ الملائكةِ بل يُضيفُ إليهِ كذبًا كثيرًا فيَتحقّقُ الذى سَمِعَهُ منَ الملائكةِ والأكاذيبُ التى ضَمَّها لَا تتحقّقُ لكنَّ الناسَ الذينَ يُعظّمونهُ مَتى ما صدَقَ لهُ خبرٌ أو خبرانِ أو ثلاثةٌ فهذا يُغطّى عندَهُم الأكاذيبَ التى تحصلُ منهُ، فالذبحُ لهذا الشيطانِ هوَ ما ذكرهُ اللهُ تعالى بقوله ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أما الأنبياءُ والأولياءُ والملائكةُ فيُطلعهمُ اللهُ على بَعضِ الغَيبِ لأنَّ نُفوسَهُم مُستنيرةٌ بتقوَى اللهِ فهَؤلاءِ إنْ تحدَّثوا عَن بَعضِ ما يحصلُ فى المستقبَلِ ليسَ عَليهِم ذنبٌ. فهَذا الذى يَذبحُ للشّيطانِ هوَ ما ذكرَهُ اللهُ تعالى ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ وأكْلُهُ حرامٌ. فى الجاهليّةِ كانوا يَذبحونَ تَقرّبًا إلى هذهِ الشّياطينِ كذلكَ كانوا يذبحونَ لعبادةِ الأصنامِ فقَد كانَ عندَهُم وَثَنٌ كبيرٌ يُسمونهُ هُبَلُ ووَثنٌ اسمهُ مَناةُ وءاخرُ اسمهُ اللاّتُ وعندَهم العُزَّى وهىَ شيطانةٌ أنثى ذهبَ خالدُ بنُ الوليدِ رَضِىَ اللَّهُ عنه إلى الشّجرةِ التى كانَت هىَ تُظْهِرُ صوتَها فيها فقَطَعَها وصادفَ هناكَ الشّيطانةَ عُزَّى فقتَلَها كانت مُتشكِّلَةً بشَكلِ أنثى منَ البَشرِ وقالَ لها[١]

(١) ذكرها النسائى فى السنن الكبرى فى باب سورة النجم.

يـا عُـزَّى كُـفْـرانَـكِ لا سـبـحـانَـكِ
إنِّـى رأيـتُ الـلـهَ قَـد أهـانَـكِ اهـ

ومعَ كلّ واحدٍ منّا قَرِينٌ جنىٌّ وظيفتُهُ أنْ يُوَسْوِسَ لابنِ ءادمَ يُرغّبهُ فى المعصيةِ ويُثَبّطهُ عَن عَملِ الخيرِ والصّلاةِ، عندَما يريدُ أن يقومَ للصّلاةِ يُثْقِلُ عليهِ رَأسه، وهناكَ غيرُ هؤلاءِ مَن يَتَسَلَّطْنَ على النّساءِ فيُؤذينَهُنَّ فى أجسامِهنَّ ويقتُلْنَ أولادَهُنَّ بتقديرِ اللهِ ويُسَمُّونَ الواحدةَ منهُنَّ قرينةً. قالَ اللهُ تَعالى فى سورة مريم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ فالـلـهُ تـعـالـى يفعلُ ما يُريدُ ومَعنى تَؤُزُّهُم أزًّا أىْ تُقَوّيهِم بالمعاصِى وتَدفعُهم إليهَا.

وتُقرَأ سورةُ الزلزلةِ وغيرُ ذلكَ بنيّةِ قَلْعِ وإخراجِ الجنّ مِنَ المصابِ بهِ.

فكلُّ ذبيحةٍ ذُبحَتْ لغَيرِ اللهِ هىَ عَلينا حرامٌ إنْ كانتْ ذُبحتْ للتّقرّبِ منَ الجنّ وإنْ ذُبحَتْ للتّقرّبِ إلى غَيرِهم. والذّبيحةُ باسمِ المسيحِ أو باسم الصليب حرامٌ وأما إذا ذبحَ النّصرانىُّ ساكتًا فذَبيحتهُ حلالٌ كما تقدَّمَ.

والإنسانُ الذى تسلَّطَ عليهِ الجنُّ فأوجعَهُ وءالمهُ لَا يجوزُ أنْ يَذبَح للجنّ بنيّةِ إرضائِهم ورفعِ أذاهُم عنهُ. الإنسانُ عندَ الضّيقِ وعندَ المصائبِ قَد يَتورَّطُ فى مَعصيةِ اللهِ تعالى فمَن حصلَ لهُ أذًى منَ الجنّ يجبُ أن يَسْتَسْلِمَ لقَضاءِ اللهِ تَعالى. بعضُ الجنّ يَتأذّونَ عندَ صبّ الماءِ السّاخنِ فالنّارُ تحرقُهم معَ أنَّ أصلَهم منَ

النارِ، إبليسُ خُلِقَ مِن لهبِ النارِ الصّافِي وفى الآخرةِ يحترقُ فى جهنمَ أما الملائكةُ فلَيسوا مثلَ الجنّ لَا يتأذَّونَ عندَ صبّ الماءِ السّاخنِ فجَهنّمُ التى خَلقَ اللهُ تَعالى أعظمَ نارٍ فيها يُوجَدُ ملائكةٌ مُوظَّفُونَ فيهَا لَا تُحرقُهم النّارُ، قسمٌ كبيرٌ منَ الملائكةِ فى جهنّمَ والرّؤساءُ منهُم تسعةَ عشرَ ورَئيسهُم يُسمّى مَالِكًا وهؤلاءِ الرّؤساءُ التّسعةَ عشرَ لهم أتباعٌ كثيرٌ. فبعضُ الجنّ إذا تأذَّوا منَ الماءِ السّاخنِ يُحاولونَ إيذاءَ مَن صَبَّ هذا الماءَ فإذا ءاذَوهُ لَا يجوزُ لهُ أنْ يَلجأ إلى ما حرّمَ اللهُ لدَفعِ أذاهُم بَل يَقرأُ منَ القرءانِ أو أذكارًا أخرى بقراءةٍ صَحيحةٍ لحمايةِ نفسهِ من ضرَرِهم.

انتهى والله تعالى أعلم.

(ولهذا الدرس تتمة تليه).

الدرس الحادى والخمسون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كيفيَّةُ التذكِيَةِ وحُرْمَةُ أكلِ المَيْتَةِ (٢)

تِتِمَّةُ الدَّرْسِ السّابقِ الذِى ألقَاهُ الشيخُ عبدُ اللهِ الهرَرِىُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى فِى السَّادِسِ والعِشرِينَ مِنْ رَبيعِ الأوَّلِ سَنةَ ثَمانٍ وتِسعينَ وثَلاثمائةٍ وألفٍ فِى شَرحِ قَولِهِ تَعالَى فِى سُورةِ المائِدَةِ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾. ***سَمِعَهُ منه الشيخُ نِزَارُ بنُ رشيدٍ الحلبِىُّ والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ سميرُ بنُ سامِى القَاضِى. والتتمَّةُ كما يأتِى قالَ رَحِمَهُ اللهُ***

الأمرُ الخامِسُ المنْخَنِقَةُ وهِىَ التِى مَاتَتْ خَنْقًا.

الأمرُ السادِسُ الموقُوذَةُ وأكْلُهَا حَرَامٌ، والموقُوذَةُ هِىَ البَهِيْمَةُ التِى ضُرِبَتْ بالعِصِىِّ حتَّى ماتَتْ. والذَّبْحُ لَا يُؤَثِّرُ فيها بعدَ مَوتِها ولَا يجعَلُها حَلالًا، أمَّا إذا دَاخَتْ لكنَّها بعدُ فِى حَيَاتِها المستَقِرَّةِ ثُمَّ ذُبِحَتْ ذَبحًا شَرعيًّا فهذهِ صارَتْ حَلالًا، فهذِهِ التِى يَضرِبُونَهَا بالمطْرَقَةِ فِى جَبْهَتِهَا فتَدُوخُ فتَقَعُ على الأَرْضِ فيَسهُلُ علَيْهِم ذَبْحُهَا فإنْ وَصَلَتْ إلى حَدِّ أنَّها فَقَدَتِ الحَرَكَةَ الاختياريَّةَ لأنَّها صَارَتْ فِى ءَاخِرِ رَمَقٍ وَصارَتْ تتَحَرَّكُ

كحَرَكَةِ المذبُوحِ أىْ حَرَكَةً غَيرَ اختِيَارِيَّةٍ فهذهِ لَا تَحِلُّ، أمَّا إذا دَاخَتْ وبَقِيَتْ فيها حَرَكَةٌ عَادِيَّةٌ اختِيَارِيَّةٌ فهذهِ إذا ذُبِحَتْ ذَبْحًا شَرعِيًّا فالذَّبْحُ يُحِلُّهَا، وهذا الضَّرْبُ حَرَامٌ لأنَّ فيهِ تعذيبَ خلقٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ تعالى بدونِ طَرِيقَةٍ شَرعِيَّةٍ أمَّا لو شَرَدَتْ بَقَرَةٌ أو شَرَدَ إِبِلٌ وأَفْلَتَ مِنْ يَدِ صَاحِبِهِ وهوَ يُرِيدُ أنْ يَتَمَكَّنَ منهُ ويَذْبَحَهُ قبلَ أنْ يقَعَ مِنْ رَأْسِ الجبَلِ فيَصِيرَ مَيتَةً فضَرَبهُ فضَرْبُهُ لهُ هُنَا بِسببٍ.

الأمرُ السَّابِعُ المتَرَدِّيَةُ وهِىَ التِى وَقَعَتْ وتَرَدَّتْ مِنْ عُلْوٍ كأنْ وَقَعَتْ مِنْ رَأْسِ جَبَلٍ فمَاتَتْ فهذهِ حَرَامٌ لَا يَحِلُّ أكْلُهَا.

الأمْرُ الثَّامِنُ النَّطِيْحَةُ أىْ يحرُمُ أكْلُ النَّطِيحَةِ وهِىَ التِى مَاتَتْ بالانْتِطَاحِ معَ بَهِيْمَةٍ أُخرَى كأنْ نَطَحَ كَبْشٌ كَبْشًا ءاخَرَ فقُتِلَ أَحَدُ الكَبْشَينِ فهَذا الكَبْشُ المقتُولُ مَيْتَةٌ لَا يَحِلُّ أكلُهُ. والتَّحرِيْشُ بينَ الكِبَاشِ حَرَامٌ وكذلكَ بينَ الدِّيَكَةِ.

الأمرُ التاسِعُ ما أَكَلَ السَّبُعُ إلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ فيَحْرُمُ أكلُ ما أَكَلَ السَّبُعُ إلَّا ما ذَكَّيْتُم فالبَهِيْمَةُ التِى أَكَلَهَا السَّبُعُ كالأَسَدِ والنَّمِرِ فمَاتَت فهِىَ حَرَامٌ أمَّا إذا أَخَذَ السَّبُعُ مِنْ أَلْيَةِ الغَنَم مَثلًا لكنَّهُ لَم يَقتُلْهَا ثُمَّ ذُبِحَتْ والحَيَاةُ بَعدُ مُستَقِرَّةٌ فيها فهِىَ حَلالٌ.

الأمرُ العاشِرُ ما ذُبِحَ على النُّصُبِ فيَحْرُمُ أكلُ مَا ذُبِحَ على النُّصُبِ أىِ الأوثَانِ. وهِىَ حِجَارةٌ كانُوا يَنصِبُونَها ويعبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ ويذبَحُونَ الذَّبيحَةَ تَعظيمًا لها

ويُهْرِقُونَهَا على هذا النُّصُبِ وهذا عِندَهُم تعظِيمٌ لهذا الوَثَنِ وعِبَادَةٌ له.

الأمرُ الحادِى عَشَرَ أنْ تَسْتَقْسِمُوا بالأَزْلَامِ وهذا حَرَامٌ ومعنَاهُ طَلَبُ الحَظِّ والنَّصِيْبِ بالسِّهَامِ التِى كانَتْ فِى الجَاهِلِيَّةِ يَستَعْمِلُونَها، كانوا إذا أرادُوا سَفَرًا أو غيرَ ذلكَ يَخْلِطُونَ هذهِ السِّهامَ بعضَها بِبَعْضٍ ثُمَّ يُخْرِجُ لهُمُ الشَّخْصُ الموَكَّلُ بهذا الشَّىءِ واحِدًا مِنْ غَيرِ أنْ يَنظُرَ فيهِ فإنْ طَلَعَ السَّهْمُ المكتُوبُ عليهِ افعَلْ يَمْضِى فِى تِلكَ الحَاجَةِ وإذا طَلَعَ السَّهمُ المكتوبُ عليهِ لَا تَفعَلْ يَقُولُ هذا الأمْرُ لَا يَنْجَحُ وليسَ لِى فِى هذهِ الحَاجَةِ حَظٌّ فيترُكُ ذلكَ الشَّىءَ إنْ كانَ زَواجًا وإنْ كانَ سَفَرًا وإنْ كانَ غيرَ ذلكَ. وفِى الجَاهِلِيَّةِ كانُوا فِى مَكَّةَ يَستعمِلُونَ هذا الشَّىءَ ضِمْنَ الكَعْبَةِ الشَّرِيْفَةِ فيَأْتِى صَاحِبُ الحَاجَةِ يَقُولُ لَهُم أُرِيدُ أنْ أسْتَقْسِمَ أىْ أنْ أَعْرِفَ حَظِّى ونَصِيْبِى، وقَدْ كانُوا فِى مَكَّةَ قَدْ عَمِلُوا صُورَةً لإبرَاهِيْمَ وإسمَاعِيْلَ عَلَيْهِما السَّلامُ ثُمَّ وَضَعُوا عَلَى أَيْدِيْهِم هذهِ السِّهَامَ لِيُوهِمُوا النَّاسَ أنَّ إبراهيمَ وإسمَاعِيْلَ كانَا يَعْمَلانِ هذا الشَّىءَ وما كانَ إبراهيمُ ولا إسمَاعِيْلُ يَعْمَلَانِهِ لأَنَّهُ مما حَرَّمَ اللهُ تعالى.

قالَ اللهُ تَعالى فِى سُورَةِ المائِدَةِ ﴿ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ﴾ أىْ هذهِ الأشياءُ التِى ذُكِرَتْ فِى هذهِ الآيَةِ كُلُّها مِنَ المحَرَّمَاتِ الكَبِيْرَةِ.

انتهَى واللهُ تعالى أعلَم.

الدرس الثانى والخمسون



إتْباعُ السيئةِ الحسنةَ

درسٌ ألقاهُ العالِمُ العامِلُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدرِيُّ رحمه اللهُ تعالى وهو فِى بيانِ أنَّ الحسناتِ يُذهِبنَ السيئاتِ وبيانِ بعضِ المعاصِى مِنَ الكبائِرِ والصغائرِ وبعضِ الأحكامِ المتعلِّقةِ بالنساءِ. سمِعَه منه الشيخُ عبدُ الرزاقِ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ جميلُ بنُ محمدٍ حليم والشيخُ محمدُ بنُ مُصطفَى البَكرِيُّ. قال رحمه اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ لهُ النعمةُ ولهُ الفضلُ وله الثناءُ الحسَنُ وصلواتُ اللهِ البَرِّ الرحيمِ والملائكةِ المقرَّبينَ على سيدِنا محمدٍ أشرفِ المرسلينَ وعلى جميعِ إخوانِهِ المرسلينَ وسلامُ اللهِ عليه وعليهِم أجمعين.

أما بعدُ فقَدْ رُوِّيْنَا فِى كتابِ الآدابِ للإمامِ البيهقِىّ رحمَهُ اللهُ تعالى مِنْ حديثِ أَبِى أُمَامَةَ البَاهِلِىّ رضِىَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال **إذا عَمِلْتَ سيئةً فأَتْبِعْهَا بالحسنةِ** قُلنا يا رسولَ اللهِ أَوَمِنَ الحسناتِ لا إله إلَّا اللهُ قال هِىَ أحسَنُ الحسناتِ(١) اهـ

(١) انظر الأسماء والصفات للبيهقىّ باب ما جاء فى فضل الكلمة الباقية.

هذا الحديثُ فيه فائدةٌ جليلةٌ وهِىَ أنَّ مَنْ عَمِلَ سيئةً أىْ معصيةً مِنَ المعاصِى وأتبَعَهَا بحَسَنَةٍ مِنَ الحسناتِ فإنَّ اللهَ تبارَكَ وتعالى يمحُو بتلك الحسنةِ تلك السيئةَ. ثُمَّ إنَّ الحسناتِ أحيانًا(١) يمحُو اللهُ بها اللَّمَمَ واللَّمَمُ هو الصغائرُ، وقد يمحُو اللهُ تعالى بالحسنةِ مِنَ الحسناتِ مِنَ الكبائِرِ ما شاءَ، وذلك لأنَّه رَوَى البُخارِىُّ رحمه اللهُ أنه ﷺ قال **اتَّقُوا النارَ ولو بِشِقّ تَمْرَةٍ**(٢) اهـ أىْ بنِصْفِ حَبَّةِ تمرٍ، بنصفِها قد يُعْتِقُ اللهُ المؤمِنَ مِنَ النارِ، لكن هذا ليسَ عامًّا ليسَ كلُّ مَنْ عَمِلَ حسنةً تُمْحَى عنه كبيرةٌ لكن هذا مِنْ بابِ الفَضْلِ، اللهُ تعالى يَخُصُّ مَنْ يشاءُ بأن يمحُوَ عنه كبيرةً فلا يجوزُ أنْ يُقالَ إنَّ الحسنةَ كائنةً ما كانتْ تُكفِّرُ الكبائرَ إنما هذا شىءٌ يحصُلُ بعملِ بعضِ الحسناتِ، يغفِرُ اللهُ تعالى بهذه الحسنةِ بعضَ الكبائرِ. ليس كلُّ مَنْ عَمِلَ حسنةً مِنَ الحسناتِ تُغفَرُ له بعضُ الكبائرِ لأنَّ هذا مِنْ بابِ الفضلِ ليس مِنْ بابِ الجزاءِ العامّ. وفِى هذا الحديثِ أيضًا دليلٌ على أنَّ لا إله إلَّا اللَّهُ هِىَ أكبرُ الحسناتِ وذلك لأنها هِىَ كلمةُ التوحيدِ، ومِنْ هنا صارَتْ أفضلَ الحسناتِ. ثُم جاء فِى حديثٍ رواه مسلمٌ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال **أَحَبُّ الكلامِ إلى اللهِ أربعٌ لا يَضُرُّكَ بأيِّهِنَّ بَدَأْتَ سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا**

---

(١) أى إذا قُبلت.

(٢) رواه البخارِى فِى صحيحه باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة.

إله إلَّا اللهُ واللهُ أكبَر[١] اهـ هذه الكلماتُ الأربَعُ هِىَ أحبُّ ما يقولُهُ الإنسانُ أىْ أنَّ هذه الكلماتِ الأربعَ هنَّ أفضلُ الذّكْرِ وأفضَلُهنَّ لا إله إلَّا اللهُ، وإنْ كان الرسولُ ﷺ فِى سياقِ هذا الحديثِ بدأَ بالتسبيحِ ولكنْ ليس معناهُ أنَّ سبحانَ اللهِ أفضلُ مِنْ لا إله إلَّا اللهُ بلْ لا إله إلَّا اللهُ هِىَ الفُضْلَى.

فينبغِى لكُلِّ مَنِ ارتَكَبَ سيئةً أنْ يُتبِعَهَا حسنةً، والحسناتُ بفضْلِ اللهِ كثيرةٌ التسبيحُ حسنةٌ والتحميدُ كذلك وأستغفرُ اللهَ كذلك والحسناتُ الفِعْلِيَّةُ كالصدقَةِ كذلك فإذا تصدَّقَ المسلمُ بنيَّةٍ حسنةٍ يمحُو اللهُ بها ما شاءَ مِنَ الذنوبِ فلا يحتَقِرِ المؤمِنُ حسنةً مِنَ الحسناتِ لا يَقُلْ ليس لها أجْرٌ كبيرٌ بلْ يَعمَلها رَجَاءَ فضلِ اللهِ تبارَكَ وتعالى لأنَّ اللهَ تعالى إذا شاءَ يُعتِقُ عبدًا كان ارتكبَ كبائرَ مِنَ النارِ بحسنةٍ واحدةٍ، لذلك ينبغِى ألّا يحتَقِرَ المؤمِنُ أيَّةَ حسنةٍ مِنَ الحسناتِ. وأما الحديثُ الذِى وَرَدَ فِى الصّلواتِ الخمسِ أنَّهُنَّ كفَّاراتٌ لما بينَهُنَّ ما لم تُغْشَ الكبائرُ فهذا موضوعٌ خاصٌّ، ليس معنَى ذلك أنَّ اللهَ لا يمحُو بشَىْءٍ مِنَ الحسناتِ شيئًا مِنَ الكبائِرِ بلِ اللهُ يمحُو بعضَ الكبائِرِ ببعضِ الحسناتِ فقد صحَّ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ أنَّ مَنْ قال عَقِبَ صلاةِ المغرِبِ وعَقِبَ صلاةِ الصبحِ قبلَ أنْ يتكلَّمَ وهو ثانٍ رِجْلَيْهِ لا إله إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له له الملكُ وله

(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة.

الحمدُ يحيِى ويُميتُ وهو على كلِّ شىءٍ قديرٌ عشرَ مراتٍ أنَّ اللهَ يمحُو عنه عشرَ سيئاتٍ أىْ معاصٍ مُوبِقَاتٍ أىْ مِنَ الكبائِرِ.

بابُ فضلِ اللهِ واسعٌ لكنِ الإنسانُ لا يعلَمُ فِى أىِّ حسنةٍ مِن حسناتِهِ تُمحَى له بعضُ الكبائرِ لذلك ينبغِى أنْ يَكُفَّ نفسَه مِنَ المعاصِى جميعِها كبائِرِها وصغائِرِها. ثُم إنَّ اللهَ تبارك وتعالى رحِمَ المؤمنينَ بأنْ جَعَلَ الحسنةَ الواحدةَ بعَشْرِ أمثالِهَا، الحسنةُ الواحدةُ تقومُ بإزاءِ عشرٍ مِنَ المعاصِى مِنَ السيّئاتِ، وهذا مِنْ فضلِ اللهِ تبارك وتعالى على عبادِهِ المؤمنينَ وإنْ عَمِلَ سيئةً تُكتبُ عليه سيئةٌ واحدةٌ.

ثُمَّ إنَّ السيئاتِ التِى هِىَ صغائرُ وتُعَدُّ لَمَّا كثيرةٌ، منها الكَذْبَةُ التِى ليس فيها إلحاقُ ضَررٍ بمُسلم وليس فيها تحليلُ حرامٍ ولا تحريمُ حلالٍ هذه الكذْبَةُ تُعَدُّ مِنَ الصَّغائِرِ.

أمّا الكبائِرُ فهِىَ فِى العَدِّ باعتبارِ الأحاديثِ الصحيحةِ الواردةِ فِى بيانِ الكبيرةِ هِىَ قريبةٌ مِنْ خمسٍ وعِشرينَ، وهناك أحاديثُ غيرُ ذلك فِى أسانيدِها ضعفٌ تَدُلُّ أنَّ هُناك زِيادةً على الثلاثين، وبعضُ عُلماءِ الأُصُولِ كتاجِ الدِّينِ السُّبكِيّ عَدَّ خمسةً وثلاثين، ويُرْوَى عن عبدِ اللهِ ابنِ عباسٍ أنه قال هِىَ إلى السبعينَ أقربُ، ما جَزَمَ بأنَّها سبعُونَ بلْ قال هِىَ إلى السبعِينَ أقرَبُ.

ثُمَّ مِنَ الصغائرِ أنْ تتعطرَ المرأةُ وتخرُجَ بنيةِ التعرُّضِ

للرجالِ. رَوَيْنَا فِى صحيح ابنِ حِبَّانَ عنْ أَبِى مُوسى الأشعرِىّ رَضِىَ اللهُ عنه أَنه قال قال رسولُ اللهِ ﷺ **أَيُّما امرأةٍ خَرَجَتْ مُتعطرةً فمرَّت بقومٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فهِىَ زانيةٌ**[1] اهـ معنَى قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ فهِىَ زانيةٌ أىْ تُشبِهُ الزانيةَ أىْ هذا مِنْ مُقدِّماتِ الزِّنا. مِنْ مُقدِّماتِ الزِّنا النظرُ بشهوةٍ والبَطشُ أىِ الإمساكُ باليدِ والمشىُ بنيةِ الحصولِ على تلذُّذٍ محرّم، وكذلك المحادثةُ التِى يُقصَدُ بها التلذذُ المحرَّمُ كلُّ هذا مُقدماتُ الزنا. لكنْ فرقٌ بعيدٌ بَيْنَ الزِّنا الحقيقِىّ الذِى يُوجِب الحدَّ وبَيْنَ هذه المقدماتِ. أمّا التِى تخرُجُ مُتعطرةً أو مُتزينةً لا لقَصْدِ التعرُّضِ للرجالِ فهو جائزٌ معَ الكراهَةِ. إذا تعطَّرَتْ أو تزيَّنَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ لا بنيةِ التعرُّضِ للرجالِ فهذا مكروهٌ لا يَصِلُ إلى درجَةِ الحرام ومَنْ يُحَرِّمُهُ فهو غالطٌ خالفَ حديثَ رسولِ اللهِ ﷺ **فمرَّتْ بقومٍ لِيَجِدُوا ريحَها** اهـ ما قال أَيُّما امرأةٍ خَرَجَتْ مُتعطرةً فهِىَ زانيةٌ، لم يقُلْ ذلك إنما قال **فَمَرَّتْ بقَوْمٍ لِيَجِدُوا ريحَها** اهـ ولا يجوزُ للإنسانِ أنْ يتعدَّى الحدَّ الذِى جاءَ به الشرعُ.

هذا أىْ حُكْمُ الكراهةِ المذكورُ ءانفًا فِى غيرِ سَفَرِ الحجِّ أمّا فِى سَفَرِ الحجِّ فقَدْ صحَّ ما رواه أبو داود والبيهقِىُّ وغيرُهما عن عائشةَ رضِىَ اللهُ عنها **كُنَّا نَخْرُجُ معَ رسولِ اللهِ ﷺ إلى مكةَ فنُضَمِّخُ جِبَاهَنَا بالمسكِ**

---

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه باب الزنى وحده.

للإحرامِ فإذا عَرِقَتْ إحدَانا سَالَ على وجهِهَا فيَرَى رسولُ اللهِ ﷺ ذلك فلا يَنْهَانَا[١] اهـ مِنْ هُنا قال الفُقهاءُ الشافعيُّونَ إنه يُستحَبُّ للرّجُلِ والأنثَى التطيّبُ للإحرامِ أىْ بحَجّ أو بعُمرَةٍ أىْ هو سُنَّةٌ. فالقَولُ بتحريم خُروجِ المرأةِ مُتعطّرةً على الإطلاقِ شَطَطٌ أىْ مُجاوَزَةٌ للحَدِّ ولا يُقَلَّدُ قائِلُهُ.

ثُمَّ إنَّ هُناك حديثًا ءاخَرَ رواهُ ابنُ أبِى شَيْبَةَ فِى مُصنَّفِهِ أنَّ عائشَةَ رَضِىَ اللهُ عنها قالتْ دَخَلَ علَىَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وعِنْدِى أسماءُ فقال **ما كان ينبَغِى للمرأةِ أنْ تتطيَّبَ وزوجُها غائبٌ**[٢] اهـ محلُّ الدليلِ أنَّ الرسولَ ﷺ ما زادَ على قولِهِ **ما كانَ ينبَغِى** ما قال حرامٌ عليكِ كيف خرجْتِ مِنَ البيتِ وجِئْتِ إليْنَا وأنتِ مُتطيّبة، ما عَنَّفَهَا. هذا أيضًا دليلٌ. لكنْ كما قال الفُقهاءُ خُروجُ المرأةِ مُتطيّبةً أو مُتزينةً إلى السوقِ أو إلى المسجدِ أو نحوِهما أىْ أمامَ الرجالِ الأجانبِ مَكروهٌ لكنَّ الحديثَ الصحيحَ يَسْتَثْنِى سَفَرَ الحجّ والعُمرَةِ لحديثِ عائشَةَ الذِى ذكرْناهُ أخرَجَهُ أبو داودَ مِنْ بَيْنِ أصحابِ الكُتُبِ الستَّةِ والبيهقِىُّ رحِمَهُ اللهُ.

ثُمَّ الفُقهاءُ نَصُّوا علَى أنه يجوزُ للمرأةِ الخروجُ كاشِفَةً وجْهَهَا. هذا ابنُ حَجَرٍ الهيتمِىُّ كان فِى مُنتصفِ

---

(١) رواه أبو داود فى سننه باب ما يلبس المحرِم والبيهقِى فِى السنن الكبرى باب المرأة تختضب قبل إحرامها وتمتشط بالطيب.

(٢) رواه ابن أبِى شيبة فِى مصنفه باب من كره للمرأة أن تطيب إذا خرجت.

القَرْنِ العاشِرِ الهِجْرِيِّ له كتابٌ اسمُهُ حاشِيَةُ الإيضاح يقولُ فيه يجوزُ خُرُوجُ المرأةِ إلى الشوارِعِ كاشِفَةً الوجهَ.

بعضُ المتأخِّرِينَ مِنَ الحنفيةِ قالُوا وجهُ المرأةِ ليس عورةً لكنْ يحرُمُ عليها الخروجُ كاشفةً الوجهَ هذا كلامُ بعضِ المتأخّرينَ ليس مِنْ كلامِ أصحابِ أبِى حنيفةَ ولا أصحابِهِم ولا أصحابِ أصحابِهِم إنَّما هذا كلامُ بعضِ المتأخّرينَ ممن له خمسُمائةِ أو أربعُمائةِ سنةٍ ومِنْ مُتأخِّرِيْهِم مَنْ لَمْ يُحَرِّمْ عليها الخروجَ كاشِفَةً الوجهَ والعُمدَةُ على ما قالَهُ هؤلاءِ وهو ما عليه الجمهورُ بأنَّه يجوزُ للمرأةِ الخروجُ معَ كَشْفِ الوجْهِ. كونوا على عِلْم بهذا لأنَّ بعضَ البِلادِ جَرَتِ العَادَةُ أنْ لا تخْرُجَ المرأةُ كاشفةً وَجْهَهَا فلَو حَصَلَ ذلك مِنْ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ اعتَبَرُوهُ كَبيرةً. هذا مِنْ تأثيرِ العَادَةِ. حتَّى إنَّ بعضَ أهلِ الغُلُوِّ فِى حَلَبَ قال لجماعَتِهِ حرامٌ على المرأةِ أنْ تُبرِزَ وجْهَهَا داخلَ بيتِها معَ وجودِ زوجِهَا إنْ كان هناك أجنبِيٌّ ءاخَرُ، هذا غُلُوٌّ، لو قيلَ له مِنْ أين قُلتَ هذا القولَ لا يجِدُ دليلًا لكنَّ بعضَ النفوسِ تُحِبُّ الغُلُوَّ، والرسولُ ﷺ نَهى عنِ الغُلُوِّ، لا يجوزُ للمُؤْمِنِ أن يتجاوزَ الحدَّ الشرعِيَّ، لا إفراطَ ولا تفريط. هذا المطلوبُ مِنَ المؤمِنِ، أن يكونَ عمَلُهُ قَصدًا وَسَطًا ليس فيه إفراطٌ ولا تفرِيطٌ أيْ تنقيصٌ. اللهُ تبارك وتعالى يُحِبُّ لعبادِهِ أنْ يكونُوا على الحالِ الوسَطِ لا

إفراطَ فيه ولا تفريط، لا نُحَرِّمُ حَلالًا ولا نُحِلُّ حرامًا، ولا عِبْرَةَ بالعَاداتِ بلِ العِبرَةُ بالشرعِ. نَعَم أفضلُ للمرأةِ وأحسنُ أنْ تَسْتُرَ وجْهَهَا إذا خَرَجَتْ أمامَ الرجالِ الأجانِبِ كما كانَتْ عادَةُ نِسَاءِ السَّلَفِ وقد كانتْ نِسَاءُ الأنصَارِ يُغَطّينَ عَينًا ويَكْشِفْنَ عينًا إذا خَرَجْنَ.

ثُمَّ إنَّ اللهَ تبارك وتعالى أَوْحَى إلى نَبِيِّهِ ﷺ فقال ما فيه حِفْظٌ مِنَ الهَلاكِ بالنسبَةِ للنِّساءِ، قال عليه الصلاةُ والسلامُ للنِّساءِ **تَصدَّقْنَ فإِنِّي رأيتُكُنَّ أكثرَ أهلِ النَّارِ تَكْفُرْنَ** اهـ قالتْ بعضُ النِّساءِ الحاضراتُ مُسْتَفْسِرَةً لقولِهِ عليه الصلاةُ والسلامُ **تَكفُرْنَ** أَيَكْفُرْنَ باللهِ، قال **يُكْثِرْنَ اللَّعْنَ ويَكْفُرْنَ العَشِيْرَ**(١) اهـ يُكثرنَ اللعنَ معناه يَكثُرُ مِنَ النساءِ لعنُ مَنْ لا يجوزُ لعنُهُ، يغلِبُ على عادَةِ النساءِ أنهُنَّ يلعَنَّ إذا غَضِبنَ مِنْ وَلَدٍ، كذلك يَكفُرْنَ العَشِيْرَ أيِ الزوجَ أيْ يجحَدْنَ جميلَ الزوجِ أيْ إحسانَ الزوجِ ولا سِيَّمَا إذا غَضِبنَ، هذه حالةُ النساءِ الغالبةُ عليهِنَّ، أمّا التَّقِيّاتُ الصالحاتُ فهُنَّ مُسْتَثْنَيَاتٌ مِنْ ذلك. ثُمَّ منشأُ هذا اللعنِ وكُفرانِ العشيرِ فِي الغالِبِ الغَضَبُ فالمطلوبُ مِنَ المرأةِ المؤمنةِ أنْ تملِكَ نفسَهَا عندَ الغَضَبِ فلا تَتَجاوزَ بلِسَانِها إلى معاصِي اللهِ تبارك وتعالى مِنْ لَعْنِ مَنْ لا يَستحِقُّ اللعنَ وإيذاءِ الزوجِ

(١) رواه البخارِي فِي صحيحه باب كفران العشير وكفر بعد كفر وباب ترك الحائض الصوم.

بإنكارِ جَميلِهِ. أكبرُ سَبَبٍ لذلكَ اللَّعنِ والكُفرانِ هو الغضبُ والرسولُ ﷺ أَوْصَى أُمَّتَهُ بتَرْكِ الغَضَبِ أيِ الغَضَبِ لحَظِّ النفسِ فإنَّه ليسَ محمُودًا.

ثُمَّ إنَّ اللهَ تبارك وتعالى لمْ يفرِضْ على النِساءِ نَوعًا مِنَ اللِّبَاسِ أو لونًا إنَّما الفَرْضُ عليهِنَّ أنْ يَسْتُرْنَ ما عدا الوجْهَ والكفَّيْنِ بما يمنَعُ إدراكَ لونِ جِلْدِهَا فإنْ ستَرَتْ بالأحمَرِ أو بغيرِ ذلك مِنَ الألوانِ فذلِكَ جائِزٌ ولا يُشتَرَطُ أنْ تَقْتَصِرَ على الأبيضِ أوِ الأسودِ. وأمّا إذا كان لِبَاسُهَا يَصِفُ لونَ جِلْدِهَا فكأنَّها غيرُ لابِسَةٍ. وسبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.

انتهى واللهُ تعالى أعلم.

الدرس الثالث والخمسون



حال المؤمن عند الموت والعقيدة المنجية

درسٌ ألقاه الأصوليُّ المحدِّثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدريُّ رحمه الله تعالى وهو فى بيان حال المؤمن عند الموت وأنَّ عقيدةَ المسلمينَ هى أنَّ اللهَ لا يَتَحَيَّزُ فى الجهات والتحذيرِ مِن الفِرَقِ الثلاثِ. سمعه منه الشيخ محمد بن مصطفى البكرىّ والشيخ سمير بن سامى القاضى والشيخ نبيل بن محمد الشريف والشيخ جميل بن محمد حليم والشيخ عبد الرزاق بن محمد الشريف. قالَ رحمهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين وسلامُ اللهِ ورحمتُه وبركاتُه على سيد المرسلين وعلى ءاله الطيبين الطاهرين.

أما بعدُ فقَد قالَ رسولُ اللهِ ﷺ **مَا مِن نَفسٍ تموتُ لها عندَ اللهِ خيرٌ تُحِبُّ أنْ تَرْجِعَ إلى الدّنيا ولَو أنَّ لها الدنيا ومَا فيها إلا الشّهيدُ فإنهُ يحبُ أنْ يرجعَ إلى الدّنيا ويُقْتَلَ مرّةً أخرى لما يرَى مِنْ كَرامَةِ الشّهادةِ**[١] اهـ أىْ فضلِ الشّهادةِ فى سَبيلِ اللهِ. وذلكَ لأنَّ المؤمنَ التقىَّ قبلَ أنْ تُفارِقَ روحُهُ جسدَهُ تأتيهِ

(١) رواه مسلم فى صحيحه باب فضل الشهادة فى سبيل الله تعالى.

ملائكةُ الرّحمةِ هوَ يَراهُم ويَسمعُ كلامَهم أما الذينَ عندَهُ لَا يَرَوْنَهم ولَا يَسمعونَ كلامَهم، هوَ يَسمعُ مِن ملائكةِ الرّحمةِ يقالُ لهُ السّلامُ عليكَ يا ولىَّ اللهِ أىْ يا حبيبَ اللهِ عندَما يَسمعُ هذهِ الكلمةَ يَمْتَلِئُ سُرورًا يَذْهَبُ عنهُ الخوفُ منَ الموتِ ومِنَ القبرِ، يُحِبُّ أنْ يموتَ بسرعةٍ أن تُفارقَ روحُهُ الدّنيا بسرعةٍ لأنهُ سمعَ تبشيرَ الملائكةِ، كذلكَ عزرائيلُ يُبَشِّرهُ، لذلكَ يُحِبُّ الخروجَ مِنَ الدنيا ولَا يَخافُ مِنَ القبرِ وذلكَ لأنَّ هؤلاءِ مَلائكةَ الرّحمةِ منظرُهُم يُفرّحُ وجوهُهم كالشّمسِ. بعضُ الناسِ يأتونَ إليهِم مِن هؤلاءِ مَلائكةِ الرّحمةِ عَددٌ كثيرٌ وبعضُ الناسِ أقلّ. ثمَّ تلكَ السّاعةَ بعضُ الناسِ الأتقياءُ يرونَ الرّسولَ ﷺ يُرْفَعُ عنهُم الحجابُ، هذا الحجابُ الذى مِن هنا إلى المدينةِ يَصيرُ كالزّجاجِ يرَى الرّسولَ ﷺ يَضحكُ إليهِ ويُبَشِّرُهُ. بعدَ هذا لَا يَبقَى فى رُوحهِ شىءٌ منَ الفَزعِ منَ الموتِ والقبرِ، ومعَ أنَّ هذا المؤمنَ التقىَّ يُقاسِى ألَمَ سَكَراتِ الموتِ وسَكراتُ الموتِ ألَمُها شديدٌ أصعبُ ألمٍ يَمُرُّ على الإنسانِ فى حياتهِ هوَ سكراتُ الموتِ. ومعَ هذا هذا المؤمنُ التقىُّ وهوَ يُقاسِى سَكراتِ الموتِ عندَما يأتى هؤلاءِ مَلائكةُ الرّحمةِ قلبُهُ يَمتلئُ فَرحًا.

ثمَّ إنَّ بعضَ المؤمنينَ يموتونَ فجأةً مِن غَيرِ أنْ يَمْرَضُوا وهُم عندَ اللهِ لهم درجاتٌ عاليةٌ. سيّدُنا نبىُّ اللهِ داودُ ماتَ فجأةً مِن غَيرِ أنْ يَلْزَمَ الفِراشَ مِنَ

المرضِ قبضَ اللهُ روحَهُ[١]. كذلكَ ابنهُ سليمانُ ماتَ فجأةً. هوَ سليمانُ عليهِ السّلامُ اللهُ تَعالى كانَ يُنبِتُ فى مُصلاّهُ شجرةً فيقولُ لَمَ خُلِقْتِ فتقولُ أنا لِكذا وكذا خُلِقْتُ فإنْ كانَت لدواءٍ كُتِبَ الدّواءُ الذى مِنها تذكُرهُ[٢]. مرةً نَبَتَتْ فى مُصلاّهُ شجرةٌ فقالَ لَمَ خُلِقتِ فقالتْ لخرابِ هذا البَيتِ مَعناهُ إشارةً لموتكَ معناهُ حانَ موتكَ فسألَ ربَّهُ أن يُخْفِيَ موتَهُ عنِ الجنّ لأنهُ كانَ يَقْهَرُ الجنَّ واللهُ تعالى أعطاهُ سِرًّا، رُؤوسُ الشّياطينِ يُطيعونهُ قسمٌ منهُم يَبْنُونَ لهُ أبنيةً وقسمٌ منهُم يُخرِجونَ لهُ الجواهرَ منَ البِحارِ يُشْغِلُهُمْ أشغالًا شاقّةً وإذا أحدٌ خالَفَهُ اللهُ يُنزِلُ بهِ عذابًا شديدًا فطلبَ مِنَ اللهِ أنْ يُخْفِيَ مَوتَهُ عنِ الجنّ. مَرةً كانَ مُتكئًا على عصاهُ فقبضَ اللهُ رُوحَهُ وهوَ واقفٌ فمضَى عليهِ سنةٌ وهوَ واقفٌ مُتكئٌ على عصاهُ والجنُّ لَا يَعلمونَ بمَوتهِ كانوا يَعملونَ فى الأعمالِ التى هوَ أمرهُم بها كلّفهم بها مَا شعَروا بمَوتهِ. بعدَ ذلكَ دُوَيْبَّةٌ أكلتْ عَصاهُ فوقعَ على جَنبهِ الأيمنِ فعرفَ الجنُّ أنهُ ماتَ. ثمَّ الجنُّ شكَروا هذهِ الدّويبَّة صَاروا يأتونَ لها بالماءِ، هيَ تَبنى بَيتَها على سُقوفِ البُيوتِ التى مِن خشبٍ، الجنُّ صَاروا يأتونَها بالماءِ الذى تَبُلُّ بهِ الترابَ الذى هىَ تَبْنِى بهِ بَيتها فرحًا بما فعلَت. هذهِ الحشرةُ معروفةٌ فى بلادِ

(١) رواه الحاكم فى المستدرك فى تفسير سورة ص.
(٢) رواه الحاكم فى المستدرك على الصحيحين كتاب الطب.

العَربِ تَبنى بيوتَها على السّقوفِ وعلى المكتباتِ أىّ شىءٍ هوَ خشبٌ تبنِى بيتَها والكتب تأكُلها والسقف الخشَبِىّ تَنْخَرُهُ.

كذلكَ كثيرٌ منَ الناسِ يموتونَ وهُم فى الصلاةِ وبعضُهم وهُم يمشونَ وبعضُهم وهم يتحدّثونَ معَ الناسِ ويضحكونَ فى أثناءِ الضّحكِ يموتونَ ليسَ كما يقولُ بعضُ الناسِ مَن ماتَ فجأة نَزَلَ عليه غضبُ الله. الولىُّ يموتُ فجأةً والكافرُ الفاجرُ يموتُ فجأةً، هذا ليسَ علامةً على أنَّ هذا الميتَ لَا خيرَ لهُ عندَ اللهِ. والصالحونَ أولياءُ اللهِ كثيرٌ منهُم يُشَدَّدُ عليهِم عندَ الموتِ فيزدادونَ دَرجاتٍ بهذا الألم الذى يُقاسونَهُ، اللهُ يحفظُهم مِن أنْ يتخبَّطَهُم الشيطانُ لأنَّ الشيطانَ يَبْذُلُ جُهدَهُ فى إغواءِ المؤمنِ عندَ الموتِ لإخراجهِ منَ الإيمانِ إلى الكفرِ. الصّالحونَ لَا يؤثّرُ فيهم إغواءُ الشّيطانِ قلوبُهم تبقَى ثابتةً على الإيمانِ أما بعضُ الناسِ مِن شدةِ الألمِ قد يسبّونَ اللهَ يعترضونَ على اللهِ فيكونُ خُتِمَ لهم بسوءِ الخاتمةِ. اللهُ يحفَظنا مِن أنْ يتخبّطنا الشيطانُ عندَ الموتِ.

ثمَّ إنَّ المؤمنَ الولىَّ إنما صارَ وليًّا لأنهُ تعلّمَ علمَ الدينِ العَقيدةَ والأحكامَ على مَذهبِ أهلِ السّنةِ، اعتقدَ عقيدةَ أهلِ السنةِ التى كانَ عليها الرَسولُ والصّحابةُ ومَن تَبِعَهم بالاتصالِ إلى هذا الوقتِ أما مَن لم يتعلّم علمَ أهلِ السنةِ مهمَا عمِلَ منَ العباداتِ مَهما اجتهدَ فى

العباداتِ فلَا يصيرُ وليًّا مَهما أكثرَ منَ الذكرِ مهما أكثرَ مِن قراءةِ القرءانِ مَهما أكثرَ منَ الحجِ والصّدقاتِ لا يصيرُ وليًّا.

لذلكَ أهمُّ أمورِ الدّينِ عقيدةُ أهلِ السّنةِ وهىَ معرفةُ اللهِ بالتّنزيهِ ومَعرفةُ رسولهِ، هذا أصلُ العقيدةِ عقيدةِ الإيمانِ، هذا أصلُ عقيدةِ الإسلام. اللهُ تباركَ وتَعالى لَم يَكن فى الأزلِ غيرُهُ. قبلَ أنْ يَخْلُقَ اللهُ تعالى العالَمَ مَا كانَ مكانٌ ولَا جهةٌ مَا كانتِ الجهاتُ السّتُ فوقٌ وتحتٌ ويمينٌ وشمالٌ وأمامٌ وخلفٌ، مَا كانَتْ، مَا كانَ نورٌ ولَا ظلامٌ، واللهُ تباركَ وتَعالى موجودٌ ليسَ لوجودهِ ابتداءٌ وما سِوى اللهِ كلُّهُ لم يكن ثمَّ كانَ هوَ خَلَقَهُ. أولُ ما خلقَ اللهُ الماءُ والعرشُ ثمَّ مَضى زمانٌ لَا نورَ فيهِ ولَا ظلام ولا ليل ولا نهار، بعدَ ذلكَ بزمانٍ خلقَ اللهُ الليلَ والنّهارَ، خلقَ الظّلامَ أولًا قبلَ النّورِ. ثمَّ اللهُ تباركَ وتَعالى خلقَ العالمَ على صِنفَينِ صنفٌ حجمٌ وصنفٌ صفةُ الحجم، الحجمُ إما أن يكونَ كَثيفًا وإما أنْ يكونَ لَطيفًا. الضّوءُ والرّيحُ والظّلامُ والرّوحُ هَؤلاءِ حجمٌ لطيفٌ لَا يَنضبِطُ باليَدِ لَا يُجَسُّ باليدِ حتى يُضْبَطَ وقسمٌ مِنَ الحجمِ شىءٌ يُجَسُّ باليدِ كالإنسانِ والحجرِ والشّجرِ والنّجمِ والشّمسِ والقمرِ، كلُّ هؤلاءِ حجمٌ يُجَسُّ باليدِ. قبلَ أنْ يَخلُقَ اللهُ العالمَ مَا كانَ حجمٌ لطيفٌ ولَا حجمٌ كثيفٌ ثمَّ اللهُ تَعالى جعلَ للحجمِ اللطيفِ والكثيفِ صِفاتٍ. الحجمُ

اللطيفُ والحجمُ الكثيفُ لهُ مِقدارٌ إما أن يكونَ شيئًا صغيرًا وإما أنْ يكونَ شيئًا كبيرًا وإما أنْ يكونَ بينَ الصَّغيرِ والكبيرِ. أصغرُ حجمٍ خلقهُ اللهُ مما تراهُ العيونُ هوَ الذى يقالُ لهُ الهَباءُ هذا الذى يُرَى فى ضَوءِ الشَّمسِ عندَما يَدخلُ منَ النافذةِ كالغُبارِ. وأوسعُ حجمٍ خَلقهُ اللهُ مِساحةً هوَ العَرشُ وهوَ سريرٌ لهُ أربعةُ قوائمَ. اللهُ تَعالى لَا يُوصَفُ بالحجمِ الكبيرِ ولَا بالحجمِ الصّغيرِ لأنهُ لَو كانَ لهُ حجمٌ لكَانَ لهُ أمثالٌ فى خلقهِ لذلكَ اللهُ ليسَ حجمًا صغيرًا ولَا حجمًا كبيرًا، كذلكَ اللهُ منزَّهٌ عَن صفاتِ الحجمِ. ما هىَ صفاتُ الحجمِ الحركةُ والسّكونُ. الحجمُ إمَا ساكنٌ وإما متحرّكٌ وإماَ متحرّكٌ وقتًا وساكنٌ وقتًا. العرشُ والسمواتُ السّبعُ دائمًا ساكناتٌ والنجومُ دائمًا متحرّكةٌ والإنسانُ والبهائمُ والجنُّ يتحرّكونَ مرّةً ويَسكنونَ مرّةً. كذلكَ الحجمُ اللطيفُ الضّوءُ والظّلامُ لهُ حركةٌ وسكونٌ، الليلُ يأخذُ مِساحةً منَ الأرضِ ثمَّ بعدَ طلوعِ الشّمسِ يَنزاحُ هذا الظّلامُ ويَحُلُّ النّورُ محلَّهُ يَأخذُ الضّوءُ مِساحتَهُ. اللهُ تعالى لا يوصف بأنه حجم لطيف ولا بأنه حجم كثيف ولا بأنه متحركٌ ولا بأنه ساكنٌ. أىُّ صفةٍ مِن صفاتِ العالَمِ لا تجوز على الله.

هذا مَعنى الآيةِ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ هذهِ الآيةُ تدلُّ على هذا المعنى لفظُها وجيزٌ ومعناها واسعٌ. مَنِ اعتقَدَ أنَّ الله هَكذا أىْ ليسَ كَمثلهِ شىءٌ عرفَ اللهَ أمَّا

مَنِ اعتقَدَ خِلافَ هذا فهوَ لَم يَعرفِ اللهَ. هذهِ الآيةُ تُنَزِّهُ اللهَ عَن أنْ يكونَ مُتحيِّزًا فى جهةِ فوقٍ وعَن أنْ يكونَ مُتحيِّزًا فى جهةِ تحتٍ فمَنِ اعتقدَ أنَّ اللهَ متحيِّزٌ فى جهة فوقٍ كالوهابية فإنهم شبهوا الله بخلقه فليسوا عارفين بخالقهم بل هم جاهلون بخالقهم. لو كانَ الله متحيزًا فى جهة فوق لكان له أمثالٌ كثيرٌ ولو كان متحيزًا فى جهة تحت لكان له أمثالٌ كثيرٌ. هوَ اللهُ تبارَكَ وتَعالى خَلَقَ الجهاتِ السّتَّ وجعلَ بعضَ خَلقهِ فى جهةِ فوقٍ كالعرشِ واللوحِ المحفوظِ وجعلَ بعضَ خَلقهِ فى جهةِ تحتٍ كالبَشرِ والجنّ والبهائم. جهةُ فوقٍ جَعَلها للمَلائكةِ. الملائكةُ كثيرونَ أكثرُ الملائكةِ حولَ العَرشِ، حافُّونَ مِنْ حولِ العرشِ محيطونَ بهِ يَطوفونَ بالعَرشِ كما نحنُ نَطوفُ بالكَعبةِ فى مكّة. هوَ أمَرَهم بذلكَ كما أمرَ المؤمنينَ منَ الإنسِ والجنّ بالطّوافِ بالكعبةِ أما اللهُ تباركَ وتعالى ليسَ ساكنًا العرشَ ولا الكعبةَ إنما الملائكةُ أُمِروا بأنْ يَطوفوا بالعَرشِ ونحنُ أُمِرنا بأنْ نَطوفَ بالكَعبةِ فى مكَّةَ. هذا العَرشُ الذى هوَ أكبرُ جسم اللهُ تعالى حَفِظَهُ فى مكانهِ لولا أنهُ بقُدرتِهِ حفِظَهُ هناكَ كانَ هوَى ومَا ثبتَ هناكَ لحظةً. كذلكَ السّمواتُ السّبعُ مَا ثبتَتْ لحظةً لولا أنَّ اللهَ أمسَكها بقدرتهِ ومَنَعَها مِن أنْ تَهْوِيَ إلى أسفل مَنعَها منَ الهُوِيِّ إلى أسفَل. وهذهِ الأرضُ التى تحمِلنا هوَ بقُدرتهِ أمسكَها وإلّا لحظةً ما ثَبَتَتْ. كانَت هَوَتْ إلى تحت. واللهُ تباركَ وتعالى، تعالى وتنزَّهَ عَن أنْ يكونَ متحيِّزًا

فى جهةِ فوقٍ وعَن أنْ يكونَ مُتحيزًا فى جهةِ تحتٍ فاللهُ تباركَ وتعالى هوَ حاملُ العرشِ والملائكةِ الذينَ يَحْمِلُونَ العرشَ. هوَ الذى حَفِظَهُم فى مَرْكَزِهِم وإلَّا أولئكَ الملائكةُ مَا ثَبَتوا هناكَ. مَن يُمسِكُهم هناكَ مَن يَمنعُهم منَ الهُوِىّ إلى أسفل لَولا أنَّ اللهَ أبقَاهُم هناكَ بقُدرتهِ. سَخافةُ عَقلٍ الاعتِقادُ بأنَّ اللهَ قاعدٌ عَلى العرشِ.

العرشُ اللهُ خَلقهُ ثمَّ حفِظَهُ فى ذلكَ المكانِ فلَم يَهْوِ إلى أسفل. هؤلاءِ الوهّابيّةُ عقُولهم سخيفةٌ يَعتقدونَ أنَّ اللهَ الذى خلقَ العَرشَ قاعدٌ على العرش وأولئك الملائكةَ يحملون العرشَ، أىُّ سَخافةِ عقلٍ هذه.

ثمَّ إنَّ الوهّابيّةَ يُورِدونَ ءاياتٍ قرءانيةً ويفسّرونَها على الظّاهرِ لَا يُفَسِّرونَها كما فسَّرها أهلُ السّنةِ والجماعةِ، الحذرَ الحذرَ منهُم. القرءانُ بعضُ ءاياتهِ لا يجوز تفسيرُها على الظاهِرِ بل تلك الآياتُ لها معانٍ غيرُ الظاهر. بعضُ الآياتِ ظاهِرُها أن الله فى جهة فوق وبعضُ الآياتِ ظاهِرُها أن الله فى جهة الأرض لَا يُؤخذُ بظاهرِ تلكَ الآياتِ ولَا بظَاهرِ الآياتِ الأخرى بل يُؤخذُ بقولهِ تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. لَا يَغُرَّنَّكُم قولُهم الرّحمنُ على العرشِ استوَى أى جلسَ على العرش، لَا تُصدّقوهم، ليسَ مَعنى الآيةِ جلسَ بل مَعناها قهرَ مَعناهُ اللهُ قهرَ العَرشَ أىْ قهرَ كلَّ شىءٍ فَلَا يُؤخذُ بظاهرِ ءايةِ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ ولا

بظاهر ءاية ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ هذهِ الآيةُ الثانيةُ ظاهِرُها أن الله محيط بالعالم بذاته بحيث إن الإنسان إذا صلَّى إلى أيِّ جهةٍ يكون متجهًا إلى ذات الله. الآيةُ لا تُفَسَّرُ بهذا الظاهر بل لها معنًى ءاخَرُ. فَثَمَّ قِبْلَةُ اللهِ معناهُ أيُّ جِهَةٍ تتّجهونَ إليها وأنتُم على ظَهرِ الدّابَّةِ تُصلُّونَ السُّنَّةَ، مَثلًا راكبُ الفَرسِ يُصلّى الفرضَ على الأرضِ ثمَّ عندَما يَركبُ فَرسَهُ ويَتّجهُ إلى جهةٍ منَ الجهاتِ مُسافرًا يجوزُ أنْ يُصلِّيَ النّافلةَ راكبًا على الفَرسِ مُتوجّهًا إلى جهةِ سَفَرهِ أما الفَرضُ فيُصليهِ الإنسانُ مُستقبِلًا للكعبةِ.

أوصيكُم بالحذرِ منَ الوهّابيّةِ. الوهّابيّةُ مَا عَرفوا الله يقولونَ اللهُ قاعِدٌ على العرش وله أعضاءٌ يَطْلُعُ ويَنْزِلُ، جعلوه كخَلْقِهِ. ثمَّ أيضًا يُكَفِّرونَ المؤمنينَ بغيرِ سبب. عندهم مَن قال يا محمدُ كَفَرَ. عندَهم قَتْلُهُ حلالٌ. والذى يقولُ يا رسولَ اللهِ عندهم كافرٌ والذى يزورُ قبرَ ولِيٍّ أو نبيٍّ لِيُعْطِيَهُ اللهُ البَرَكَةَ عندهم كافِرٌ. والذى يُعَلِّقُ على رَقَبَتِهِ الحِرزَ الذى فيهِ القرءانُ عندهم كافرٌ. والذى يَعْمَلُ المولدَ عندَهم كافِرٌ. الآنَ فِى المولدِ خَفَّفُوا كانوا يقولونَ الذى يَعْمَلُ المولِدَ كافِرٌ والذى يَذْبَحُ فى المولد ويُطْعِمُ الناسَ هذا أَحْرَمُ مِن لحمِ الخنزيرِ. أما الآنَ لأنَّ الناسَ كرِهُوهُم لقولهم هذا خفّفوا. أما الذى يقولُ يا محمدُ يكفّرونه. فى أيامِ الرّسولِ النّاسُ كانوا يقولونَ يا محمّدُ وبعدَ وفاةِ رسولِ

اللهِ كانوا يَقولونَ يا محمّدُ حَتى إنَّ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ بعدَ وفاةِ رسولِ اللهِ رجلهُ أصابَها شللٌ فقيلَ لهُ اذكُرْ أحبَّ الناسِ إليكَ فقالَ يا محمّدُ فشُفِيَتْ رِجلهُ فِى الحالِ. هذا مِنَ الصّحابةِ والرّسولُ كانَ يُحِبُّهُ وقالَ عنهُ صَالحٌ يعنى ولِيٌّ. هذا عبدُ اللهِ بنُ عمرَ قالَ يا محمّدُ مَا كفّرهُ أحدٌ. هذهِ الوهّابيّةُ الملعونَةُ يُكَفِّرونَ مَن يقولُ يا محمدُ، هُمُ الكُفّارُ.

الوهّابيّةُ دينُهم جديدٌ منذُ مائتينِ وخمسينَ سنةً ظهَروا فى أرضٍ تَبعدُ مِن مكّةَ نحوَ ألفِ كيلومترٍ. وحزبُ الإخوانِ دينُهم جديدٌ منذُ ستينَ سنةً طَلَعَ فى مصرَ. وحزبُ التّحريرِ كذلكَ عقيدَتُهم فاسدةٌ دينُهم طَلَعَ منذُ سِتينَ سنةً كذلكَ. حزبُ التّحريرِ يقولونَ الإنسانُ هو يَخْلُقُ أفعالَهُ التى يفعلُها بإرادته، إنْ مَشَى هو يخلُق هذا المشْىَ وإنْ نَظَرَ إلى شىء يقولون هو يَخْلُقُ هذا النظرَ وإذا تكلَّمَ يقولون هو يَخْلُقُ الكلامَ وإنْ فَكَّرَ فِى شىءٍ يقولون هو يخلُق هذا التَّفْكِيرَ.

أهلُ السّنةِ يَقولونَ اللهُ يخلقُ كلَّ شىءٍ، الأجسامُ والأفعالُ حركاتُ الناسِ ونُطْقُهم ونَظَرُهم وتفكيراتُهم اللهُ يخلُقُها هكذا عقيدةُ أهلِ السنةِ الذينَ هُم موافِقونَ للقُرءانِ والحديثِ.

هذا الذى نُعلّمكُم ويُعلِّمُهُ جماعَتُنا هوَ مَا كانَ عليهِ الصّحابةُ ومَن جاءَ بعدَهم إلى يَومِنا هذا. اذهَبوا إلى مصرَ إلى المغربِ إلى الجزائرِ إلى باكستانَ إلى الهندِ

إلى إفريقيةَ إلى تُركيَّةَ كلُّ هؤلاءِ علماؤُهم يقولونَ كما أقولُ لكُم. نحنُ لَا نُعَلِّمُ دينًا جديدًا إنما نعلّم ما جاء به الرسول ﷺ وعَلَّمَهُ أصحابُهُ. بارك الله فيكم.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الرابع والخمسون



شرحُ حديثِ إنَّ اللهَ حَرَّمَ عليكم عُقُوقَ الأمَّهاتِ

درسٌ ألقاه الإمامُ الـمُرَبّى الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ الهررِىُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى سنةَ ثمانٍ وتِسعينَ وثلاثمائة وألف وهو فِى بيانِ ما جاءَ فِى حديثِ إنَّ اللهَ حرَّمَ عليكم عُقُوقَ الأمَّهاتِ وَوَأْدَ البناتِ ومَنْعًا وهَاتِ وكَرِهَ لكم قِيلَ وقالَ وكَثْرَةَ السُّؤالِ وإضاعَةَ المالِ. سمِعَه منه الشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ. قالَ رحِمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ وصلَّى اللهُ على سيدنا محمدٍ وعلى ءالِهِ وصحبِهِ وسلم.

أما بعدُ فقد وردَ فِى الصّحيحينِ البُخارِىّ ومسلم عنِ المغيرةِ بنِ شُعبةَ قالَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ **إنَّ اللهَ حرَّمَ عليكُم عقوقَ الأمّهاتِ وَوأدَ البَناتِ ومَنْعًا وهاتِ وكَرِهَ لكُم قيلَ وقالَ وكَثْرَةَ السُّؤالِ وإضاعةَ المالِ**[١] اهـ فالأشياءُ الثلاثةُ الأُولى أىْ عقوق الأمّهاتِ ووأد البناتِ

(١) رواه البخارِىّ فِى صحيحه باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه ومسلم فِى صحيحه باب النهْىِ عن كثرة المسائل من غير حاجة.

ومَنعًا وهاتِ محرّمةٌ مِن غيرِ تفصيلٍ وأما الثلاثةُ الأخرى ففيها تفصيلٌ.

وعقوقُ الأمّهاتِ منَ المحرّماتِ الكبائرِ وكذلكَ عقوقُ الآباءِ لكنْ عقوقُ الأمّهاتِ أشدُّ ذنبًا كَما أنَّ بِرَّ الأمّهاتِ أعظمُ ثوابًا مِن بِرِّ الآباءِ وكِلا الأمرينِ أمرٌ عظيمٌ عندَ اللهِ تعالى.

ومعنَى العقوقِ إيذاؤُهما أذًى ليسَ بِهَيّنٍ كشَتْم الأمّ وشَتْم الأبِ أو ضربِ الأمّ أو الأبِ أو كأَنْ يُهينَ أمَّهُ أو أبَاهُ أمامَ النّاسِ. وعذابُ عقوقِ الوالدَينِ المسلِمَينِ عندَ اللهِ تعالى عظيمٌ حيثُ إنَّ عاقَّهُما لا يدخلُ الجنةَ معَ المسلمِينَ الأوّلِينَ بَل يدخلُها بعدَ عذابٍ شديدٍ معَ الآخِرينَ، وهذا معنَى كلام رسولِ اللهِ ﷺ **ثلاثةٌ لا يَدخلونَ الجنةَ العاقُّ لوالديهِ والدَّيُّوثُ**[1] **ورَجُلَةُ النّساءِ**[2][3] اهـ

وإذا كانَ الأبوانِ كافِرَينِ أصليَّينِ فاللهُ تعالى أمرَنا بالإحسانِ إليهما لكنْ لَا يُطيعُهما فِى كُفرِهما ولا مَعاصيهما وهذا معنَى قولِ اللهِ تعالى فِى سورةِ لُقمان ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ﴾.

وإنْ كانَ الأبوانِ مسلمَينِ فقيرَينِ محتاجَينِ ففرضٌ

(١) الذِى يعلم الزنى فِى أهله ويسكت عليه مع القدرة على منعه اهـ
(٢) النساء المتشبهات بالرجال فِى اللباس وغيره اهـ
(٣) رواه الطبرِىّ فِى تهذيب الآثار باب ذكر من وافق عليًّا فِى روايته عن رسول الله ﷺ فِى ذم العاق والديه.

على الابنِ أنْ يدفعَ إليهما نفقتَهما ويَكسُوَهما ويُسْكِنَهما ولا طاعةَ لهما فِى معصيةِ اللهِ. ويجبُ على الابنِ المسلمِ أنْ يُزوِّجَ أباهُ المسلمَ الفقيرَ إنْ كانَ محتاجًا للزّواجِ.

ومِن جملةِ العقوقِ أنْ يُطيعَ الولدُ أمّهُ على ظُلم أبيهِ أو بالعكسِ ولا يَنفعُهُ عندَ اللهِ تباركَ وتعالى إنْ أطاعَ أمَّهُ فِى ظلمِ أبيهِ. قالَ أحدُ الصّحابةِ مَنْ أحَقُّ بحُسنِ صَحابَتِى يا رسولَ اللهِ قالَ **أمُّكَ** قالَ ثُمَّ مَنْ قالَ **أمُّكَ** قالَ ثُمَّ مَنْ قالَ **أمُّكَ** قالَ ثُمَّ مَنْ قالَ **أبُوكَ**[١] اهـ ولا يجوز أنْ تُعينَ أيَّ إنسانٍ على ظُلمِ إنسانٍ ءاخرَ.

وأمّا قولهُ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ **ووأدَ البناتِ** فمعناهُ دَفْنُ البناتِ فِى الترابِ وهُنَّ أحياءٌ وهذا الشىءُ كانَ فِى الجاهليةِ وأولُ مَن فعلَ هذا قيسُ بنُ عاصمٍ.

وقتلُ النفسِ التِى حرَّمَ اللهُ إلا بالحقّ أشدُّ الذنوبِ بعدَ الكفرِ وخاصةً قتلُ المحارمِ كالأبِ أو الأمِ أو البنتِ فهوَ أشدُّ إثمًا مِن قَتلِ غيرِ المَحرَمِ.

وأمّا قولُه ﷺ **ومَنعًا وهاتِ** فالمرادُ بهِ مَنعُ الواجباتِ مثلِ الزكاةِ فإذا إنسانٌ مَنَعَها فهوَ عاصٍ معصيةً مِنَ الكبائرِ، كذلكَ إذا كانَ لإنسانٍ دَيْنٌ على ءاخرَ فمنعَهُ بعدَ حُلولِ الأجلِ فهوَ عاصٍ معصيةً كبيرةً إنْ كانَ قادرًا على دَفعهِ، كذلكَ الإنسانُ المسلمُ الذى لهُ أبوانِ

---

(١) رواه البخارِىُّ فِى صحيحه باب مَن أحق الناس بحسن الصحبة.

مسلمانِ محتاجانِ فمنعَهما النفقةَ فقد عصَى اللهَ، ومَنْعُ النّفقةِ عَن مَن يجبُ عليهِ الإنفاقُ عليهِ كبيرةٌ، ولو لم يَكن عندَه غيرَ هذا الذنبِ لكفاهُ.

والنّفقةُ للزّوجةِ تكونُ بحسبِ ما يَسَعُهُ مالُ الزّوجِ. والذى يَعرِفُ مِنْ نفسهِ أنهُ لا يعدِلُ بينَ نسائهِ إنْ كَنَّ اثنتَينِ فأكثرَ فحرامٌ عليهِ الزّواجُ بأكثرَ مِن واحدةٍ. ومَن يَعدِلُ فِى المبيتِ ولا يُسَوّى فِى عددِ الجماعِ بينَهنَّ لا يَكونُ ظالـمًا، وتسويةُ المحبّةِ فِى القلبِ ليسَت فرضًا لأنَّ الميلَ القلبِىَّ ليسَ بيَدهِ، قالَ تعالى فِى سورةِ النّساءِ ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ﴾ معناهُ لَن تَستطيعُوا مِنْ جميعِ الوجوهِ فِى الميلِ القلبِىّ. وفِى الأمورِ الظاهرةِ مثلِ الكِسوةِ والنَّفقةِ والمبيتِ ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ﴾ فاعدِلوا فِى ما يجبُ العدلُ فيهِ أىْ مِنَ الأمورِ الظاهرةِ.

ومِن جملةِ ما يدلُّ عليهِ قولُ رسولِ اللهِ ﷺ **ومَنعًا وهاتِ** أنَّ اللهَ حرَّمَ أنْ يطلُبَ الشّخصُ ما لا يَحِلُّ لهُ فمَن يطلُبُ مِن مالِ الزّكاةِ وليسَ مِنَ المستحقّينَ ومَنْ يطلُبُ مِنْ مالِ الوَقفِ وليسَ هوَ مِنْ أهلِهِ فقَد عصَى اللهَ.

وكَرِهَ لكُم قيلَ وقالَ المقصودُ بهذا الكلامُ الذِى لا فائدةَ فيهِ وقَد يكونُ حَرامًا أو مَكروهًا.

وكثرةَ السّؤالِ معناهُ أنَّ الإنسانَ لا ينبَغِى لهُ أنْ يسألَ عَن مسائلَ لا حاجةَ لهُ فيهَا فهذا شىءٌ مَكرُوهٌ

عندَ اللهِ، أمَّا ما يَحتاجُ إليهِ فِى الدّينِ فالسُّؤالُ عنهُ فرضٌ.

وإضاعةَ المالِ أىْ صرفَهُ فِى غيرِ أوجُهِ البرِّ فإنْ صَرَفَهُ لزيادةِ التّنعُّم بالحلالِ فلا معصيةَ عليهِ ولكنْ هذا أَىِ الإكثارُ مِنَ التّنَعُّم ليسَ مِنْ شِيمةِ[1] المتَّقينَ، أمَّا إنْ صرَفهُ فِى غيرِ طاعةِ اللهِ بل فِى مَعْصِيتِهِ كالذِى يَشترِى بِهِ ءالاتِ اللهوِ المحرّمةَ ليَلهُوَ بها فهذا إضاعَةٌ للمالِ.

انتهى واللهُ سُبحانَهُ وتعالى أعلَم.

(١) الشيمة الخُلُق اهـ

الدرس الخامس والخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

بَيانُ قَدْرِ الصَّلاةِ الـمَفْروضَةِ وتفسيرُ ذِكْرِ اللهِ فِى بعضِ الـمَواضِع

درسٌ ألقَاهُ الأصولِيُّ المحَدِّثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى وهو فِى بيانِ المرادِ بذِكْرِ اللهِ فِى حديثِ أَلَا أُخبِرُكُم بخيرِ أعمَالِكُم اهـ سَمِعَهُ منه الشيخُ جميلُ بنُ محمد حليم والشيخُ عبدُ الرزاقِ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى والشيخُ محمدُ بنُ مُصطفَى البَكْرِيُّ. قال رحِمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ وصَلَّى اللهُ وسلم على سيدِنا محمَّدٍ وعلى ءالِهِ وأصحَابِهِ الطيبِيْنَ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد فقد قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ **أَلَا أُخبِرُكُم بخيرِ أعمالِكُم وأزْكَاهَا عِندَ مَلِيْكِكُمْ وأَرْفَعِهَا فِى دَرَجَاتِكُمْ وخيرٍ لكُم مِنْ إنفاقِ الذَّهَبِ والوَرِقِ وخَيرٍ لكُم مِنْ أنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُم وتَضْرِبُوا أعنَاقَهُم ويَضْرِبُوا أَعنَاقَكُم** قالُوا بَلَى يا رسولَ اللهِ قالَ **ذِكرُ اللهِ**[1] اهـ

هذا الحديثُ يجبُ حملُهُ على الصَّلاةِ أَمَّا حملُهُ على الذِّكرِ اللِّسانِيّ أيْ على الإكثارِ مِنْ لا إله إلَّا اللهُ

(١) رواه مالك فِى الموطأ باب ما جاء فِى ذكر الله تبارك وتعالى.

والتسبيحِ والحَمْدِ والتَّكبِيرِ فلَا يصِحُّ لأنهُ ثَبَتَ ثُبُوتًا قَطعيًّا أَنَّ أفضَلَ الأعمالِ بعدَ الإيمانِ باللهِ ورَسولِهِ الصَّلَواتُ الخمسُ(١). فهذا الحديثُ إنْ حُمِلَ على ظاهِرِهِ يَتَنَافَى معَ هذا الأمْرِ الذِى ثَبَتَ ثُبُوتًا قَطعِيًّا لذلكَ يُؤَوَّلُ هذا الحديثُ ولا يُحْمَلُ على ظاهِرِهِ، يُؤَوَّلُ بأنَّ المرادَ بكَلِمَةِ الذِّكْرِ فيهِ هوَ الصَّلاةُ لأنَّ الصَّلاةَ ذِكْرٌ شَمَلَتْ أنواعَ الذِّكْرِ أَوَّلُهَا التَّكبيرُ ثُمَّ التَّمجيدُ ثُمَّ قِراءةُ القُرءانِ ثُمَّ الرُّكُوعُ وفيهِ تَسبيحٌ ثُمَّ الاعتِدالُ وفيهِ تَمجيدُ اللهِ ثُمَّ السُّجودُ وفيهِ تَسبيحٌ ثُمَّ فِى الأخِيرِ الشَّهادَتَانِ اللَّتَانِ هُما أفضَلُ الأقوالِ أىْ أنَّ أفضَلَ ما يَنْطِقُ بهِ اللِّسَانُ لا إله إلَّا اللهُ محمّدٌ رسولُ اللهِ هذا أفضلُ الذِّكْرِ لأنَّ الإنسانَ بهَاتَينِ الكَلِمَتَيْنِ يَدْخُلُ فِى الإسلامِ ويخلُصُ مِنَ العَذَابِ الأَبَدِيِّ ويَكونُ مِنْ أهلِ النَّعِيمِ الأَبَدِيِّ.

فالذينَ يحمِلُونَ هذا الحديثَ على الذِّكْرِ اللِّسانِيِّ ويَظُنُّونَ أنَّ الواحِدَ إذا جَلَسَ وقالَ ألفَ مرَّةٍ أو أقلَّ أو أكثَرَ لا إله إلَّا اللهُ لا إله إلَّا اللهُ أوِ الحمدُ للهِ الحمدُ للهِ أو سبحانَ اللهِ سبحانَ اللهِ أو نحوَ ذلكَ مِنَ الأذكارِ الذِى يَظُنُّ مِنْ هذا الحديثِ أنَّ الرّسولَ ﷺ يَعْنِى أنَّ هذا أفضلُ مِنَ الصلواتِ الخمسِ وأفضلُ مِنَ الجهادِ

(١) روى البخارى ومسلم وغيرهما أن ابن مسعود سأل النبى ﷺ أىّ الأعمال أحب إلى الله فقال الصلاة على وقتها قال ثم أى قال ثم بر الوالدين قال ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله اهـ

فِى سبيلِ اللهِ وأفضلُ مِنْ إنفاقِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ للمُحتَاجِينَ هذا فَهْمُهُ مَعْكُوسٌ، لَا يَلِيقُ هذا أنْ يكونَ مُرادَ رَسولِ اللهِ ﷺ إنَّما مُرادُ رَسولِ اللهِ ﷺ بقَولِهِ ذِكرُ اللهِ الصَّلواتُ الخمسُ، الصلواتُ الخمسُ شَمَلَتْ أنواعَ الذِّكرِ فيها التَّكبيرُ فيها التحميدُ فيها التسبيحُ فيها التهلِيلُ.

معرِفةُ تفسيرِ هذا الحديثِ أمرٌ مُهمٌّ لأنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ حَمَلُوهُ على الظَّاهِرِ. بعضُ هؤلاءِ المتصوّفةِ الذِينَ مَا عَرَفُوا التَّصوفَ على الحقيقةِ أحدُهم يقولُ الرّسولُ ﷺ قالَ ذِكْرُ اللهِ أفضَلُ مِنَ الصَّلاةِ ومِنْ إنفاقِ الذهبِ والورِقِ ومِنَ الجِهادِ الرسولُ قال هذا أفضَلُ، عَلى زعمِهِ الذِّكرُ اللِّسَانِىُّ أفضَلُ مِنْ هذه الأعمالِ فيقولُ أنا ما دُمْتُ أذكُرُ فِى اليوم كذا وكذا مِنَ العدَدِ فأنا رَبِحْتُ أكثرَ مما يَرْبَحُهُ المُصَلُّونَ والمجاهِدُونَ والمنفِقُونَ الذهبَ والفضةَ فِى سبيلِ اللهِ، وهذا عَكسُ مَفهُوم الإسلامِ، الإسلامُ لَا يُقِرُّ هذا ولَا يَقبَلُهُ، الصَّلواتُ الخمسُ بالإجماعِ هِىَ أفضَلُ الأعمَالِ بعدَ الإيمانِ باللهِ وبرَسُولِهِ فالذِى يُفَسِّرُ هذا الحديثَ بالوجهِ الآخَرِ أىْ أنهُ إذا لَزِمَ الإنسانُ كُلَّ يَوم الاشتغالَ بالوِرْدِ والذِّكرِ اللِّسانِىّ فقالَ كذا وكذا مَرَّةً مِنَ التَّهلِيلِ والتسبيحِ والتحميدِ والصَّلاةِ على النَبِىّ ﷺ يكونُ أعلَى مِنَ الذِى يُنْفِقُ الذهَبَ والفضةَ فِى سبيلِ اللهِ والذِى يبذُلُ رُوحَهُ ابتِغَاءَ وجهِ اللهِ تعالى بقِتالِ الكفَّارِ والذِى يفعَلُ كذا

وكذا مِنَ الأعمَالِ الدينِيَّةِ. هذا قَلَبَ الحقيقةَ فوقعَ على فَهْمٍ خَاطِئٍ.

الصّلاةُ تُسمَّى ذِكرًا، اللهُ تعالى قالَ فِى سُورةِ الجُمُعَةِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾. ذِكْرُ اللهِ هُنا مَعناهُ الصّلاةُ، اللهُ تعالى سَمَّى الصَّلاةَ ذِكرًا، فإذًا الذِّكرُ المذكورُ فِى هذا الحدِيثِ هوَ الصَّلواتُ الخمسُ. كثيرٌ مِنَ النَّاسِ إذا نَظَرُوا إلى هذا الحديثِ وفسَّرُوهُ على ظَاهِرِهِ يقَعُونَ فِى الفَهْمِ الخَاطِئِ فتَكونُ عِندَهُم هذهِ الحَضرَاتُ التِى فيها يُهَلِّلُونَ ويُصَلُّونَ على النَّبِيِّ إلى ءاخِرِ ما هُنالِكَ يَرَوْنَ أَنَّ هذا أفضلُ مِنَ الصَّلواتِ الخمسِ ومِنَ الجِهادِ فِى سبيلِ اللهِ ومِنْ إنفاقِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ فِى سبيلِ اللهِ وهذا بَعِيدٌ عنْ معنَى الدِّينِ.

انتهى واللهُ تعالى أعلَم.

الدرس السادس والخمسون



حُسْنُ الخُلُقِ وطُولُ الصَّمْتِ

درسٌ ألقاه الفقيهُ الـمُرَبِّى الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدريُّ رحمه الله تعالى فى الثالث من ربيع الآخر سنة أربع وأربعمائة وألف وهو فى بيان حسن الخُلُقِ وخطرِ اللسان وما يُرتَكَبُ به مِن مَعاص. سمعه منه الشيخ سمير بن سامى القاضى والشيخ نبيل بن محمد الشريف والشيخ جميل بن محمد حليم والشيخ محمد ابن مصطفى البكرىّ والشيخ عبد الرزاق ابن محمد الشريف. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله ربّ العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وصلاة الله البرّ الرحيم والملائكة المقربين على سيدنا محمد أشرف المرسلين وخاتم النبيين وحبيب ربّ العالمين وشفيع المؤمنين يوم الدين وعلى جميع إخوانه الأنبياء والمرسلين.

وبعدُ فإنَّ اللهَ تباركَ وتعالى أنعمَ علينا بجوارحَ لنستعمِلها فى طاعتِهِ وما ينفَعنا ولِنَحْفَظَها عَن مَعاصِيهِ. أنعمَ علينا بهذِهِ الجوارح لِيَبْتَلِيَنا فمَن استعملَ هذِهِ الجوارحَ فى ما يُرضِى اللهَ تباركَ وتعالى وتجنّبَ استعمالَها فى ما حَرَّمَ اللهُ فهوَ مِنَ الشّاكرينَ ليسَ عليهِ فى الآخرةِ مؤاخذةٌ عليها لأنهُ استعمَلها فى ما أذِنَ اللهُ فيهِ وحَفِظَها عمّا نهَى اللهُ عنهُ وحَرَّمَهُ.

ثمَّ هذهِ الجوارحُ بعضُها أشدُّ مِن بعضٍ فى ارتكابِ المعاصِى وأشدُّها ارتكابًا للمعاصِى اللسانُ لذلكَ أوصَى رسولُ اللهِ ﷺ بطُولِ الصَّمتِ إلا منَ الخيرِ[١]، الخيرُ هوَ ما كانَ مِن ذكرِ اللهِ أو قراءةِ القرءانِ أو تهليلٍ أو تسبيحٍ أو تحميدٍ أو تكبيرٍ وغيرِ ذلكَ مما هوَ مِن تمجيدِ اللهِ تعالى وكذلكَ الكلمةُ التى يَقولُها المؤمنُ ليُدْخِلَ السّرورَ على أخيهِ المؤمنِ هذهِ مِن حسناتِ اللسانِ حتى إنَّ السَّلامَ منَ المؤمنِ على المؤمنِ حسنةٌ منَ الحسناتِ، إنْ نوَى بهِ وجهَ اللهِ تعالى يَكْتَسِبُ بالسّلامِ عندَ اللهِ أجرًا، ثمَّ شَرْطُ الثوابِ على هذهِ الحسناتِ التى يَكتسِبها بلسانهِ مِن ذكرٍ وسلامٍ على المؤمنِ هوَ أنْ يقصِدَ بها وجهَ اللهِ تعالى، اللهُ تباركَ وتعالى أمرَ عبادَهُ بهذهِ الأشياءِ أمرَنا بذِكْرهِ وتمجيدهِ وتسبيحِهِ وتَقْدِيسِهِ وما كانَ مِنَ الكلامِ فيهِ مَنفعةٌ أُخْرَوِيَّةٌ أو منفعةٌ دُنْيَوِيَّةٌ مُباحَةٌ فى شرعِ اللهِ تعالى معَ نِيَّةِ الاستعانةِ بها على طاعةِ اللهِ تعالى.

ثمَّ إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ حثّنا على أنْ نَخْزِنَ ألسنَتَنا عَن ما لَا يَعنينا. رُوِّينا فى كتابِ الصَّمتِ لعبدِ اللهِ بنِ محمّدِ بنِ عُبيدٍ القُرَشيّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ **خَصلتانِ ما إنْ تجمَّلَ الخلائقُ بمِثْلِهما حُسنُ الخلقِ وطولُ الصَّمتِ**[٢] اهـ

(١) رواه البيهقى فى شعب الإيمان فصل فى فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه.
(٢) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت باب ذم الكذب والبيهقىّ فى شعب الإيمان باب حسن الخلق.

مَعنى الحديثِ أنَّ هاتينِ الخصلتينِ فيهما خيرٌ كبيرٌ حُسْنُ الخُلُقِ وطُولُ الصمتِ، أما حسنُ الخلقِ فهوَ عبارةٌ عَن أنْ يلتزمَ الشّخصُ بذلَ المعروفِ إلى الناسِ أىْ أنْ يُحْسِنَ إلى الناسِ بالقولِ والفعلِ ويَكُفَّ أذاهُ عنهُم ويَتحمّلَ أذاهُم. حسنُ الخلقِ عبارةٌ عَن هذهِ الأمورِ بَذْلُ المعروفِ أىِ الإحسانُ إلى الناسِ تبذُلُ إحسانَكَ للناسِ مِن غيرِ أنْ تجعلَ إحسانَكَ فى مقابلِ إحسانٍ يصلُ إليكَ مِن غيرِكَ بل تُوَطِّنُ نفسَكَ على أنْ تُحْسِنَ إلى الناسِ إنْ أحسَنُوا إليكَ وإنْ لم يُحْسِنوا إليكَ، تعمَلُ المعروفَ معَ الذى يعرفُ لكَ ويُقابِلُكَ بالمعروفِ ومعَ الذى لَا يَعرِفُ لكَ مَعروفَكَ ولَا يُقابلُكَ بالمعروفِ تُحْسِنُ إلى هذا وإلى هذا، هذا الذى كانَ عليهِ الرّسولُ ﷺ ليسَ أنْ تُحْسِنَ إلى مَن يُحْسِنُ إليكَ وتُسِيءَ إلى مَن يُسِيءُ إليكَ بل توطّنُ نفسكَ أىْ تُلْزِمُها الإحسانَ إلى غيرِكَ بأنْ تَبْذُلَ معروفَكَ للناسِ مِن غيرِ نظرٍ إلى أنهم يُحْسِنُونَ إليكَ كما تُحْسِنُ إليهِم أو لَا يحسنونَ إليكَ فأنبياءُ اللهِ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهِم كانوا يُحْسِنُونَ إلى مَن يَستجيبُ لهم وإلى مَن لا يستجيبُ لهم أى كانوا يُحِبُّونَ الخيرَ للناسِ لذلكَ كانَ دأبُهم الصّبرَ على ما يَظهرُ مِن أممِهِم الذينَ يَدْعُونَهم إلى الدّينِ فإنّهم كثيرًا ما كانوا يُسيئونَ إليهِم ويُتعِبونَهم ويُؤذونَهم ومعَ ذلكَ يَثْبُتُونَ على محبّةِ الخيرِ لهم. والمرادُ بالخيرِ هنا هوَ ما كانَ خيرًا عندَ اللهِ. ليسَ الخيرُ هنا يرادُ بهِ كل ما تُحِبُّهُ النَّفْسُ. كانوا لَا يَطلُبونَ

منهُم أجرًا إنما يَدْعُونَهم إلى طاعةِ اللهِ تباركَ وتعالى ثمَّ هُم يُقابِلُونَهم بالإيذاءِ والسّبّ والافتراءِ عليهِم إلا مَن رحمَ اللهُ وهُم أهلُ السّعادةِ الذينَ شاءَ اللهُ لهم أنْ يَهْتَدُوا بهؤلاءِ الأنبياءِ هؤلاءِ كانوا يستجيبُونَ لهم مِن غيرِ أنْ يُؤذوهم كأبى بكرٍ وعلىّ وأبِى ذَرٍّ الغِفَارِيّ هؤلاءِ منَ السَّابقينَ إلى الإسلامِ مِن غَيرِ أنْ يَسبِقَ لهم أذًى لرسولِ اللهِ ﷺ أسلَموا.

وقَد ضربَ بعضُ العلماءِ فى هذا المعنى مَثلًا قالوا يَنبغِى للمؤمنِ أنْ يكونَ كالشّجرةِ المثمِرَةِ تُعْطِى ثمرَها لمن يَخْبِطها ولمن يقطِف مِن غيرِ خبطٍ لها اهـ أىْ مِن غيرِ أنْ يقطعَ منهَا غُصنًا تعطِى لهذا وتُعطِى لهذا ثَمَرَها فالمؤمنُ يَنْبَغِى أنْ يكونَ كذلكَ أىْ يَنفعُ غيرَهُ ويبذلُ معروفَهُ أىْ إحسانَهُ لمن يُعاملُهُ بالمثلِ ولمن يُعاملهُ بالعكسِ فيَطلبُ الأجرَ منَ الخالقِ، يُوطّنُ نفسَهُ ويَعقِدُ قلبَهُ على أنهُ يَبتغى الأجرَ مِن خالقِ الناسِ ولَا يُبالِى إنْ عَرَفوا لهُ أو لَم يَعْرِفوا لهُ يقولُ أنا أُحْسِنُ إليهِم بالمعروفِ إنْ أحسَنوا إلىَّ وإنْ أساءُوا إلىَّ.

قالَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ **حُسْنُ الخُلُقِ وطولُ الصّمتِ**[1] اهـ أما طولُ الصّمتِ فمَعناهُ أنْ يُكثرَ الإنسانُ الصَّمتَ ولا يَتكلمَ إلا بما فيهِ خيرٌ أىْ إلا بما ينفعهُ فى مَعيشتهِ أو بما هوَ منَ الحسناتِ مِن ذكرِ اللهِ وقراءةِ القرءانِ وإفادةِ المسلمِ شيئًا ينفعهُ فى

(١) رواه البيهقىّ فى شعب الإيمان باب حسن الخلق.

دينهِ أو فى دنياهُ مما ليسَ فيهِ معصيةٌ للهِ تعالى لأنَّ الإفادةَ إذا لم تكُن فى ما أذِنَ اللهُ فيهِ منَ الأمورِ التى أباحَها وَبَالٌ على صاحِبها، لَا يجوزُ لكَ أنْ تُفِيدَ إنسانًا شيئًا يستعينُ بهِ على مَعصيةِ اللهِ تعالى وأنتَ تعلمُ ذلكَ، ليسَ لكَ فى ذلكَ خيرٌ، إنّما إذا أفدتَ شيئًا ينفعُهُ وليسَ للهِ فيهِ معصية هذا الذى فيهِ أجرٌ هذا الذى يُعدُّ منَ الإحسانِ والمعروفِ، فمَن أرادَ ذلكَ فليُعَوّدْ نفسَهُ على تقليلِ الكلامِ، أيِ الكلامِ الذى لَا يَعلمُ فيهِ نفعًا أُخرويًّا ولَا ما هوَ مما يَعْنِيهِ فى أمورِ مَعيشتهِ فَلْيَكُفَّ لسانَهُ عنهُ وَلْيَعِشْ على ذلكَ طولَ حياتهِ أما مَن لم يُعوّدْ نفسَهُ الكفَّ عنِ الكلامِ السيّئِ فإنهُ ينزلقُ إلى المهاوِى الـمُهْلِكَةِ الـمُرْدِيةِ التى تُرْدِيهِ إلى نارِ جهنّم. اللسانُ قَد يساعدُ صاحبَهُ على العملِ الذى يَنفعهُ عندَ اللهِ، قَد يكونُ ذلكَ العملُ الذى يَعملُهُ بلسانهِ خَفيفًا على اللسانِ لَا يُكَلِّفُهُ تَعبًا مما يُرضِى اللهَ تباركَ وتعالى يَرفعُهُ اللهُ بتلكَ الكلمةِ درجاتٍ فلَا يَحْقِرَنَّ الإنسانُ منَ العملِ المعروفِ الذى يَعملُهُ بلسانهِ شَيئًا ولْيُسَلِّمْ على المسلم الذى يَعرفهُ والذى لَا يَعرفهُ وإذا عطسَ مسلمٌ فَلْيُشَمِّتْهُ لعلَّ هذا الذى يُشَمِّتُهُ مِن أولياءِ اللهِ تعالى فإذا ردَّ عليهِ بقَولهِ يَرْحَمُكَ اللهُ قَد يَرفعُهُ اللهُ تعالى بهذهِ الدَّعوةِ الخفيفةِ مِن هذا العَبدِ الصّالحِ الذى هوَ مِن أولياءِ اللهِ درجاتٍ عاليةً والذى فَعَلَهُ هذا الـمُشَمِّتُ أنْ قالَ رَحِمَكَ اللهُ، فهِىَ كلمةٌ خفيفةٌ على اللسانِ ليسَ فيها

كُلْفَةٌ ولا تَعَبٌ ثمَّ ذلكَ الذى شَمَّتَهُ إنْ كانَ مِن أولياءِ اللهِ فردَّ عليهِ بقَولهِ يَغفرُ اللهُ لنا ولَكم أو بقولهِ يَهدِيكُمُ اللهُ ويُصْلِحُ بالَكم يرفعهُ اللهُ تعالى بهذهِ الكلمةِ درجاتٍ عاليةً يُصلِحُ اللهُ لهُ شأنَهُ وقَد يكونُ قبلَ ذلكَ هذا الإنسانُ مُقصِّرًا شديدَ التّقصيرِ فى طاعةِ اللهِ بعيدًا عنِ الجِدّ والاجتهادِ فيُقَوّى اللهُ تعالى بهذهِ الدّعوةِ هِمَّتَهُ فيَترَقَّى فى الدّينِ عندَ اللهِ تباركَ وتعالى.

وكذلكَ إذا كانَ الإنسانُ يُطلقُ لسانَهُ فى سَخَطِ اللهِ تباركَ وتعالى قد يَنْزِلُ فى الآخرةِ بهذهِ الكلمةِ التى هىَ مِن سَخَطِ اللهِ من نوعِ الكفرِ إلى نهايةِ قعرِ جهنّم. قَعرُ جهنّمَ مسافةُ سَبعينَ سنةً فى النّزولِ مِن أعلى جهنّم إلى القَعرِ، كانَ ذاتَ يوم رسولُ اللهِ ﷺ معَ أصحابهِ فسمِعوا وَجْبَةً فقالَ **أتدرونَ ما هَذا** قالوا اللهُ ورسولهُ أعلمُ، قالَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ **هذا حجرٌ رُمِىَ بهِ فى جهنَّمَ منذُ سَبعينَ سنةً حتى انتَهى الآنَ إلى قَعرِها**[١] اهـ هذا الصوتُ الذى سَمِعُوهُ صوتُ وقوعهِ فى قَعرِ جهنّمَ. جهنّمُ مِن حَيثُ المسافةُ بعيدةٌ بينَنا وبينَها سبعُ أراضٍ هذهِ الأرضُ والأراضِى السّتةُ التِى تحتَ هذهِ، اللهُ تباركَ وتَعالى أسمَعَهم ليسمَعوا مِن رسولِ اللهِ ﷺ هذهِ الفائدةَ التى فيها تَنبيهٌ وتحذيرٌ.

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه باب فى شدة حر نار جهنم وبعد قعرها.

وكثيرًا ما يحصلُ هذا الكلامُ الذى يُرْدِى صاحِبَهُ إلى مَهاوِى جهنّمَ مِن هذا النّوعِ الذى جاءَ فى الحديثِ **إنَّ العبدَ لَيتكلمُ بالكلمةِ لَا يَرَى بها بأسًا يَهوِى بها فى النّارِ سَبعينَ خَريفًا**[١] اهـ بمَزْحةٍ واحدةٍ، قَد يَزْلَقُ بمَزحةٍ واحدةٍ هوَ لَا يرَى بهَا بأسًا فيَستوجِبُ هذا النّزولَ إلى نهايةِ قَعرِ جهنَّمَ يومَ القيامةِ، اليومَ ذَكرَ لى شَخصٌ أنهُ قالَ لصديقٍ لهُ يُمازحهُ أذبَحُكُ فى سبيلِ الله لَو قالَ أذبحكَ وسكتَ لَم يقعْ فى الكفرِ لكنْ لما قالَ أذبحك وزادَ كلمةَ فى سبيلِ الله وقعَ فى الكفرِ، هوَ كانَ يَمزحُ مَا كانَ يُشاجِرُهُ إنّما كانَ يُمازحهُ فوقعَ فى هذهِ المهلَكةِ العَظيمةَ وهوَ لَا يَظنّ ولَا يُفكّر أنهُ وقعَ فى الـمَهْلَكةِ. هذهِ مِن جملةِ الكلِماتِ التى قالَ الرّسولُ ﷺ **إنَّ العبدَ ليتكلمُ بالكلمةِ لَا يرَى بها بأسًا** أىْ لَا يَظنّ أنّها حرامٌ لكنّها عندَ اللهِ أحرَمُ الحرامِ لأنّها كُفرٌ. هذا الشّخصُ لماذا وقعَ فى الكفرِ لأنهُ جعلَ اللفظَ ذَبْحَ هذا المسلمِ فى سبيلِ الله وهذا استحلالٌ لأكبرِ الذّنوبِ بعدَ الكفرِ. ما هوَ أكبرُ الذنوبِ بعدَ الكفرِ. قتلُ النّفسِ التى حرَّمَ اللهُ إلا بالحقّ، جعلَ هذا الذّنبَ فى سبيلِ الله بلَفظِهِ وإنْ كانَ لَا يَعتقدُ ذلكَ. الاعتقادُ ليسَ شَرطًا. مَن تكلّمَ بكلمةِ الكفرِ إنِ اعتقَدها وإنْ لَمْ يَعتقدْها خرجَ من دينِ اللهِ واستحقَّ النّزولَ فى عُمقِ جهنَّم إلى النّهايةِ التىَ هىَ مَسافةُ سَبعينَ سنةً. مثلُ هذهِ الكلمةِ أكثرُ ما

---

(١) رواه الترمذى فى سننه باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس.

تَصدرُ فى الغضبِ عندَما يُغاضِبُ الشّخصُ شَخصًا ويَتشاجرُ مَعهُ فكَثيرًا مَا يَكفرُ يَزْلَقُ إلى الكفرِ وقَد تحصلُ فى المزحِ فالحذرَ الحذرَ منَ التهوّرِ بالكلامِ المُزْلِقِ إلى جهنَّمَ. وسبحان الله والحمد لله ربّ العالمين.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس السابع والخمسون



فضلُ السابقين الأَوَّلِين واتفاقُهم في العقيدة

درسٌ ألقاه المتكلِّمُ الأصوليُّ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ الشَّيْبِيُّ رحمه الله تعالى وهو في بيان فضل السابقين الأولين من الصحابة على غيرهم وأن الصحابة لم يَشِذُّوا عن عقيدة النبيّ ﷺ. سمعه منه الشيخ سمير بن سامى القاضى والشيخ نبيل بن محمد الشريف والشيخ محمد بن مصطفى البكرِيُّ. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وسلم وبعد فقد رُوّينا بالإسنادِ المتّصلِ عنِ الإمام الترمذِيّ رحمهُ اللهُ مِن طَريقِ سليمانَ بنِ يَسارٍ قالَ قَامَ فِينا عُمرُ بنُ الخطّابِ فى الجابِيَةِ خَطيبًا فقالَ قامَ فينَا رسولُ اللهِ ﷺ فقالَ **أُوصِيكُم بأصحَابى ثمَّ الذينَ يَلُونَهُم ثمَّ الذين يَلُونَهُم** اهـ والحديثُ صحَّحَهُ الترمذيُّ.

هذا الحديثُ لأهميّتهِ حدّثهُ رسولُ اللهِ ﷺ أصحابَهُ الذينَ كانَ أحدُهم عمرَ بنَ الخطّابِ قائمًا حدّثهم الرّسولُ قائمًا، الرّسولُ ﷺ كانَ يُحدّثُ أحيانًا قائمًا فى غيرِ خُطبةِ الجمعةِ وأحيانًا جالسًا. فكانَ عمرُ بنُ الخطّابِ رَضىَ اللهُ عنهُ أرادَ أنْ يَقتدىَ برسولِ اللهِ

وكانَ فى أرضٍ تسمّى الجابِيَةَ هىَ مِن بَرِّ الشّامِ قامَ خَطيبًا فيمَن كانَ معهُ مِن أصحابِ رسولِ اللهِ والتّابعينَ فحدّثهُم بما سَمِعَهُ مِن رسولِ اللهِ ﷺ، قالَ مخبرًا عَن رسولِ اللهِ ﷺ **أُوصِيكُم بأصحَابى ثمَّ الذينَ يَلُونَهُم ثمَّ الذينَ يَلُونَهُم** اهـ إنما ذكرَ الرّسولُ ﷺ هؤلاءِ الثلاثَ لأنَّ هؤلاءِ خيرُ هذهِ الأمةِ، أفضلُ أمةِ محمّدٍ القرنُ الأولُ ثمَّ القرنُ الثّانى ثمَّ القرنُ الثالثُ. والقرنُ فُسّرَ بعِدَّةِ معانٍ، مِن تلكَ المعانى مِائَةُ سنةٍ وهذا هوَ الذى ذكرهُ الإمامُ محدّثُ الشّامِ الحافظُ ابنُ عساكرَ رحمهُ اللهُ(١)، فَسَّرَ الحديثَ القرونَ الثلاثةَ بالثلاثِمائةِ الأولى. وبَعضُ المحدّثينَ فسَّرَ القرونَ الثّلاثةَ بمَن كانَ ضمنَ مائتينِ وعشرينَ عامًا. وعلى هَذا التّفسيرِ فالمرادُ بالحديثِ مَن كانَ ضِمنَ المِائَتَينِ والعِشْرِينَ عامًا. وأما على التفسيرِ الأوّلِ وهوَ تَفسيرُ القَرنِ بمائةِ سنةٍ فمَن كانَ ضمنَ الثّلاثمائةِ الأولى كلّهم يقالُ لهم السَّلفُ. ثمَّ إنَّ الخَيْرِيّةَ المفهومةَ مِن هذا الحديثِ باعتبارِ الجملةِ ليسَ باعتبارِ الآحادِ. ليسَ مَعنى الحديثِ أنَّ كلَّ فَردٍ مِن أفرادِ مَن كانوا فى هذه القرون الثلاثة أفضلُ مِن كلِّ فردٍ مِن أفرادِ الأمَّةِ الذين جاؤوا بعد ذلك. ليسَ هذا مرادَ رسولِ اللهِ ﷺ لأنّنا إذا نظَرنا إلى الأفرادِ قَد يُوجَدُ مَن هوَ أفضلُ عندَ اللهِ تَعالى درجةً مِنْ بَعضِ مَن

---

(١) كما فى تاريخ دمشق باب فى مبتدأ التاريخ واصطلاح الأمم على التواريخ.

كانَ فى القَرنِ الأوّلِ أوِ القرنِ الثانى أو القَرنِ الثّالثِ لأنَّ العِبرَةَ مِن حيثُ التّفضيلُ هوَ التّمكُّن فى تقوَى اللهِ تَعالى، قالَ اللهُ تباركَ وتعالى فى سورة الحجرات ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ فليسَ كلُّ مَن كانَ فى القَرنِ الأوّلِ على حدّ سواءٍ فى تقوَى اللهِ لكنَّ المقدَّمينَ مِن أهلِ القَرنِ الأوّلِ أفضلُ مِن كلّ مَن جاءَ بعدَ ذلكَ إلى يومِ القيامةِ وهؤلاءِ هُم أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعلِيٌّ وستةٌ يَلونَهم تِتمةُ العَشرةِ الذينَ يُقالُ لهم العَشَرةُ المبشَّرونَ بالجنّةِ. ويَلتحقُ بهؤلاءِ جَميعُ مَن كانَ مِنَ السَّابِقينَ الأوَّلينَ منَ المهاجِرينَ والأنصارِ.

المهاجِرُونَ هُم هؤلاءِ العَشَرةُ ومَنْ هاجرَ مِنْ أهلِ مكّةَ لمؤازَرةِ النّبىّ ﷺ، ترَكوا وَطَنَهم مكةَ إلى المدينةِ. ويُوجَدُ غيرُ هؤلاءِ العَشرةِ منَ المهاجِرينَ الأوَّلينَ عددٌ كثيرٌ منهُم عمارُ بنُ ياسرٍ رَضىَ اللهُ عنهُما وبلالٌ الحبشىُّ رَضىَ اللهُ عنهُ وعمرُو بنُ عَبَسَةَ رَضىَ اللهُ عنهُ وأبو ذَرّ الغِفارىُّ رَضىَ اللهُ عنهُ. أما السّابقونَ الأوّلونَ منَ الأنصارِ فهُم كثيرٌ، عددٌ كثيرٌ، أهلُ البَيعَةِ الأولى بَيْعةِ العَقَبةِ ومَن جاءَ بعدَ أولئكَ مِن أهلِ المدينةِ الذينَ سَبَقوا إلى الدّخولِ فى الإسلامِ ومُؤازرةِ النّبىّ ﷺ.

هؤلاءِ همُ الذينَ يُعَدُّ كلُّ فردٍ منهُم أفضلَ ممن جاءَ بعدَهم مِن أمةِ محمّدٍ ﷺ، أمّا مَن لَيسوا مِن هؤلاءِ فليسَ لهم تلكَ الأفضليّة، فقَد يُوجدُ فى التّابعينَ مَن هوَ أفضَلُ عندَ اللهِ دَرجةً مِنْ كثيرٍ ممنْ رأى الرّسولَ

ﷺ وصَحِبَهُ مدّةً منَ الزّمنِ. وهؤلاءِ السَّابقونَ الأوّلونَ وَرَدَ فى حقّهِم حديثٌ صحيحٌ مشهورٌ وهوَ قولُ رسولِ اللهِ ﷺ **لَا تَسبُّوا أصحَابى فوالذِى نَفسُ محمّدٍ بيَدِهِ لَو أنفقَ أحدُكم مثلَ أحُدٍ ذَهبًا مَا بلغَ مُدَّ أحدِهم ولَا نَصِيفَهُ**[١] اهـ هذا الحديثُ لَا يُرادُ بهِ جَميعُ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، إنما أرادَ الرّسولُ ﷺ بهذا الحديثِ طائفةً مِن أصحابهِ وهُم السّابقونَ الأوّلونَ.

سببُ الحديثِ أنَّ خالدَ بنَ الوَليدِ رَضىَ اللهُ عنهُ سَبَّ عبدَ الرّحمنِ بنَ عَوفٍ الذى هوَ أحدُ السّابقينَ الأوّلينَ أحدُ العَشرةِ المبشَّرينَ بالجنّةِ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ هذا الحديثَ وذلكَ أنَّ خالدًا رضىَ اللهُ عنهُ مَع ما لهُ مِن جَلالةِ القَدرِ لَم يَكُن مِنَ السّابقينَ الأوّلينَ أما عبدُ الرّحمنِ بنُ عوفٍ فهوَ منَ السّابقينَ الأوّلينَ. ومَعنى هذا الحديثِ أنَّ مِنْ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ مَنْ هوَ عندَ اللهِ تَباركَ وتَعالى فى عُلُوّ القَدْرِ وعِظَمِ الفَضلِ مَنْ إذا تَصدَّقَ أحدُهم بمُدّ قمح أو بمُدّ شعيرٍ أو نحوِ ذلكَ، والمدُّ هوَ الحفْنةُ الواحدةُ بالكفَّينِ، فأحدُ أولئكَ إذا تصدَّقَ بمِقدارِ مُدّ مِنَ الطّعامِ الشّعيرِ أو القمحِ أو نحوِ ذلكَ اللهُ تباركَ وتعالى يجعلُ ثوابَ هذا المدِّ أفضلَ مِن ثوابِ مَن أنفقَ مثلَ جبلِ أحدٍ الذى هوَ جبلٌ كبيرٌ فى المدينةِ المنوَّرةِ ذَهبًا.

ومِنَ الجهلِ اعتبارُ أنَّ كلَّ مَن رَأى النبىَّ ﷺ أو

(١) رواه البخارى فى صحيحه باب قول النبى ﷺ لو كنت متخذًا خليلًا.

شاهدَهُ سَنَةً أو سنتينِ مثلًا بمثابةِ أولئكَ السابقين الأولين، هذا جهلٌ بمراتبِ الصَّحابةِ. ليسَ الصحابةُ جميعُهم بمرتبةٍ واحدةٍ بلْ بَينَ بَعضٍ منهُم وبَعضٍ ءاخَرَ هذا الفرقُ العظيمُ وهوَ أنَّ أحدَ أولئكَ السّابقينَ الأوّلينَ كعبدِ الرَّحمنِ بنِ عَوفٍ تَصَدُّقُهُ بمِقدارِ مُدّ منَ الطّعامِ يَكونُ عندَ اللهِ تَعالى أفضلَ مِن صَدقةِ غيرِهِمْ بمِقدارِ جَبلِ أُحدٍ منَ الذَّهبِ. فخالدُ بنُ الوَليدِ رَضىَ اللهُ عنهُ مَع ما لهُ مِن جَلالةِ القَدرِ وكانَ بَطلًا كَبيرًا مِن أبطالِ الجهادِ فى سبيلِ اللهِ لَا يَلحقُ بأولئكَ وَلا يَقْرُبُ أن يكونَ فى درجةٍ واحدةٍ مَع هؤلاءِ، لا يقرُب مِن درجةِ واحدٍ مِن أولئكَ السّابقينَ الأوّلينَ فَضلًا عَن أنْ يُساوِيَهُ. ومَع هذا أىْ مَع هذا التَّفاوُتِ العَظيمِ بينَ بَعضِ أفرادٍ مِنَ الصّحابةِ وءاخَرينَ فبالنسبةِ لروايةِ الحديثِ عَن رسولِ اللهِ ﷺ إذا رَأينا حَديثًا رَواه صَحابىٌّ عَن رسولِ اللهِ ﷺ أو عَن مَنْ سمِعَ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ منَ الصَّحابةِ لَا نَظنُّ بهِ إلا أنّهُ صادقٌ فيمَا يحدّثُ عَن رَسولِ اللهِ، لَا نَظنُّ بأحدٍ ممن لقِيَهُ ﷺ ولو أقلَّ مِن قَدرِ سَنَةٍ واحدةٍ أنهُ يَكْذِبُ على رسول الله، كلّهم بالنسبةِ لهذا المعنى عُدولٌ أىْ رِواياتُهم عَن رسولِ اللهِ ﷺ تُقبَلُ ولَا يُتّهَمونَ بالكَذبِ على رسولِ اللهِ[1] ﷺ.

فهؤلاءِ القُرونُ الثّلاثةُ الصّحابةُ والتّابعونَ وأتباعُ

---

(١) ذكر ذلك الحافظ أبو سعيد الملائىّ هكذا فسر عدالة الصحابة.

التّابعينَ ومَن كانوا ضِمنَ تلكَ الثّلاثمائةِ الأولى يُقالُ لهُ سلَفٌ. وأما تَقديمُ القَرنِ الأوّلِ وهمُ الصّحابةُ عَلى التّابعينَ وعلى مَن جاءَ بَعدَهم فلأنَّ الصَّحابةَ لَم يختلِفوا فى العَقائدِ، كلُّهم كانوا فى العَقيدةِ مُتّفقِينَ كلُّهم كانوا على عقيدةٍ واحدةٍ، كلُّ فردٍ مِن أفرادِهم كانَ يَعتقدُ أنَّ اللهَ موجودٌ مِن غَيرِ أنْ يُشبّهَ اللهَ بشَىءٍ. مَا أحدٌ منهُم قالَ فى تَفسيرِ قولِ اللهِ تعالى فى سورة طه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ جلس. لَم يَقلْ أحدٌ منَ الصّحابةِ إنَّ استواء الله على عرشه الجلوس، إنّما كانوا يَعتقدونَ فى الاستواءِ أىْ استِواءِ اللهِ عَلى عَرشِهِ أنهُ مَعنًى لائِقٌ باللهِ تباركَ وتَعالى مِن مَعانى الاستِواءِ فى لغةِ العَربِ لأنَّ الاستواءَ فى لغةِ العربِ لهُ مَعانٍ عديدةٌ. يُطلَقُ الاستواءُ بمَعنى الجلوسِ ويُطلقُ الاستواءُ بمَعنى الاستقرارِ ويُطلقُ لفظُ الاستِواءِ بمَعنى التَّمامِ ويُطلقُ لفظُ الاستِواءِ بمَعنى الاعتِدالِ ويُطلقُ الاستِواءُ بمَعنى القَصدِ إلى غَيرِ ذلكَ مِن مَعانى الاستِواءِ، ويُطلَقُ الاستِواءُ بمَعنى الاستِيلاءِ والقَهرِ ويُطلَقُ الاستِواءُ بمَعنى علوّ القدرِ. المعنى الذى يَليقُ باللهِ مِن مَعانى الاستِواءِ هوَ الاستيلاءُ والقَهرُ والعُلو علوُ القَدرِ ليسَ علوَّ الجهةِ والمكانِ لأنَّ الشّأنَ فى علوّ القدرِ ليسَ فى علوّ الجهةِ والمكانِ أىِ الحيّزِ. لَم يَكن أحدٌ مِن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ يُفسّرُ استواءَ الله على عرشه بالجلوس والاستقرار إنّما كانوا يحمِلونَ الاستواءَ على المعنى الذى يَليقُ باللهِ ولا يحملونه على المعنى

الذى هو مِن صفات البشر كالجلوس لأنَّ الجلوسَ لَا يَكونُ إلاّ منَ البَشرِ ونحوِهم مِنَ البَهائم التى لها نِصفانِ نِصفٌ أعلى ونِصفٌ أسفلُ، هذا الذى يصحُّ منهُ الجلوسُ. أما اللهُ تباركَ وتَعالى الذى خلقَ البَشرَ وصِفاتِهِمْ وخلقَ الملائكةَ ومَا هُم عليهِ منَ الصّفاتِ وخلقَ الجنَّ وما هُم عليهِ منَ الصّفاتِ والأحوالِ وخلقَ غيرَ ذلكَ مِن أجرامٍ فهوَ لَا يجوزُ عقلًا ولا شرعًا أن يتصف بالجلوس علَى العرش أو الكرسى، مُحالٌ على اللهِ تباركَ وتعالى.

ولمْ يقلْ أحدٌ مِن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ إن استواءَ الله على عرشه المذكورَ فِى قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ بمعنى الجلوس فمَن فسَّرَ استواءَ اللهِ على عَرشِهِ بالجلوسِ جعَلهُ مثلَ البَشرِ.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الثامن والخمسون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الصَّوابُ فِى مَنْ قاتلَهُم سَيِّدُنا عَلِىُّ بنُ أَبِى طالِبٍ رضِىَ اللهُ عنه

درسٌ ألقاه المحدثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدرِىُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى فِى السابعِ والعِشرينَ مِنْ صفر سنةَ سبع وأربعمائة وألف وهو فِى بيانِ الصَّوابِ فِى مَنْ قاتَلَهُم علىُّ بنُ أبِى طالِبٍ رَضِىَ اللهُ عنه. سمِعَهُ منه الشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى والشيخُ عبدُ الرزاقِ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ جميلُ بنُ محمد حليم والشيخُ محمدُ بنُ مُصطفَى البَكرِىُّ. قال رحِمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمدٍ وعلى ءالِهِ وصحبِهِ الطيِّبينَ الطاهِرِينَ.

أمَّا بعدُ فإنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ **إذا تَواجَهَ المسلِمَانِ بسَيفَيْهِمَا فالقَاتِلُ والمقتُولُ فِى النَّارِ** فقِيلَ يا رسولَ اللهِ فما بالُ المقتولِ قالَ **إنهُ كانَ حَريصًا على قَتْلِ صاحِبِهِ**[(١)] اهـ هذا الحدِيثُ لَا يَدْخُلُ تحتَهُ مَنْ قاتَلَ البُغَاةَ معَ الخليفةِ لأَنَّهُ وَارِدٌ فِى الْمُسْلِمَيْنِ إذا تَقَاتَلا

---

(١) رواه البخارِىّ فِى صحيحه باب وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما.

لأجلِ الدُّنيا وأمَّا مُقاتَلَةُ البَاغِى معَ الخلِيفةِ فليسَتْ كذلكَ. **مَنْ خرَجَ مِنَ الطَّاعةِ وفارَقَ الجماعةَ فماتَ مَاتَ مِيْتَةً جاهِلِيَّةً**(١) هذا الحديثُ فيهِ دليلٌ على أنَّ المتمرِّدينَ على الخليفةِ مِيتَتُهم مِيتةٌ جاهِلِيّةٌ أىْ شبيهةٌ بمِيتةِ الكفّارِ الذينَ كانوا فِى زَمنِ الجاهليَّةِ لا أنَّهم والجاهليةَ سواءٌ لأنَّ هؤلاءِ مُسلمونَ عُصاةٌ والجاهليَّةُ كُفَّارٌ لأنَّ الجاهليةَ همُ المشركونَ الذينَ أدركُوا بِعثةَ رَسولِ اللهِ ﷺ ولَم يُؤمِنُوا بهِ. مِثالُ ذلكَ الذِينَ قاتَلُوا عَلِيَّ بنَ أبِى طالبٍ لا سِيَّما الخوارِجُ أهلُ النَّهرَوانِ، ففِى القِتالِ الذِى صَارَ بَيْنَ عَلِيٍّ ومُعَاوِيَةَ كانَ عَلِيٌّ وجَيْشُهُ مَأجُورِينَ لهم أَجْرٌ عِندَ اللهِ تعالى لأنَّهم قاتَلُوا بِحَقٍّ لأنَّ اللهَ تعالى أَمَرَ المؤمنينَ بِطَاعَةِ الخليفةِ الراشدِ وعَلِيٌّ خَليفةٌ راشدٌ فالتَّمَرُّدُ عليهِ حَرامٌ فِسْقٌ، ومَنْ قُتِلَ مِنْ أولئِكَ المتمرِّدِينَ فهوَ مَوزُورٌ ليسَ لهُ ثوابٌ عليهِ وِزْرٌ كبيرٌ معَ أنهُ قُتِلَ، ومَنْ لَم يُقْتَلْ منهُم رَجَعَ بذَنْبٍ كَبيرٍ. فِى وَقعةِ الجمَلِ أيضًا عَلِيٌّ هوَ الذِى لهُ الأجْرُ ومَنْ معَهُ هُمُ الذِينَ لهمُ الأجْرُ أمَّا الذِينَ قاتَلُوهُ فليسَ لهم ثَوابٌ بقِتَالِهِم بَلْ عليهِم ذَنْبٌ. عائِشةُ رَضِىَ اللهُ عنها تَابَتْ نَدِمَتْ، اللهُ تعالى تابَ عليها، هِىَ ومَنْ تابَ مِنْ أُولئكَ بَعدُ هؤلاءِ اللهُ تعالى يَتوبُ عليهِم أمَّا الذِينَ لَم يَتُوبُوا فلَهُمُ الوَيْلُ. عائِشةُ رَضِىَ اللهُ عنها لما قُتِلَ عُثمانُ بنُ عفَّانَ النَّاسُ حَمَّسُوهَا قالُوا لها كيفَ

(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الفتن.

يَضِيعُ دَمُ عُثمانَ ولا يُقْتَلُ قاتِلُهُ كيفَ نَسْكُتُ على ذلكَ فخَرَجَتْ معَهُم إلى العِرَاقِ حَيثُ كانَ عَلِيُّ بنُ أبِى طالبٍ، انتَقَدُوا عَلِيًّا لأنهُ لَم يقتُلْ قَتَلَةَ عُثمانَ، عَلِيُّ بنُ أبِى طالبٍ ما عَرَفَ مَنِ القَاتِلُ، كيفَ يَقتُلُ قبلَ أنْ يَعرِفَ الذِينَ قَتَلُوا عُثمانَ بأعيَانِهِم بأشخَاصِهِم، قبلَ أنْ يَعلَمَ ذلكَ كيفَ يَقتُلُ. ثُمَّ ليسَ لهُ أنْ يَقتُلَ قبلَ أنْ يَطلُبَ أولِيَاءُ الدَّمِ مِنْ عَصَبَةِ عُثمانَ أولادُهُ وغَيرُهُم مِنْ وَرثَتِهِ قَتْلَ قَتَلَةِ عُثمانَ لأنهُ إذا قَتَلَ مُسلِمٌ مُسلِمًا ظُلمًا الخلِيفةُ لا يَقتُلُ هكذا برَأيِهِ فقَط بلْ يَطلُبُ أهلُ الدَّمِ أقرِبَاؤُهُ أىْ وَرَثَتُهُ هُم يَطلُبُونَ أنْ يُقْتَلَ قاتِلُ قَتِيلِهِمْ فبعدَ أنْ يَطلُبَ أهلُ القَتِيلِ الأخْذَ بالثَّأْرِ[1] الخَلِيفةُ يُمَكِّنُهُمْ يقولُ لهم هذا هوَ اقتُلُوهُ أىْ بعدَ أنْ يعتَرِفَ أو تشهدَ عليهِ البَيّنةُ عِندئذٍ الخليفةُ يُمَكِّنُهم يقولُ لهم هذا قاتلُ قَريبِكُم فاقتُلُوهُ فإنْ قالُوا هُمْ أنتَ خُذْ لنا حَقَّنَا يقتُلُهُ الخَلِيفَةُ، أمَّا مِنْ دُونِ أنْ يَطلُبَ أهلُ الدَّم الخَلِيفةُ ليسَ لهُ أنْ يَقْتُلَ القَاتِلَ، ليسَ الأمرُ كما يَفعَلُ اليومَ هؤلاءِ الحُكَّامُ الفَاسِدُونَ، هؤلاءِ الحُكَّامُ الفاسِدُونَ هُم يَقتُلُونَ مِنْ غَيرِ أن يَطلُبَ أهلُ القَتيلِ، إذا أرادُوا أنْ يَقتُلُوا القَاتِلَ يَقتُلُونَهُ مِنْ غَيرِ أنْ يَطلُبَ أهلُ الدَّم، أقرِبَاءُ القَتِيلِ هُمُ الذِينَ لهمُ الحقُّ بالقَتْلِ ليسَ الخَلِيفَةُ، الخَلِيفةُ ليسَ لهُ حقٌّ إلَّا إذا وَكَّلُوهُ فقَالُوا لهُ أنتَ خُذْ لنا حقَّنَا منهُم فعِندئذٍ بالإذْنِ هوَ يُنَفِّذُ فيهِ القَتْلَ وإلَّا يُسَلِّمُهُ

---

(١) الثأر هو قتل قاتل القتيل اهـ

إلَيْهِم وهُمْ يَقتُلُونَهُ بأيدِيهِم باتِّفاقِ الوَرَثَةِ كُلِّهِم، يَتَّفِقُونَ على أنْ يُقْتَلَ هذا ويُوَكِّلُونَ أَحَدَهُمْ بقَتلِهِ فيَقتُلُهُ فيَكُونُونَ أخَذُوا حَقَّهم، ويَكونُ الخليفةُ أقامَ حَقَّ اللهِ، أليسَ هوَ سَاعَدَهُم ومَكَّنَهُم مِنْ قَتلِ هذا القاتِلِ، فعَلِيُّ بنُ أبِى طالبٍ ما جاءَ إليهِ وَرَثَةُ عُثمانَ فقَالُوا نحنُ نَطلُبُ قَتْلَ فُلانٍ قِصَاصًا لعُثمانَ لأنهُ هوَ قتَلَهُ، ما عُرِفَ الشَّخصُ بعَيْنِهِ كانُوا جَمَاعَةً حَاصَرُوا عُثمانَ بنَ عفّانَ فِى دارِهِ ثُمَّ قتَلَهُ بعضُهُم وهوَ يَقْرَأُ فِى المصحَفِ فلا يُعْرَفُ عَينُ القَاتِلِ، عَلِيُّ بنُ أبِى طالبٍ ما عَرَفَ عَيْنَ القَاتِلِ مَنْ هوَ فهَلْ يَقْتُلُ هؤلاءِ كلَّهم. لَا يجوزُ. هوَ لَو عَلِمَ قَاتِلَ عُثمانَ بعَيْنِهِ لَأَخَذَ منهُ الحقَّ على حَسَبِ طَلَبِ أولياءِ الدَّم مِنْ أقارِبِ عُثمانَ. عَلِيُّ بنُ أبِى طالِبٍ هوَ الخليفةُ الرَّاشدُ، كانَ وَاجِبًا على مُعَاوِيَةَ أنْ يُطِيعَهُ ولَا يَتَمَرَّدَ عليهِ ولكنَّهُ تَمَرَّدَ عليهِ فكانَ ظَالِمًا فكانَ الحقُّ لِعَلِيٍّ أنْ يُقَاتِلَهُ ومَنْ معهُ، تمَرَّدُوا عليهِ فنَصَحَهم ما رَجَعُوا، هوَ نَصَحَهُم، قالَ لِمُعَاوِيَةَ ادْخُلْ فِى البَيْعَةِ بَايِعْ ثُمَّ نَأْخُذُ بِدَمِ عُثمانَ فقالَ لَا أُبَايِعُكَ فتَمَرَّدَ فلَهُ حَقٌّ أنْ يُقاتِلَهُ، أَمَّا مُعاويةُ فهوَ ظالِمٌ عَاصٍ. عَلِيٌّ انتَصَرَ فِى القِتَالِ فلَمَّا شَعَرَ جَمَاعَةُ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُم انكَسَرُوا رَفَعُوا المصحَفَ عَلَّقُوا علَى الرِّماحِ المصحفَ قالُوا نَتحاكَمُ إلى هذا الكتابِ لما شعَرُوا بالانكِسَارِ، عَلِيُّ بنُ أبِى طالبٍ لَا يُهْزَمُ، اللهُ تعالى جَعَلَهُ مَنصُورًا فِى الحربِ. بعدَما عَمِلُوا التَّحكِيمَ[١] تَوَقَّفُوا عَنِ الحربِ ثُمَّ قامَ عليهِ هؤلاءِ

(١) قال معاوية ومن معه نحتكم إلى القرءان فيما اختلفنا فيه معكم فقبل=

الخوارِجُ الذِينَ كانُوا فِى جَيشِهِ تمرَّدُوا عليهِ فانشَغَلَ بِحَرْبِهِمْ ثُمَّ بعدَما أبادَهم أىْ قَتَلَهُمْ وهَزَمَهُمْ وقَبْلَ أنْ يَتمكَّنَ مِنَ العَودَةِ لقِتالِ مُعاوِيَةَ أَحَدُهم قَتَلَهُ بطريقِ الاغتِيالِ أَحَدُ أولئِكَ الذِينَ كَسَرَهُم فِى الحربِ، كانَ خَطَبَ امرَأَةً كانَ عَلِىٌّ قَتَلَ أبَاها وأخَاها فِى تلكَ الحربِ لما خَطَبَ هذهِ البنتَ قالَتْ لهُ أنا لَا أُرِيدُ مِنكَ مَهرًا إلَّا أنْ تَقتُلَ عَليًّا وقالَتْ لَا أُريدُ منكَ مَهرًا بلْ بَدَلَ أنْ تُعطِيَنِى مَهرًا أنا أُعطيكَ كذا وكذا مِنَ المالِ. عَلِىٌّ قُتِلَ بطَريقِ الاغتِيالِ وهوَ خَارِجٌ لصَلاةِ الصُّبحِ وكذلكَ عُثمانُ قُتِلَ ظُلمًا وهوَ يَقرَأُ بالمصحَفِ ما دافعَ عَنْ نفسِهِ ولا قالَ للمُسلِمِينَ يا مُسلِمُونَ أَنْقِذُونِى مِنْ هؤلاءِ بلِ استَسْلَمَ حيثُ إنَّهُم مُسلِمُونَ ما دافَعَ عَنْ نَفسِهِ وذلكَ أنَّ المسْلِمَ إذا طَلَبَهُ مُسلِمٌ لِيَقتُلَهُ يجوزُ أنْ يَستَسْلِمَ، يجوزُ أنْ لَا يَحْمِلَ السِّلاحَ على الذِى يُرِيدُ قَتْلَهُ إلى أنْ يَقتُلَهُ ذاكَ، يجوزُ ما عليهِ ذَنْبٌ، هذا الذِى استَسْلَمَ ما عليهِ ذَنْبٌ إنَّما الذَّنبُ على ذاكَ ويجوزُ أنْ يُدَافِعَ عَنْ نفسِهِ، لهُ الاختِيَارُ.

أمَّا الكافِرُ إذا قَامَ لِيَقْتُلَ مُسلِمًا فلَا يجوزُ للمُسلِمِ أنْ

= علِىّ رضِىَ الله عنه حقنًا لدماء المسلمين وجعل حكَمَه أبا موسى الأشعرِىّ وأما حكم معاوية فكان عمرو بن العاص فخرجَتْ فرقة من جيش علِىّ رضِىَ الله عنه فقالوا له كيف تحكم مخلوقًا والله يقول ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ فكفروه وخرجوا عليه وهم الخوارج فقاتلهم علِىٌّ رضِىَ الله عنه وقال عن استدلالهم بالآية كلمة حق أريد بها باطل اهـ

يَستَسْلِمَ بلْ عَليهِ أنْ يُدافِعَ فإنِ استَسْلَمَ للكَافِرِ فعَلَيْهِ ذَنبٌ، أمَّا للمُسلِمِ فيَجوزُ أنْ يُدافِعَ ويجوزُ أنْ يَسْتَسْلِمَ وذلكَ اقتِدَاءً بقَولِ رَسُولِ اللهِ ﷺ **كُنْ خَيْرَ ابنَىْ ءادَمَ**(١) اهـ أليسَ أحدُهُما استَسْلَمَ قالَ ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾(٢) اقتِدَاءً بذلكَ يجوزُ للمُسلِمِ إذا أرادَ مُسلِمٌ أنْ يقتُلَهُ أنْ يَستسلِمَ ولا يُدَافِعَ عَنْ نفسِهِ ويجوزُ أنْ يُدافِعَ، إذا اعتَدَى مُسلِمٌ على مُسلِمٍ جَاءَ ليَقتُلَهُ يجوزُ أنْ يحمِلَ السِّلاحَ ويُدافِعَ عَنْ نَفسِهِ ويجوزُ أنْ يَستسلِمَ فيَقعُدَ فيَموتَ شَهيدًا وإذا دَافعَ عَنْ نفسِهِ فقُتِلَ وهُوَ يُدَافِعُ عَنْ نفسِهِ فهوَ شَهيدٌ أيضًا.

انتهَى واللهُ تعالى أعلَمُ.

---

(١) رواه ابن حبان فِى صحيحه باب ذكر البيان بأن على المرء عند الفتن أن يكون مقتولًا لا قاتلًا.

(٢) سورة المائدة/الآية ٢٨ .

الدرس التاسع والخمسون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسيرُ حديثٍ أولهُ [ملعونٌ مَنْ لَعَنَ والِدَيه]

درسٌ ألقاه الفقيهُ المحدثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ الشيبِيُّ رحِمَه اللهُ تعالى وهو فِى بيانِ تفسيرِ حديثِ ملعونٌ مَنْ لَعَنَ والِدَيْه. سمِعَهُ منه الشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ. قال رحمه اللهُ رحمةً واسَعَةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على أشرَفِ المرسلِينَ سيدنا محمدٍ خاتَم النبيّينَ وقائدِ الغُرِّ المحجَّلينَ يومَ القيامَةِ وأشهدُ أن لَا إله إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شرِيكَ له وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورَسُولُه.

أمَّا بعدُ فَرُوِّينا بالإسنادِ المتَّصِلِ فِى صَحيحِ الإمامِ مُسلِمِ بنِ الحجَّاجِ رَحِمَهُ اللهُ تعالى مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بنِ أبِى طالبٍ عنْ رَسولِ اللهِ ﷺ أنهُ قالَ **مَلْعُونٌ مَنْ لَعنَ والدَيهِ ومَلعونٌ مَنْ ذَبَحَ لغيرِ اللهِ ومَلعونٌ مَنْ غَيَّرَ مَنارَ الأرضِ ومَلعُونٌ مَنْ ءاوَى مُحْدِثًا**(١) اهـ

ومعنَى مَلعُونٌ مَنْ ذبحَ لغيرِ اللهِ أنهُ لَا يجوزُ الذَّبحُ تقرُّبًا إلى غيرِ اللهِ كالذينَ يذبحونَ تقرُّبًا إلى مُلوكِ الجنِّ لينفَعُوهُم فِى أُمورِ دنياهُم، فمَنْ يَذبحُ تقرُّبًا إلى الجنِّ

(١) رواه مسلم فِى صحيحه باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله.

ذَبيحةً دَجاجةً كانتْ أو شاةً أو أكبرَ مِنْ ذلكَ فهوَ مَلعُونٌ. قالَ بعضُ العُلماءِ إذا كانَ الشّخصُ يريدُ أنْ يَسكُنَ بيتًا جديدًا فذَبَحَ ذَبيحةً لِئَلَّا تُؤْذِيَهُ الجنُّ الذينَ هُم فِى تلكَ الأرضِ كانَ ذلكَ حَرامًا أمَّا مَنْ ذبحَ ذبيحةً ليَدفعَ اللهُ عنهُ ببركةِ الصَّدَقَةِ أَذَى عُمَّارِ هذهِ الأرضِ أىْ سُكَّانِها مِنَ الجنّ ووزَّعَ لحمَهَا على الفُقراءِ أىْ نَوَى أنْ يدفَعَ اللهُ عنهُ ببَرَكةِ هذهِ الذَّبيحةِ شرَّ الجنّ كانَ ذلكَ جائزًا.

وأمَّا الذّبائحُ التِى تُذبحُ بنيّةِ إظهارِ الفَرحِ بمَولدِ رَسولِ اللهِ ﷺ فِى يوم مَولِدِهِ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ فإنَّها قُربةٌ إلى اللهِ لأنَّ هذا الذِى يَذْبَحُ لا ينوِى بهذا الذَّبحِ عِبادةَ الرّسولِ ﷺ وإنَّما يَنوِى إظهارَ الفَرَحِ بمَولدِ سيّدِ المرسَلينَ صَلواتُ اللهِ عليهِ وعلى ءالِهِ فهذا سُنَّةٌ حسنةٌ.

والثالثُ فِى هذا الحديثِ هوَ الذِى يُغَيّرُ مَنارَ الأرضِ أىْ يُغَيّرُ حُدودَ الأرضِ بأنْ يَسرِقَ مِنْ أرضِ جَارِهِ فيُدْخِلَ ذلكَ فِى أرضهِ قليلًا كانَ أو كثيرًا أو يَسرِقَ مِنَ المَمَرّ العامّ جُزءًا فيُدْخِلَهُ فِى أرضِهِ فهذا ملعُونٌ داخِلٌ تحتَ قولِهِ ﷺ **ومَلعُونٌ مَنْ غَيَّرَ مَنارَ الأرضِ** اهـ

أمَّا الرابعُ وهوَ الذِى قالَ فيهِ الرّسولُ ﷺ **وملعونٌ مَنْ ءاوَى مُحْدِثًا** اهـ فهوَ الشّخصُ الذِى يحولُ بينَ مُرتكِبِ الجريمةِ كقَاتلِ النَّفسِ ظُلمًا أو ءاخِذِ المالِ ظُلمًا وجَبَرُوتِيًّا[1] وبينَ مَنْ يَقْتَصُّ منهُ القِصَاصَ الشَّرعِيَّ.

انتهى واللهُ تعالى أعلَمُ وأحكم.

---

(١) أى بالقوة اهـ

الدرس الستون



حرمةُ نكاحِ المتعةِ والرّبا

درسٌ ألقاه الفقيهُ المحدثُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ الشيبىُّ رحمهُ اللهُ تعالى يوم السادسَ عشرَ مِنْ ربيعِ الآخر سنةَ ثمانٍ وتسعينَ وثلاثمائة وألف وهو فِى بيانِ حُرمةِ نِكاحِ المتعةِ والربا ووُقوعِ النَّسخِ فى الشرائِعِ وفضلِ مرتبةِ العِلْمِ. سمِعَهُ منه الشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى. قال رحمه الله تعالى رحمة واسعة

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ وصلّى اللهُ على سيّدنا محمّدٍ وعلى ءالهِ وصحبهِ الطيّبينَ وسلّمَ.

أما بعدُ فإنَّ اللهَ تباركَ وتعالى خلقَ العبادَ بمقتضَى رحمتهِ وكلّفهم بمقتضَى عَدلهِ ثمَّ إنهُ تباركَ وتعالى ارتضَى لعبادهِ كلِّهم دينًا واحدًا ولم يَرتضِ لهم دينًا سواهُ وهوَ الإسلامُ فالإسلامُ هوَ دينُ الملائكةِ وهوَ دينُ سائرِ الأنبياءِ. ثمَّ إنهُ عزَّ وجلَّ جعلَ شرائعَ الإسلامِ مختلفةً على حسبِ مصالحِ العبادِ مِن غَيرِ أنْ تختلفَ العقيدةُ وذلكَ لأنَّ عقيدةَ الإسلامِ لا تَقتضِى مصلحةُ الخلقِ أنْ تختلفَ باختلافِ الأممِ فلَم يُنْسَخِ الإسلامُ قطُّ ولكنِ الشّرائعُ التى هىَ فروعُ الإسلامِ تَقْتَضِى مصالحُ الخلقِ أنْ تختلفَ لذلكَ اختلفتْ فكانَ فى شرعِ

ءادمَ مثلًا حكمٌ لم يكُن فى ما سِوى شَرعهِ لأنَّ مصلحةَ البشرِ كانَت تقتضِى ذلكَ الحكمَ وهوَ تزويجُ أولادِ ءادمَ الذكورِ بالإناثِ فكانَ يُزَوِّجُ الذكرَ مِن هذا البَطنِ للأنثى منَ البطنِ الثانى وكانَ مِن رحمةِ اللهِ تعالى بهِم أنَّ حواءَ كانَت تلِدُ فى كلِّ بطنٍ ذكرًا وأنثى وكانَ الزّنى فى ذلكَ الزّمنِ نِكاحَ أختهِ التى خَرجتْ منَ البطنِ الذى خرجَ منهُ هذا كانَ المحرّمَ عليهِم(١)، وللهِ الحمدُ لَم يحصلْ مِن أحدٍ مِن أولادِ ءادمَ أنهُ وقعَ فِى هذا الحرامِ ولم تكُن جَريمةُ ابنِ ءادمَ الذِى قتلَ أخاهُ ناشئةً مِن ذلكَ إنَّما كانَ السّببُ فِى ذلكَ أنَّ اللهَ تَعالى قَبِلَ قُربانَ أحدِ الأَخوينِ ولم يقبَلْ قُربانَ الآخَرِ فأطغاهُ الشّيطانُ ولهذا أقدَمَ على قَتلِ أخيهِ.

ثمَّ بعدَ ءادمَ حَرَّمَ اللهُ تعالى زواجَ الأَخِ مِن أختهِ مُطلقًا ثمَّ لم يَزَلْ بعدَ ذلكَ كلُّ رسولٍ يُرسلُهُ اللهُ فِى زمنٍ يُوحَى إليهِ بنَسخِ بعضِ الأحكامِ التِى كانَت فِى شرعِ الرّسولِ الذِى قبلَهُ ليسَ يَنْسَخُها مِنْ تلقاءِ نَفسهِ إنّما اللهُ تَعالى يُوحِى إليهِ بنَسخِ بعضِ شرعِ الرّسولِ الذِى قبلَهُ، فمِن ذلكَ أنهُ كانَ فِى شَرعِ التّوراةِ تحريمُ الجمعِ بينَ الأُختينِ فِى ءَانٍ واحدٍ بعدَ أنْ كانَ جائزًا فِى شرعِ يعقوبَ إلى أنْ جاءَ نبيُّنا محمّدٌ ﷺ فأنزلَ اللهُ عليهِ شرعًا فيهِ نَسخُ بعضِ الأحكامِ التِى كانتْ فِى شَرائعِ الأنبياءِ الذينَ مَضَوْا قبلَهُ، بل كانَ فِى شرعهِ ﷺ

(١) أى مع تحريم الجماع بغير نكاح صحيح.

ما جاءَ ناسخًا بعضَ الأحكامِ التِى كانتْ مُقرّرةً فِى شرعهِ ﷺ قبلَ النَّسْخِ وذلكَ مثلُ مسألةِ المتعةِ مُتعةِ النّساءِ اقتضتِ الحكمةُ إباحتَها فِى زَمنٍ، كانَ أصلُ إباحةِ مُتعةِ النّساءِ للحربِ والضّرورةِ، كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ حِينما يَكونونَ فِى السَّفرِ للغَزواتِ أىْ للجهادِ فِى سَبيلِ اللهِ تَطولُ عليهِمُ العُزُوبةُ فَأَحَلَّ اللهُ لهم أنْ يَستمتِعوا منَ النّساءِ تَسهيلًا عليهِم ورحمةً بهم ثمَّ نزلَ الوَحْىُ السّماوِىُّ بتحريمِها فِى غزوةِ خيبرَ ثمَّ أُنْزِلَ الوَحىُ بإباحَتها وذلكَ فِى غزوةِ الفَتحِ وذلكَ أنَّ المسافةَ منَ المدينةِ إلى مكةَ بَعيدةٌ فكانَ منَ الحكمةِ أنْ أحلَّ اللهُ لهم فِى غزوةِ الفتحِ أنْ يستمتِعوا منَ النّساءِ ثلاثةَ أيامٍ ثمَّ نَسخَ اللهُ تعالى بعدَ ثلاثةِ أيامٍ مِن دُخولهم مكةَ إباحةَ المتعةِ فحرَّمها تحريمًا مؤبَّدًا إلى يومِ القيامةِ[1] فكانَ الوَحْىُ الذِى حرَّمها عامَ الفَتحِ هوَ ءاخرَ ما نَزَلَ فِى مُتعةِ النساءِ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ يومَ حَرَّمَها إنِّى كنتُ قَد أذِنتُ لكمْ بالاستِمتاعِ منَ النّساءِ فإنَّ اللهَ قَد حَرَّمَها إلى يومِ القِيامةِ[2] اهـ وكانَ منَ السَّببِ المقتضِى لإباحةِ المتعةِ قبلَ ذلكَ أنهُ كانتِ النّساءُ المسلماتُ قلّةً فعندَما كثُرتِ النّساءُ المسلماتُ بعدَ فتحِ مكّةَ وذلكَ لأنَّ العَربَ دَخلوا فِى دينِ اللهِ أفواجًا بعدَ الفَتحِ لَم تكُن بعدَ ذلكَ ضَرورةٌ تدعُو إلى مُتعةِ النّساءِ

---

(١) انظر فتح البارِى لابن حجر باب نهْىِ النبىّ ﷺ عن نكاح المتعة.
(٢) رواه ابن ماجه فِى سننه باب النهْىِ عن نكاح المتعة.

فكانَ السَّببُ الذِى أُبيحَ مِن أجلِهِ مُتعةُ النّساءِ المشقّةَ التِى كانوا يُقاسُونَها فِى الحربِ وقلّةَ النّساءِ المسلماتِ فلمَّا زالَ السَّببانِ لم تَقتضِ المصلحةُ إباحَتَها ثمَّ إنَّ هناكَ سَببًا ءاخرَ وهوَ أنَّ الميراثَ والعِدَّةَ وأحكامَ الطّلاقِ لم تكنْ تَرَتَّبَتْ قبلَ ذلكَ(١) فلمَّا ترتَّبتْ هذهِ الأحكامُ بالوَحْيِ الذِى نزلَتْ بهِ لَم يبقَ داعٍ لضَرورةِ إباحةِ المتعةِ.

ومما كانَ حَرامًا فِى شرعِ مَن قَبلنا الرّبا فأكلُ الرّبا كانَ حرامًا فِى شرعِ موسَى عليهِ السَّلامُ مثلًا دلَّ على ذلكَ القرءانُ والحديثُ فأمّا القرءانُ فقولهُ تَعالى فِى حقّ اليَهودِ فِى سورةِ النّساءِ ﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ﴾ ذَمَّهُمُ اللهُ تباركَ وتعالى لأكلِهِمُ الرّبا بعدَ أنْ حُرّمَ عليهِم وحيًا، ثمَّ لما كانَ رسولُ اللهِ ﷺ بُعثَ فِى فترةٍ منَ الرُّسُلِ لَم يُنزلِ اللهُ تباركَ وتعالى على نبيّنا ﷺ فِى بَدْءِ البِعثةِ تحريمَ الرّبا إنّما أُنزلَ عَليهِ ذلكَ بعدَ الهجرةِ بزمانٍ فكانَ المسلمونَ الذينَ يَتَعاطَوْنَ الرّبا قبلَ نزولِ تحريمهِ على الرّسولِ غيرَ مؤاخَذينَ، وإنَّما أَخَّرَ اللهُ تعالى تحريمَ أكلِ الرّبا فِى أمّةِ محمّدٍ ﷺ إلى ما بعدَ الهجرةِ لأنَّ العَربَ كانوا يتعامَلونَ بالرّبا بكَثرةٍ فكانَ منَ الحِكمةِ ألّا يُعَجّلَ عليهمْ بتحريم هذا الأمرِ الفاشِى المنتشِرِ بينَهم فِى مُعامَلاتِهم تَرغيبًا فِى الدّخولِ فِى الإسلامِ. وأما الحديثُ الدّالُّ على أنَّ اليَهودَ كانَ مُحَرَّمًا

---

(١) لم يكن نزل حكمها قبل ذلك اهـ

عليهمْ أكلُ الرّبا فِى شرعِ موسَى عليهِ السَّلامُ فهوَ ما رَويناهُ بالإسنادِ المتّصلِ فِى جامعِ التّرمذىّ مِن حَديثِ صَفْوَانَ بنِ عَسَّالٍ رضِىَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ يهودِىٌّ لصاحبهِ تعالَ بنا إلى هذا النبىّ فقالَ لهُ صاحبهُ لا تقُل نبىٌّ فإنه لو سَمِعَكَ لكانت لهُ أربعةُ أعينٍ[1] فأتيا رسولَ اللهِ ﷺ فسألاهُ عَن تسعِ ءاياتٍ بَيّناتٍ فقالَ لَا تُشركوا باللهِ شيئًا ولا تَسرِقوا ولاَ تَزنوا ولا تقتلوا النّفسَ التِى حرَّمَ اللهُ إلا بالحقّ ولا تَمْشُوا ببرِىءٍ إلى ذِى سلطانٍ ليقتلَهُ ولا تَسْحَرُوا ولا تأكلوا الرّبا الحديثَ إلى ءاخرهِ[2] قالَ الترمذِىُّ فِى هذا الحديثِ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وقَد علمَ اللهُ تباركَ وتعالى أنهُ لَا مَصلحةَ للعبادِ فِى أنْ يأتىَ بعدَ محمّدٍ ﷺ نبىٌّ بنسخِ بعضِ شَرعهِ وأنَّ شَرعَهُ موافقٌ لمصالحِ العبادِ إلى نهايةِ الدُّنيا فلَم تكنْ لهذهِ الأمّةِ حاجةٌ إلى نَسْخِ ما تقرّرَ مِن شرعِ محمّدٍ ﷺ

---

(١) قال الطيبىّ هو كناية عن السرور المضاعف لأنهم يكنون عن السرور بقرّة العين اهـ انظر قوت المغتذِى.

(٢) روى الترمذِى فِى سننه عن صفوان بن عسال قال قال يهودِى لصاحبه اذهب بنا إلى هذا النبِىّ فقال صاحبه لا تقل نبِىّ إنه لو سمعك كان له أربعة أعين فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع ءايات بينات فقال لهم **لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا، ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التِى حرم الله إلّا بالحق ولا تمشوا ببرِىء إلى ذِى سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة ولا تولوا الفرار يوم الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعتدوا فِى السبت** قال فقبلوا يديه ورجليه فقالا نشهد أنك نبِىّ قال **فما يمنعكم أن تتبعونِى** قالوا إن داود دعا ربه أن لا يزال من ذريته نبِىّ وإنا نخاف إن تبعناك أن تقتلنا اليهود اهـ

فِى حياتهِ وإنّما عليهم أن يَفهموهُ ويُحِلُّوا حَلَالَهُ ويُحَرّمُوا حَرامَهُ قالَ تَعالى فِى سورةِ المائدةِ ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ أىْ أنَّ قواعدَ الدّينِ وأصولَ أحكامهِ قد تمَّتْ فلا حاجةَ بكم إلى غيرِها وكانَ نزولُ الآيةِ فِى حجّةِ الوَداعِ قبلَ وفاةِ رسولِ اللهِ ﷺ بشَهرينِ وشىءٍ.

ثمَّ إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى أثنَى فِى كتابهِ على العِلم فِى عدّةِ ءاياتٍ وحضَّ عليهِ وبَيَّنَ رَسولُهُ ﷺ جزاهُ اللهُ عنْ أمّتهِ خيرَ ما جازَى بهِ نبيًّا فَضلَ العلم وذلكَ أنَّ علمَ الدّينِ يَحتاجُ إليهِ سَائرُ طوائفِ الناسِ ولَا يَستغنِى عنِ العلمِ طبقةٌ مِن طَبقاتِ النّاسِ فلذلكَ كانَت[1] أهميةُ علمِ الدّينِ فِى هذا العصرِ الذِى طغَى فيهِ الجهلُ بعلمِ الحلالِ والحرامِ على أعمالِ كثيرٍ منَ الناسِ وتصرّفاتِهِم. ولما كانَ علمُ الدّينِ فِى العُصورِ المتقدّمةِ عصرِ الصّحابةِ وعصرِ التابعينَ وعصرِ أتباعِ التابعينَ وما يَلى ذلكَ أوفرَ بكثيرٍ كانت حالُ المسلمينَ أحسنَ بكثيرٍ مما صِرنا إليهِ فِى هذهِ العصورِ فعليكُم بالعلمِ ولا تَغُرَّنَّكُمْ دعوى أناسٍ نبَذوا العلمَ وراءَ ظُهورِهم وانشغَلوا بالطَّريقةِ والذِّكرِ والأورادِ، الذّكرُ يحتاجُ إلى علمٍ وكذلكَ الانقطاعُ للتعبُّدِ، وفرقٌ كبيرٌ بينَ العابدِ وبينَ العالمِ ويكفِى دليلًا على ذلكَ ما رَويناهُ فِى جامعِ الترمذىّ بإسنادٍ صَحيحٍ مِن حديثِ أبِى أمامةَ الباهلىّ رضِىَ اللهُ عنهُ قالَ كانَ رجلانِ أحدُهُما عابدٌ والآخرُ

---

(١) أى حصلت وتقررت فكانت هنا تامة اهـ

عالمٌ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ فضلُ العالم على العابدِ كفضلِي على أدناكُم وإنَّ اللهَ وملائكتَهُ حتَّى الحيتانَ فِى البحرِ لَيُصَلُّونَ[١] على مُعلّم الناسِ الخيرَ اهـ[٢] وذلكَ لأنَّ العِلمَ يُصلِحُ اللهُ بهِ فسادًا كبيرًا ويُنْجِى اللهُ بهِ منَ المهالكِ خَلقًا كثيرًا.

وهذهِ المفاضلةُ المذكورةُ فِى هذا الحديثِ هِىَ بينَ عالمٍ هوَ حقُّ العالمِ وبينَ عابدٍ هوَ حقُّ العابدِ وأما إذا خلاً العالِمُ عَن حقيقةِ العلمِ والعملِ فإنهُ لا يكونُ لهُ هذا الفضلُ وكذلكَ العابدُ إذا لم تكنْ عبادتهُ على قواعدِ الشّرعِ ومُوافَقَةِ الأحكامِ فإنها كالعَدمِ فالعابدُ الذى ذكرهُ رسولُ اللهِ ﷺ هوَ مَن كانَ يَعرفُ ما يُصَحِّحُ بهِ عبادتَهُ ليسَ الذى يتعبّدُ على الخللِ ولا يَعرفُ كيفَ تصحُّ صلاتُهُ وطَهارتُهُ فإنَّ هذا على خطرٍ عظيمٍ منَ الهلاكِ. ومِن عِظَمِ فضلِ العالمِ قالَ عيسَى ابنُ مريمَ عليهِ وعلى نبيّنا صلَواتُ اللهِ وسلامهُ فِى وَصفِ علماءِ أمّةِ محمّدٍ ﷺ عُلماءُ حُلماءُ برَرةٌ أتقياءُ كأنهم منَ الفقهِ أنبياءُ اهـ رواهُ أبو نُعيمٍ فِى الحليةِ[٣] فهذا أيضًا يُعْلَمُ بهِ شَرفُ العلمِ وعلوُّ مَنزلتهِ فإذا اجتمعَ العلمُ والعبادةُ فذلكَ مِن أَسْمَى المراتبِ.

ولما كانَ العلمُ يُعرَفُ بهِ مراتبُ الأعمالِ ما هوَ

---

(١) أى يستغفرون اهـ

(٢) رواه الترمذِى فِى سننه باب فضل الفقه على العبادة.

(٣) رواه أبو نعيم فِى الحلية باب مالك بن أنس.

الفاضلُ وما هوَ الأفضلُ وما هوَ المحرّمُ وما هوَ المكروهُ وما هوَ منَ المعاصِى فِى مرتبةِ الكبائرِ وما هوَ منها فِى مرتبةِ الصّغائرِ ظَهرَ وَتَبَيَّنَ أنَّ العلمَ مِن أسنى الأعمالِ وما أُنْفِقَتْ فيهِ نفائسُ الأوقاتِ ومِن أَوْلَى ما عُلِّقَتْ بهِ الرّغَباتُ فعليكُم بتَحصيلهِ ولوِ انشغلتُمْ عن كثيرٍ منَ الأشياءِ التِى تطمعُ إليها النّفوسُ فالوِلايةُ حقُّ الولايةِ هِىَ العلمُ معَ العملِ فَمَنْ قرأَ طبقاتِ الفقهاءِ فِى العصورِ الماضيةِ وعرفَ مناقبَهم عَلِمَ ذلكَ حَقَّ العلم هذا الفقيهُ العالمُ المحدّثُ أبو عمرِو بنُ الصلاحِ الشَّهْرَزُورِىُّ الدّمشقِىُّ[1] مِنْ أهلِ القرنِ السابعِ الهجرِىّ حُفِرَ عَن قبرِهِ فِى دمشقَ مُنذُ عشرينَ سنةً تقريبًا مِن أجلِ التخطيطِ الهندسِىّ لفَتحِ شارعٍ فَعُثِرَ على جُثتهِ صحيحةً لم يَبْلَ شىءٌ من جسدهِ ولا بَلِىَ كفنهُ ثمَّ نُقلَ إلى حَىّ المَيدانِ فِى دمشقَ فدُفنَ هناكَ. هذا أبو عمرِو ابنُ الصّلاحِ لم يكن فِى الشُّهرةِ بينَ الأمّةِ بمَثابةِ الشّافعِىّ ومالكٍ وأحمدَ بل بَينهُ وبينَ هؤلاءِ فرقٌ بعيدٌ وإنْ كانَ معروفًا بينَ المحدّثينَ والفقهاءِ الشّافعيينَ ولكنْ ليسَ لهُ ذلكَ الصّيتُ الذِى يُقَارَنُ بهِ معَ الشّافعِىّ رَضِىَ اللهُ عنِ الجميعِ ولم يَنَلْ هذهِ المرتبةَ إلا بالعلمِ والعملِ حدّثنِى بذلكَ عالمٌ مِن دمشقَ يُسمَّى أبا سليمانَ الزبيبِىَّ وهوَ حدَّثهُ بذلكَ موظّفُ الأوقافِ عبدُ المُتعال وهوَ حدّثهُ عَن

(١) فِى طبقات الشافعية الكبرى أنه توفِى سنة ٦٤٣هـ.

مُشاهدتهِ.

رَبَّنَا اغفرْ لنا ولإخواننا الذينَ سَبقونا بالإيمانِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ وصلَّى اللهُ على رَسولهِ سيِّدنا محمّدٍ وعلى ءالهِ.

انتهى والله تعالى أعلم.

الدرس الحادى والستون



كلامُ اللهِ تعالى (١)

درسٌ ألقاهُ الأصولِيُّ المتكلِّمُ الشيخُ عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ العبدرِيُّ رحمهُ اللهُ تعالى وهو فِى بيانِ كلامِ اللهِ تعالى وأنه لا يُشبِهُ كلامَ الخَلْقِ. سَمِعَهُ منه الشيخُ سميرُ بنُ سامِى القاضِى والشيخُ نبيلُ بنُ محمدٍ الشريفُ والشيخُ جميلُ بنُ محمد حليم والشيخُ محمدُ بنُ مُصطفَى البَكرِيُّ والشيخُ عبدُ الرزاقِ بنُ محمدٍ الشريفُ. قال رحمَهُ اللهُ تعالى رحمةً واسعةً

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على سيدِنَا محمدٍ وعلَى ءالِهِ وأصحَابِهِ الطيبِيْنَ الطاهِرِيْنَ.

أمَّا بعدُ فلَمَّا تَقَرَّرَ أنَّ اللهَ تباركَ وتعالى لَا يُشبِهُ غَيْرَهُ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجوهِ بالدليلِ القُرءانِيِّ والدّليلِ العَقلِيِّ فَهِمْنَا مِنَ الدَّلِيلَينِ أنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى مُتكلِّمٌ بكلامٍ ليسَ حَادِثًا ككلامِ الخلقِ وليسَ شَيئًا يَتخلَّلُهُ انقِطاعٌ بَل لَا يَتخلَّلُهُ انقِطَاعٌ وليسَ شيئًا يتجدَّدُ مِنْ وَقْتٍ إلى وقتٍ كَمَا أنَّ حَيَاتَهُ أزلِيَّةٌ أبدِيَّةٌ لَا يَتخلَّلُها انقِطَاعٌ وتغيُّرٌ كذلكَ كلامُهُ لَا يَتخلَّلُهُ انقِطاعٌ فهوَ إذَنْ ليسَ حَرْفًا وصَوْتًا ليسَ لُغَةً لَا لغةً عربيةً ولَا غَيرَها لأنَّ اللغاتِ حادثةٌ لَم تَكنْ مَوجودةً ثُمَّ أوجدَهَا اللهُ خلقَهَا اللهُ.

والدليلُ على هذا الكلامِ الذِى يُنَزِّهُ اللهَ تَعالى عَن

أنْ يكونَ كَلامُهُ حرفًا وصوتًا مِنَ القُرءانِ هذهِ الآيةُ فِى سُورةِ الشُّورَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ومِنَ العَقْلِ أنهُ لَو كانَ كلامُهُ حَادِثًا يُوجَدُ شيئًا فشيئًا يَسْبِقُ بعضُهُ بعضًا لكانَ ككلامِ غيرِهِ ولو كانَ يجوزُ عليه أنْ يكونَ كلامُهُ حُرُوفًا وأصواتًا يدخُلُهُ انقطاعٌ لجازَ على اللهِ كلُّ صِفَاتِ المخلُوقِيْنَ مِنْ عَجْزٍ وضعفٍ ومَوتٍ وطُرُوءِ زيادةٍ ونُقصانٍ فبِهَذَيْنِ الدليلَينِ عَلِمْنَا أنَّ اللهَ تباركَ وتَعالى مُتكلمٌ بكلامٍ ليسَ بحرفٍ وصوتٍ لَا يُمكنُ أنْ نَتَصَوَّرَهُ ونتخَيَّلَهُ فِى عُقُولِنَا كَما أننا لَا نَستطيعُ أنْ نَتَصَوَّرَ ذاتَ اللهِ أىْ حقيقَتَهُ فوَجَبَ عَلينا أنْ نُؤْمِنَ بأنَّ اللهَ مُتكلِّمٌ بكَلامٍ لَا يُشبِهُ كَلامَنَا. ومِنَ الدَّلِيْلِ القُرءَانِيّ على أنَّ اللهَ تبارَكَ وتَعالَى ليسَ مُتكلِّمًا بحُرُوفٍ وأصواتٍ ما وردَ فِى القُرءانِ مِنْ أنَّ اللهَ تَعالَى أسرَعُ الحاسبِينَ أىْ أنهُ يحاسِبُ الخلْقَ يومَ القيامةِ فِى ساعةٍ أىْ وقتٍ قصيرٍ.

فِى القُرءانِ الكريمِ فِى سُورَةِ الأنعَامِ ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ وهذا يُنافِى أنْ يكونَ كلامُهُ حَرفًا وصَوتًا لأنهُ لَو كانَ كلامُه حَرفًا وصوتًا يحاسِبُ بهِ الخلقَ يومَ القِيَامَةِ لكانَ اللهُ تعالى أبطَأَ الحاسِبِينَ ليسَ أسرعَ الحاسبينَ كمَا وردَ فِى الحديثِ الصَّحيحِ **مَا مِنْ أحدٍ مِنكُم إلَّا سَيُكَلِّمُهُ ربُّهُ يومَ القِيَامَةِ بلا ترْجُمَانٍ ولَا حَاجِبٍ**[1] اهـ وبذلكَ الكلامِ الذِى ليسَ حَرفًا ولَا صَوتًا

(١) رواه البخارِىُّ فِى صحيحه باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم.

وليسَ حادِثًا يُبدَأُ ويُختَمُ يُحَاسبُهُم فيَفْهَمُونَ عَنْ أيِّ شَىءٍ يسأَلُهُم فعَلَى هذا يجِبُ تَفْسِيرُ ءايةِ ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ هذهِ الآيةُ فِى سورة يس مَعنَاهَا أنَّ اللهَ تباركَ وتعالى يُوجِدُ الشَّىءَ الذِى شَاءَ وُجودَهُ بلَا مَشقَّةٍ ولَا تَعَبٍ. لا يَلْحَقُ اللهَ تَعَبٌ ولا مَشَقَّةٌ ولا يتأَخَّرُ ما شَاءَ أنْ يُوجَدَ عَنِ الوقتِ الذِى شَاءَ وُجُودَهُ فيهِ. هذا مَعنَى الآيةِ ليسَ مَعنَاهَا أنَّ اللهَ بِعَدَدِ مخلُوقَاتِهِ يقُولُ عِنْدَ كُلِّ مخلُوقٍ يخلُقُهُ كُنْ كُنْ كُنْ وإنَّمَا عَبَّرَ القُرءانُ بهذهِ العِبارَةِ أىْ أنْ يقُولَ لهُ كُنْ فيَكونُ لأنَّ كَلِمَةَ كُنْ بالنِّسبةِ للإنسانِ أسهَلُ شَىءٍ، الإنسانُ يَلفظُ بهذهِ الكلِمَةِ بلَا تَعَبٍ حَرْفَانِ كَافٌ ونُونٌ سَهْلٌ على الإنسانِ أىْ كَما أنَّ هذهِ العِبارةَ سَهلةٌ على لِسانِ الخَلْقِ فاللهُ تعالى سَهْلٌ عليهِ خَلْقُ كُلِّ شَىءٍ، هذهِ المخلوقاتُ كُلُّها خَلَقَها بلَا مَشَقَّةٍ ولَا تَعَبٍ. ثُمَّ فِى كُلِّ لحظةٍ اللهُ تعالى يخلقُ مَا لَا يَدخلُ تحتَ حِسابٍ. كلَّ لحظةٍ كلَّ يوم يُميتُ خَلقًا كثيرًا ويُحيِى خَلقًا كثيرًا ويُمْرِضُ خَلقًا كثيرًا ويُصِحُّ خَلْقًا كثيرًا وكلَّ يوم يُنزِلُ المطرَ إلى أرضٍ، مَا مِنْ يَومٍ مِنْ أيَّام السَّنَةِ إلَّا ويَكونُ المطرُ نازِلًا إلى أرضٍ، بمَشيئتهِ الأزَليّةِ وقُدرَتِهِ الأزليّةِ وعِلمِهِ الأزَلِيّ يخلُقُ هذا العالَمَ كُلَّهُ. الآيةُ القُرءانِيَّةُ هَكذا ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ وهذا مَعناهُ، ليسَ مَعناها كَما يزعمُ الوهّابيّةُ وبعضُ الجهّالِ أنَّ اللهَ يَنطقُ ويلفظُ بكلمةِ كُنْ بكافٍ ونونٍ بعدَدِ مخلوقاتِهِ. والحاصِلُ أنَّ اللهَ تباركَ وتَعالى

ذاتُهُ أزلِيٌّ أبدِيٌّ وكذلكَ حياتُهُ أزليّةٌ أبديّةٌ لا يتخلَّلُهَا انقِطاعٌ وكذلكَ كلامُهُ وسمعُهُ وبَصرُهُ أيْ سمعُهُ للأصواتِ ورُؤيتُهُ للمُبصَراتِ ليسَ حادِثًا يتخلَّلُهُ انقِطاعٌ أو زيادَةٌ ونُقصَانٌ.

أهمُّ أمُورِ الدّينِ صِحّةُ العَقيدةِ فمَنْ صحَّتْ عقيدَتُهُ إذا ماتَ ثابِتًا عليهَا مُتجَنِّبًا للكفرِ القولِيّ والفعلِيّ والاعتقادِيّ لا بدَّ أنْ يدخُلَ جنةَ اللهِ ولو كانتْ عليهِ ذُنوبٌ مثلُ الجبالِ أمَّا مَنْ لَم تَصِحَّ عقيدتُهُ فلَا تُقبلُ منهُ أعمالُهُ مِنْ صَلاةٍ وصِيَامٍ وحَجٍّ وزَكاةٍ وقِراءةِ قُرءانٍ وذِكرٍ كُلُّ ذلكَ لَا يُقبلُ منه. قالَ العُلماءُ لَا تُقبَلُ العِبَادَةُ إلَّا بعدَ معرِفَةِ المعبُودِ(١).

ثُمَّ مِنْ عَقَائِدِ أهلِ السُّنةِ أنَّ اللهَ تَعالى يَغفِرُ الذُّنُوبَ للمُسلمِ إنْ شاءَ ولَو ماتَ بلَا تَوبةٍ، لو ماتَ وهوَ مُنْغَمِرٌ فِى المعاصِى بلَا توبةٍ فمَنْ حَكَمَ بغيرِ الشَّرعِ مِنْ أجلِ رِشوةٍ أو قَرابةٍ أو صَدَاقَةٍ لَا نَقُولُ فيهِ كافرٌ لا نقولُ كما يقولُ حِزْبُ الإخوانِ، عندَهم إذا حَكَمَ الحاكِمُ رئيسُ البِلادِ بغَيرِ القُرءانِ ولَو فِى مَسئلةٍ واحِدَةٍ كَفَرَ الرَّئيسُ والرَّعِيَّةُ كلُّها كَفَرَتْ إلَّا مَنْ قَامَ ثَائرًا عليه. هذا باطِلٌ. إنَّمَا يكفُرُ مَنْ قالَ يجوزُ الحُكْمُ بخِلافِ الشَّرْعِ أمَّا مَنْ لَا يُحِلُّ ذلكَ لكنْ يَحْكُمُ بغيرِ الشَّرعِ لَا يَكْفُرُ إنَّما هوَ يَكُونُ عَاصِيًا. هؤلاءِ حِزبُ الإخوانِ الذِينَ يَعتَبِرُونَ المسلِمِينَ كُفَّارًا لأنَّهُم يَعِيْشُونَ تحتَ حاكِمٍ يحكُمُ بغيرِ

(١) قاله الغزالِيّ وغيره.

حُكْم اللهِ هؤلاءِ ظَهَرُوا فِى مِصْرَ منذُ سِتِّينَ سنةً[١] وقَبْلَهم قَبْلَ ألفِ سنةٍ ظَهَرَتْ فِرقَةٌ تقولُ كَمَا يقُولُ هؤلاءِ إنَّ الملِكَ إذا حَكَمَ بغَيرِ حُكْم الشَّرْعِ كَفَرَ وإنَّ الرعيةَ كَفَرُوا ثُمَّ انقَرَضَتْ هذهِ الفِرقةُ ثُمَّ جاءَ سيّد قُطب منذُ نحوِ ستينَ سنةً فعَمِلَ هذا الدِّين. الآنَ لهُ أتباعٌ هنا[٢] وفِى كُلِّ أورُوبا وفِى أمرِيكا وفِى البلادِ العربيّةِ لهم وجودٌ منهُم هؤلاءِ الذِينَ كانُوا فِى الجزائرِ يُقَتِّلُونَ الأطفالَ والنّساءَ والرّجالَ الكبارَ. نحنُ نُكفّرُهُم لأنَّهُم يَعتقِدُونَ أنَّ قَتْلَ غيرِهم جائِزٌ[٣] ما فيه معصِيةٌ بلْ يعتَبِرُونَه ثَوابًا يعتَبِرُونَ قَتْلَ غيرِهم ثَوابًا لا يعتَبِرُونَهُ حَرَامًا أمَّا لَو كانُوا يَعتَبِرُونَهُ حَرَامًا لَمَا كَفَرُوا. المسلِمُ إذا قَتَلَ مُسلِمًا ظُلمًا لا يَكْفُرُ إنَّما إذا اسْتَحَلَّ قَتْلَ المسلِمِ بغَيْرِ حَقٍّ فيَكْفُرُ عندَ ذلكَ أمَّا إذا قَتَلَ المسلِمَ ظُلمًا فيَكونُ ارْتَكَبَ أعظَمَ ذَنْبٍ بعدَ الكُفْرِ ولا يَكْفُرُ بذلِكَ.

ثُمَّ مِنْ أَهَمّ مَسائلِ العَقِيدَةِ أيْ مِنْ أَهَمّ مَسَائِلِ التَّوحِيْدِ بعدَ مَعْرِفَةِ اللهِ ورَسُولِهِ اعتِقادُ أنَّه لا يَخلُقُ أَحَدٌ شيئًا إلَّا اللهُ. اللهُ تعالى هوَ خالِقُ حَرَكَاتِ العِبَادِ ونُطْقِهِم ونَظَرِهِم وحَرَكَاتِهِم وسَكَنَاتِهِم كُلُّ هذا اللهُ هوَ يخلُقُهُ ليسَ العِبَادُ يخلُقُونَ، العِبادُ يفعَلُونَ يُقالُ يفعَلُونَ

(١) أى من زمن إلقاء هذا الدرس.
(٢) أى فِى الجمهورية اللبنانية.
(٣) أى يعتقدون جواز قتل كلِّ مَن سواهم مِن البشر البالغين اعتمادًا على تكفيرِهم لهم لأنه يعيشون تحت حاكم يحكُمُ بغير الشرع.

لا يُقَالُ يخلُقُون. اللهُ يخلُقُ والعَبْدُ يفعَلُ. مَنْ مَشَى عَمْدًا إلى مَكانٍ أو تَكَلَّمَ عَمْدًا أو مَدَّ يَدَهُ إلى شَىءٍ عَمْدًا فاللهُ هوَ الذِى خَلَقَ هذهِ الحَرَكَاتِ ليسَ العَبْدُ يخلُقُهَا. هذا القَدْرُ هوَ أَهَمُّ مَسَائِلِ العَقِيْدَةِ.

انتهى واللهُ تَعَالَى أعلَمُ.

الدرس الثانى والستون



كلام الله تعالى (٢)

درسٌ ألقاه الأصولِيُّ المحدث الشيخ عبد الله بن محمد العبدريّ رحمه الله تعالى وهو فى بيان صفة الكلام لله تعالى وأنه ليس بحرف وصوت ولغة. سمعه منه الشيخ محمد بن مصطفى البكريّ والشيخ عبد الرزاق بن محمد الشريف والشيخ سمير بن سامى القاضى. قال رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى ءاله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

أما بعدُ ففى كتابِ الأسماءِ والصّفاتِ للبَيهقىّ قالَ البخاريُّ حركاتُهم وأصواتُهم وأكسابُهم وكتابتُهم مخلوقةٌ فأمّا القرءانُ المُبَيَّنُ المُثْبَتُ فى المصاحفِ المسطورُ فى الكتبِ والمَوْعِيُّ فى القلوبِ فهوَ كلامُ اللهِ تَعالى ليسَ بخلقٍ[(١)] اهـ

لَا شكَّ الحرفُ والصوتُ معنًى مِن مَعانى البَشرِ مخلوقٌ للهِ فلَا يجوزُ عقلًا ولَا شرعًا أنْ يكونَ اللهُ يَتَكَلَّمُ بحروفٍ وأصواتٍ إما بِلُغَةِ العربِ وإما بِلُغَةٍ غيرِها كالسُّرْيانِيَّةِ لأنَّهُ لو كان كذلك لكان مِثْلَنا. الإمامُ

(١) ذكره البخارِيُّ فى كتاب خلق أفعال العباد باب أفعالِ العبادِ.

أبو جعفرٍ الطّحاوىُّ يقولُ ومَن وصفَ اللهَ بمعنًى مِن مَعانى البَشرِ فقَد كفرَ[١] اهـ وهوَ قالَ هذا بَيانًا لما كانَ عليهِ أهلُ السّنةِ منَ السّلفِ وهوَ منَ السّلفِ ليسَ رأيَهُ الخاصّ. ثمَّ عبارةُ البُخارىّ هذهِ كثيرٌ منَ الأشاعرةِ والماتريديةِ يَذكرُونها فى كتبِهم وليسَ مُرادُهم أنَّ صفةَ الله التى هى صفةُ الكلام الذاتية تَحُلُّ فى قلوب المؤمنين أو فى أَسْطُرِ المصاحِفِ لأنَّ انتقالَ الصّفةِ عنِ الموصوفِ لَا يُعقَلُ لَا يَصحُّ عَقلًا ولَا سيّما صفةُ اللهِ تباركَ وتعالى الأزلِيّ الأبديّ لأنَّ صفاتهِ يجبُ أنْ تكونَ أزليةً أبديةً بأزليةِ الذاتِ وأبديتِهِ. وهناكَ ما يُقَرّبُ هذا للفَهْمِ وهوَ أنَّ الإنسانَ إذا كَتَبَ لفظَ الجلالةِ الله وقيلَ ما هذا يقالُ اللهُ ولَا يَفهمُ مِن ذلكَ أنَّ ذاتَ اللهِ المقدسَ هوَ هذهِ الأحرفُ أشكالُ الحروفِ الألفِ واللامِ واللام والألِفِ اللينةِ التى تُلفَظُ ولا تُكتَبُ والهاءِ إنما الذى يُفهَمُ مِن هذا أنَّ هذهِ الأشكالَ عبارةٌ عنِ الذاتِ المقدّسِ. أما الذى يَعتقدُ أنَّ الله يتكلمُ كما نحن نتكلمُ يأتِى أولًا بالباء ثم السينِ ثم الميم إلى ءاخرِ حروفِ بسم الله الرحمن الرحيم هذا يَلزَمُ منه حدوثُ الذاتِ لأنَّ ما يَقُومُ به صفةٌ حادِثَةٌ فهو حادثٌ. وهذا مِن جُمْلَةِ التنزيهِ الذى يدلُّ عليهِ قولُهُ تَعالى فى سورة الشورى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾. هذهِ الجملةُ مَع وَجازَتِها وقِلَّةِ حُروفِها فيها التنزيهُ الكلّىُّ للهِ تَعالى،

(١) انظر العقيدة الطحاوية.

كأَنَّ هذهِ الجملةَ هىَ تفاصيلُ ما يذكرهُ أهلُ السّنةِ والجماعةِ أَنَّ اللهَ تَعالى ليسَ ذا لونٍ ليسَ ذا حَدٍّ ومِساحةٍ ليسَ ذا تَطوُّرٍ ليسَ ذا انفعالٍ ليسَ ذا تَأَثُّرٍ إلى ءاخِرِ ما هنالِكَ مِن أمثلةِ التّنزيهِ. وهذا ما أطبقَ عليهِ الماتُريدِيَّةُ والأشاعِرَةُ وهُما أهلُ السّنةِ لأنَّ الإمامَ أبا منصورٍ الماتريدىَّ وأبا الحسنِ الأشعرىَّ إنما شُهِرا بالانتسابِ إليهِما لأنّهما قَرّرا عقائدَ أهلِ السّنةِ بالبَراهينِ العَقليّةِ والنّقليّةِ معَ ردّ شُبَهِ المخالِفينَ وتَشكِيكاتِهِمْ مِن معتزلةٍ ومُشبّهةٍ ومَن شابَهَهُم.

وقَد ألّفَ ابنُ مَكّيّ قَصيدةً لصلاحِ الدّينِ الأيّوبىّ فسُمّيَت القَصيدةَ الصّلاحيّةَ يُصرّحُ فيها مؤلّفُها بأَنَّ كلامَ اللهِ الذّاتىَّ لَا يجوزُ أنْ يكونَ أصوَاتًا وحُروفًا. ثمَّ صلاحُ الدّينِ قرَّرَ تدريسَها للكبارِ والصّغارِ. هوَ صلاحُ الدّينِ كانَ عالِمًا لهُ إلمامٌ بعلم الحديثِ كانَ يحضرُ مجالسَ علم الحديثِ التى تُروَى فيها الأحاديثُ بالأسانيدِ وحَفِظَ القرءانَ الكريمَ وحَفِظَ التنبيهَ فى الفقهِ الشّافعىّ وحَفِظَ كتابَ الحماسَةِ.

أما أناسٌ منَ الحنابلةِ فقد قالوا إن اللهَ تعالى يتكلم بصوتٍ قديمٍ أزلىٍّ أبدىٍّ وهذا أمرٌ غيرُ معقولٍ.

وكلُّ ما يُوهِمُ خلافَ هذا أىْ يُوهِمُ أنَّ كلامَ الله الذاتىَّ الأزلىَّ يجوز أن يكونَ أصواتًا وحروفًا مِن النُّصوصِ فهوَ يُؤَوَّلُ بأنَّ المرادَ منهُ الكلامُ اللفظىُّ المنزّلُ الذى هوَ بلغةٍ عربيّةٍ كالقرءانِ أو لغةٍ سُريانيّةٍ

كالإنجيلِ أو لغةٍ عِبرانيّةٍ كالتوراةِ.

والكلامُ المنزّلُ يُطلقُ عليهِ كلامُ اللهِ، اللفظُ المنزّلُ يُسمّى كذلكَ لأنهُ عبارةٌ عَن كلامِ اللهِ الذّاتىّ. الكلامُ الذاتىُّ يقالُ لهُ كلامُ اللهِ وهذا اللفظُ المنزّلُ يقالُ لهُ كلامُ اللهِ. وما رُوِىَ عنِ الإمامِ أحمدَ أنهُ قالَ مَن قالَ لفظِى بالقرءان مخلوقٌ فهوَ جهمىّ مَا ثبتَ لكنْ أحمدُ كانَ يَكرهُ أنْ يقالَ لفظِى بالقرءانِ مخلوقٌ وكانَ يَكرهُ أنْ يقولَ لَفظِى بالقرءانِ غيرُ مخلوقٍ، وهذا يدلُّ على أنَّ الاعتقادَ الذى وقرَ فى قلبهِ هوَ أنَّ كلامَ اللهِ الذاتىَّ ليسَ حرفًا ولَا صوتًا. وإنما كرهَ ذلكَ لأنهُ قَد يَتَطرَّقُ أَفْهَامَ بعضِ النّاسِ مِن عبارةِ لفظِى بالقرءانِ مخلوقٌ إلى أنَّ القرءانَ مخلوق مطلقًا وهذا هوَ المحظورُ وإلّا فأىُّ عاقلٍ يشكُّ بأنَّ قولَ الرّجلِ بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيم الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ إلى الأخيرِ أَىُّ عاقلٍ يشكُّ أنهُ مخلوقٌ، لفظُ الشّخصِ بالقرءانِ مَن يشكُّ أنهُ مخلوقٌ، أليسَ هوَ الشّخصُ القارئُ مخلوقًا ثمَّ قراءتُهُ حادثةٌ كانَت بعدَ عدم ثم تَنقضِى، مَن يشكّ أنَّ هذا مخلوقٌ، فأحمدُ لَا يَنزلُ فى قِلّةِ العقلِ إلى هذا الحدّ. أحمدُ أَصلًا لا يُنكِرُ هذا الكلامَ لمعناهُ إنما أرادَ أنْ يَسُدَّ التّطرقَ إلى القولِ بخلقِ القرءانِ.

ومَعنى عبارةِ الطّحاوىّ منهُ بَدَا بلا كيفية قولًا اهـ أىْ باعتبارِ تَكَلُّم اللهِ به أى بالقرءانِ ليسَ حَرفًا ولَا صَوتًا ولَا فيهِ تَقديمٌ وتأخيرٌ. لو كانَ كلامُه تعالى بحرف

وصوت كلفظِ جبريلَ وسيدِنا محمدٍ ما احتاج إلى أن يقول بلا كيفية، فليُفَسِّروا أيِ المشبهةُ مَعنى بلا كيفيةٍ لأَنَّ اللفظَ لا يُشَكّ أنّ له كيفية وإنما أرادَ بقولهِ منهُ بَدا بلَا كيفيّةٍ قولًا أى باعتبارِ تَكَلُّم اللهِ بهِ[1] أىْ بالقرءانِ ليسَ حَرفًا ولَا صَوتًا ولَا فيهِ تَقديمٌ وتأخيرٌ. ثمَّ قولهُ بعدَ ذلكَ كلامُ اللهِ تعالى بالحقيقةِ معناهُ الحقيقةُ الشّرعيّةُ لأنَّ الحقيقةَ حقيقةٌ لغويّةٌ وحقيقةٌ عقليّةٌ وحقيقةٌ شرعيّةٌ.

وما رُوِىَ عَن أحمدَ القرءانُ حَيث يُصرَفُ غيرُ مخلوقٍ اهـ مَعناهُ لَا يُعبّرُ عنهُ بمَخلوقٍ ولَوِ اعتقَدَ المعتقِدُ أنَّ اللفظَ المنزّلَ مخلوقٌ للهِ ولكنّهُم يَتحاشَونَ النُّطقَ بعبارةِ القرءانُ مخلوقٌ لأنهُ يُخشَى أنْ يُوهِم أنهُ يريد الكلام الذاتىّ.

لَو كانَ اللهُ تَعالى يقرأ القرءان كما يقرأه سيدُنا جبريلُ وسيدُنا محمدٌ لم يكن معنى لقوله تعالى فى سورة القيامة ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾ لأنه لا يصح أن يكون معناها أن الله يقرأ القرءان على سيدنا محمد كما يقرأُ الأستاذُ على تلميذه، يُسمِعُهُ الحروفَ على تَعاقُبٍ، يبدأ بشىء ثم ينقضِى ثم يبدأ بشىء ثم ينقضِى إلى الأخير وإنّما معنَى ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ أى إذا قرأهُ جبريلُ عليكَ بأمرِنا.

(١) أى باعتبار كونه صفةَ الله تعالى.

ومَــعــنــى ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[1] أحدُ أمرينِ الأولُ أنهُ إذا شِئْنا وجودَ شيءٍ يكونُ بلَا كُلفةٍ ولَا مَشقةٍ عَلينا، ولفظُ كنْ خفيفٌ على لسانِ العَبدِ فعبّرَ اللهُ تَعالى فى القرءانِ بهذهِ العبارةِ للدّلالةِ على أنَّ اللهَ تَعالى يُوجِدُ مُراداتهِ بلَا كُلفةٍ ولَا مَشقةٍ لأنَّ هذه الكلمةَ مَا فيهَا كلفةٌ ومشقةٌ على العبادِ إذا نَطقوا بها. والمعنى الثانى أنَّ كُنْ عبارةٌ عنِ الحكمِ الأزلىّ بوجودِ الشّىءِ يقالُ لهُ الحكمُ التكوينيُّ[2].

هوَ بعضُ الناسِ يُؤثّرُ عليهم عندَما يَرونَ أنَّ فلانًا قالَ يتكلّمُ مَتى شاءَ وكيفَما شاءَ كما يُروَى عَن بَعضِ السّلفِ فَيَقْصُرُ فهمهُ عَن إدراكِ المقصودِ فيُفسّرُ هذهِ العبارةَ بأن الله يَنْطِقُ يتكلمُ بكلامه الذاتِيّ يَبدأُ به ثم يَختِمُ ثم يَبدأُ به ثم يَختِم كما يفعل البشر، وهذا عينُ التشبيهِ. وإنَّما مَعْنَى يَتكلَّمُ مَتى شاءَ وكيفَما شاءَ أىْ باللفظِ المنزّلِ، معناهُ يُنزلُ اللفظَ الذى هوَ عبارةٌ عَن كلامهِ الذّاتىّ.

الذى رَزقهُ اللهُ الفَهمَ الصّحيحَ يَكتفِى بقَولهِ تَعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ لأنَّ هذا تنزيهٌ مطلقٌ. كذلكَ

---

(١) سورة يس.

(٢) أى أن الله يخلق الخلق بالحكم الأزلىّ بوجوده أى أن الله يخلق العالم بحكمه الأزلى والحكم كلام أزلى فى حق الله ليس كلامًا مركبًا من حروف وأصوات.

الذى يقولُ إنَّ اللهَ تَعالى تكلَّمَ تَكلّمًا ذاتــيًّا بالعَربيةِ يَلْزَمُ منه أن يكون اللهُ عربـيَّ اللغةِ، والعربيةُ حادثةٌ، وكذلكَ إذا قالَ هو ذاتُهُ تكلَّمَ تَكَلُّمًا ذاتيـًّا بالسُّرْيانِيَّةِ يكون جعلَ اللهَ سُرْيانىَّ اللغةِ، وكذلك العِبرانيةُ. هذا الاعتقادُ ضلالٌ. جَعلوا اللهَ سُريانيـًّا وعربيـًّا وعِبرانيـًّا. ما هذا. أليسَ هذا دليلَ الحدوثِ.

انتهى والله تعالى أعلم.

الفهرس العام